893.783 K6432
Q

Columbia University
in the City of New York
Library

BOUGHT FROM
THE
Alexander I. Cotheal Fund
for the
Increase of the Library
1896

Kiṣṣat islām al-Ṭofeil ibn ʿAmir al-Dausī

'16-12671

893.783
K64 32
Q

№
198

198

﴿ قصة ﴾
اسلام الطفيل بن عامر الدوسى
وحديثه وماجرى له من
أوله الى آخره

﴿ رواية أبى الحسن أحمد بن عبد الله ﴾
﴿ ابن محمد البكرى رضى الله عنه ﴾

﴿ طبع على ذمة السيد أحمد بن مراد الترى وأخيه ﴾

﴿ سنة ١٣٢٢ هجريه ﴾

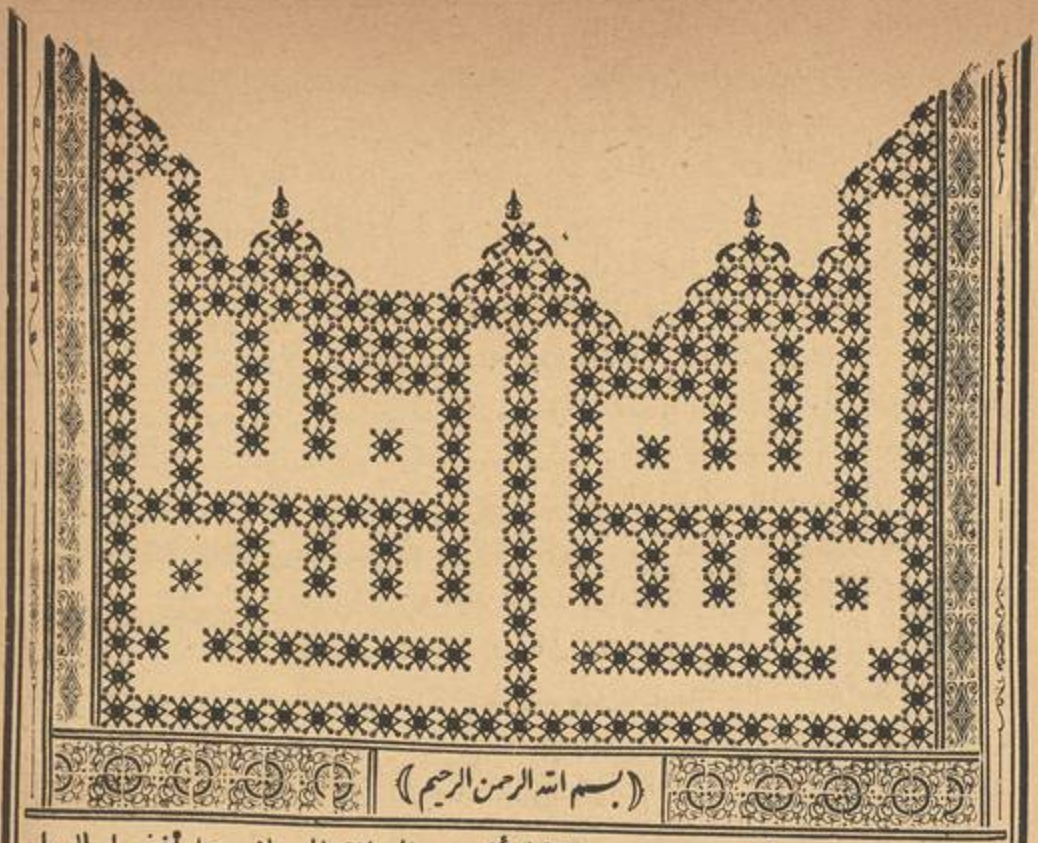

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي جعل سير الاولين عبرة وموعظة للمتأخرين والصلاة والسلام على أفضل الرسل الكرام وآله وأصحابه وأتباعه وأحزابه ﴿وبعد﴾ فقد روى أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكري رضي الله تعالى عنه قال حدثنا أشياخنا وأسلافنا الرواة لهذا الحديث حدثنا أحمد بن جعفر عن عبد الواحد بن عدي قال حدثنا يوسف الخزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صدع بالرسالة وظهرت له الدلالة ودعا قومه وعشيرته ومن ضم الحرم الى كلمة الاخلاص وتوحيد رب العالمين فكان يدعوهم ليلا ونهارا الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهم لا يزدادون الا كفرا واعراضا وكان اذا أظلم الظلام قام بين يدي الله سبحانه وتعالى فيناديه ويتضرع اليه ويقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون واعطف قلوبهم الى اجابتي والاقرار بي وبرسالتي انك على كل شئ قدير قال وهم يضمرون له الكيد ويظهرون له العناد وكان شرارا لقوم وساداتهم من أهل الحرم اذا وفد وافد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تاجر يقدم مكة يستقبلونه ويتقدمون اليه بالحذر والانذار من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون له اياك والاستلام الى هذا النبي الذي يفرق بين الرجل وخليله وبين السيد وعشيرته فيصدون الوافد والقادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عليه السلام يأتي منهم الاذى بذلك وكانت قريش اذا خطر التاجر والوافد يخلون به بمثل هذا الكلام فان انتمى الى كلامهم عظموه وأكرموه وان أبى حقروه فان كان سيدا خلوا سدده وان كان تاجرا بخسوا تجارته ولما شاعت الاخبار وانتشرت شهرة الرسول في جميع الاقطار أقبل الى مكة الطفيل بن عامر الدوسي سيد بني دوس فلما سمعت قريش بقدومه توجهوا اليه وسلموا عليه وسألوه عن سبب قدومه فقال انه بلغني ظهور نبي كريم ورسول عظيم خرج من بينكم ولعمري اني اليه قصدت وله أردت ولأكشف عما له طلبت ولقد نادتني رجال عند خروجي يطلبون الخروج معي فأبيت الا الخروج بنفسي لاكشف الأمر وأنظر ما هو عليه فوصلوني اليه معاشر الاشراف وحق الحرم المحرم والبيت المعظم قد أتاني منذ ثلاث ليال زاجر يزجرني

ويأمر

ويأمرني بالمسير اليه فقد زادكم شرفا الى شرفكم وعزا الى عزكم بالميمون الابلج والغلام الاجيح فهنيئا بما أعطيتم اذ ظهر بينكم رسول رب العالمين ثم ان الطفيل جعل يقول شعرا

يا هاشم الخير رزتم كل مفخرة * وسادة الناس من بدو ومن حضر
لكم سدانة هذا البيت في قدم * ومنكم مطعم الاضياف في القمر
اتاكم ان لكم قولا اذاع به * يأت به ملك من عند مقتدر
حلوا المذاق له في القلب منزلة * قد شاع ذلك في الأحياء من مضر
وزاجر لي في جنح الظلام أتى * بالقول يزجرني كالواعظ البشر
وسرت فريحا بما قد جئت طالبه * قصدا الى الرجل المشيوع في الفخر

(قال صاحب الحديث) فلما سمعت قريش ذلك من مقالته التجموا عند خطابه وأطرقوا الى الأرض رؤسهم واستعظموا ما ورد به عليهم وكبر لديهم وتغيرت وجوههم وزالت بشاشتهم فعرف ما عندهم فكبر عليه انكارهم فقال لهم يا أهل مكة ومنى وزمزم والصفا أنا رجل أحب ما تحبوه واكره ما تكرهوه وما كنت أظن الاشرف محمد اليكم عائد وذكره عليكم وافد وما أنا بالذي أتيتكم بما لا تشتهون ولا تسمعون مني ما تكرهون فقال أبو جهل اللعين لقد نطقت اليوم بعظيم من الكلام الذي تكاد تتصدع له الجبال ولقد ظننا انك سيد الا يخدع عقله بالشبهات والذي ذكرت من أمر (محمد) فذلك رجل قد طرقتنا منه طوارق وعاقتنا منه عوائق يطول شرحها فاذني ما يحملنا انه سفه أحلامنا وكذب أسلافنا وسب آلهتنا وعاب ما نحن عليه من عبادة الأصنام والأوثان التي تقربنا الى الله زلفى وأمرنا بكسرها وتركها وفرق الفتنا وشتت جماعتنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه وأنت رجل معظم في قبائل العرب مكرم ولا نأمن عليك من سحره وغايته مكره أن تصبوا اليه وتدل الناس عليه فتتقوى شوكته وتكثر عائلته وتزداد علينا أذيته ولك علينا اياد قد تطاولت والى السماء قد تناهت فاياك أن تقصرها أو تعبرها (فاما) أن ترجع الآن الى قومك مكرما على آثارك فيبقى لك الوداد في قلوبنا وما تعمله من محبتنا واما ان تقسم لنا بالله أن لا تلتقي (بمحمد) ولا تسمع منه ولا تصبوا اليه ولا تجلس الى الصبات من أصحابه فيفوقروك لانه كالنار متصل بعضه ببعض فقال نضلة ابن حزام الخزومي لئن رأينك لائذا بمحمد وأصحابه لنكشفن لك بالمكروه وجوهنا (ثم) لا يكبر علينا أن نبسط عليك بعد المحبة أكفنا ونجرد في وجهك أسيافنا فاستبق على نفسك ووافق الوداد بيننا وبينك (قال فلما) سمع الطفيل كلامهم ونظر بعضهم الى بعض وقد أظهروا الغيظ والحنق وهم ينظرون اليه فقال لهم مهلا يا قوم فاني ظننت انما اهديت اليكم جميلا لانه ابن أختكم وفي النسب مكافيكم فاذا ذكرتموه بمثل هذا فأنا الى جانبكم أميل وأشهدكم اني لست بمائل اليه ولا بعبادة ذكر (محمد) مادمت بحرمكم ولا جالست أصحابه ولا يجالسوني ولا نبايعهم ولا يبايعوني فان أمرتموني بالرجوع ألويت زمام ناقتي نحو ديار قومي ولا تروني الى دياركم عائد ولا بحرمكم ومحبتكم لائذ (قال) فشكروا له قوله وحمدوا له فعله وقالوا له لك عندنا الاكرام والطول والانعام فلا تحلنا منك في ذمام (ثم) تشاح القوم في ضيافته فجازه اليه ابن حزام وقال لأصحابه لم يكن فيكم من بسط لسانه للطفيل بالسوء غيري فأنا أتولى اكرامه وانعامه بما يجب لمثله وأصلح ما فسدت فلا أظن كلامي قد أثر في قلبه فسمحوا له في ضيافته ورد خلوا القوم الى مكة ونزل الطفيل بن عامر عند نضلة بن حزام فنحر له جزورا وأكثر من ذبح الغنم وأوسع له من الطعام والشراب وأحضر من قريش الذين خرجوا معه فأكلوا وشربوا معه وأقسموا بالله أن لا يطأ مجالسهم الا بعداوة (محمد) ونسبه وحزن الطفيل من استماعه والليا ذبه حتى ملؤا قلبه عناد المحمد (صلى الله عليه وسلم) وهو مع ذلك يؤثر لهم الاجابة والانعام (فلما) كان بعد ثلاثة أيام تفرق القوم الى منازلهم وقد شاع الحديث بمكة بقدوم الطفيل بن عامر

وكان رجلا عالى القدر نامى الفخر فكل تطاول الى رؤيته لما يعلم من فضله واتصل الخبر برسول
الله صلى الله عليه وسلم فازداد قلقا الى رؤيته لما يعلم من شرفه فى قومه ونباهة قدره (فلما) انسدل
الظلام بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على بن أبى طالب والى حمزة بن عبد المطلب والى
الزبير بن العوام والى أبى بكر الصديق والى عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين (فلما) حضروا
بين يديه كشف لهم عن أمره وقال يا أيتها العصبة المحمدية قد اتصل بى أن سيد دوس وعظيمها
ورئيسها وشريفها الطفيل بن عامر قد قدم عليكم ووصل الى حرمكم وهذا رجل قد أكمل الله
عقله وأبان فضله وأظهر سوددة فى قومه وشرفه فى أهله وما أقدمه الا أمر عظيم أو خطب
جسيم وقد بلغنى أن أشرار القوم قد لقوه فحازوه اليهم وأنزلوه عندهم وقد خفت ان يكون قد
قصد مصيره الى ووفوده على فمنعوه عما أتى اليه وحالوا بينى وبينه وحجبوه عنى فما عندكم فى هذا
الأمر رحمكم الله فقام اليه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسول الله صلى عليه وسلم ووقف
بين يديه (وقال) والله يا ابن أخى ان عندنا ما طلبت قريش من خير أو شر فان كشفوا عن العناد فذلك
مرادنا ومسرة افئدتنا وهم أعرف الناس بنا ومانحن براعين حق القرابة والجوار فارعوه لنا
ووقرناهذا البيت أن ينسفل فيها الدماء وقد زاد علينا منهم الأذى ولو ثبت عندنا أنهم منعوه منك
وحبسوه عن المسير اليك وحجبوه عن القدوم عليك لجردت حسامى وخطوت أمامى حتى أبلغ مرادى
فاروى السيف من الهام واهشم العظام وسيخرج الطفيل بن عامر الى الابطح والصفا فان طلب
قصدك فلا يمنعه عن الوصول اليك مانع ولا يدفعه عنك دافع فهنالك لا يجد حجة علينا من بسط
أيدينا اليهم والظهور عليهم فوالله لنفلقن الهام من كل أسد ضرغام وقد علمت قريش انى أضرب
خلق الله بالسيف فمن عاند الاسد قصمه ومن لازم البحر عطبه ثم جعل يقول

لنا الفخر القديم اذا انتمينا ٭ تورثناه هماما عن همام
لما حزناه من همم وفضل ٭ ونحن ولاة زمزم والمقام
لموضع هاشم منا وانا ٭ قوم نجوم الارض من كل الانام
ويوم الحرب يسئل عن وغانا ٭ فنحن الصائلون لدى الزحام
وأنت محمد أصبحت فينا ٭ كبدر التمام اذا أشرق من غمام
لئن كان الطفيل أتاك قصدا ٭ وتخشى ذاك من قبل المنام
فنبذل دونه الارواح منا ٭ ونترك أنف من يشناه دام
فسوف ترى الجماجم طائرات ٭ ببطن الشعب فى البلد الحرام

(فقال رسول الله) صلى الله عليه وسلم شكر الله قولك يا عم (ثم قال) على رضى الله عنه والذى أنزل عليك
الكتاب لئن أذنت لى لاسرعن تحت جلباب الظلام حتى آتيك بالطفيل بن عامر حيث ما كان وأين
ما نزل ولئن منعنى منه مانع ضربت عنقه وأفنيت عمره ولو اجتمع أهل مكة جميعا فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قوله وقال له كفيت بك الأعداء وجارك من طوارق الردا وشفعك بهجتك
وسيظهر لكم فى غد أنهم لكم أعداء والله ناصركم ان شاء الله تعالى وتكلم من حضر من الصحابة بنحو
قوله (فقال) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا بالذى نطلب أيدينا اليهم الا بحجة وسيأتيكم
الغيب العجيب ثم أذن لهم بالانصراف فانصرفوا وقال لهم غدا ة غد يظهر لكم البيان وبات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه بليلة طالت عليه شوقا لما يكون من الطفيل مع اشرار قومه (قال) وان
الطفيل بن عامر قد أتوا اليه بماء فأفاضه عليه وأتاه عبد بحلة فألفرغها عليه وتعصب بتاجه وتطوق
بطوق وتطيب واشتمر بزينته وارتدى بردائه فما قام من مغتسله الا وسادات قريش بالباب مستأذنين

عليه

عليه فاذن لهم بالدخول فدخلوا عليه فصافحوه وعظموه وتقدموا اليه يسئلونه عما تقدم بالامس من الحذر من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الدنو منه ومن أصحابه ومن مخاطبته فانعم لهم بذلك (فقال) لهم على رسلكم ثم دعا بكرسف فحشى بها أذنيه لكي لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم انه سائر الى الكعبة ليطوف بها فقالوا له ان محمدا عند الكعبة ونخشى أن تسمع كلامه فيجبذونك بكلامه وحلاوة منطقه وعذوبة الفاظه فتصبو اليه فقال يا قوم ها أنا قد سددت أذني لئلا أسمع كلامه فشكروا له ذلك فقال أبو جهل لعنه الله انت لقد أصبت رشدك فوثب الطفيل قائما وقد أشعر عبيده وغلمانه بالثياب الصفر وعممهم بالعمائم الحمر وفي وسطهم المناطق وفي أيديهم الاعمدة والحراب وخرج من منزل نضلة بن حزام وسارت غلمانه بين يديه وقد انحفلت قريش من ورائه حذرا أن يعدل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسامعت بخروجه الناس وانحفل الرجال ووقفن النساء على الابواب وأفواه الطرق والشعاب وركب الصبيان على الجدران ينظرون اليه وسبق اليه أبو جهل الملعون الى الابطح والناس حلق حلق (فلما) نظروا اليه هرول انقضت الجموع وقام كل قاعد وانكروا سرعته ومبادرته وقالوا مالك يا أبا الحكم فقال هذا سيد دوس الطفيل بن عامر سائر الى الكعبة فاذا أشرف عليكم فاظهروا له الاكرام وقوموا باجمعكم على أقدامكم وابسطوا ألسنتكم بالدعاء له وأكثروا من الثناء عليه وسيروا بسيره الى الكعبة فان تركتموه يسير وحده لا آمن أن يسمع من كلام (محمد) صلى الله عليه وسلم فيصبوا اليه فاذا رأيتموهم بذلك فامنعوه من ذلك فأجابوه القوم الى ذلك فعطف على أثره راجعا اليه فسار بسيره (فلما) أشرف الطفيل على الابطح في زينته وعبيده وسادات قريش من حوله وجميع السفهاء خلفه فلما أشرف عليهم انقضت المجالس وقاموا قياما وتقدم أكابره امامه فاصطفوا صفوفا (فلما) وصلوا اليهم أطلقوا ألسنتهم بالدعاء والثناء عليه وحفوا به عن يمينه وشماله ومن خلفه وأخذته الاصوات بغرائب التحيات من كل جانب ومكان قال منبه ابن فلان لقد أتيتم جنابا وأثرت أزقتنا وتشرفت مدينتنا بقدومك علينا يا طفيل أنت الصائل بلسانك على الاعداء شانئك لا ينكر شرفك ولا يجحد سلفك أنت جرثومة كهلان وأرباب التيجان ولقد طرقتنا يد الزمان وأناخ علينا بكلكله الحدثان من الغلام الذي ربيناه صغيرا فجنى علينا كبيرا (فلما) اشتد عوده واستقام عموده أظهر لنا العناد والعصيان ورفض الآلهة والاوثان وايانا أن تعدل عليه وانت على دين آبائك وملة عصابتك مستمسك بها غير جاحد عنها فمثلك لا يخامره كلام الكهانة ولا يداخله سحر السحرة وأكثروا عليه الكلام وازدادوا عليه الازدحام وركب الناس بعضهم على بعض فلم يطق أن يسير ولم يجد موضعا يخطو فيه فجلس وأحدقت به عبيده ليدفعوا عنه الناس فأشار للقوم ان يجلسوا فجلس كل قائم وسكت كل ناطق وتقدموا اليه سادات قريش فقال لهم يا قوم ما هذا الازدحام والضجيج وقد علمتم اني رجل كريم لا يتشبط على المحال ولا أدخل مداخل الضلال واتباعكم لي استصغارا لمكاني وانما يقال هذا للصغير الذي ليس له معرفة بالامور والاستبصار ولعمري لقد كان الاولى بكم أن تشدوا عضد ابن أخيكم وتساعدوه وتوازروه ولا تعاندوه ولا تكايدوه لانه ابن أخيكم في النسب ومكافيكم بالحسب وقد رأيته عند عبد المطلب يوما على سريره بازاء هذه الكعبة وهو جالس معه يومئذ صغير فاذا أشكلت على عبد المطلب قضية أو تصعبت عليه مسئلة في حكومة يلتفت اليه فيقول له يا محمد ما قولك في هذا الامر فينطق بكلام يجد فيه انفصال الامر وزوال الشر ولقد شهدت له في بعض الايام حين بنيت كعبتكم وأردتم رفع الركن مكانه فكل منكم أراد أن يتناول رفعه يطلب بذلك الفخر في قبائل العرب وتخاصموا في ذلك وأخذوا باللغو وكادوا أن يسفكوا بينهم الدماء حتى اجتمعت كلمتهم

أن يحكموا أول طالع يطلع من هذا الوادى شريفا كان أو دنيئا حرا كان أو عبدا فكان أول من طلع عليكم محمد بن عبد الله فجعلتم أمركم اليه وأن يدفع الركن لمن يشاء فبسط رداءه وجعل الركن فى وسط الرداء ثم قال ليأخذ كل سيد منكم بطرف الرداء وارفعوه الى مكانه فرفعوه الى موضعه ورضوا بحكمه وارتفع الخصام من بينهم وكان له بعد ذلك من الآيات مالم يخف عليكم مع ماتعرفونه من أمانته وعفته وديانته ومروءته وغض طرفه وكمال عقله وصدق قوله وكرم فعله واتباعه الحق وتركه الباطل وأخذه بالرفق ونطقه بالصدق ومع ذلك ما أنا بذاكر لكم من الفعال أمرا تنكرونه ولا تجهلونه بل تشهدون بمثل ما أنا ذاكر لكم من المقال وما أثبتموه من الفخر والافضال على انى غير تابع له فيما أمر ولا مجيب الى ماذكر وانما أنا رجل أثبت هذا البيت معظما له ولحرمته ثم جعل يقول

بئس القرابة قاطع لقريبه ◆ عار عظيم وذاك من أفعاله
ابن الامينة والامين محمد ◆ أتى بصدق فى الورى بمقاله
جمع الامانة والصيانة كلها ◆ ظهرت طهارته على أمثاله
الصدق أوجب للكريم وربما ◆ كذب الفتى من بعض قبح فعاله

قال فلما سمعت قريش مقالته صمتوا عن الخطاب وانقطعوا عن رد الجواب وهدأت أصواتهم وانقطع ضجيجهم ونظر بعضهم الى بعض وكان زيد بن ثابت رضى الله عنه قد سمع كلام الطفيل مع قريش وما خاطبهم به فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعره الذى ذكر فيه فلما سمع ذلك لم يجد صبرا دون أن أسرع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند الكعبة وعنده عثمان وعلى وأبو بكر وعمر رضى الله عنهم فنظروا الى زيد مهرولا فى مشيه فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشيه فلما أن دنا زيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تزينت بك الايام وعلت مفاخرك الاعلام انى رأيت رجلا هول المنظر فائق المخبر لامع الغرة حسن الطلعة فصيح اللسان بادى البيان جرىء الجنان كريم الارومة عظيم الجرثومة ومن حوله خدام وعبيد فنطق بكلام تنصدع منه الجلامید لم يكبر عليه كبراء قريش ولا سادات بنى مخزوم ولا أبطال بنى عبد الدار ولا بنو هاشم وأنكر على عمومتك وقرابتك تأخرهم عن نصرتك وتقصيرهم عن اجابتك فى هيبة مكانه وعظيم شأنه لم أر بينهم من بسط اليه لسانه ولا استصغر مكانه بل رأيتهم يعضون عليه الانامل تأسفا وينظرون اليه تلهفا وهاهو فى وسطهم وقد أحدقوا به وتكاثروا عليه وأخشى أن يمدوا أيديهم بالسوء اليه ولقد رأيته وصف صفة الاخ الودود وصدع بوصف قلب الحسود فانظر له يارسول الله فما عرضه غير رؤيتك والسلام عليك فقال النبى عليه السلام أين عمى حمزة فاجابه بقوله لبيك وسعديك ها أنا بين يديك صلى الله عليك فقال له امض الى هؤلاء القوم الظالمين واهتف بهم أن يطلقوا سبيل الطفيل ابن عامر يمضى حيث شاء فان كان سبيله وقصده الينا قويناه وواصلناه وان كان قصده غيرنا تركناه وان استعان بنا أعناه وأجرناه وان أبى فاتركه وعد على الاثر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال فخرج حمزة متوشحا بسيفه فقال على بأبى أنت وأمى يارسول الله ألا تأذن لى فأمضى معه أكون له معينا وعلى ما أرسلته اليه ظهيرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا ياعلى فلتنظرن من نصرة الله تعالى ماتسر به ان شاء الله تعالى قال وتقدم حمزة لما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرع فى سيره وكان حمزة اذا غضب يسمع لصوته زئير ولكلامه هدير فلما أشرف على الابطح وأبصرته قريش قال قائلهم هذا حمزة بن عبد المطلب قد أتاكم وهو يزئر كالليث الحاذر أو الجمل الهادر قال فانقضت قريش على الطفيل كالغنم اذا أبصرت

الذئب وحمزة يقصدهم كالاسد المهيب قد تبين لقومه الغضب ودواعي الصخب وكان فيهم مهابا وسيدا مجابا فنادى باعلى صوته يا بني زهرة يا بني أسد يا بني سهم يا بني عامر بن لؤي يا بني تميم يا بني عبد الدار يا كافة أهل الابطح قد عيل الصبر وبان الخبر الى كم نراعي لكم حق القرابة والجوار وأنتم تظهرون لنا الخدع والانكار فلا فخر لكم في الناس اذا ذكر الفخار لانكم أشرتم على العار وبان لنا منكم البغض والشنار انى أشم دما في اهراقها ورؤسا قد حان قطافها فأغمدوا السيف الباغي لا تنبذوه وأحقنوا دمكم ولا تسفكوه فانما الارواح أكنف عارية عوار فاحذروا أن يطلبها منكم عاريها ثم قال يا معشر قريش ما أنتم ورجل أتاكم ودخل حماكم ثم تردونه عن رأيه وتصرفونه عن هواه وتحذرونه من ابن أخينا أما انه ليعلم أن محمدا أصدقكم قولا وأكثركم فضلا وأخركم حسبا وأعلاكم نسبا وأطيبكم نشرا وأذكاكم قدرا وأحسنكم أخلاقا وأطيبكم اعراقا وأفضلكم حلما وأكثركم علما وأقربكم فهما فما أنتم ورجل يقول قال الله لي وقلت له وأتاني الملك من عند الله ثم انه دعاكم لي ما ينجيكم ويقربكم من باريكم وأنتم تأبون الى ما يرديكم فمثله معكم كمثل الطبيب الشفيق يشغق بالعليل عساه أن يفيق وهذا سبيلهم مع محمد صلى الله عليه وسلم ابن أخينا وقد رعينا لكم ما لم ترعوه لنا من كف اذايتنا عنكم ولو شئنا لبسطنا ايدينا اليكم الا ان البغي يرجع الى صاحبه كالسيف يرجع الى قرابه وفي بيوتكم كرائمنا وفي بيوتنا كرائمكم فلا تحرشوا الثعبان حتى يكشر أنيابه ولا تحرشوا الاسد حتى يهلك أصحابه فان في ذلك سفك الدماء والدمار والبوار فاطلقوا الرجل يمضي الى حال سبيله فقد أعذر وأنذر وأنصف من حضر ولا تحوجونا الى ما انتم عنه في غنى ثم جعل يقول

من حرش الاسد لم يأمن غوائله * وحق للمرء ان يرعى ودائعه
انا النسيق كأس الحمام على * طول الزمان ونفنى من ينازعه
يا اهل مكة ان الليث ينذركم * فحسبكم فاحذروا منه مواقعه
قد هام بالمنجل الحصاد فارتقبوا * داع الدمار بشر الموت ناقعه

(قال ثم) تركهم في حيرة مثل السكارى ينظرون بعضهم الى بعض ولم يكن فيهم من يحبس في خطابه ولا يحسن رد جوابه واقبل حمزة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما) نظر اليه عليه السلام عرف ما عنده قال ما وراءك يا عم اني ارى الغضب في اهوائك فقال يا ابن اخي قد عيل الصبر وضاق الصدر ولا صبر لنا على الاعداء وانا نضرع الى رب السماء ان يكفينا نوازل البلاء فاني ارى اجسادا تطاول حتفها ورؤسا قد حان قطفها (فقال) له صلى الله عليه وسلم حسبك يا عم فان النصر مقرون مع الصبر والصبر مقرون باليسر (قال الراوي) رحمه الله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة وخبابا الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالمسير اليه ولا يأتيه منهم احد الا وسلاحه معه قال عليه السلام ليت عمي ابي طالب كان حيا لينظر هؤلاء الارجاس وفعلهم فاطمع في طامع الا في غيبته في الثرى مع ان ربي معي يسمع ويرى (فقال) له عمر رضي الله عنه يا رسول الله لئن مضى عمك فلقد أبدلك الله منه رجالا واي رجال لا يخافون الموت عند حلوله ولا الفناء عند نزوله تهون عليهم انفسهم في رضاك حتى تبلغ من اعدائك مناك فلئن رمقك من القوم رامق لنوقعن بهم البوار فشكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله وحمد فعله فلم تكن الا هنيهة حتى تكامل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم واحد الا وأتى وقد تلثموا ولبسوا الدروع وتقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح وتعمموا بالعمائم وجاء العباس وطالب بن ابي طالب وحلفاؤهم وحفوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك اذ سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ضجة عالية واذا بأحداث وشبان يتسابقون الى الكعبة (فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه انظروا ان كان أشرف

عليكم الطفيل فكونوا فى اماكنكم ووقروا حرم ربكم فجثى القوم فى اماكنهم وعلى فى اولهم اذ أشرف الطفيل بن عامر عليهم وقريش انحفلوا فى أثره وهم متطاولون بما يسمعون منه والقوم مابين متقدم ومتأخر فبعض يقولون ما كان الطفيل بالذى يترك مجده وشرفه ويصبوا الى دين (محمد) بن عبدالله وآخر يقول مانطق الطفيل بمثل ذلك الكلام الا وقد عزم على الدخول فى دينه فقال نضلة بن حزام أقسم بهذه الكعبة وما عليها من الآلهة لئن صبا الطفيل الى (محمد) لاروين السيف ولاخضبنه من دمه بعد ما أكل طعامى ودخل فى منزلى يحقر ذمتى ويتركنى ويصبو الى دين (محمد) لا كان ذلك ابدا أظنه وطابقت على ذلك جماعة من سفهاء قريش وساروا السيره وقد أخفوا مكرهم وابدوا سرورهم وقد أحدقوا به وهم ينظرون اليه شزرا وقلوبهم قد امتلأت عليه غيظا (قال) ولم يزل الطفيل يسير الى ان وصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه جلوس حوله ليس فيهم قائم ولا ناطق ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد عمهم بنوره وبهرهم بحسنه وجماله وهو فيهم كالقمر ليلة البدر فقصد الطفيل الى الكعبة يريد أن يطوف بها ويتعلق باستارها فخانت منه التفاتة فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه كالقمر أحدقت به النجوم فتأمله ونظر الى شواهد النبوة ودلائل الرسالة وعاين النور يتزايد فى غرته فوقف عن المسير وجللته الهيبة وداخلته الحيرة والدهشة ونسى ما كان عزم عليه ولم يطق حراكا من موضعه وقد رمقته قريش بأحداقها وتطاولت له باعناقها فنظرهم الطفيل وهم يعضون الأنامل عليه من الغيظ فلم يجد خلاصا منهم فأشار بيده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به نضلة بن حزام ماهذا ياطفيل أعرض وجهك عنه واصرف أذنك عن كلامه فالتفت اليه الطفيل فنظر وهو ينظر اليه نظرة الأسف وقريش يعضون الأنامل ويشيرون اليه فحار ولم يدر ما يصنع (فلما) تكاثرت الاصوات عليه تعلق بأستار الكعبة ونادى بصوت يسمعه القريب والبعيد يارب البلد الحرام وزمزم والمقام ورب مكة ومنى وأبى قبيس وحرى أنت العالم الذى لا يخفى عليك شئ تعلم ما نخفى وما نعلن اللهم انى قطعت المهمات طالبا الثواب وقاصدا البابك وخائفا من عذابك فارشدنى الى الطريق اليك ودل الضال بما ينجيه من المهالك وأقصدنى اليك أقصد المسالك فانى أريد وأحذر واعرف وأنكر (قال فلما) سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه عرف ما عنده واستفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ بعذوبة كلامه وحلاوة منطقه وحسن تلاوته بسم الله الرحمن الرحيم ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله وما للظالمين من أنصار (فلما) سمع الطفيل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستطع صبرا دون أن عطف حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فداوت عليه قريش ليردوه عما عزم عليه فوثب حمزة والعباس بن عبد المطلب وعلى وعقيل بن أبى طالب وسادات بنى هاشم (فقال) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركوا القوم ماتركوكم فقال حمزة يا ابن أخى الى كم هذا التطاول علينا وقد بسطوا ألسنتهم بالسوء الينا ونحن بيضة العرب والصائلون فى الحرب ولا صبر لنا على الضر والاذى وهذا الاحتمال الى متى ونظرت قريش الى بنى هاشم وتقدم بنى عبد المطلب وعاينوا حمزة وما ظهر من غضبه لما يعلمون من شدة بأسه فافترقوا عن الطفيل يمينا وشمالا هيبة لبنى هاشم وحذرا من صولة حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم فنادى عند دنوه منه أشرقت بدك البطاح ودام لك النجاح واختلفت اليك الصعود صباحا ورواحا بامن غضب له الجليل وادحض عنه أصحاب الفيل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل انى رجل لا أنكر عندك ولا أجحد بفضلك غيرانى رجل شاعر أديب حكيم لبيب قرأت المؤرخة فى الأمم وأنساب العرب والعجم وقد ترى ما لحقنى من قومك من التعب

وما تحذر قومك من استماع كلامك فبالله ما دنوت منك حتى سددت أذنای بكرسف لئلا أسمع كلامك فبالله الا أسمعتنی واتل علی ما تلوته آنفا فقد أخذت تلك التلاوة بمجامع قلبی وانه لكلام لا يشبه كلام الحكماء ولا علم العلماء ولا بنظم الشعر وانی أريد ان أخلو بك فی موضع لا يرى معنا أحد من الحساد ولا من ذوی الضغائن والعناد فقال له النبی صلی الله عليه وسلم مهلا عليك فنهض وصلی ركعتين وكانت القبلة اذ ذاك الی بيت المقدس فلما فرغ من صلاته دعا الله تعالی بما شاء ثم أخذ بيد الطفيل بن عامر وأقامه معه وقدمه أمام أصحابه وهم من خلفه وتركوا قريشا فی أماكنهم حيارى ينظر بعضهم الی بعض فلم يكن فيهم من نطق بكلمة الی ان غاب عنهم رسول الله صلی الله عليه وسلم فكان أول من تكلم منهم أبو جهل الملعون وقال يا آل بنی غالب وبنی عبد مناف الموت أولی بالمرء من شماتة الاعداء وقرص الابدان أيسر من الذل والهوان والمعرة فی الأوطان لقد كبت محمد صغيركم وأذل كبيركم بعد الرئاسة والتعاظم والرفعة والتهاكم صار عزكم لغيركم ولقد بسطت بنو هاشم وجاروا علينا فی المواسم أما والكعبة والصفا ومزدلفة ومنی لئن أصبا الطفيل الی ابن أبی كبشة يريد بذلك النبی صلی الله عليه وسلم ليضرمنهما عليكم نارا ويورثنكم بوارا وليكونن مشؤما علی العرب وليجللنكم بالعطب قال فضجت قريش من قوله وفاروا كفور المرجل وقالوا وما يؤخرنا والموت أجل بنا مما ذكرت لنا فقال أخشی عليكم من سيوف الهاشميين وسطوة المطلبيين وهذا الصبی علی ابن أبی طالب وأعظم من ذلك أن نبسط أيدينا الی ابن أخينا وبنی أبينا وهذا أبی لهب معناعمه يألمنا ان مددنا أيدينا اليه والی ابن أخيه وأقاربه وأدانيه قالوا فما ترى لنا من الرأی يا أبا الحكم قال أری من الرأی ان تجعلوا عينا علی منزل محمد وترصدوا الطفيل بن عامر فاذا خرج من منزل محمد بن عبد الله وفارقه فاقتلوه فتزول عنا التهمة ونأمنون مما تخافون فقال نضلة بن حزام أنا أكون الذی أرصده لكم وأنا فی قلبی منه جمرات ثم أقبل علی قومه وقال خذوا أهبتكم واشتملوا علی أسلحتكم وكونوا علی خيلكم وتسمعوا الصوتی اذا صرخت بكم قالوا نعم ثم تركهم ومضی الی حجرة النبی صلی الله عليه وسلم فلم يزل كذلك الی ان مضی النهار وأقبل الليل ومضی أكثره (قال الراوی) فهذا الحديث رحمهم الله وكان من خبر الطفيل بن عامر أن رسول الله صلی الله عليه وسلم لما سار به الی منزله أخرج له قطيفة فألقاها له فی وسط الدار وطرح له وسادة محشوة بليف فجلس الطفيل وجلس رسول الله صلی الله عليه وسلم علی الأرض فقال الطفيل يا محمد ما هذا ادارة المملكة فقال رسول الله صلی الله عليه وسلم ليس هی بمملكة بل هی نبوة وقد بلغنی عنك انك رئيس عشيرتك ولسان قبيلتك فان دخلت فی هذا الدين ازدادت رفعتك وعظمت مرتبتك ثم تقدم له رسول الله صلی الله عليه وسلم بطبق فيه تمر وسويق فقال لهم كلوا علی بركة الله فأكلوا مع الطفيل أجمعين وبقی التمر والسويق كما كان فتعجب الطفيل من ذلك ودخل فی قلبه الايمان فلما علم رسول الله صلی الله عليه وسلم انه اطمأن واستكان قال هات ما عندك يا طفيل فجعل الطفيل يقول

ودع زمانك ان الشيب قد لاح • وداع الموت بالشنات قد صاح
ان الشباب الذی قد كنت أعمره • ازاحه الشيب كالاح فارتاح
فرحا بايماننا والدهر يجمعنا • مع غادة عطرها فی الليل قد فاح
كأن الغوادی اذا أبصرن ضاحكة • نحوی واظهرن لی بشرا وأفراح
فصرن جهرن منی اذ ازاد مشيختی • وطال ما زارنی منهن أوشاح
منی السلام علی الدنيا وزهوتها • والشيب لاموت لما لاح مفتاح

فقال النبی صلی الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وقد أحسنت فيما قلت وان الله عز وجل لم يعلمنی

الشعر ولكن معى ماهو أجل منه وأعظم وأفصح مما أنشدت وأعذب ذرقا واحلا مسمعا فقال الطفيل اسمعنيه فان لكل كلام جوابا فاستفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله الى آخر السورة الى قوله العزيز الحكيم قال فلما سمع الطفيل القرآن فاضت عيناه بالدموع وقال هذه أسماء ربك يا محمد قال نعم وأسماؤه أكثر من ذلك وأعظم ان تعدله الأسماء الحسنى والصفات العلا هو العالم بما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى فقال الطفيل يا محمد والله لا أريد بهذا الدين بدلا ولا جاهدن معك ولأضعن السيف فى قومى وفى غير قومى حتى يذعنوا لك بالحق ويعترفوا لك بالصدق أمددنى فأنا أشهد على يدك أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فسر النبى صلى الله عليه وسلم سرورا عظيما وكذلك المسلمون فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا طفيل أعداء من حولك كثير فى هذا الحرم وأعدى الناس اليك قومك فاحترز منهم واحترز ما دمت فى مدينتنا فان فيها من يكلمك بكلام أحلا من العسل ومع ذلك يجلى بك الغوائل فاياك والغفلة ما دمت فى هذه الديار واحذر من مكائدة الأشرار فقال الطفيل يابى أنت وأمى يا رسول الله انى خارج من ليلتى هذه اذا غشى الظلام وهجعت النوام فأدعو قومى الى الملك العلام فمن أجابنى كان منى وكنت منه ومن أبى فأنا برىء منه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون لك مع قومك وقائع تشيب لها الذوائب وليكدحن لك الفقر حتى تظن انك لا ترى صبورا ثم يكشف الله عنك ما تجلك وينصرك على عدوك وسيظهر لك آية يتعجب منها أهل المشرق وأهل المغرب والبر والبحر لم يعطها أحد قبلك ولا بعدك تفتخر بها العرب والعجم الى آخر الابد فخر الطفيل ساجدا فقال بأبى انت وأمى يا رسول الله وانى لمعظم فى قومى مسدد فى عشيرتى يسمع قولى ويطاع أمرى الا ان ازالة القوم عما هم عليه شديد فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما يعبدون صنما من حجر أصم يكاد أن ينطق ويتكلم يسمونه ذو الكفين له يدان مبسوطتان مجوفتان من ذراعيه الى أطراف أصابعه وله وصل من ماء ينزل من جبل فى قنوات قد ردم عليها ينفذ الماء منها حتى يخرج من كفيه يقولون انه خالقهم ورازقهم ومطعمهم ومسقيهم وميتهم ومحييهم فقال ادع الله يا رسول الله أن يجعل لى عليهم يدا أصول بها عليهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انى أخبرك بما يظهر لك من الآيات فاخرج الى أهلك فانى لا آمن عليك من أشرار أهل مكة وسفهائها وأعرض على عبيدك ما خصك الله به من الاسلام ورزقك من الايمان فلعلهم يسعدوا به قال فخرج الطفيل الى عبيده فاسلموا عن آخرهم وشهدوا لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة قال فسر الطفيل باسلامهم سرورا عظيما وقال يا رسول الله ان رحلى ومطيتى عند نضلة بن حزام فقال حمزة بن عبد المطلب قد أتيتك بها وها هى عند الباب معقولة فسر الطفيل وأقام يومه ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلم فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين وعلمه الصلاة ومواقيتها وما يجب عليه فلما انسدل الظلام ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه عمامته البيضاء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ورثها من جده عبد المطلب وقال له أنفر بها على قومك قال فخرج الطفيل بعد ما جاء الظلام وهجعت النوام من منزل النبى صلى الله عليه وسلم فلما قربت اليه مطيته نظر اليه نضلة بن حزام قد استوى على كورها وقد نزلت العبيد تقود الخيل فخرج نضلة على عقبه مهرولا فى الظلام حتى أتى منزل أبى جهل اللعين فلم يجد عنده الا شيبة وعتبة بنى ربيعة وعقبة بن أبى معيط والوليد بن عتبة وسائر القوم قد تفرقوا لما أقبل الليل فقال أبو جهل ما وراءك يا نضلة فقال له ان محمدا قد حشى الطفيل ايمانا طول يومه وقد خرج راكبا بدبار قومه ولا شك الا انه أجابه الى ما يدعو الناس اليه فقال أبو جهل

الملعون هل تبعه أحد من الصبيان ليشيعوه ويودعوه قال لم أر معه الا عبيده ماخالطه غيرهم فقال أقل بعث وأحقر حقير ثم خرج اللعين يصرخ للناس فى ناحية وشيبة فى ناحية ونضلة فى ناحية وتواعد القوم الى الثنية فمامضى من الليل الا الثلث الأول حتى اجتمع فى الثنية أكثر من مائتين فارس من أقبال الحرم وعياهيرمكة مثل عمرو بن عبدود وواقد بن عبدالله وأبولهب وغيرهم من سادات قريش وتقدم نضلة أمام القوم وهو على فرس سابق الخيل وهو يترجز ويقول

اقطعوا الليل بالمسير وجدوا • وانهضوا حرمة العدو سراعا
لنزل الطفيل من شامخ عز • ذليلا فقد كشفنا القناعا
ضيع الجود والرئاسة لما • تبع الصبى الذى قد اذاعا
ليعلن محمدا عند ضربى • بسيوف مهندات بداعا
من ليوث ضراغم أسد غياد • ألفوا الصبر فى الوغا والقراعا

(ثم) جدوا فى السير وأطلقوا الأعنة وقوموا الاسنة يريدون لحاق الطفيل ليوقعوا به الدمار (قال الراوى) رحمه الله فنزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما عزم القوم عليه ومارأموه بالفتك بالطفيل وأمره بنصرته وأن يبعث له على بن أبى طالب رضى الله عنه (قال) فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعا فى الظلام لايدنو من صخرة الا زالت له عن طريقه وقد استغنى بنوره عن المصباح حتى وصل منزل على فخرج وهو ينادى لبيك لبيك يارسول الله وذلك أنه لما قرب من الباب نظر الى نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو داخل من خلال الباب ولم يكن يحجب نور رسول الله صلى الله عليه وسلم جدار ولا حجاب فتلقاه خارج المنزل وهو يقول يارسول الله ما الذى طرقك صلى الله عليك حتى جئتنى فقال له ياأبا الحسن أن اللئام من قريش تبعوا الطفيل بن عامر فادركه فان الله أمرنى بنصرته فاخرج اليه وأنا أستصرخ الناس من بعدك فيلحقوك فقال سمعا وطاعة لله ولرسوله فدخل على الى منزله وأفرغ عليه آلة حربه وركب جواده من حينه وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزل زيد بن حارثة وسعيد بن عمرو وسعد بن أبى وقاص وعمر بن الخطاب وأمر الناس أن ينادوا بعضهم بعضا وأن يلحقوا على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بفارسين قد اقترنا وهما خارجين وراء القوم فتأملهما فاذا هما عمه حمزة والعباس رضى الله عنهما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال لعمه العباس لله على نذرا واجبا اذرأيتك مثل أخيك حمزة مسلما ولم يكن العباس أسلم اذ ذاك فقال العباس يفعل الله مايشاء وهو الفعال لما يريد فسر النبى صلى الله عليه وسلم بعمه أكثر من سروره بخروجه وخرجوا من مكة فلم يقف أحد منهم على صاحبه بل كل واحد منهم أجهد نفسه أن يسبق صاحبه قال أبو الحسن البكرى رحمه الله وكان الطفيل قد أمعن فى السير وهو حذر من قريش وقد جرد سيفه وركب جواده ودفع مطيته الى بعض عبيده وأمرهم باشهار أسلحتهم والحث فى سيرهم فلما مضى من الليل أكثره وبقى أيسره سمع من ورائه وقع حوافر الخيل فلما أحس بهم وقف وقال للعبيد وحق محمد نبى الهدى لانى أحس بالعدو ولاشك أنهم كادونا وجاؤا لبغيتنا ثم نزل عن جواده وافتقد لامته وأوثق حزامه واستند الى ربوة عالية وترك جنيبته من ورائه ودار العبيد عن يمينه وشماله وقال لهم من تخلص منكم فانى أوصيه بالصبيان الصغار ووالدى وضيعانى وأن يبلغ محمدا منى السلام وتعلموه أنى مت على دينه وحبه ثم قال اللهم هذه أول ليلة وحدتك فيها وكم ليلة شهدت على بالقبائح لما ارتكبت فيها من الفضائح فاجعل اللهم هذه الليلة ماحية لما سلف فان تكن منيتى قد حضرت فاقبلنى على ماكان منى واغفر لى ما عملت وارحم العبد الضعيف والجسم النحيف الذى لايقوى على حرارة الرمضاء فكيف على نار لظى اقلنى على

ما كان منى من قبيح الأفعال ياذا الجلال والاكرام قال فبينما هو يرغب ويتضرع الى الله عز وجل اذ أشرفت عليهم الخيل وقد أثارت لهم الطرق بنور القمر فلما أبصروه أطلقوا اليه الاعنة وفوقوا نحوه الأسنة وصاح به نضلة بن حزام وأحدقوا به من كل جانب ومكان فقال لهم الطفيل على رسلكم أرباب المشاعر ومعدن المفاخر فوقف عنه القوم فتقدم اليه نضلة حتى وقف بازائه وقال يا ابن عامر ما كان اغناك أن تحط نفسك عن درجة الاكابر الى درجة الاراذل الاصاغر فأنت عندى كما قال القائل فى شعره

وأعجب ما قد جرى من عجب * من كان رأسا ثم صار ذنب

لقد كنت تأتى الى حومنا فيعظمك منه الكبير والصغير ولا ينكر مكانك منا نكير اكراما لحقك واعترافا لقدرك فبدلت رياستك هوانا وودك فينا أضغانا فعادماك أن بدلت دينك ودين آبائك وصبوت الى دين محمد فأقرب الناس اليك عنادا أهلك وعشيرتك فلا تأمن أن يبلوك بالشر ويظهروا لك العناد حتى يأتيك هتك حريمك ويأخذوك وبعد ذلك يأخذوا أموالك ويقتلوك ان قدروا عليك مع انك غير ناج من أيدينا وما خرج من ترى معى الا وهو مجمع على سفك دمك لخالفتك لنا وتركك لجماعتنا وميلك الى الصبى محمد بن عبد الله فارجع الى دين آبائك وملة عظمائك فما أنت قائل قبل أن تندبك النوادب وتبكى عليك الاحبة والاقارب وتخبطك الاسنة والمرهفات ولا تجد الى النجاة منها خلاص ولا من الموت مناص فقال الطفيل ما أنتم ورجل طلب لنفسه نجاتها وتبين فى اتباع سبيلها لكم دينكم الذى ارتضيتموه لأنفسكم ولى دينى الذى ارتضيته لنفسى لا أكايدكم ولا تكايدونى ولا أعاندكم ولا تعاندونى فانى رجل فتشت الديار وقرأت الكتب ولقيت الاكاسرة من العجم وقياصرة الروم وملوك الديلم وحللت بادية الرهبان وسألت الكهان فكل يشير بهذا الغلام البارع والنجم الطالع والجمال الكامل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ويخبرونى أنى أكون من حزبه ووصفوه لى من غير أن تقع أعينهم عليه فاظهر لهم فى كتبهم موصوفا فاذكر وافيه شيأ الا ورأيته فتركت ما يضرنى واتبعت ما ينفعنى ومالى بعبادة صنم يدخل فى جوفه شيطان يتكلم بالبهتان لا يدفع عنى شيأ ولا يرد عنى ضرا ولا نفعا وأنزل رجلا يقول قال الله لى وينزل عليه جبرئيل من عند الله يخبره بما فى الضمائر وما تخفيه السرائر فلو رفعت على أطراف الأسنة وقطعت اربا ارب الا أحول عن هذا الدين أبدا ولو أن عامر هو الذى نابذنى فى هذا الدين وحب محمد لنبذته وتركته وما أنتم فلعمرى لقد كنت قديما متابعا وأنا اليوم لكم معاند ومعارض وان أردتم كما زعمتم قتلى فما أنا بالذى أسلم لكم نفسى من غير قتال ولا مقدمات أهوال وان كان الكبر قد أناخ على بكلكله وهدنى بتطاوله فكم فارس فى الوغا أرديته وكم بطل عن منازلته أفنيته وكم خافتنى الجياد وخوف بى البطل الشديد فان يكن ذهب عمرى وتفانت أمامى فانى صبور على النوائب وجليد على المصائب والموت أهون من الصغار فدونكم ومابدا لكم أيها الاشرار فانى على الموت صابرا وأرجو أن أكون بعون الله ظافرا ولعلنى أقتل فى مرضاة ربى وعلى دين محمد نبيى ثم جعل يقول

قد نال الشباب منى بالبكر * والشيب عند الغانيات محتقر
ياجند الموت اذا الموت حضر * قد ذهب الشباب عنى وانتشر
وطال ما ضربت بالسيف الذكر * لا أرهب الليل اذا الليل اعتكر
تعجب فى ذات الدلال والخمر * مثل الثريا والزبنان والسمر
فان يكن دهرى تولى وأدبر * فحق لى اليقظة من قبل الحصر
شهدت أن الله رب مقتدر * وأحمد خير الناس من آل مضر

وصادق قد جاء نافيه الخبر • غرته أنور من ضوء القمر

قال صاحب الحديث فلما سمع ذلك نضلة بن حزام من مقاتله وثب اليه بالجواد من غير اعتذار ولا انذار مفاجئاله بالحملة وقد زاد غضبه بما سمع من الطفيل وصادمه ليبلغ منه مراده قال فبرز اليه عبد من عبيده اسمه ملاحق وكان سريع الخطوة شديد الوثبة فصده العبد عن ما أراده بسيده وصاح به الى اين يا ابن الاوباش من قريش أنا لك دون مولاى مناضلا يصدك ومقارعا يردك فالوى عنه نضلة عنان فرسه وقال ايس من شيم الاحرار مقاتلة العبيد اللئام احتقارا عن مناوئتهم وتكبرا عن مقارنتهم والاحرار كفاء الاحرار (فقال) له ملاحق فان كان الحال كما ذكرت والامر كما زعمت فلست انت لمولاى بكفؤ ولا قرين ولا نظير له فى الحسب والدين لانه سيد عشيرته وأمير قبيلته وأين ماسلك من البلاد وحل من الديار والمهاد فان العرب والعجم يعظمون شأنه ويرفعون منزلته وأما أنت فاشر مذكور وأقل محقور وان لم يشرفه الا الاسلام الاكرم والعز الاعظم (فلما) سمع نضلة ذلك من مقالته لم يتمالك دون أن هجم عليه ووثب العبد اليه فما كان الا جولة جائل اذ وجد عدو الله السبيل الى ملاحق فطعنه طعنة قاضية فانجدل صريعا ووقع على الارض طريحا فلما نظر الطفيل الى العبد ملاحق ميتا (قال اللهم) انى احتسبه عندك وفى رضائك ثم عطف نضلة على الطفيل وقال يا ابن عامر دع عنك المدافعة بالعبيد اللئام والمناضلة بالاولاد حام فليس المطلوب غيرك ولا المقصود سواك فابرز الى الميدان فما أناهاجم عليك وواصل بسنانى اليك (فقال) الطفيل انى خارج اليك متوكل على الحى الذى لا يموت وهو ينصرنى عليك ثم حزم وسطه بعمامة وخرج وهو يقول

حزامك فاشدده اذا الموت قد لاح • ولا تجزع من القرن اذا ما القرن قد صاح
وثق بالله ذى العرش فان الله فتاح • فمن يقتل فى الله الى الجنة قد راح

(فقال) نضلة انا معجل اليها ومقدمك عليها اما أن الوحوش تشبع من لحمك والارض لتروى من دمك فخطى اليه الطفيل بن عامر فتعلق به عبد من عبيده كان قد رباه حقيرا وكان عنده بعدل ولده فجعل يبكى ويقول يا مولاى أقسمت عليك بالله الخالق (وبمحمد) الصادق الا ما قد متنى أمامك فان كفيتك منه فهو المراد وان كانت الاخرى صرت الى الرب الجواد فما لى فى الحياة بعدك من أرب ولا مراد فبكى الطفيل من قوله وقال له اخرج وأنت حر لوجه الله العظيم فتلت أوسلمت فلما أن هم به تصايحت به قريش يا ويلك ما تصنع بقتال العبيد عليك بمولاه فانا نخاف ان تطاولت بنا الاوقات أن يكبر علينا الامر وتعلم بنو هاشم بخروجنا فيقتفون أثرنا فيطول الامر ويشتد الشر قال فلما سمع نضلة بذكر قريش لم يتمالك ان أومأ بالحربة الى العبد فحاد العبد عنها فأصابت رأس الجواد فنحرته وسال دمه ونزل العبد عن الجواد ووقع الجواد فضرب بيده ورجليه والعبد واقف على رجليه فوثب عدو الله اليه فلحقه بضربة على عاتقه فانجدل صريعا فلما رآه الطفيل لم يجد صبرا دون أن وثب اليه بعد أن تقدم بالوصية الى العبيد الباقين فلما نظر اليه نضلة قال كيف ترى يا عامر سفاهة رأيك فيما فعلت ثم تصايحت به قريش ويلك يا نضلة احذر من الشيخ فانه مقاتل مقتدر على قتال الابطال ولا يغرنك ما ترى من كبره وكان نضلة يظن انه لا طاقة للطفيل بقتاله ولا بمحاربته ونزاله (فلما) تلاقيا نظر اليه يثب وثبة الأسد ويروغ روغان الثعلب فتعجب مما ظهر له منه وجعل يتعايد عنه وكان اذا وثب اليه الطفيل أدركه بوثبته وله رغاء فدهش نضلة من فعاله وخشى من مكائده ولم يزل متعايدا عليه ومناجزا له الى أن لمع بريق الصباح بغرته وأسفر عن طلعته ونضلة قد حار فى حال الطفيل وأيقن منه بالهلاك والثبور وقد وهن ذراعه وخان باعه وجعل يلتفت الى قومه كأنه يستغيث بهم فعرفوا ما عنده لما لاح لهم من شمائله (فلما) نظروا الى ذلك أجمعوا أن يعاونوا نضلة على الطفيل

والتصق بعضهم ببعض يتشاورون فى ذلك (فقال) لهم صفوان بن أمية يابنى أبينا وجيراننا فبئس والله ماذكرتم ولعمرى ما أنصفتم فاذا عليه عزمتم أتعاونون رجلا خرج لقرينه فى الميدان وقد قتل له اثنين من الفرسان وقد تساوى مع قرينه وظهر عليه تريدون أن تعاونوه ماهذا فعل الانصاف ولا من شيم الاشراف أن تبغوا عليه فاتركوه مع قرينه فان ظهر عليه فهو الذى تريدون وان أصيب فقد أخذ بثاره فقالوا له لانترك صاحبنا أبدا وعزموا على الخروج بأجمعهم الى الطفيل (قال الراوى) الحديث فبينما هم كذلك يتشاورون اذ لاحت لهم غبرة من ورائهم وزوابع وسمعوا صياحا وضجيجا واذا بالخيل قد أشرفت متداركة بعضها بعضا وهى طويلة المدى لا يرى أقصاها ولا يعرف أدناها فتشوفوا اليها وأطالوا النظر فاذا فى أوائلهم فارس قد زاد عليهم فى جريه كانه شعلة نار تتوقد حامس الرأس يجر رمحه من ورائه كانه ريح سافية (فقال) اللعين أبو جهل وكان حاد النظر هذا على بن أبى طالب قد أشرف عليكم واذا بفارس من ورائه تكاد رجلاه تخط الأرض (فقال) أبو جهل وهذا حمزة بن عبد المطلب واذا بفارس آخر وقد تلاحقت الخيل بعضها ببعض فقال لهم ابن أمية ياويلكم ماذا خلفكم فانظروا لأنفسكم وقد أتتكم أسد بنو هاشم وليوث بنى عبد المطلب وفتيان بنى عبد مناف (قال) فحار القوم وذهلوا عما رأوا وذهل نضلة مما رأى من كثرة القوم ومبادرتهم والخيل تتلاحق بعضها بعضا وفى أوائل القوم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وله هدير وزئير وهياج وارتياج فصاح أبو جهل اللعين يانضلة خل عن الطفيل ولا تحاربه لأن له علينا يدا وحرمة لا تنكر وذمة لا تحقر وعلى رضى الله عنه مصمم نحو المشركين (فلما) نظر الطفيل الى ذلك لم يتمالك ان هجم على نضلة وصوب الحسام عليه وقد غشيتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى نضلة دهشا مذعورا قد دخل قلبه الجزع والرعب فعلاه الطفيل بالسيف فقطع ذراعه (ثم) ثنى عليه بضربة أخرى على عمامته فصرعه على الأرض وعجل الله بروحه الى النار فكبر الطفيل وكبر العبيد لتكبيره وكبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقوا الحملة على المشركين فنادى أبو جهل لعنه الله مهلا يا ابن هاشم فانا خرجنا لحرب ولا قتال وانما خرجنا للصلاح والسداد لأن صاحبكم الطفيل بن عامر لما نزل عند صاحبنا نضلة بن حزام بمكة وتركه ونبذ صحبته وعدل الى ابن أخيكم (محمد) بن عبد الله كبر عليه ذلك فركب جواده وخرج يطلبه ليقتله فلما اتصل الخبر خرجنا نقفو أثره لنصده عن مراده ونحول بينه وبين غرضه ومطلوبه ولم نخرج لنعينه ولا أن نبسط أيدينا الى قتال فقال له على رضى الله عنه ما رأينا كم الا سلمتموه وأنتم قيام تنظرون وهما فى مقام الجلاد وموضع الطراد ماهذا فعل من يريد صلاحا ولا من يبقى للوداد موضعا (قال) فصاح الطفيل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل مقالة الكذاب الافاك المرتاب فوالله لو لم يأتنا الله بكم لحملوا على بأجمعهم وقد قتل لى عبدين كريمين مؤمنين (قال فلما) سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من مقالته عزموا على الحملة وكشف القناع فعند ذلك خرج العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ما بين القوم وكان شفيقا محننا على عشيرته وأصحابه فوقف بين الصفين وقال ياقوم ان الحرم يجمعكم والأوطان تضمكم والوفود تقدم عليكم وفى بيوتكم قرشيات وفى بيوتهم مطلبيات وقد لطخت صاحبكم سالما فلو قتل لكان لكم عذر سفك الدماء وقد قتل منهم وقتل منكم فان رأيتم أن تسمحوا لهم بهذا لا يضركم شيئا (فقال) أخوه حمزة يا ابن أبى مالك تؤثرن الفشل والوهن وقد صبرنا المرة بعد المرة وهم يتعرضوا لنا فاذا هممنا بهم تمنعنا وقد قتل نضلة رجلين لا ذنب لهما فما الذى نصنع فى أمرهما وكيف نغفل عن ثارهما فقال العباس احسبوا أحدهما فى نضلة ويدفع لكم دية الآخر وينصرف القوم عنكم آمنين وآخذ لكم عليهم العهود والمواثيق لا يتعرضوا لكم باذية

وهذا أخوك عبد العزى ومعهم أبو لهب أفتقاتله قال ولم يزل العباس بين قريش وبين الصحابة حتى أجابوه على ماطلب (ثم) أقبل الى قريش فاختلط بهم (فلما) نظر اليه أبو جهل لعنه الله فقال يا ابن الفضل وأنت أيضا ممن يعين علينا وتخرج مع الصبات الينا مسددا ولابن أخيك مرشدا ومساعدا على اند غير صاب اليهم ولا سامع منهم (فقال) العباس يا ابن الحكم انى والله كما أحقق هذا الضياء ونوره والليل وظلامه والفلك ودورانه كذلك أحقق أن ابن أخي فى حديثه صادق غير كاذب ولست فى مقالته مرتابا وانما ينكر ذلك رجل جاهل بأمره غير عارف بقدره وأما من عرفه العرب والعجم والحاضرة والبادية بالعفة والامانة والصدق والديانة والطهارة والصيانة فقصر اسانك فيه فعما قليل تظهر لك البراهين ويغضب له رب العالمين وتقاتل معه الملائكة المقربين فعند هايذل سيدكم ويمتهن عزكم والى كم أسدد أمركم وأصلح شأنكم ويداخلني عليكم مايدخل ذوى القربى على قرابتهم وأنتم لاتنتبهون وعن غيكم وبغيكم لاترجعون فمالكم والنظر لرجل اختار لنفسه مااختار من الأديان وأنتم متعرضون له بالاذية والهوان أما والله لولاحت لكم سيوفهم وبسطوا اليكم أكفهم واشرعوا الحومكم سيوفهم لمزقوكم تمزيق الخف على وجه الأرض وأنا أعلم أن عملي فيكم ومعكم راجع الى خطر الأعمال وأقبح الأفعال (ثم) التفت الى أخيه أبي لهب وقال له ألا ترجع الى منزلك وتسدل عليك أسجاف بيتك وتبقى على نفسك فأولى لك من سيف نافر فضله ومن لبيب عادم عقله لقد كان الأولى بك أن لو طرقنا طارق أوعاقنا عائق أن تكون المانع لنا والمدافع عنا والباذل نفسه دوننا فكيف وهذا الرجل شريف فى قومه تطلبون عناده وترومون كياده (قال) فاطرق أبو لهب رأسه خجلا من قول أخيه العباس ولم يرد عليهم جواب (ثم) قال لهم العباس يا بنى هاشم وسادات قريش انى ضمنت لكم دية كاملة ترد ونها فى العبد الذى قتله صاحبكم نضلة الى الطفيل بن عامر قالوا لقد قتل صاحبنا وهو رجل شريف وسيد منيف (قال) لهم العباس انه قتل اثنين واحد بواحد وبقى الآخر فقالوا لايستوى الحر والعبد فقال لهم العباس ويلكم افعلوا ماأمرتكم اتقاء للشر قبل ان تثور لكم الاسود من مواضعها والابطال من أماكنها ولا تستطيعون لهم دفعا ولا تطيقون لهم قراعا (قال) فأجاب القوم الى مادعاهم فكانت أول دية أديت فى الاسلام (ثم) أخذ عليهم العباس المواثيق والعهود أن لايتعرضوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من وفد عليه من الوفود ولا يظهروا له عداوة ولا يضمروا له شرا ففعلوا ذلك (قال صاحب الحديث) فما مضت الأيام قلائل حتى نقضوا العهود وبذلوا له الغوائل وأرادوا قتله ليلة الفراش حين قام على رضى الله عنه على الفراش (ثم) أمر العباس القوم بالرجوع فرجعوا الى مكة وقد خابت أمانيهم وهم يبكون على صاحبهم نضلة ويقال انه أول قتيل قتله المسلمون من المشركين (فلما) انفصلوا من أماكنهم اجتمع على رضى الله عنه مع الطفيل فقال كيف وجدت ربك عند الشدائد يا طفيل قال وجدته نعم النصير وقامع الكل كافر لازلت له أبدا حامدا شاكرا (ثم) جاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهنوه بالسلامة وعزوه فى عبيده (فقال) قد أكرمهم الله بالشهادة واختار لهم السعادة ولقد سرنى أن فصل الله بينكم وبين القوم من غير قتال ولا نزال ولا سفك دماء فلا انس والله اكم فعلكم ثم انهم حفروا للعبدين ودفنوهما فى ثيابهما وحفرت أيضا قريش لنضلة ودفنوه ويقال ان أهله أخرجوه بعد ذلك وحملوه الى مكة فدفنوه بها (ثم) عطف الطفيل بن عامر على أمير المؤمنين على رضى الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبك ويحن اليك فاذا وصلت اليه فاقرأ منى السلام وقل له أن الطفيل بن عامر يسئلك ان تدعو له أن ينصره الله على قومه فان لهم أكبادا جافية وقلوبا قاسية ولاشك انى سألقى منهم تعبا كثيرا وقتالا عظيما الا أن يؤلف الله بين قلوبهم ويجمع كلمتهم (فقال) له على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال لك ان الله سيظهرك عليهم ويجعل لك آية تحتج بها على قومك ويجب منك قومك وغير قومك من سائر أهل الأرض فثق بوعد الله وكن مطمئنا بما وعدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانظر ما يلوح لك من القوم وما تلقاه منهم وأرجوا أن يجمع الله ألفتهم ويجمع عليك أمرهم فسر الطفيل بقول على رضى الله عنه (ثم) أمر عبيده بالرحيل وودع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالرجوع الى أهلهم فرجعوا فرحين مسرورين بسلامة الطفيل وسلامة أنفسهم اذلم يقع بينهم حرب ورجع الطفيل لما فارقهم يجد السير نحو دياره وهو يقول

ولما رأيت الخيل قد جد جدهم • عليها رجال كالليوث ضراغم
يهزون أهيفا مواض مضارب • وقد أضرموا الى القدر والقدر هائم
يقاد القوم من بحار الاطايب • (محمد) الميمون من نسل هاشم
كريم السجايا عالى المراتب • صدوق اذا ما قال غير كاذب
وحاشى رسول الله من قول كاذب • فجاؤا سراعا بالسيوف القواضب
فما كنت الا كالهزيم المواثب • فقلت لنفسى ان صبرا على الهدى
يعوض جنات كرام المواهب • فقلت لها هناك ربى ولا تكن
جزوعا وصل فى طامسات الكتائب • فجئت بكبش القوم غير مقصر
فلما أتانى أنفذته مضارب • تجللهم غدرا ومنى مهابة
وقد علموا صبرى لدفع النوائب • فما للشام يبغون قتلة
فلم أك خوار الطول التجارب • واقبلت الاعلام من نسل هاشم
وأفضل خلق الله من آل غالب • امامهم الليث المصون بسيفه
وما هو ليث بل حبيب الحبائب • فمن فتى مشغول بشد حزامه
وآخر من هول جبان بالضرائب • فلولا الفتى العباس أبقى لانه
يراعى لهم حقوق الاقارب • لكانت وحوش الارض ترتع فيهم
فحمدا لربى اذ هدانى لدينه • وأنقذنى من مقفرات السباسب
اليك رسول الله منى تحية • تلوح كنظم الدر فى جيد كاعب

(قال الراوى رحمه الله) وصار الطفيل يقطع الارض ليلا ونهارا حتى قرب من دياره ودنى من أوطانه فبينما هو كذلك اذ لاح له راكب على نجيب فتأمله فاذا هو رجل من دوس من بنى عمه يقال له مشاور ابن قينان (فلما) دنا من الطفيل ورآه نزل عن نجيبه وبكى واعان فى بكائه فقال له الطفيل ما وراءك يا ابن العم وما صراخك قال يا ابن العم ارجع وراءك هو أرفق لك اما أن ترجع الى الشام فتكون فى كنف قيصر واما أن تدخل الى اليمن فتكن فى حماية تبع أو تسير الى أرض العجم فتكن فى ظل كسرى (فقال) له الطفيل ويلك ما هذا الكلام الذى لا أقف له عن أول ولا أعلم آخره أخبرنى ما قالته قال يا ابن العم بينما قومك بالامس متكاملون فى ناديهم مجتمعون اذ سمعوا عند الصنم صرخة عظيمة فاجتمع القوم اليه من كل جانب فلما تكاملوا عنده ودنوا منه صرخ ثانيا وهتف وأخبرهم بانك صبوت الى دين محمد واتبعته ودخلت فى دينه وأطعته وأقررت برسالته وصدقت بنبوته فكبر على قومك ذلك فمن بين مصدق ومكذب فواحد يقول ما كان الطفيل بالذى يترك سدده وشرفه ويتبع من هو دونه وآخر يقول لا شك انه سحر وعمل فيه سحر (محمد) وأهل الحى فى ذلك على ضربين منهم من أظهر لك العناد والعداوة ومنهم من أمسك لسانه وهو مايد وامنك وقد تركت نساءك ما بين باكية ونادبة وبناتك ما بين صارخة وداعية وأبوك عامر على كبر سنه يضرب بنفسه الارض خشية منه عليك ونساء الحى ما بين شاتمة وكاتمة لها

فى نفسها وكذلك الرجال وأصدق الناس من أقاربك وأدانيك وقد أضمروا لك فى قلوبهم الشر وأخفوا لك العداوة فانظر لنفسك ودبر أمرك فانه ما أخرجنى من دارى اليك الا الرحمة وضجيج الولدان والحى يموج كموج بحر لفت به الريح (قال فلما) سمع الطفيل ذلك من قوله أقبل عليه وقال له ارجع على أثرك الى أهلك وقرابتك وذوى رحمك واقرأهم منى السلام واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعدنى بالنصر والظفر وأنا منه على ثقة من أمرى وسيأتيهم ما يسرهم عنى ويقربهم منى ويعطف قلوبهم القاسية على ويدرأ بافعالهم الكاذبة (قال) فرجع الرجل على أثره وقد كاتب نفسه بما سمع من الطفيل وأمر العبيد بالنزول وكان معه اناء فيه ماء فتوضأ وتطهر وصلى ركعتين (ثم) رفع طرفه الى السماء وقال اللهم خالق الخلق ومقدر الرزق ومحصى الدر ومعشب البر وممهد البحر اتكالى عليك ونواصى الخلق بيديك تذل من تكبر وتبيد من تجبر عليك أتكل وبك أنتصر وقد أخبرنى رسولك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك يارب انك تنصرنى على قومى وتجعل لى آية احتج بها على قومى فانجز لى ما وعدتنى انك لا تخلف الميعاد (قال) فما استتم دعاءه وهو شاخص ببصره الى السماء واذا بنور عظيم قد نزل من السماء وهو يهوى الى الارض كالكورة المظلمة لها شعاع قد أضاء لها الافق وأنارت لها الطرق وأقبل يهوى قاصدا الى أن وقع فى غرته وبين عينيه فجزع الطفيل لذلك وقال اللهم اجعله فى غير وجهى باتباع دين محمد صلى الله عليه وسلم (قال) فارتفع النور من وجهه بقدرة الله عز وجل وكان صوته بيده مشيرا به الى السماء فوقع النور على السوط واشتعل اشتعالا والتهب التهابا (فلما) نظر الى ذلك سر سرورا عظيما وخر لله ساجدا ثم قام وركب مطيته والصوت بيده يشرق نورا وأمر العبيد بالرحيل نحو الديار فجد السير وهو مستبشر بما أعطاه الله حتى أشرف على الحى فى قومه (قال) فبينما هم يتحدثون فى أمر الطفيل وما سمعوه من الصنم اذ طلع الطفيل عليهم من الثنية فلاح لهم نور من فوق سوطه وهو على بعد منهم كأنه مصباح يتوقد أو شهاب نار يتأجج فأضاء من ذلك النور الحى وما حوله حتى دخل القوم فى الخيام والبيوت (فلما) نظرت دوس الى ذلك دهشوا وبهتوا فقال قائلهم ما هذا فقيل هذا الطفيل بن عامر قد جاء من عند (محمد) بن عبد الله فثار القائم وقام القاعد ووقع الصوت فى الحى وتسامع به الرجال والنساء وخرجوا نسوان الطفيل لينظرن ما الذى جاء به وزحف أبوه عامر على ركبتيه ولم يبق أحد فى الحاضرة الا أتى الى الطفيل مبادرا اليه والسادات على الخيل ومن دونهم على النجائب وعامة الناس على أرجلهم مبادرين كل يطلب السبقة الى الطفيل لينظر ما جاء به من عند (محمد) صلى الله عليه وسلم فهم سائرون اليه وهو مقبل اليهم وقد نزع الله الرعب والخوف من قلبه وقذف ذلك فى قلوبهم وقد اطمأن قلبه ثقة بربه وبما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) فلما وصل الطفيل اليهم أخذ ذلك النور بابصارهم حتى ان أحدهم يسدل عمامته على وجهه لعظيم ما غشيهم من ذلك النور فمنهم من يطرق برأسه الى الأرض ومنهم من ينظر اليه كنظر الانسان الى عين الشمس فصاحوا عن آخرهم قد استوحش لك الوطن وأظلم علينا بعدك كالليل الغاسق (فلما) لاحت غرته ضحكت واشرقت واذا بعمر بن حمامة قد جاء لينظر ما عنده وهو يومئذ قلب دوس وصاحب رأيهم وقال يا طفيل ضحكت فأوحشت وأتيت فأبهجت لاحت الديار بعقدمك ولا بعدت أيام السرور عندك وقد بلغنى عنك انك قصدت (محمدا) صلى الله عليه وسلم فما الذى جئت به من عنده قال الطفيل فانى والله من ذكرت وأهلا وسهلا بمن وصفت هو والله الجميل الطرائق القليل العوائق النظيف الظريف العفيف الشريف ما ذكرت مناف فخرا الا ومحمد صلى الله عليه وسلم أسناها واعلاها وأسماها جلت صفاته وسعدت أوقاته وظهرت آياته هو معدن المكارم ومنتهى العظائم فروحى لمحمد صلى الله عليه وسلم الفداء ووجهى له الوقاء سيد العرب والعجم

(محمد) صلى الله عليه وسلم المكنى بأبى القاسم (قال) فلما سمع عمر بن حمامة ذلك من كلام الطفيل قال حسبك ياطفيل من كلام لو تكلم به غيرك لعفرت خده واتعست جده فامضى الى أهلك فما أظن الا الخطب بيننا وبينك يطول قال وهاج القوم عندما سمعوا كلامه وعلموا أنه صبى الى دين (محمد) صلى الله عليه وسلم وأجاب الى ما دعا اليه فنهم حنين عليه ومنهم راع له حق القرابة وهم ليس فيهم الا من عظم كلامه عليه وتفرق القوم عنه وقد أدهشهم ما رأوا معه من النور (قال) فجاء الطفيل الى أهله فلما نزل قام اليه أبوه يزحف على قدميه ويديه (فلما) وصل اليه طرح نفسه عليه فطرحه الطفيل عن نفسه وتباعد عنه فقال له أبوه يابنى ما الذى غيرك على وما أعرفك الا بارا بى شفيقا على فقال له الطفيل يا أبت لست منك ولا أنت منى حتى تكون لى مساويا فى الدين ومعترفا برب العالمين يا أبت ظهر لى اليقين ولاحت لى الدلائل والبراهين وبان الطريق المستقيم الى الملك الرحيم وظهر الرسول الكريم المذكور فى التوراة والانجيل والزبور المبعوث فى الحرم المنعوت فى كتب الأمم دينه الحق وقوله الصدق نبع من بين الركن والمقام وسيد فى بنى هاشم العظام فمن عوده ورسخت عروقه هو مصباح الأقطار وجرثومة الفخار تشهد له النبوة فى غرته وتحقق الرسالة فى جبهته منقذ الورى من الردى ومصباح الدنيا والآخرة والأولى (محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب يا أبت فنيت أيامك وذهبت أعوامك ودنا حمامك وأفنيت عمرك فى الضلالة واعتكفت طول أيامك على الجهالة فحتى متى والى متى فكأنك بمناد الموت قد ناداك وصارخ الشتات قد أتاك فما انتظارك وقد شاب عذارك وضعف نذارك والحد ظهرك فدارك نفسك قبل أن يخرس لسانك فلا تستطيع قيلا وتطلب النجاة فلا تجد اليها سبيلا (فقال) الشيخ يابنى انى عشت برهة من الزمان وسمعت الرجال من الكهان ولعمرى انهم كانوا يبشرون بهذا الغلام فاذا ظهر وتما عوده فان هو أمر بتبليغ الرسالة فقد أنذر وانى غير متأخر عما ارتضيته لنفسك ولا حائد على ملتك فعسى الله أن يرحم العبد الضعيف والجسم النحيف فاشهد لى يابنى انى أقول أشهد أن لا اله الا الله وأن (محمدا) رسول الله فاسلم أبو الطفيل وحسن اسلامه (قال) ثم اقبل الى الطفيل ولده عامر وكان غلاما لبيبا وافر العقل ذو براعة وشجاعة قد أدبه أبوه وعلمه الحرب والطعن والضرب فقد رأى بطلا شجاعا وقرنا مناما لم يكن فى قومه من يقاومه ولا من يقارعه ولا من ينازعه وكان أبوه قد خطب له رغلة بنت عمر ابن حمامة سيد قومه ورئيس عشيرته وكانت تامة الكمال بارعة الجمال فلم يجد الطفيل لولده كفؤا غيرها وكان أبوه لما خطبها من أبيها ابى عليه الا أن يتحمل شروطها وهو ما يطلبه الملوك لبناتهم اذا خطبهن أكفاؤهم (فقال) الطفيل كلف واكثر ولا تقلل (قال) عمر بن حمامة اطلب لها ألف بعير وخمسمائة ناقة لم يطرقهن فحل ومائة من الخيل العتاق وليس فيهن هجير سالمات من العيوب وثلاثة آلاف من البقر والغنم وعشرة أبيات من الشعر وألف مثقال من الذهب الاحمر ومن الاطواق والخلاخل والاسورة والشنوف والدمالج وعشرة أثواب من الديباج من عمل صنعاء وعشرة أثواب من رباط العراق وعشرة أثواب من ثياب مصر وعشرة أثواب من برود عزيز وعشرة نوافج مسك وعشرة كروش من عنبر ومائة جارية من بنات فارس والروم والحبشة هذا الذى أطلب منك فى مهر ابنتى (فقال) الطفيل لك ما طلبت وزيادة على ما وصفت وكان الطفيل كثير المال واسع الحال فلم تمض الا أيام قلائل حتى حضر له الطفيل جميع ما طلبه وزيادة عليه فعاقده عمر بن حمامة على ذلك وأخذ فى حال الزفاف وتعلق قلب الغلام بزوجته (فلما) جاء الطفيل كما تقدم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء ابنه عامر ليسلم عليه قال له أبوه يا ولدا أنت لى ولا أنا لك الا أن تقول بقولى وتشهد بشهادتى وتقول صادقا ناطقا لا اله الا الله (محمد) رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقال) الغلام يا أبت

ان الذى جئت به حق وهو يقربنا مما يخلصنا مما يؤذينا الا ان فيه تفريق كلمتنا وتشتيت الفتنا وكشف سوءاتنا وسفك دمائنا لانى أعلم ان القوم لا يجيبوك الى ما ذكرت ولا يطاوعوك على ما فعلت لانهم على دين عبادة الاوثان عبادة كانت عليها آباؤهم الاقدمون واسلافهم الماضون الاولون وأدنى ما يوصلنا من الاضرار ان عمر بن حمامة يقصينى فى زوجتى ويحول بينى وبين أهلى وذلك أعظم ما ترى منه لان قلبى متعلق بهما منشوف الى قربهما فلا تفرق يا أبت بينى وبينهما واكتم أمرك واستعمل الصبر يوصلك الى ما تريد ويبلغك ما تطلب والنبوة اذا منعت غداها أكلت جراها ولم يكبر على القوم اذا كافتهم ما لا يطيقون أن يعدوا ايديهم بالسوء اليك (فقال) الطفيل يا بنى لو وجدونى نائما ما أيقظونى ولا بد ان ابلغ ما امرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فان احببت زوجتك فانت وما طلبت فانى طلبت من الله ورسوله ان ينصرنى عليهم (فقال) له ابنه يا ابت بدك السلوى عن زوجتى وعن الناس فانى أوثرهوالك على هواى ورضاك على رضاى لا ازول معك اعاند من عاندك واكايد من كايدك وانى اشهد ان لا اله الا الله (محمد) رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) ففرح الطفيل باسلامه وحمد الله وشكره وقال يا بنى اكملت فرحتى بك اكمل الله سرورك بما تطلب منه قال ثم ان الطفيل اراح واستراح فلما صلى صلاة العصر خرج ونادى فى قومه وقد اجتمعوا يخوضون فى امره اذ أقبل الطفيل وسوطه بيده يسطع منه النور كأنه مصباح يزهو فتطاول اليه القوم شزرا كأنهم طيور فرت من قانصها (فلما) وصل اليهم لم يكبر عليه جمعهم ان ناداهم باعلى صوته يا قوم اما آن لكم أن تقولوا لا اله الا الله (محمد) رسول الله جاء بالرسالة من عند الله يا قوم ما أريد لكم الا ما أريد لنفسى ان هذا الصنم الذميم قد حان دماره وقرب بواره لان محمدا يزيل دولة الاوثان ويكسر الاصنام ويقطع دولة الكهان هذا النبى الامى الذى جاءت به الاخبار وتكلمت به الرهبان والاحبار أنه رسول الملك الجبار فاطيعوه ولا تخالفوه واسلموا والا تهلكوا عن آخركم (قال) فاطرق القوم الى الارض اعظاما لكلامه وهابوه أن يخاطبوه اعظاما لشرفه ومكانه وتطاولوا بالابصار الى الشق عمر بن حمامة لمكانه منهم وتقدمه فيهم قال فكلمه بلسان غضب ومقال صعب وقال يا ابن عامر لقد زال عنك عقلك وبان عنك فهمك بدلت آبائك الشرف وكنت لهم بئس الصنيعة والخلف وكنت كفؤا للجار فى الشدة والرخاء تجود بالفضل وتتفضل بالبذل فهونت بقدرك وأسقطت من شرفك وكان سبيلك من أهبط من السماء الى الثرى بعدا لك بعدا (لمحمد) فلا حين لك المساوى ولا جمعن لك المساوى ولا حطنك من درجة الاكابر الى درجة الاصاغر ولأكوين صفحة وجهك بالنار ولأجعلنك مثلة فى الاقطار فاصرف وسواسك وتدبر عواقبك قبل أن تلذعك الاسنة لذعات وتحيط بك الاعنة ثم جعل يقول

اذا المرء لم يعرف ما أتى رشده ● فاذاك الا كالبهيم المبيد
اذا سيد فى معشر جار واعتدى ● فاذاك عند ذوى الورى بسديد
اذا ضل عقل المرء ضاع مكانه ● وهونه من كان يرجوه فى غد
وان حال أرضا حال عنه صديقه ● وعاش كعيش الجاهل المتعبد

(فقال) الطفيل امسك عليك يا عمر لسانك فالحق أولى من الباطل والعاقل أولى من الجاهل ومن أراد أن يطمس نور الشمس فقد أمل أملا بعيدا وانك أعرف الناس بمكانى وأخبرهم بشانى لم تعرف العرب لى منقصة بل أنا فيهم مشرف وحيث ما حللت بهم مكرما تبادر الاكابر لاكرامى وتسرع لانهمامى فكلامك القبيح راجع اليك ومساويك عائدة عليك وما قلت فهو شطط ومحال لأنك تعديت طورك وجهلت قدرك وأبديت جهلك وتركت فضلك وخليت عقلك فلو عاينت مثل

الذى عاينت أنا من البارع الجمال الزايد الكمال ذى النور المشرق والجمال المفرق لعلمت أن من أطاعه أفلح ونجح ومن تخلف عنه ندم وكلح وهذه آية من آياته وعلامة من علاماته وقد دعوت ربى أن يجعل لى آية أحتج بها عليكم فاعطانى ما تعاينونه وقد أديت الامانة وبلغت الرسالة فان أمنتم كنتم أعز الناس باجابته وأسعدتم بمحبته وان أبيتم فما أنا منعزل عنكم وخارج من بينكم الى أن يقضى الله ما هو قاض فعما قليل يقول قائلكم يا ليت الطفيل يكون لنا شفيعا الى (محمد) بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وذلك اذا رأيتم خيله فى دياركم صباحا وسمعتم الضجة فى رجالكم صباحا وما ذلك منكم ببعيد (ثم) تركهم وعاد على أثره الى منزله راجعا وقد اتبعته الناس بابصارهم وأجالوا الخصومة فى أمره وتشاوروا فى قتله وأقبل الطفيل الى أهله (فقال) له ولده يا أبت ألم أعلمك بهذا الامر وحذرتك منهم فخذ الآن على نفسك فلا بد أن القوم يهجموا عليك عند الدجى فيسفكون دمك ودمى معك ويسبون حريمك وينهبون مالك فاعمل لنفسك فى نجاتها واجتهد فى خلاصها (قال) فبينما هو كذلك اذ أقبل اليهما صفوان بن عنبسة الدوسى وكان للطفيل خلا وصديقا وصاحبا قديما لا يكادان يفترقان من عهد الصباحتى كادت العرب تسميهما أخوين فدخل صفوان على الطفيل فى ذلك الوقت وقد أخذته رعدة ووجهه مصفر مما سمع من قومه وما أظهروه للطفيل من الشر فخاف عليه صفوان فجاء ليعلمه بذلك (فقال) عامر بن الطفيل لأبيه يا أبت نطلب زوجتى من عمر بن حمامة فقال له أبوه ما أظن بدفعها لك ولكن امضى اليه حتى ترى ما عنده فلعل الله أن يجمع بينكما (قال) فمضى عامر بن الطفيل الى عمر بن حمامة وقال له أنت تعلم محبتى فيك وفى زوجتى وأنا مشتاق الى جمع الشمل فان رأيت أن تجمع شملنا وتتم وصلنا وأنت الى محسن وعلى منعم قال فانتهره عمر بن حمامة وزجره وقال له ليست لك باهل ولا أنت لها بكفؤ الا أن تكون مخالفا لابيك فيما ذكر ومناوئا له فيما أمر فتكون لك أهلا وأنت لها بعلا فقال عامر بن الطفيل ما أنا بالذى أسلم أبى ولو رميت فى النار وهذا على عار وشنار فقال أبوها اذا هى عليك حرام فاقطع رجاءك منها وتسلى عنها بغيرها (قال) فخرج عامر بن الطفيل من عند أبيها والحسرة قد قطعت قلبه والاياس قد اجرى دمعته (فلما) نظر اليه أبوه بكى لبكائه وقال يا بنى لا تيأس منها فلعل الله أن يجمعكما على فضل فادع الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم أن يجعل لك من أمرك فرجا ومخرجا ثم بعث الطفيل الى رعاة أمواله فأمرهم أن يردوا وجوه الاموال الى جهة مكة ولينصرفوا عقبها ويسرعوا بسيرهم ففعلوا ذلك وأخذ الطفيل فى أهبة واصلاح شأنه وزم الجمال والمطايا وأسبل اسجاف الهوادج وقد بلغ ذلك قومه (فلما) انسدل الظلام وهجم النوام أبرك نجائبه وأوثقها وجمع رحاله وساق خيله ونجائبه وما كان معه أحد غير ولده وعبيده وخليله صفوان بن عنبسة زهاء عن أربعين رجلا ولم يشعر وابه قومه الا عند الصباح (فلما) علموا به ماج الحى لخروجه وتأسفوا حيث لم يقتلوه ثم اتصل ذلك برغلة بنت عمر بن حمامة زوجة عامر ابن الطفيل وبخروج عامر مع ابيه فكبر عليها ذلك وابكاها فراق بعلها وخشيت الفضيحة من اهلها ان اظهرت الجزع فأظهرت الجلد وأخفت من أهلها الكمد (قال الراوى) للحديث فلما انفصل عامر بن الطفيل من الحى مع أبيه تذكر زوجته فخفق فؤاده وانهملت اجفانه واشتدت حرقته فلم يطق صبرا فجعل يقول

الا فى سبيل الله قلبى ومهجتى • عشية زمع العيس والليل عابر
فان يكن ريب الدهر فرق بيننا • فانى على ما قدر الله صابر
فيا حادى العيس رفقا فانى • أعالج داء أبطنته السرائر
فيا قلبى مت غما وهما وحسرة • وهلا كنت عما قال لى الشيخ نافر

رضيت بربي والنبي (محمد) • فربي على جمع المحبين قادر

(قال) فبكى الطفيل لقوله وقال انه على جمعكما قادر على أسر الاحوال ومنهاج الاسلام وبكت أمه لما رأت من قلة صبره وعظيم وجده (ثم) ان القوم جدوا فى السير يطردون الابل طردا والاموال حتى بعدت منهم البلاد وأدركهم الكلال والملل فامرهم الطفيل بالنزول (قال صاحب الحديث) وكان من أخبار أهل الحى انه لما انفصل الطفيل صرخ الشيطان فى جوف الصنم ذى الكفين ثلاث صرخات متتابعات مفزعات متهاولات فجال الحاضر من صراخه وتهول فوثب كل قاعد وقام كل راقد وذهل النسوان وفزع الصبيان من عظيم صرخته وتبادروا اليه مهرعون من كل جانب ومكان وخرج عمر بن حمامة حافيا حاسرا يسرع و يبادر فى وثبته واتبعوه القوم واحدا واحدا الى أن وصلوا الى الصنم واذا هناك خلق من الناس قد سبقوهم الى الصنم فلما تكاملوا هتف بهم الصنم وجعل يقول

انى أرى السخيف وفعل منكر • وعصبة فى فعلهم قد صروا
عما قليل ستراهم دمروا • من هاشم من الكلام سحروا
ليتهام ضيقتم عنصر • هذا الطفيل نحوهم مشمروا
عما قليل فانكم ستسحروا • فبادروا الى الطفيل واحذروا
وعمدوه بالردى أو احذروا • من ابنة عمر ليلا تستاحروا

(قال فلما) سمع عمر بن حمامة ذلك من مقالة الصنم قال ياسيداه و ياقلباه ان قومى خالفونى وعصوا أمرى وقد كنت تقدمت اليهم بالوصية ان يهجموا عليه عند الظلام و يكفونا مؤنته فأبوا اعظاما لقدره وتشر يفا لخطره (ثم) التفت الى قومه وقال قد سمعتم القول فاذا أبيتم فانظروا لأنفسكم وكونوا مر تقبين لما وعدكم فى أمر يحذركم منه ذو الكفين أولى ان تحذروه (قال) فعلا ضجيج القوم وكثر صراخهم وعلت أصواتهم ونسوا ما كان من الطفيل بما سمعوا من الصنم فقالوا انتفوا أثره فما هو عندنا بأكبر من أنفسنا وأولادنا ونسائنا فاطلقوا لنا السبيل حتى نتبع أثرهم ونفنيه هو وولده ولو دخل فى الحرم ونأخذ وا ماله وحريمه ونعود اليه بماله وما ملكت يمينه (قال فلما) سمع ذلك من مقالتهم وعرف الحقيقة منهم دعى بابن عمه مطالع بن الهدار فقال يا أبا الحنداس لم خالفت ما أمر تك به من الكبسة على الطفيل والهجم عليه قال ياسيداه رأيت قومك بأجمعهم يكرهون ذلك و يحفظون له ما يحفظه ذى القربى لقرابته فكنت كرجل منهم فقال عدو عظيم الآن وازجرهم زجرا ولعمرى ان لهم فى ذلك معتبر ولئن وصل الطفيل بن عامر الى محمد ليجمعن الجموع و يحشد الحشود و يسير اليكم فيطعنكم طعن الحصيد بايدى العبيد ولا يترك منكم أحد والخيفة على ذى الكفين أكثر من الخيفة عليكم واخرج الآن برجال بنى عمك واطلقوا الأعنة وجدوا فى السير لئلا يعوقكم ولا يكبر عليكم ان تسفكوا دمه وتقطعوه عن مراده (فقال) له سمعا وطاعة ان سمع هو لا وأطاعوا قال فانتدب له منهم مائة فارس من أبطال الحى وأقيالهم ليس فيهم عاجز ولا وهق عن الخيل المضمرة العتاق والمشهورة فى الآفاق فقال لهم عمر بن حمامة بادروا من وقتكم ولا يعوقكم عائق عما له خرجتم (قال) فخرجوا القوم مسرعين يقدمهم مطالع بن الهدار وقد أطلق امامهم عنانه والقوم من ورائه وكان الطفيل قد لحق بالأموال والمواشى وهو سائر على مهل سيرها وقدم الأباعر والهوادج على أثرها وهو من ورائها متأهب فى أهبته وولده عامر وخليله صفوان وكان قد خرج معاضد اله وناصرا وموازرا وكان قد ترك أهله وحريمه وماله وبنانه فى الحى وأثر خليله الطفيل قد فضل عليهم وهو على دينه الذى كان عليه (قال) فبينما الطفيل ومن معه سائرون اذ سمعوا من ورائهم خفيق الخيل وقعقعة الأجم وتصافق الرماح (فقال) الطفيل غدروا قومى ورب الكعبة ثم التفت الى خليله صفوان وقال ان القوم

قد قطعوا فينا وخلعوا العذر ورضوا لأنفسهم بالعار والشنار ونكروا حقي وجحدوا انعامي وراموا بهتك حريمي وعزموا على سفك دمي وقتلي وأسري وانى صابر على بغيهم ومستعين بالله عليهم وان أنا قتلت فما أنا بأول سيد خذلوه قومه وعشيرته وعاداه أهله وقبيلته وأنت يا خليلي رجل لك بين القوم أولاد وأهل وأخشى أن يبصروك معي فيقتلوك ويرجعوا الى حريمك فيكشفوهم والى ما تملك فيأخذوه ومانكلفك هذا فانج بنفسك في الظلام قبل ان تقع العين على العين وعد الى أهلك قبل ان يعلم القوم بخروجك معي والذي أوصيك به ان تكون خلفي على أهلي والمتفقد على أحوالهم فانهم من ربات الدلائل والفخر لا يدرون ما البؤس والضرر وكنت لهم حصنا من الزمان ومدافعا لطوارق الحدثان فهن أعظم همي وأكبر غمي ولولا هذا لم أحذر الموت (ثم) تنفس الصعدا وفاضت عيناه وجعل يقول

اقرأ السلام على الدنيا ولذتها • فالموت معترض للحاضر والبادي
ما الموت عار وان العار أحذره • هتك السجائف عن أهلي وأولادي
لكن ذكرت فراخا لم يطرن من الـ • ـوكار قد طرقوا بالقانص الغادي
يا صاحب الحي الحي في عجل • وكن على حذر من غادر عادي
عليك سلام الله ما اجتمعا • يوما خليلين في محفل وفي نادي

(قال) فبكى صفوان لقوله وقال نفسي ومالي وأهلي وولدي أقل وأنت عندي أكبر وأجل لا رجعت عنك أو أقتل دونك ومالي رغبة في العيش بعدك روحي لروحك الفدا ونفسي لنفسك الوقا وأي عذر يكون لي عند العرب اذا أسلمتك وفي مثل هذا الوقت أفردتك ولعمري ان الحريم والأموال يحمان الكريم على سفك الدما فان يكونوا قومي قد أسلموك ونقضوا عهدك وكايدوك فاعتصم بربك الذي آمنت به وبالرسول الذي صدقت برسالته وأرجو الا يسلمك ولا يخذلك (فقال) له ولده يا أبت اقصر الخطاب واشدد عليك حزامك واخط امامك وارقب عبيدك من حولك وحول أموالك (ثم) انتدب بنا الى القتال فعسى الله أن ينصرنا عليهم ببغيهم وغدرهم لنا ولو كان صهري فيهم ورب محمد لكافحته القتال ولأجهدن في أمري فعسى ان يكون فداؤه من يدي اطلاقه لزوجتي فذلك ارادتي ومبلغ منيتي فتقدم الطفيل وضم الاموال الى طود جبل هناك ووكل بهم العبيد وصاهم وحذرهم وكانوا قد أسلموا جميعا (ثم) أقبل الى الاهل فودعهم وداع الفراق فبكين فقالت له زوجته لئن بسطوا أيديهم الينا فلطال ما دفعت عنهم النوائب وأزلت عنهم الامور المعضلات وأنت أشرفهم في الحسب وأعظمهم في النسب وأهيبهم عند العرب ومصباحهم البادي وجمالهم النادي فان اخملوك فذلك وبال عليهم (قال الراوي) رحمه الله فبينما هو يخاطب زوجته وتخاطبه اذا أشرفت عليهم الخيل من كل جانب ومكان وكان سوطه قد علقه على بعض الاباعر والهوادج والنور قد أضاء ما حولها وانغمر القوم بنوره حتى خيل للقوم ان المصابيح محدقة بهم ونظروا القوم الى الاباعر والهوادج بالبعد من الطفيل في ضوء ذلك النور فهالهم في ذلك (فقال) لهم مطالع بن الهدار أرأيتم ما أظهر (محمد) للطفيل بن عامر ليفخر به بزعمه علينا ثم نظر الى فوارس ثلاثة في آخر الرحائل والطفيل في أواسطهم كانه قمر بين كوكبين فقال مطالع لاصحابه انى أرى من وراء الهوادج ثلاثة وما خرج من الحي غير الطفيل وولده عامر فيا ليت شعري من الفارس الثالث فقال قائلهم ان يكن نظري صادقا فهو صفوان بن عنبسة صاحبه في الشدائد ومعاضده في الاوائد فقال مطالع ما كان أبو الرواح ليترك أهله وماله وولده وعشائره والاهه ذو الكفين ويرجع مع هذا الصبي حتى أشرفت الخيل عليهم وقد رجع الطفيل وولده وصفوان نحو القوم فتأملوه فعرفوه فقال

مطالع يا أبا العراف أعجوبة ما مثلها أعجوبة صفوان وذى الكفين قد لحق بالطفيل حتى اذا قاربهم مطالع ووقف ووقفت الخيل من حوله فنادى برفيع صوته ان السحرة اذا أرادت تجرب سحرها بدأت بأهل بيتها ومن حقر قبيلته كان أذل وأحقر وان كان ياصفوان الطفيل فعل ما فعل وطرد السدد عن عاتقه وهوى واتبع السحرة وغوى فانت ما الذى جرأك على الخروج من بيننا ومعاونة الطفيل علينا أليس فى حاضرنا اخواتك وفى بيوتنا عماتك وخالاتك فان كنت أملت ان تنقذ الطفيل من أيدينا فبئس ما أملت وتبا لما ظننت وان كان ألزمت ذلك لما بينك وبينه من الوداد والاعتقاد فقد قطع بينك وبينه من الوداد ومال الى القطيعة والعناد ولو وصل اليك ما أبقى عليك وهذا الذى دخل فيه الطفيل يقتل فيه الوالد ولده والولد أباه والخليل خليله فخل عنه ياصفوان والطفيل أعدى عدوك وانا نحفظه لك مالا تحفظه لنفسك لانك لم تحل عن ملة ابائك ودين عظمائك فلا تقتل نفسك عنفا فلو أن محمدا يجمعه فى مكانك لحقر فاعتزل عنه فعما قليل ترى نسائه مهتكات وبناته ملتطمات فاياك ان تتعرض بنسوانك الى ما يحزنك ويبكيك ثم ان مطالع أطلق لسانه وجعل يقول

اركب طريق السلامة تحظ بها • ودع اللجاجة لا تكن مقتولا
واستر بنائك والنساء ولا ترى • منهن أقواما يضعن طويلا
وهن أسارى باكيات حسرة • ولهن فى كل الشعاب عويلا
خل اللئيم وما أتى من فعاله • فله سيوف مالهن فلولا
ويقمن عنه محمد او يخبيه • مما تجر له وذاك طويلا
لابد أن تحوى الغنائم منهم • أو نشف مما نحن فيه غليلا
خل اللجاجة وامضى ويحك سالما • ليس الطفيل كما عهدت خليلا

(قال فلما) سمع صفوان كلام مطالع وشعره هذا قال لقد أسرفت يا ابن اللئام وتعديت فى الكلام لقد خفقت ألفاظك عن بحر وقطعت بلسان هدير وان الطفيل هو السيد الوافى والخل الصافى وما فعل شيئا ينقصه ولا يشينه ويحط به بل زاده على ما عمل شرفا الى شروفه وعزا الى عزه لان (محمد) أو من اتبعه هم الأعزة الغالبون ومن غالبهم الأذلة الأقلون وان محمدا الأكرم نبى وأعز ولى وانى وان لم أكن على ملته وشريعته فانى أسمع انه الامين الحليم الزكى الكريم الصادق فيما ذكر المطاع فيما أمر وهو من أهل بيت الصدق والعفاف والجود والانصاف الذى لا يليق بهم الظلم ان قالوا صدقوا وان نطقوا حققوا هم حكام العرب ولهم الرتبة العالية فى الرتب فان قال (محمد) انه رسول فما كذب وأما الطفيل فليس بردى الفعل ولا زائد الجهل ولعله لاح له الطريق الى الحق فسلكه ونبذ طريق الجهل فتركه ومالنا ورجل طلب لنفسه اسعادها واختار ارشادها أن اعترض عليه فيما رغب فيه ولا بد له من حفظه ورعايته والمنعة عنه بنفسى ومالى ولا يصل اليه واصل دونى أو ترانى دونه قتيلا وبين يديه جديلا فاذا ظهر له منى ذلك وحان بعد ذلك أجلى كان هو المتولى لامره بما يشاء وأما ذكرك لى على مالى واخوانى فكل ذلك فداء لصاحبى وخليلى الطفيل فان مددتم اليه أيديكم بالغدر فذلك أليق بكم فان أهل العلا والمكارم والشرف والمفاخر لا يريدون هتك الستائر وذلك تعريض الدمار وحل البوار ومن هتك عورة غيره هتك غيره عورته ولن تصلوا الى الطفيل وأخذ حريمه دون ان انكس عن جوادى فدونكم ان شئتم القتال ثم جعل صفوان يقول

كلا وربى لا تركت خليلا • سبقت أياديه على طويلا
لازلت احفظ عهده وذمامه • حتى أرى بين الجياد جديلا
ان كان تابع لابن هاشم دينه • ومقاله انى أتيت رسولا

فحمد لاشك حق صادق • وله مناقب فضلت تفضيلا
زين الحجيج وخير مولد آتى • بدل البركات هدت اليه سبيلا
لازلت احفظ للطفيل مكانه • حتى اعفر فى التراب قتيلا
من لم يحفظن فى الزمان خليله • فهو المسمى فى الزمان ذليلا

(قال) فلما سمع مطالع ذلك من مقالة صفوان قال بئس ما اخترته لنفسك ثم صاح مطالع يا طفيل ان صفوان يسلك بنفسه سبيل العطب فلا تركن الى كلامه وان ذى الكفين أمرنا بارتجاعك فان أبيت فقد أباح لنا سفك دمك وسبى أهلك ومالك ونجعل مالك وقفا على ذى الكفين يصرفه فى بعض أحواله فأبق على بناتك ونفسك ومالك لا تهلكها ومنزلتك لا تهملها وسددك لا تخمله وشرفك لا تتركه فعد الى أهلك واعترف بذنبك بين يديه وارجع على عبادته فيرضى عنك فيكون ذلك أسعد لجدك وأرجى لقدرك ولا تجعل قومك أعداء بعدما كانوا لك أخلاء فانا لا نقدر ان نخالف عما أمرنا به ذو الكفين وأمر نابه عمر بن حمامة (فقال) له الطفيل لقد أطلقت لسانك يا ابن الخطاب وتفوهت بسوء العتاب يا ابن اللئيمة طال ما دفعت عنك من المعضلات وحملت عنك من الرزايات وأرضيت أعدائك بمالى وجدت عليك بنوالى والآن خرجت الى تبسط بالسوء وتخدعنى بالمكر وذلك من فعل اللئام وانكار صنائع الكرام ثم بدأت فى بادية أمرك بصفوان توعده وتخوفه بحزب الشيطان كلا لا يخاف الجبال الرواسى من خفقان الرعود ولا يخاف السبع الضارى من وثبة الغنم وهى طعمة له لا أبالك أينكر حالك انما يخاف مكانك من لا يعرف شانك ولا يعلم مبدأك ومنتهاك وهلاك كل شئ من جنسه وأنا أرجو الك البوار وعما قليل يلحقك الويل والدمار ويعجل ان شاء الله حمامك ولا ينفعك تهديدك واقدامك ثم انك تبسط لسانك وتذكر رجلا من دوحة الأشراف قد تميز بالصدق والصون والعفاف فهو على الرتبة كريم الصفحة بعيد عن الكفر سريع الى الخير كريم السجال زكى الفعال أبيض كالهلال لا شبيه له فى الرجال معطى الرغائب كثير المناقب هاشمى الابوة ومطلبى الجرثومة عدل فى الحكومة تعيبه بجهلك وتضع من مكانه بمقالتك وتأمرنى بتركه والميل عنه الى صنم جلمود لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ولا تصلوا الى ما تؤملون حتى أرجع فى المنون فان كان أجلى قد حضر وعمرى قد فنا وابتر فما أنا بجازع من الموت ولا متأسف عن الفوت وقد تركت لأهلى وولدى ما هو لهم خلفا من بعدى وكهفا وكنفا وعمهم محاميا ومانعا ونصيرا وكافيا وظهيرا ثم جعل يقول

اصبر على ريب الزمان • وان مضى ملك البهج
واضرب بسيفك فى العدا • وابرى الرؤس مع المهج
وارض بما حكم الله به • ففى عواقبه الفرج
صبرا على كيد العداوان • رموك فى اللجج

(قال فلما) سمع القوم مقالته قالوا قد عزم على كشف القناع وبسط الباع ومد الذراع حتى ظهر لهم ضوء الصبح وقد عزموا على قتاله وقد ضم الطفيل ابله وأمواله وخيله وسرحه وظهر الطفيل وولده عن يمينه وخليله صفوان عن شماله (فلما) نظر مطالع الى ذلك ضم أصحابه وقال لهم ان صاحبكم قد عزم على قتالكم غير هلع ولا جزع فاجمعوا عدتكم وخذوا أهبتكم وفوقوا نحوهم الاسنة وهزوا الصوارم وتأهبوا للهجمة عليه فاذا وصلتم اليه فابقوا عليه وعلى نسائه وولده فقد علمتم انه تزوج بابنة سيدكم وانا نخشى لائمة لائمتكم ان قتلتموه (فلما) نظر الطفيل الى ذلك لم يخف عليه ما عندهم من كثرة التجارب فقال لولده وصاحبه ان القوم قد عزموا على الحملة علينا فان مالوا بكثرتهم فهاأنا

أخرج اليهم فادعوهم الى البراز والنزال (فقال) له ولده يا أبت ما كنت بالذى أتركك تخرج الى الحرب وأنا قائم أراك وانى أصغر منك سنا وأشد على العداة طعنا (قال) فقطع عليهما صفوان بن عنبسة كلامهما ومنعهما من مرادهما وقال وحق من دفنت من آبائى العظام وأسلافى الكرام لا يتقدم أحد لقتالهم غيرى ولا يخرج اليهم سوائى فاذا أنا قتلت فانظرا لأنفسكما ودافعا عن حريمكما فقال له الطفيل انى أحب أمرا هو خير لك فى الدارين وأخشى أن تقتل وأنت على ما أنت عليه فلا أراك يوم القيامة ولا ترانى فان شئت أن تسرنى بكلمة تجيد من عذاب النار وتدخلك الجنة (فقال) له صفوان أما ما ظهر لك ومابطن فغيرك أولى به منى فان طول الله مدتى فأنا أنظر لنفسى ما ينجيها وقد ذكر عن صاحبك (محمد) صلى الله عليه وسلم انه يعطف على السادات ويكرمهم بكرامات ويقول انه رب كريم ويحب كل كريم وأرجوا اذا نظر الى وقد تكرمت بروحى فى مرضاة غيرى أن يتفقدنى بكرمه ويجودنى من عوائق نقمته انه فعال لما يشاء (قال) وان مطالع وأصحابه برزوا للقتال اذ حمل عليهم صفوان بصمصام كانه شعلة نار تتوقد وهو على فرس عتيق كانه برج مشيد وهو يجر رمحه من ورائه (فلما) قرب من القوم هتف بهم معشر المخالفين ان لم يكن فيكم شيم العرب فلتكن فيكم نصفة الابطال المنصفين فارس لفارس فانا منكم غير نافرين ولا عن مركز نازلين ودون الطعائن والأموال ضرب وقتال يبيد الأجل ويقطع الأمل فقال مطالع اكشفوا الغليل من له منكم من أقرانه ونظرائه (قال) فبرز اليه حسان بن عامر وكان صديقا ومجلا لقدره فخرج حسان اليه فلما دنى منه قال لصفوان يا أبا الرواح انه من بذل روحه فى حق غيره فهو عديم العقل زائد الجهل وانك تعلم انك لى خل وصديق وانا خلك ومجلك ولم أزل لك فى النائبات نصيرا وانى ما خرجت اليك الا أسئلك أن تكفى قومك ما استكفوه من اراقة دمك وقد علمت أنهم عشيرتك وجرثومتك فخل بينهم وبين صاحبهم وكن عنهم معتزلا فان يكن الطفيل خليلك فنحن أخلاؤك ولا أنت على دينهم ولا داخل معهم فى شريعتهم فنحب أن تكون عدلا فى الخلة ساويا فى المنزلة كفاء فيما غضبت له فاغضب لقومك فالأهل أولى بك من الغضب لمن خالف شريعته وعشيرته وخرج من قبيلته ثم انشأ يقول

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله • رجل يقول النار فى أثوابه
كلا ولا رجل يريد بشانه • أدنى الاذاية من ذوى أحسابه
صفوان خل عن اللجاجة فانه • عقابه بخس طارق لعقابه
ما أن صبوت ولا يليق بك الذى • أبداه من قوله وخطابه
واستبق روحك بالحياة ولا تكن • خلا يبيع حياته بذهابه

(قال) فعند ذلك قال صفوان ارجع بنصيحتك على نفسك فما أنا بجاهل يوقظ ولا صانع يحفظ فقد راضنى الزمان ورضيته وبلانى وبلوته واعمرى ان فيكم الأخلاء والأحباء والعشيرة والأقرباء ولو طرقكم فى دياركم عائق لكان الواجب على ان أدافع عنكم ما استطعت غير أن هذا رجل بغيتم عليه وقد كان أفضلكم فضلا وأرسعكم نبلا وأكبركم جاها وأقلكم سفاها دعاكم الى ما دعاكم اليه فلم تجيبوا بتركه وما أنتم عليه ولم تتركوه وخرج من بينكم فلحقتموه وجمعتم جموعكم وباكرتموه بغيا منكم فلا بد أن أدافع عنه حتى أجدل أمامه وأكون منقذه فان رجعتم رجعنا وان أبيتم أبينا (قال) حسان ما كنا لنتركه بعد ما سمعنا من ذى الكفين ما سمعنا دون أن نرده عليه فان أبى عفرناخده وأتعسناجده (فقال) صفوان أما والله لا تقدر على ذلك قال فاطلق اليه حسان عنانه وفوق اليه سنانه فتضاربا كثيرا وزادت المخاوف ولم يبق بينهما الا هجمة الفنا ومفارقة الأقرب فوجد منه صفوان خلسة فى بعض عطافته فطعنه مخترسا أداره عن جواده منكسا وعجل الله بروحه الى النار فكبر ذلك

على دوس وعظم عليهم ووقف الطفيل مكانه وصاح له أنت يا أبا الرواح فمثلك يتخذ خليلا وحبيبا ثم ان دوس ماجت واضطربت اضطرابا عظيما ووقف على تلعة وقال من اشتاق الى الغنا فليدن الى عرصة الوغا فبرز اليه جامع بن يزيد وكان من الابطال المذكورين والفتاك المعدودين فما أمهله الخطاب ولا سمع منه جواب لعظيم ما دخله من الحسرة على حسان وكان من خلصائه وأحبائه فتطاردا وتهاجما وتصايحا فما كانت الا جولة الجائل حتى وصل اليه وذبحه بحد السنان ذبحا وكانت طعنته عرضا فانجدل صريعا فكدم الأرض بفمه ثم مال صفوان نحو القوم ونادى هل من مبارز فبرز اليه عنان بن مهيب وكان له شدة وقوة فاطلق عنانه نحو صفوان فما طول معه صفوان حتى لاحت منه لوائح الكلال فهاجمه وطعنه طعنة صادقة في صدره فصادف حجاب قلبه فانتكس صريعا في الأرض طريحا وعجل الله بروحه الى النار (قال) فتصارخت دوس كصراخ الذئاب وعوت كعوى الكلاب وأقبلوا الى صاحبهم مطالع يستلونه الحملة بأجمعهم عليه فقال لهم بئس ما رأيتم من الرأي أنا له وللطفيل ولابنه عامر وللعبيد والنسوان والاماء والولدان ثم استكفى عدو الله لامة حربه وتعمم وتوشح وتحزم وكان عظيم الجثة كبير الهامة طويل القامة جهير الصوت فخرج اليه وله زئير وهدير ورغاء كالبعير وهو يقول

غلب العدا فلأطيق تصبرا ٭ وأبدى لنا أمر العمرى منكرا
لما رأيت بني الأكارم جندلوا ٭ حملت من أجراحهم منفطرا
بأبي وأمي من سقوا كأس الردا ٭ والموت حتما في الورى قد قدرا
لا صبر لي عمن بغى بعناده ٭ قد كان فيما قد مضى محقرا
حب الطفيل (محمدا) وصحابه ٭ بيقائه واللقاء معشرا ٭

(قال فلما) قرب صفوان قلق الطفيل عليه قلقا شديدا وخشي من صولة مطالع لما يعلم من شدته وشره وعظيم بأسه فصاح به يطلب رجعته وهو يقول يا أبا الرواح حسبك من الكفاح فقد انبهر جوادك في البطاح عد الى وخذ جوادي يبلغك المراد من حرب الأعداء (فقال) مطالع يا صفوان خل عنك المحال فما لك مني خلاص ولا من مكاني مناص وانما صرخ بك الطفيل يظن انك تخلصه من أيدينا وتخاص نفسك وقد ظن عجزا لقد استعجل هوانه وذهب زمانه واخمل شانه اذا عاد أخوانه فلو استجار بأحد من العرب ما أجاره لترك ملة قومه وعشيرته وأما أنت فلاحق بصاحبك عن قريب وأملك (قال) فعظم ذلك على صفوان وقال أمسك عليك لا كنت من قائل وخزيت وبئس المذلة سقيت ما أنت وهذا الكلام ونحن ما خرجنا الا وقد وطنا أنفسنا على الموت ولئن قتلنا فقد أخذنا بثارنا منكم قبل أن نقتل مع أني مؤمل ان أكون سببا لفنائكم وقتلكم وبواركم لاني صليب العود ثابت العمود لا أرعش ولا أرعد ولا مقصر فاصرف عنك الخطاب وتقدم للضراب ثم دنى منه وهو يقول

تخوفني والخوف مني بعيد ٭ واني صليب العود في كل مشهد
وما جزعي من لجاة الموت انما ٭ جزعت على كوم مسدد
يرومون القتل والفتك للنسا ٭ وجاؤا له بغيا بكل مهند
فلا بلغوا ما أرادوا لانني ٭ سابذل سيفي بهم كل مرصد
ومن له جرم أتاه بسوءه ٭ سوى أن جاء بنصح (محمد)

(قال) فزاد مطالع حنقا وغضبا وقال يا ويلك وذي الكفين مشرق المشرق ومغرب المغرب ما أظهر لنا الطفيل من العناد ما أظهرت أنت لنا ولا رمانا من الكيد بمثل ما رمينا وانا نراه متباعدا منا

ومامنعه أن يسلم الينا غيرك فهل تظن أن لك فى ذلك خيرا وأنا أعلم أن ذلك يعقبك الأذى وقد أبقينا عليك وما أبقيت علينا ولا على نفسك ولو أردنا عند اشرافنا عليكم أن نسير بجمعنا اليكم فنطحنكم عن آخركم فارجع يا ويلك الى أهلك أرفق بك وعد الى صاحبك أرشدك فقال صفوان فاذا أنا لم أفعل ذلك فما أنت صانع (فقال) مطالع اذا أنت لم تفعل ابقيت متعوسا وعن جوادك منكوسا قال صفوان فانى الى ذلك أميل وفيه أرغب ولا أراكم تكشفون ستر المحرمات ولا أسمع صراخ الباكيات قال فضحك مطالع وجعل يقول

اذا ضل عقل المرء ضل فعاله ٭ وكان الذى يأتيه زور وباطل
وما قيل فى الأقطار بايع نفسه ٭ بنفس سواه فهو فى الناس خامل
وما ذاك الا كالحمار يسوقه ٭ صبى وكل فى المقادة جاهل
لقد جئت صفوان بكل عظيمة ٭ وجردت سيفا لم تعده الأنامل
وأبديت حقدا كاملا لعصابة ٭ بحق علينا اليوم منهم مواصل
فدع عنك الطفيل وخلسه ٭ وكن حائدا عما أتى ومجادل
والا تذق من الموت علقما ٭ فيترك منك الأهل طرا توائل

(قال فكبر) على صفوان قوله وحمل عليه وصاح مطالع وقال يا معشر قومى وكبراء عشيرتى أشهدت انى أعذرت وأنذرت لصفوان وأبى الا المذلة والهوان والاخمال فى الأوطان ولا على لائمة من أهله وعشيرته ثم حمل عليه والتقيا بحد القناتين وجال بعضهما على بعض فكانا فى منازلتهم أكفاء وفى المناضلة سواء فشاهد الفريقين منهما مشهدا عظيما وخشى الطفيل على صاحبه من سطوة عدو الله وهجمته وأسبل عبرته واشتدت حرقته وقلقن النسوان فى الهوادج وأسبلن العبرات وأظهرن الحرقات وتشوفت العبيد من حول الأموال وتطاول عامر بن الطفيل ينظر ما يكون من أمرهما وانغماسهما فى الغبار وخفيا عن الأبصار وتزحزح المشركون عن أماكنهم وقال الطفيل لولده يا بنى تقدم بنا فان أرى القوم قد تداولوا من صاحبهم فان هموا بنصرته حملنا عليهم (قال) فصاحت عليه زوجه من هودجها يا طفيل غضى وتتركنا فان انعطف القوم علينا من يردعنا صولتهم (فقال) يحبسهم عنكم حابس الفيل عن الحرم والبيت المعظم فانه الاله الأكرم وهو الخليفة عليكم قال فهو كذلك بين الخوف والرجا يؤمل ويرجو اردمعته لا ترقى اذ سمع الطفيل أباه عامر وكان قد مهد له على بعير لضعفه وكبر سنه وكان تعود القتال وتمرس مقارعة الأبطال الا انه قد ذهبت منه الأشدان وضعفت من حركاتها اليدان وهو يقول يا بنى لا تزل عن موضعك وكن صابرا على ما أصابك فان طرقوك من القوم مطارق فامنع عن نسوانك أنت وولدك الى أن تنظر ما يكون من أمر صاحبك (قال) فوقف الى حيث ما أمره به أبوه ووقف هو وولده وقد تزايد بالطفيل ما هو فيه فهو كالغريق الناجى على لوح من سفينة وقد أحدقت به الأمواج تضرب يمينا وشمالا فهو كذلك اذ سمع صراخ قومه وزعقات عشيرته وهم يتصارخون فقال له الطفيل يا بنى حقق بصرك فأنت أحد منى وأوضح نظرا يا بنى ماذا ترى فنظر نحو الغبرة فلم يكشف له نظره ما هنالك فوثب بجواده ينظر ما هنالك فقال له أبوه يا بنى لا تغب عنى فتزداد بليتى وتكثر محنتى فكفانا ما نحن فيه من غيبة صاحبنا فقال لست أبعد عنكم يا أبت فغاب عنه قليلا ثم رجع وأطرق برأسه وقد تغرغرت عيناه بالدموع فاذكر أبوه ذلك من فعله وأن وبكى وقال وا أحباه فقال لولده يا بنى أخبرنى بما كان من أمره هل هو أمر أمر به (فقال) لا وايم الله انه أسير وقد عاينتهما وقد سقطا عن جوادهما وهما متلازمان فسقط صفوان للقضاء المقدر على ظهره وسقط مطالع من فوقه فتمكن منه وتملك قياده فعلى صياح القوم وصراخهم

من أجل ذلك وما رجعت اليد حتى رأيتهم يقودونه أسيرا وقد جمع مطالع عمامته فى عنقه وهو يقتاده مع جواده (قال) فتأوه الطفيل وتنفس وجعل يقول

أعيش سلوى والحبيب مفارقى * رهين حزين فى الوثاق أسير
وقد غاب عنى ثانيا متباعدا * صحيح لعمرى اننى لحقير
لقد جادلى بالنفس منه تكرما * فلا كنت ان لم ألف عنه نصير
عزيز على أن أراك موثقا * وخدك فى أيدى العداء عفير
أيا ليت صفوانا طليق وانى * أسير فصفوان على خطير
فألقى المنايا فيه والموت عائد * لالقى الذى لا هنالك وهو أسير
كرهت البقا من بعده وكأننى * أحن الى ما قد أصاب أسير
فيا رب نا احشرنا جميعا وآله * على خير دين والرسول بشير

(قال ثم) أقبل على ولده وقال يا بنى اسمع ما أوصيك به ولا تحل عنه واحذر أن يفتنوك عن دينك ويخادعوك بعروستك فاحتسبها عند الله تعالى يأتيك بأحسن منها ولا تزول من حول امك واخوتك وأهلك واذا ضاقت عليك الامور واشتدت عليك الابواب فادع الى الله تعالى وتوكل عليه فانه يكفيك ولتكن نفسك طيبة بمادون هتك الحرم فان لم تفعل فلا أنت منى ولا أنا منك فان هم غلبوك على عروستك واحتووا على مافى يديك فاستعن عليهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يأخذ لك بحقك وان أنا جدلت عن جوادى فلا تنزع عنى أطمارى ولا تغسلنى من دمى واتركنى فى القبر تسفى على الريح وتمزقنى الوحوش مساء وصباحا فارجو أن يكون ذلك محيا لما سلف وتخفيفا عن البدن الضعيف وان أسرت وقدرت على خلاصى فافعل فعسى أن تكون مباركا على أبيك وان رجعت اليك بالظفر فالله أولى بالشكر الا أنى لست براجع الا باحد الامرين اما باطلاق صاحبنا واما بفقدى لنفسى والسلام عليكم سلام مودع مفارق الاحباب (ثم) التفت الى النسوان وقال لهم معشر النسوان لا تقلن الا خيرا ولا تعلون جهرا ولا تلطمن الوجنات ولا تجمعن على النوائب ولا تسودن الوجوه ولا تشققن الجيوب ولا تقلن من لنا من بعدك من الصبية والأيتام فالله الخليفة عليهم وعليكن وهو كالنهم وراعيهم والموت فى سبيل الله أشهى من الحياة فهو منيتى وغاية أملى ولولا كن ما كبر على الموت (ثم) عطف يريد الخروج فكثر ضجيج النسوان بالبكاء والنحيب فتعلق به ولده وقال له يا أبت ان لم أخشى منك فانى أخشى من الله أن يرانى وقد أسلمتك الى هذا البحر العميق المغرق وأنا خرعنك فما عذرى عند الله وما حجتى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أنا أسلمتك فان قتلت بين يديك كان الله سندك يفعل بك ما يشاء (فقال) الطفيل والذى أنا عبده لا صبرت عن صاحبى أو الحق به أو أكون سببا لخلاصه فما كان بئس القرين بل كان يخلص لى ودى وبعين فان كان هو جادلى بروحه فمالى لا أجود عليه بنفسى ويلق منى فى ذلك حالتين الواحدة له والثانية حماية على أهله والثالثة لكفرهم وشركهم بالله تعالى (قال) وتعلق به أبوه أيضا وبكى وتصارخ النسوان وبكين وهو لا يلوى اليهن (قال صاحب الحديث) وكان مطالع بن الهدار لما ملك قياد صفوان بن عنبسة كما تقدم أوصله الى أهله ثم أقبل عليه وقال له ما كان أغناك عن هذا الامر الذى ليس لك فيه مدخل أوهنت نفسك وعاديت قومك وهتكت حريمك ولن يغن عنك من غضبت له شيأ فاختر أحد الامرين اما أن ترجع على دينك ودين آبائك وتتبرأ من محمد وممن صبا اليه فتكون فى عافية مع أهلك وبناتك واما القتل وهتك الحرم فقال له صفوان ان الصدق أوفى وسبيله أعنى أما دينى فهو دين آبائى الذين مضوا على الرشاد وانقرض رسمهم على السداد وأما محمد فلا رأيت غرته ولا عاينت

طلعته غير أنه ذكر لى انه كثير التخاشع صاحب دلائل وانحات وعلامات مشهورات ويتكلم بكلام
عن ربه مايسمع السامعون بأحسن منه تحلو الى القلوب تلاوته ولاستماعه لذة (فلما) وفد الطفيل
وآمن به وصدق بما جاء به من عند ربه لم ألمه على ذلك ولم أعتب عليه لانه طلب لنفسه سدادها ولم
أتبعه على مادخل فيه وان كان له دينه ولى دينى فلا أنسى له ماتقدم من جميع صحبته عنادا فذلك مالا
يكون الى يوم القيامة ولو أطلقت لى السبيل لما سلمت الا الى جانبه معانا ولازلت معه حريصا على
قتالكم ومعاودة النزال لكم فقد أوضحت لكم الطريق ودللتكم على التصديق وأما ماذكرت من نسائى
وبناتى فهو أعز على منهن فان أبقيتم عليهن فعلتم فعل الكرام وان مددتم أيديكم اليهن فذلك من فعل
اللئام ولهم أسوة منى وان شئتم قتلى فاقتلوا فما يكبر على وان أبقيتم فما أناشاكركم على ابقائى ولابد لكم
من قتلى فتزايد غضب اللعين مطالع واخترط سيفه وتزايد اليه يريد قتله فحالت دوس بينه وبين ذلك
(قال) له مهدد بن زيد بئس القرابة والاقربون والاصهار المتنافسون أما انه لو نزل بساحتكم
سالك طريق ثم طلبه طالب لكان الاولى بكم أن تمنعوا عنه طالبه وتدفعوا عنه من أموالكم حتى لا
ينكب فى داركم ومايطرق فى جواركم فكيف وقد جعلتم الغدر من شأنكم وجحدتم صنايعه وأياديه عليكم
ألم يكن الطفيل لكم فى الملمات مساعدا وفى كل نائبة معاضدا وفى الحروب على أعدائكم محالدا فبما
استوجب منكم العداوة والبغضاء وان كان فيما أتى مسيئا فهو المذكور باساءته وان كان محسنا فاليه
يرجع احسانه وأنتم متبرؤن منه بل كان الاولى بكم أن تطيعوه ولا تخالفوه فان كرهتم ماجاءكم به فقد
خرج من بين أظهركم فى ارض الله الواسعة فلا تؤذوه ولا يؤذيكم ولا تنازعوه ولا ينازعكم فما انتم الا
قطعتم حباله الواصلة بكم وانكرتم نسبه المتصل بانسابكم فاصبحتم فضيحة بين الملا وهذا صاحبه
وخليله صفوان رعى له مالا تراعوه ولا يراعيه الاخ لاخيه ولا الولد لابيه فجعلتم عقابه أن أسرتموه وأردتم
قتله اذ منع عن سيدكم الضيم فلا فرحة لى بامثالكم ثم انه جعل يقول

حارعظيم عليكم لا يعادله ● القاكم عمدا فى الناس ماموتا
هدمتم عزكم فالعار يشملكم ● فلا بلغتم امرا ترجونا
ان الطفيل له فى الناس منزلة ● وعزة فيكم بالنجم مقرونا
لا تقطعون حبال الوصل بينكم ● تبا لكم وبلكم ماذا تريدونا
خلوا الطفيل ومايختاره فله ● ماشاء دين وانتم ماتدينونا
لعل امركم بالصلح متفق ● فتحقنون الدماء فيما تريدونا

(قال) فنهروه بالكلام وعنفوه بالملام وتزايد الامر وكاد أن يعمل السيف بينهم وحماه رجل من اقاربه
وعشيرته وارتفع الصراخ والصياح بين الفريقين وجردت السيوف وعزم القوم على المؤاخذة
والملاحة وانهم لعلى مثل ذلك واذا بالطفيل قد انفصل من بين قومه وقصد نحو القوم غير طايش ولا
هلع (فلما) نظروا اليه اقبلوا على المخاطب لهم فى امره وقالوا هذا الذى سألتنا فى امره فى الاعفاء عن
حريمه وماله قد خرج متعرضا لحربنا مجمع على قتالنا فقال اذا اطلقتم له السبيل لم يتعرض لكم ولو تركتموه
لتاركم لكنكم بغيتم عليه وسرتم باجمعكم اليه فلم يجد بدا من ممانعته عن نفسه وحريمه لاسيما وقد نظر
الى خليله اسيرا عندكم مذلا حقيرا فان اردتم ان تسمحوا له بالنجاة بماله ونفسه فانا السفير بينكم وبينه
قالوا ليس الى ذلك من سبيل ولابد لنا منه على كل حال حتى نوقفه بين يدى ذى الكفين يامر فيه بامره
ويحكم فيه بحكمه (قال) فهم على ذلك اذ فاجأهم الطفيل وقد أنصتوا اليه فقال يامعشر قومى
وعشيرتى انكم قد بغيتم على وأكثرتم من اساءتكم الى فاحقنوا بيننا الدماء وابقوا على العورات
والنساء وارحموا الاطفال والاماء وانطلقوا عن صاحبى واتركونى أسير فى أرض الله الطويلة

العريضة فلا تكون لكم معاندين ولا عليكم مخاطبين فلا تكشفوا القضا بيننا فيشمت بنا الحاسد والعدو (فقال) مطالع بن الهدار لعلقمة بن جريج امضى الى هذا الشيخ الصابى وقل له لو قدرنا أن نرجع عن اتباعه لفعلنا وامسح اعظامه واجهل خطابه ونحن مأمورون ممن لا نقدر أن نخالفوه ولا نعصى قوله فاسئله أن يستسلم الينا فلسنا نطلب أسره ولا سفك دمه بل يسير بسيرنا حتى يغد على الهنا ونشفع له فيه فان كان قبله على ما كان منه فانه قد رجع الى عبادته والياذبه ويكون من حوله وتعود اليه رياسته ونعمته قال فخرج علقمة نحو الطفيل فلما بصر به الطفيل مد رمحه ووثب اليه بجواده وهم بالحملة عليه فصاح به علقمة مهلا عليك يا طفيل فانى خرجت اليك لما رأيت القوم خلصوا فيك العذر وعزموا على قتلك وصرعتك وهم أشوق الناس الى حتفك وتلفك سألت القوم الامهال الى أن أخرج اليك فانصحك وأحذرك مما تشاوروا فيه القوم ومرادهم روحك فاحتفظ قبل أن تخلص منك فقد علمت أنه ليس لك هنا عوض فمن مرجها فى طرق مهالكها فليس بلبيب ومن أسعفها فى تلفها فليس بأديب فما لك فى القوم من حبيب فلا تلق بيدك وابق على اهلك وعشائرك ولا تجعل للقوم سلطانا عليك فما بينك وبين كشف قناعهم الا أن ارجع اليهم ويئسوا من قبول النصيحة منهم وأما صاحبك صفوان فقد تجلل بالذل والهوان وهو يصرخ ويسئل قومه الامان (فلما) سمع الطفيل من مقالته قال له تعست مشورتك اما الظعائن فدونهم ضرب الهام بالصوارم وقطع الجماجم وجز القلاصم وأما صاحبى فان الذى خلقه قادر على أن يطلقه ويفك وثاقه فقال له علقمة وهل خلقه غير أبى الحنداس قاتل الفوارس الضيغم المعارس وهو لا يطلقه ابدا الا باذن من امره (فقال) الطفيل يا عديم العقل اين انت من خالق الطفل الصغير ورازق الشيخ الكبير ومطلق الاسير وجابر العظم الكسير وهو على كل شئ قدير وأما انا فوحق (محمد) صلى الله عليه وسلم ذى النور والسراج الازهر والوجه الاقمر لا رجعت عن صاحبى أو أقرن معه أو أجدل فلا ترهبنى هذا الارهاب فانا بجازع عن الضراب ولا بقصر عن القتال فلما سمع منه علقمة ذلك قال له فانك قد بليت فخذ على نفسك فقد غاظنى كلامك وكبر على اقدامك بمن أنا له باغض قديما وحادثا وهو (محمد) بن عبد الله فلما سمع الطفيل كلامه اشتد عليه غضبا وغيظا ولم يمهله دون ان هجمه بطعنة صادقة مكن السنان من قلبه وقسمه نصفين وانجدل على أم راسه صريعا فصاح القوم عند قتله وتصارخوا صراخا عند صرعته وبرز اليه اخى المقتول مجردا سيفه ودنى منه وجعل يقول

ذهب الشقيق فخافنى منه الصبى • والموت اجمل بى من الخفر
لابد أطلب ثاره بمهند • يشفى الصدور وزائلا عنى الكدر
يا عينى فابكى ما حييت على • ليث الهياج بادمع مثل الدرر

(ثم) صاح وقال ويلك يا طفيل ليس من شيم ذوى المعالى والفخار المشهور فى الاقطار أن يقتل رسولا من غير اعذار ولا انذار قال الطفيل لم نكن لقتله طالبا لكنه هو الذى كان فى ذلك راغبا وقد أعذرت (فلما) رأيته حريصا على قتلى قتلته فابغيتنى قال اطلب بثاره فعاجله الطفيل بضربة صائلة أداره عن جواده وسقط فى الارض قتيلا وعجل الله بروحه الى النار (قال) ثم برز اليه عكاشة بن مازن فبارزه أن يتكلم أو ينطق دون أن جندله فى الارض يخور فى دمه (قال) فلم يزل يخرج اليه فارس بعد فارس وهو كل ما برز اليه فارس أو بطل عجله عن الحياة حتى قتل من القوم اثنى عشر فارسا فتأخرت عنه الفرسان وحيرت عن لقائه الاقران فصاح بهم الطفيل هلموا فقد هبت رياح الردى هلموا الى حومة الوغى واسلموا الى صاحبى صفوان فلا تحبسوه فتخسروا وتعدموا وروحوا بالسلامة غانمين أولى بكم أن تنصرفوا بالخيبة مذعورين والا فانى بسنان لا يكل ولا يمل من ضرابكم وطعانكم وكل

من قتلته منكم انما قتلته بثار أخي صفوان فان قتلتموه قتلت منكم ألفا بعون الله عز وجل فهل فيكم من مناضل أو مقاتل هل من مبارز أو منازل (قال) فلما سمع القوم مقالته قال مطالع أنا أظن ان الطفيل قد اشتاق الى خليله صفوان أن يكون له مناضلا رفيقا ثم أجمع على الخروج اليه فقال له زيادة بن الصباح وكان من الدهاة في الحرب وله فيه بصيرة وجولة على معاديه فقال يا أبا الحنداس ان الطفيل فارس لا يطاق ولا يدرك في السباق وعلقمة عند المذاق وقد عرفت شدته ومداومته وصبره على القراع وممارسته وانقلابه لا يمل من القتال ولا تهوله منازل الابطال وأخشى أن يصل اليك ولا تصل اليه ويقدر عليك ولا تقدر عليه فتكون كمن يطمع في الزيادة فيقع في النقصان ولكن أشير عليك أن تستعين عليه بفرسان يبارزوه ويهاجموه ويراوغوه وأنت له مبارز فيتفرقوا عليه فيقتلوه أو يأخذوه أسيرا (فقال) مطالع ما يمنعك ان نحمل عليه باجمعنا وعلى والده فنستكفي من أمرهما ما بعد علينا فقال له زيادة انه على فرس سابق وكذلك ولده وأخشى انهما اذا رأيا ذلك منا همزا جوادهما فلا ندرك أثرهما قال فما الذي تراه لنا قال الذي ذكرت لك ترتب له عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله وعشرة من ورائه وعشرة من أمامه فيهجموا عليه فلا يجد منهم خلاصا ولا من بينهم مناصا فقال له مطالع أنت يا زيادة أخبر الناس به فأته بعشرة من قومك عن يمينه وأنت يا مجعة بن معدود فأت بعشرة عن شماله وأحدق وابه كبياض العين بسوادها فاجابوه الى ذلك وتأهبوا لما أمرهم به وخرج مطالع في أكمل زينة وفي زيادة لامة وقد تشمر بسلاحه واشقر الاحمر متبجرا بتاج أخضر مرصع بالجوهر وقد صوب رمحه موجها للطفيل ثم قصده (فلما) دنى منه صاح به انظر لنفسك يا بن عامر ولا تكن كواقد نار ليصطلي فيها فلما تقشع ضرامها رعلى لهيبها توسطها مقتحما ووجهها مقتحما فالتهب حتى صار رمادا وعاد صلاحها فسادا كذلك أنت بيننا معافى شرفك معظما في قومك مسددا في عشيرتك اذا أتيتهم بما يكرهون وجئتهم بما لا يحبون فجلبت على نفسك البوار وأضرمتهم عليك اضرام النار فما أغناك عن القدوم على (محمد) فمحمد كان السبب لزوال نعمتك واختلال شأنك وهبوطك من سلم الفخار الى مهواة الدمار ثم انك عاديت أدانيك وقرابتك ومواليك وعشيرتك فالآن يا عديم العقل ويا زايد الجهل ترى من بني عمك وأقاربك بلغاضبا لك وراضيا لفعالك هيهات أنت عندهم كمي مات أو مقبور فات فانظر لنفسك وتدبر في أمرك وابكي على أهلك فعما قليل ترى خدك عفير ووالدك أسير ولا يجد نسوانك من بعدك نصير وقد أنذرتك مرة ومرارا وسألتك الرجعة الى ما كنت عليه فما أجبت فما يغني عنك (محمدا) مما أنت فيه شيأ فان أردت النجاة فقد أخبرتك عنها وان أردت طريق الهلاك أوطأتك اليها فاختر أيهما شئت ثم ان اللعين مطالع جعل يقول

ليس اللبيب من غدا متباعدا * عن حيه ومعاديا لحماته
من مال عن قول الرشاد مجانبا * فهو الهون عند جميع دعاته
قد كنت أغنى الناس عما جئته * لما وصفت (محمدا) بصفاته
جار الزمان عليك في أفعاله * (فمحمد) مستهلك لصباته

(قال الراوي رحمه الله) فلما سمع الطفيل ذلك من مقالته قال حسبك يا ابن الفاجر من ذكر الطاهر فما أنت أهلا لذلك ولا لذكره فاني أسئل الله تعالى أن تكون دون النظر اليه مقتولا وبسيف بعض أصحابه مجدولا فاترك عنا كلاما لا يحصل في الخطاب وأترك ما فات وخذ ما هو آت فان الاسد الضرغام لا تروعه صائحة الحمام فان رميتموني يا بني حسد الما خصني الله به دونكم وشرفني بتركيكم وقربني وأبعدكم فان الله سبحانه وتعالى يرد بغيكم عليكم وحسدكم اليكم ويصرف عنا الشدائد كما هو العوائد اذ

ذل منكم الكبير وخضع منكم الصغير وأخذتكم سيوف الهاشميين وأحدقت بكم رماح المطلبيين فهنالك يذل منكم المتجبر ويخضع المتكبر وعندى من الامر ما ليس عندكم فاصنعوا ما بدا لكم فانى متوكل على الله صابر على قضائه (قال صاحب الحديث) فما استتم كلامه حتى بادره مطالع بالهجمة وقطع عليه كلامه وشرع اليه سنانه فقصده الطفيل وقدر مقه رمقة الاسد وانقض عليه بالساعد الاشد وحام بعضهما على بعض فلم تشاهد دوس من قبل ذلك اليوم أشد منهما قتالا الا أن مطالع كان فيه قلق وطيشان والطفيل ثابت فى الميدان صبور فى التهاجم والطعان (قال) وتصارخ المشركون بصاحبهم مطالع على صوت واحد لما ظهر لهم من فضله وبدى لهم من طراده وذهل مطالع لما عاينه من الطفيل ودوامه فى الحرب واقتداره على الضرب ومل مطالع لكثرة الجلاد والمجال وضاقت عليه الارض بما رحبت لما شاهد من شدة القتال والتفت يمينا وشمالا يطلب من ينجده فلم يجد أحدا وجعل يصرخ صراخا منكرا ليسمعوا صوته فيسرعوا اليه فبينما هم كذلك اذ برز اليه طعيمة فى عشرة من قومه وبرز ابن العلا كذلك فى عشرة من قومه وأطلقوا اليه الاعنة وفوقوا نحوه الاسنة وتبادروا اليه يتصارخون (فلما) نظر اليهم الطفيل قال يا ابن اللئام أما ان الغدر لم يفارقكم أين ما توجهتم فصبرا على غدركم ومكركم (ثم) جد اليه بالحملة رجاء أن يصل اليه قبل أن تصل اليه الخيل وقد قويت نفس اللعين بمن أنجده وزال طيشه ومانع عن نفسه الى أن وصلت اليه الخيل وتصارخت عن يمينه وشماله وتفرقوا على الطفيل (قال) فلما نظر ولده عامر ذلك انهملت دمعته واشتدت حرقته وصاح بامه واخوانه وقال عليكم منى السلام فلا شك انه قد دنى الحمام ولا صبر لى على ما أراه من فعل اللئام فاوصيكم بانفسكم خيرا وما نزل باحد من العرب ما نزل بنا من قومنا وان لنا جبارا يحكم بيننا وبينهم بالحق ويقضى بالقسط (اللهم) ان كانت الآجال قد حضرت والايام قد فنيت والاوقات قد تقاربت فاسترذوات البراقع والخدور ولا تهتكن منهن الستور وسلمهم من عظائم الامور ولا تفضحنا فيهم بعد قتلنا وكن لهم يا رب حافظا وأعظم بما ألقاه من الجهد أجرب اذا فارق القوم بينى وبين زوجتى فان قضيت يا رب علينا بالفراق فى الدنيا فاجمعنا فى جنة المأوى وصاحت به أمه وقالت يا بنى تذهب وتتركنا فى هذه المفازة المهلكة فى أيدى الاعادى أسارى فما هو الا أن يصاب أباك وتصاب أنت من بعده فيحيطوا بنا من كل جانب فلو قنعوا منا بالمال وأطلقوا لنا السبيل لفعلنا وكنا نسير بانفسنا فما أحد منهم ينكر فضلنا ولا يجحد سددنا فنركن اليهم ويعودون باحسانهم لكان ذلك أصلح لنا ولكن تعلموا انهم يحملونا الى الحاضر مهتكات وبالذل ملتفات وان الحرق بالنار أصلح لنا من شماتة الاعداء فكن من حولنا تشهد ما يجرى علينا وتكون فى المصيبة معنا (فقال) عامر ما كنت بالذى ألقى بيدى الى الاسر من غير قتال ويجز راسى وتقطع انفاسى ولو كان الشيخ تركنى لكنت موضعه فاذا حان أجلى ووصلوا اليه من بعدى لعلهم يدعوا له حقه ان نظروا اليه يمانع عنكن (قال) ثم ان عامر صاح بالعبيد خلوا الاموال فى أماكنها فقد شغلنا عنها ما تجللنا ولو قنعوا منا بالمال لتركناه لهم لكن مرادهم قتلنا وطلبهم أنفسنا قال فتنحت العبيد عن الاموال وأسرعوا اليهم وهم زهاء عن أربعين عبدا فقال لهم احدقوا بالنسوان وكونوا من حولهن فاذا قتلنا جميعا وتسابقت اليكم الخيل فاحسنوا اليهم الخطاب وقولوا لهم ان الذى كنتم تطلبونه قد وصلتم اليه فما ذنب النسوان وبأى ذنب يهتكوا ويكشفوا فاطلقوا لنا السبيل حتى تنزل ببعض البلاد نعيش بين ظهور العرب فان أطلقوا لكم السبيل فلا يكن مقصدكم الا (محمد) صلى الله عليه وسلم فاخبروه وعرفوه بما حل بنا فان وصلتم اليه كان بكم أشفق وأرفق منا وقد بلغنا انه أرحم بعباد الله على النسوان وأحفظ لمن يعيش فى كنفه وخصوه منى السلام وقولوا له ان عامر بن

الطفيل وأباه فتلافى طاعتك وماتا على ملتك فاشفع لهما عند الله واسأله أن يحشرهما فى زمرتك قالوا سمعا وطاعة ثم تفرقوا من حول النسوان وأطلق عنانه الى أبيه وقد أحدقوا به الخيل وجعل عامر يقول

منى السلام عليكم وعلى التى • أصبحت منها فى بعيد الدار
منى السلام عليكم ما أينعت • زهر الغصون بروضة الأشجار
ياصاحبى عنى بلغ ماقد ترى • واروى القناع بمثل دمع الجار
قولوا لرغلة ان عامر راحل • واقرى سلامى ولا تنتظر لبعد مزار
هذا سلام مودع لك رامق • والملتقى فى ذمة الجبار

(قال الراوى) للحديث ثم ان عامر اقصد نحو أبيه وقد نصبت الريح عليهم من الغبار سرادقا قد اشتد ظلامه وزاد قتامه وصاح القوم بعضهم ببعض فاخترق عامر الغبار وهو يقول ياناصر المستضعفين وياغياث المظلومين ثم غاب فى وسط الميدان وقد تزايد الغبار وارتفع الصياح وكثر النداء من المشركين ليعلموا ماعندهم وما يبصر بعضهم بعضا من شدة الغبار فما أجابهم مجيب ولم يلو أحد اليهم وقد اشتغلوا بما هم فيه من الكرب وضيق الانفاس وقد طعنتهم رحى الحرب بكلكلها وطال بهم الامد فلم تستطع زوجة الطفيل صبرا ان رمت بنفسها من هودجها ونادت برفيع صوتها وقالت اللهم انك تعلم انه لم يبق لنا محامى ولا مجير ولا معين على أعدائنا ولا نصير فان كان (محمد) صادق وبالحق ناطق فانصرنا بحقه على أعدائك انك على كل شئ قدير وجعلت تمرغ خديها بالأرض وصاح أبو الطفيل برفيع صوته يارب ارحم الشيخ الضعيف والبدن النحيف فقد قل العزا وبرح الخفا فانظر الينا بحق محمد المصطفى وقد خرجت المشركين من الغبرة ينظرون من أمر الطفيل وابنه عامر وما يكون منهما لما يعلمون من شجاعتهم والقوم كذلك اذ خرج من الغبار فرس مطالع بن الهدار فارغ فعظم ذلك على المشركين ونادوا ياويلكم هذا فرس صاحبكم مطالع قد خرج فارغا من راكبه فما حل به وما الذى جرى عليه وزاد قلقهم عليه وكثر نحيبهم فبينما هم كذلك اذ خرج من الغبرة فرس آخر فارغا من راكبه فتأملوه فاذا هو جواد مهذب بن زياد (فقال) القوم ما نراه يخرج الينا من الغبرة غير الخيل عارية من ركبانها قال بعضهم انا نظن انهم ترجلوا على الخيل للقتال على وجه الارض بالقواضب واذا ثالث قد خرج كذلك فانكر القوم ذلك أشد الانكار فبينما هم كذلك واذا بفرسان قومهم قد خرجوا من الغبرة وهم يركضون ركض الهرب ويلتفتون ورائهم التفات الطلب ولا يصدقون بنجاتهم فحصوهم فاذا القوم اثنى عشر فارسا وانقطع الأثر فى الباقين وانكشفت الغبرة عند سكون الحرب وظهر الطفيل وهو يقود مطالع بن الهدار وهو قد أوثق يديه الى ورائه وجعل عمامته فى عنقه وهو يقوده قود البعير المذلل وولده عامر محامى عنه وهو يزئر كالأسد من وراء أبيه (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله وذلك ان الطفيل لما خرج للمبارزة كما تقدم وغدره القوم وجاءه من كل جانب أشرف على الهلاك وتزايد القوم عليه وقد وصل مطالع اليه وتعلق به وصاح بقومه ليدركوه فاطلقوا الاعنة واشرعوا نحو الطفيل الاسنة واذا بعامر بن الطفيل قد فاجأهم بالجملة ينجد أباه (فلما) نظر مطالع الى ذلك ذهل من عامر وجلته وزعقته وكانوا يعرفونه ويعرفون جلته فى الحرب فأول ما وصل الى المهذب بن زيادة طعنه فى جنبه الأيمن نفذ السنان من الجانب الايسر وضم القوم كالحلقة الدائرة ودار بهم فلا يطعن أحدا الا جندله الى أن قتل من القوم ثمانية وطلب الباقون النجاة فضاقت عليهم الأمور ونظر مطالع الى ما نزل بقومه من عامر فزال نشاطه وقل انبساطه حين نظر الى قومه صرعى

يخورون فى دمائهم وقد قوى الطفيل عليهم حين نظر الى فعل ولده ونصر الله له فمال على مطالع ليقتله من سرجه فاستصعب عليه وطلب مطالع النجاة من يديه فلم يجد الى ذلك سبيلا فصاح مطالع عند ذلك امض ياطفيل فى حال سبيلك فقد جدت عليك بروحك ووهبتك لولدك فقال له الطفيل بالعين فأين كنت عن هذا وقد أحدقت بى خيولكم وقد عزمتم على سفك دمى (فلما) نظرت الى ولدى قد جندل قومك طلبت النجاة لنفسى وتخدعنى بكلامك فبينما هما كذلك اذ عطف عامر نحوهما وقد فوق سنانه نحو مطالع وعزم على قتله أو أسره فلما نظر مطالع الى ذلك وعاين أن الموت ليس دونه شئ من سنان عامر فصاح بالطفيل ابق على أسيرك ياطفيل ولك بذلك علو الذكر قال فارجله الطفيل عن جواده وأقبل يقتاده وقال يامعشر اللئام على من تقاتلون وهذا صاحبكم أسير فاستسلموا لنا أصلح لكم واحقنوا دمائكم فان القوم لا يلقون بأيديهم خشية من العار والفضيحة فقالوا نقاتل حتى نقتل عن آخرنا فما كانت الا جولة الجائل حتى قتل من القوم عدة رجال وولى بقيتهم منهزمين الى قومهم (فلما) ولوا القوم رجع الطفيل يقود مطالع الى جانب فرسه وعامر ولده من ورائه فاقبل به الى العبيد فكبر العبيد وكبرت النسوان وخرت زوجة الطفيل ساجدة شكرا لله عز وجل على سلامته وسلامة ولدها وبلوغ أمانيها وفيما من عدوهما مرادها وصاحت به سعدت ياطفيل باتباعك (محمد) صلى الله عليه وسلم وخاب من خالفك قال ثم عطف على مطالع وعلقه الى صخرة هناك واقبل على ولده وقال يا بنى ان لنا عند القوم أسيرا حل منا محلا عظيما وهو صفوان فقد مكانه منا وان القوم فى أثر نكبتهم مدهوشين فاحمل بنا عليهم لعلنا نصل الى صاحبنا عسى أن نخلصه من أيديهم وان لم نصل الى ذلك كبر علينا أمر القوم وفدناهم بصاحبهم ونشرط عليهم أن لا يسوؤنا ولا يتعرضوا لنا ويرجعوا عنا الى منازلهم ونحن نسير الى (محمد) صلى الله عليه وسلم فقال له ولده يا أبت افعل ما بدا لك فأنا متبع لأمرك قال فخرجوا جميعا وقد اطلقوا الاعنة نحو قوم المشركين فاذا هم قد ماجوا واضطربوا لفقد كبيرهم ومن قتل منهم وأشرفوا على العطب (فلما) نظر زيادة بن العلا الى ذلك كبر عليه وقال ياويلكم ما هذا الاضطراب من فارسين قد أنفذ لهم أو ما علمتم ان الحرب مرة لكم ومرة عليكم قالوا يافتى ما فينا من يقوم لهما ولا من يقف عند لقائهما وان الطفيل لما بلغ من سدده ما بلغ الا بشجاعته وبراعته وهيبته فى قلوب العرب وولده منه لان الورقة من الشجرة ومن وصل الى مطالع فانا منه حذرون غير آمنين (فلما) سمع زيادة بن العلا ذلك من مقالتهم ورأى الفشل قد اعتراهم أقبل على صفوان بن عنبسة وقال له يا أبا الرواح انه قد كان منا ومنكم ما كان وقد وصلنا اليك ووصل صاحبك الى صاحبنا فهل لك ان تبعث الى الطفيل يطلق أسر صاحبنا ونطلق نحن سراحك ويكون ذلك سببا للصلح بيننا فان رجعتم معنا الى الحاضر فبالرحب والبقا وان أردتم الأمان على المال والحريم فلكم ما طلبتم (فقال) صفوان وان قتل مطالع أحب الى من اطلاقه ولا أبالى ان أقتل بعده لأنى غير آمن غدركم بعد اطلاقه كما غدرتم بالطفيل ولقد أبكيتم اليوم عيناى خوفا على الطفيل حتى نصره الله وتداركه بعونه وبركة نبيه وأرجوا ان يذل بقيتكم حتى لا يبقى منكم أحد (فلما سمع) زيادة كلام صفوان هم بقتله فمنعوه قومه من ذلك وقالوا له لا تجعل عليه فلعل الطفيل يرغب فيه فنفدى به صاحبنا مطالع ودبرنا فى أمره فقال زيادة اما أنا فقد بان لى منكم الفشل والجزع (ثم) دعى برجل من القوم يقال له وهيب بن جريج وقال له امض من وقتك مسرعا الى الحاضر فتسير الى سيدنا عمر بن حمامة وتخبره أن القوم ليس عندهم خبر وأن مطالع أسير وهو فى أيدى القوم وصفوان بن عنبسة فى أيدينا وقد قتل منا أقواما وقد ملئت قلوبنا رعبا وجزعا من الطفيل وولده عامر فاما ان تدارکهم بنفسك واما

أن تبعث بأمرك مع من ترضاه مع أنا ماترى للطفيل قرينا سواك في الحرب فقال حبا وكرامة فاختلس من بين القوم ومضى لما أمره زيادة بن العلاء فجد في سيره وخرج زيادة الى الطفيل وولده بريدان الحاضر مع عمر بن حمامة فهما سائرين اليه وهو سائر اليهما (فلما) قربا منه صاح زيادة بن العلاء على رسلكم ولا يعجلكما ماصنعتما فان عورعينه فقد أزال زينة وجهه وطهر شينه فلو اتصل بحاسدكم وعدوكم ماصنعتم بأنفسكم وقتل بعضكم بعضا لكان ذلك من تمام فرحته ومبلغ مسرته وقد دخلت عين السوء علينا في ديارنا فلعبت بأمثالنا واستحوذت على أكابرنا من دوس وقد كانت دوس في حصن مشيد وجبل من حديد تهاب العرب صولتهم ويحذر القبائل مهبتهم فأصبحوا قد انهدم حصنهم من أركانه وتداعى من جدرانه ولقد كان (محمد) مشوم علينا بدد شملنا وفرق الفتنا وألقى العداوة بيننا فأطلق لنا عن صاحبنا وأطلق لك عن صاحبك وتنصرف عنا ونتصرف عنك وستعلم اليوم ان مقامك بين قرابتك كان أزيد لشرفك وأبقى لسلفك (قال) الطفيل وأنتم قد ركبتم طريق البغي بأجمعكم وانكرتم مكاني ونسيتم احساني واتخذتموني عدوا بغير ذنب غيراني دعوتكم الى مارضيته لنفسي وهو مما يقربكم من ربكم ويضيكم من النار ويؤملكم دار القرار وأمرتكم باتباع السيد الأمين العاقل المكين مظهر البراهين الداعي الى رب العالمين فكرهتم ماد عوتكم اليه وأردتم قتلي (فلما) رهت ذلك خرجت من بين أظهركم حائد (والى محمد) صلى الله عليه وسلم وافد فظهر بغيكم لي وأردتم سفك دمي وأخذ بناتي وحريمي وأموالي فعلم الله ما أردتم من غدركم وبطركم فنصرني الله عليكم وستر حريمي ورزقني الظفر عليكم وأوصلني اليكم وأما اطلاقي لصاحبكم فذلك بعيد يكل عنه الذراع ويقصر عنه الباع وأنا لي كفؤا بلقائكم وبقتالكم ولكن هذا ولدي لكم ولأمثالكم كفؤا مثلي وفي الحرب ورقي (قال) فأخذ زيادة يطاولهم في الكلام فقال عامر لأبيه ما الذي ترى من الرأي قال احمل على القوم فاني أظن ان زيادة يطاولنا لشئ أضمره لنا أو بلاء يوقعه بنا ولا نأمن أن يلحق بنا أعداؤنا فيعظم الأمر ويكثر الشر (قال) احمل بنا فقد خافوا وخضعوا عسى أن نصل الى صاحبنا قال فقرنا عتاق خيولهما وفوقا أسنتهما وحملا وتطر زيادة اليهما وقد حملا بريد اقومه فعظم ذلك عليه فقطعهما عن مرادهما وكان بطلا شجاعا فقال دونكم انما أحامي عن قومي وما أنا بجازع منكما فتفرقا وحام بهما وتراوغ عليهما متطاولا في قتالهما (فلما) أكثر من ذلك قصدا اليه مقترنين عليه أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فكان الطفيل أول واصل اليه فطعنه في جنبه جندله عن جواده صريعا الى الارض وعجل الله بروحه الى النار فتزايد صراخ القوم من ذلك وكثر ضجيجهم وعلى نحيبهم وحمل الطفيل وابنه في القوم وكبروا ومانع القوم عن أنفسهم وقاتلوا قتالا شديدا وكلما تطاول أمر القوم في القتال اشتد قلقهم والطفيل وولده يطعنان فيهم طعنا شديدا الى أن جاء وقت العصر وقد قتل من القوم أكثرهم (فلما) تزايد الامر عليهم ولوا الادبار هاربين الى ديارهم وسبق الطفيل الى خليله صفوان وهو موثوق أسير وقد ألقى على وجهه ذيل وثاقه وأطلق سبيله وقال ياصاحب الخير قد أخذنا لك بثارك فقال صفوان فرحتي بسلامتك أفضل عندي من خلاصي وقد طلبت القوم ان يفدوني بصاحبهم مطالع فأبوا القتل على الاطلاق خوفا ان يدركك من اللئام ماتكره فشكر له الطفيل قوله وعطفوا الى الخيل التي قتل أصحابها وهي شاردة يمينا وشمالا فجمعوها وأخذوا السلب ورجعوا الى أهلهم فرحين (فلما) نظر مطالع الى أسلاب قومه وعشيرته وخيلهم ونظر الى صفوان وقد تخلص من الاسر وهو مع الطفيل بكى مطالع بكاء شديدا فقال صفوان انما البكاء للصبيان ومن فعل فعلتك وصنع صنعتك لاتذرف دمعته ولا تظهر حرقته (فقال) مطالع لقد علم ذو الكفين اني لم أبك جزعا من الموت

وانما بكيت غيظا وأسفا من خلاصك من الاسر ولقد وددت ان أقتلك أشر قتلة ولم تخلص مما كنت فيه من الاسر فقال صفوان وقد اشتد غضبه عليه يا عدو الله أنا أضرب عنقك بسيفك وأشرب نهلا من دمك (قال) فتنفس الصعدا وأقبل على الطفيل وقال ان أردت ان تأخذ ديتي وتحفظ لي النسب الذي بيني وبينك وتهب لي نفسي وتجود علي بها فافعل (قال) الطفيل أما الفداء فمالي به من حاجة وأما الهبة ان تقول من قلبك (لا اله الا الله محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم قال مطالع امهاني سوى هذه الليلة أما هذه لا أقولها أبدا حتى يرجع اللبن الى الضرع وأمس الى بكرته فقال الطفيل فليس لك بعد هذا الا القتل قال مطالع امهاني سوى هذه الليلة الى غداة غد (قال) الطفيل ليس الى ذلك من سبيل وجعل يشاغلهم ويطاولهم فلما كان عند اصفرار الشمس أشرفت عليهم غبرة عظيمة اغبرلها الافق واسودت منها الطرق شرقا وغربا كانها قطع الليل الدامس لشدة سوادها ولم يكن الحاضر منهم ببعيد (قال) فلما نظر الطفيل الى ذلك قال لولده ألم أقل لك لا تطاول القوم فانه لا بد من غدرهم أن يدركونا (فلما) تحقق للطفيل أمرهم قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال له صفوان مالي أراك هلع جزع وقد نصرك الله علي من كان قبلهم وهو القادر على ان ينصرك على هؤلاء ولو كان ملء الارض فأرح نفسك من هذا الامر واحرز نفسك وأهلك في كنف هذا الجبل ونكون نحن دونهم نكافح عنهم من طرقهم حتى نهلك دونهم (قال الطفيل) فما نفعل بهذا الاسير قد جعلت أمره اليك فافعل به ما بدا لك قال صفوان أما أنا فلا أراعي له ما يراعي ذوي القربى لقرباتهم فلما سمع مطالع ذلك قال له حقا يقال هذا شبيه بدّ يا صفوان فأقبل صفوان نحوه وضربه بالسيف أبان بها رأسه من جسده فقال له الطفيل هذا مراعاتك يا صفوان (قال) نعم فقال الطفيل للعبيد دوروا رؤس الاموال نحو الجبل وكونوا دونها ففعلوا ذلك وعطف الطفيل وولده عامر وصفوان والعبيد والاموال والاباعر والهوادج والنسوان الى أن أتوا بهم سند الجبل وهو عالي رفيع فأناخوا الاباعر هناك وحطوا الهوادج وأدخل النسوان في كهف هناك واحصرهن فيه وأمن عليهم من القتل وقت المجال وصدر دونهم الاموال وقد عبوا خيلهم وتكفنوا في أدراعهم وتاهبوا للموت وأوقفوا دونهم العبيد ومن ورائهم الاموال والنسوان فما فرغوا من ذلك حتى أشرفت عليهم الخيل من كل جانب ومكان (قال أبو الحسن البكري) رحمه الله وكان من خبر الذي ذهب الى الحاضرة وأخبر بأسر مطالع ومن قتل فغضب عمر بن حمامة الملعون فاستصرخ قومه جميعا وسار بنفسه في ثمانمائة فارس من حماة الحاضر وأبطاله وترك في الحي مائة فارس من حماة الحاضر مع ابن عمه يعيش بن الخطاف الدوسي وأمره بلزوم الحاضر ولم يأمر عمر بن حمامة على أحد وأطلق عنانه والقوم من ورائه الى ان أشرف على الطفيل وكان قد لقيه المنهزمون فاخبروه باطلاق صفوان فكبر عليه ذلك وأمل ان يدرك ابن عمه مطالع وخشي أن يعجل عليه بالقتل (فلما) أشرف على الطفيل وولده وصفوان ونظر اليهم وقد تحصنوا في سند الجبل بالاموال والاولاد والغنائم وقد تجهزوا للضرب وتاهبوا للحرب فلم يكبر عليه قتل من قتل كما كبر عليه رؤية صفوان وقيامه بينهم واجماعهم على القتال معهم فنزل مواجها لأصحابه وتلاحقوا به الباقون وتكاثر الناس (فقال) لهم انزلوا فاني أظن ان أمرنا مع الطفيل يطول وكفى بموضعهم ما تملكوه لهم قال فنزل القوم ومضى النهار وانسدل الظلام فقال الطفيل لصاحبه صفوان ماترى لنا من الرأي وقد تزايد بنا البلاء وكثر الاذاء فقال له صفوان أشير عليك أن تكتب الى (محمد) صلى الله عليه وسلم وتبعث به مع ولدك وتخبره بما نالك ومازل بك فعسى أن ينجدك أو ينظر اليك بما يراه من حسن رأيه ان شاء الله (قال صاحب الحديث) فلما استشار الطفيل خليله صفوان وأشار عليه أن يكتب الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فعزم الطفيل على ذلك وارتقى الى سند الجبل ودخل الكهف فأصاب بناته ونساءه صارخات فقال لهن ما الذى نزل بكن فقالت له زوجته فهل يحق البكاء الا لنا لانتا طردنا من الاوطان وتجللنا الذل والهوان وعادانا القريب والبعيد والدانى والنسيب وهذا الموت النازل قد أحدق بنا فهل هو الا سوى هذه الليلة فيفترق جمعنا ونصير نهبا لاعدائنا ويفرق بيننا وبين أولادنا أفترى من نزلت به هذه النازلة لا يحق له البكاء (قال) فبكى الطفيل لبكائهما فقال لهما الطفيل اياك والاعتراض على الله فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أعدوا للفقر جلبابا فان الله اذا أحب العبد ابتلاه لينظر كيف صبره فان رآه صابرا أعقبه بالصبر فرجا فقلت يارسول الله وما تلك الفرجة التى تهون بها المصائب قال التمتع بالنظر الى الله والقرب منه فمن اشتاق اليه لم يمنعه منه مانع ولولا جزعى عليكن لاستعبلت حتى أبلغ المنازل والمراتب فقالت له زوجته فالآن اجلعنا فى صدور القوم لعلنا ان نقتل فى مرضاته فقال لابد أن أكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا أخبره بما نزل بى من هؤلاء القوم الظالمين (ثم) دعى بدواة وقرطاس وكتب كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى خاتم النبيين والمرسلين وخير العالمين وحبيب رب العالمين أما بعد يارسول الله فانى شاهد اليك بالرسالة وشاكى اليك معاداة الاقارب ورفض الحبائب وبغى الشريف واللغيف كل ذلك لميلى واقدامى اليك فانى طريد منفرد وحيد فلا معين أستند اليه ولا مدافع اتكل عليه قد أساونى الاقارب وفرمنى الحبائب (فلما) اشتدت على المذاهب من عشيرتى واستصعبت على بليتى خرجت اليك هاربا باهلى ومالى وما ملكت يدى فشارت على قبائل دوس بغيا وحسدا فاتبعوا أثرى ولم يبق فى الحاضر الا من أراد قتلى وأسرى وهتك حرمى فلو رأيت عيناك يارسول الله ما حل بنا واحدق بنا من العدو أو ما تزايد علينا من البلا ولو سمعت صراخ النسوان وبكاء الاطفال لاحزنك ذلك وأقلقك يارسول الله فانظر لوحدتى وما حل بى وباهلى وكل ذلك لتصديقى برسالتك وايمانى بما جئت به من ربك فما كتبت لك هذا الكتاب الا وأنا كالغريق بين الامواج موجة ترفعنى وموجة تضعنى وقد أرسلت اليك يارسول الله بولدى رجاء لنصرتك وطمعا فى معونتك فلا تسلم الاخوات والعمات والبنين والبنات وانهن بالذل ملتحفات وهن بك لائذات ولما يرجونه من نصرتك منتظرات وهم ينادون (يا محمد) المصطفى المستجار بك من سطوة الاعداء فاستر ذوات الخدور ان تمتد عليهن الستور وخوفا أن يسبين بعد الستر بالذوائب والشعور اذا لم يجدن لهن نصيرا ولا لما تجللهن من الاعداء مشيرا ثم جعل يقول

كتبت والعين تذرف من أماقيها ● تشكوا الذى نالها ممن يعاديها
عسى المجير من الاعداء توصله ● تعطى رغائب أو أنت معطيها
أشكو اليك عداوة الاهل كلهم ● وعصبة ظهرت كفرا بباريها
فلو رأيت يارسول الله نسوتنا ● بالبيداء بعد غداة العيش تأويها
يشهدن معنا الذل انهم ● كالابل اذ شردت للماء حاميها
يدعون بالويل مما قد أكتفهم ● فاجمع لها شملها اذ أنت راعيها
بك البلاد رسول الله فارث لها ● فانت فى الأرض محييها ومكليها
ان الافراخ كذا الاحشاء فى وجل ● من قانص بشباك الغدر ماليها
لا يرجون سواك اليوم تنقذهم ● فنادها بملاذ النصر ناديها

(قال ثم) اقبل بالبكاء الى صاحبه صفوان وولده عامر فقرأه عليهم فلم يكن فيهم الا من استحسنه ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه ثم قال لولده عامر كن حامل الكتاب من أبيك الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم وهو سيد كل نادوا المهدى الى الرشاد فواحدة لبقاء أهلك وذويك وثانية لأجل قرابتك وزوجتك وتشكوا اليه ما نالك من أبيها وما رماك به من فراقها فلعله أن يدعو لكما بدعوة يجمع الله بينكما على خير حال فقال عامر والله يا أبت انى لا أجد من حبها الما شديدا الا أن حق الله وحقك على واجب مكانك أعلى وأصوب وأنا سامع لقولك ومبادر لامرك (فقال) الطفيل يا بنى انى أوصيك بوصية فاحفظها اعلم يا بنى ان لنا أعداء يطالبون بما كان منى وما كان لى معهم حين قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم متطاولون الى رؤيتى ورؤيتك تطاول الطائر الى فراخه يعضون الانامل علينا غيظا وحنقا ثم حدثه بما كان من قريش ومادبروه فى بادية أمره وقال يا بنى لا تنزل الا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقدم من أمرك بالنزول عليه وكن حذرا بالليل والنهار ولا يزايلك حسامك فى نومك ويقظتك واذا خرجت من الحرم فلا تخرج الا ومعك من يوصلك الى مأمنك أسمعت يا بنى ما قلت لك (قال) سمعت ووعيت وأخشى عليك يا أبت فى غيبتى عنك أن يصل الاعداء اليك ويصلون الى النسوان والاطفال وأرجو أن لا أطرق فيكم بطارقة ولا بنازلة ان شاء الله تعالى (قال) ثم اقبل عامر على والدته واخواته فودعهن واصلح زاده ووطئ له على مطيته وهم بالرحيل فتعلقت به أمه وقالت يا بنى تركتنا فى هذه الوحدة وما لنا من معين ولا مجير الا الله تعالى قال لها يا أماه أتركك مع من يرى ولا يرى وهو بالمنظر الاعلى وأسير الى (محمد) خير الورى مستجيرا به قالت له أمه اذهب يا بنى قرب الله لك البعيد وسهل لك الصعب الشديد وجد فيما عزمت عليه فما خاب قاصد قصد (محمد) صلى الله عليه وسلم واقبل اليه أباه الطفيل وعانقه وقال يا بنى اشف اباك بمعانقتك فلا آمن ان يكون فراق الاجتماع بعده الى يوم القيامة وسلم عليه صفوان وقال يا عامر اذكرنى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واقرأه منى السلام وأخبره انى أشوق الناس اليه فان طول الله عمرى فسوف أقدم عليه وان قطعنى الامل وغاصبنى الاجل فلا عدوان على (ثم) فارقوه فقال له أبوه قدم مطيتك وتحايد بها وانزل بها فى المهل من مجرى السيل حتى ينتهى بك الطريق الى وادى دهيب ثم تجد فى السير حتى ينتهى بك الى شجرة الاراك ثم تخرج من هناك الى الجادة العظمى (قال) عامر سمعت ووعيت ثم فارقه واقتاد مطيته وخرج بسلام فى الظلام وقد شد مطيته بالزمام واقتادها بالخطام لئلا ترعوى فكايد بها الطلوع الى رأس الجبل كما أمره أبوه ثم هوى بها نازلا الى ان استقر بها فى بطن الوادى (فلما) أمن أطلق عنانها واستوى على كورها وخرج الى الجادة وطول لها فى خطامها وقد مضى من الليل نصفه الأول وبقى الاكثر فهناك صار فى طريق دهيق وانبسطت به الناقة بسرعتها فلما أمن من أعدائه ذكر ما قاله من فرقة عروسته وما لقيه منها وتأسف على فراقها وعلى ما نزل بابيه وأهله وذويه من التشتت والتفرق عنهم بكى وجعل يقول

سلام على قوم من ذارفها القوم رتع • سلام من الكئيب النائى المفجع
سلام عليكم من فتى فى فؤاده • لهيب وأحشاه بنار تقطع
يؤمل أن يحظى بقرب فتائكم • ولو مرة انى بذاك أقنع
وهل لطريد الدار للدار رجعة • وهل عوده للدار أو ليس برجع
رحلت على رغم وخلفت منيتى • وانى من بعد الفراق مروع
فابك الذى أهواه لم أبك والدى • شريد طريد من الدار مفقع
تبدل بالعيش الهنى تبددا • وصارت له الاطواد مرتفع
ومن حوله الاعداء من كل جانب • فاركانه بعد العلا تتضعضع
سابكى الذى أهواه من كل قادم • الى سيد أنواره منه تلمع

جبـــل أعز هاد متفضـــل • من اقتدى به فى الناس لا يضيع
اليك رسول الله جئت مبادرا • وقلبى من خوف التفرق يجزع
اليـك لجأنا فارحم اليوم نسوة • كرائم بعد العز قد صرن خضع

(قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله تعالى هى قصيدة طويلة فى ديوان الشعر قال وسار ابن الطفيل يجد السير ويطوى المراحل ولا يلوى الى أحد ولا يقر ولا يهدى قلقا لما يرى فيه أباه من مكائدة العدو فلم يزل كذلك يجد السير الى أن قرب من مكة وكان ذو عقل ورأى وتدبير وكان عامر لما ذكر له أبوه من كثرة المعاندين بالحرم وما كان منهم اليه نخشى أن يدخل مكة نهارا فتشور مكة لدخوله فيعملون فى هلاكه فنزل فى الوادى المعروف بوادى العين وارسل مطيته فى عرض الوادى فى الكلأ وجلس ينتظر المساء ليكون دخوله الى مكة تحت الدجى فيخفى أمره عن قريش وغيرهم حتى اذا كان بعد العصر وعامر جالس يصلح رحله على مطيته اذ أشرف عليه فارس من فم الوادى فتأمله عامر فراعه وخشى منه ومن مكانه وترك ما كان عليه وأخذ سيفه وجعله بين يديه ونظر الى الفارس واسفر عن لثامه وقصد نحو عامر (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله وكان ذلك الفارس من فرسان مكة المعدودين وأبطالها المشهورين من بنى زهرة يقال له مراد بن جماهر وكان قد ذهب له بعير من نحو ثلاثة أيام وهو يحوم فى طلبه ويخترق الفجاج والشعاب بفرسه وكان شاعرا مجيدا وله قصيدة هجاء فى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما) أبصر ناقة عامر لم يشك انه بعيره فقصدها مجدا (فلما) بصر به وتأمل وجه عامر أنكره وقصد اليه بعمد وقاربه وجعل يقول

رحبا وقربا بك من ضيف نزل • حللت فى خـــير بنا ونهـــل
فى ظل قوم ليس فيهم من ملل • من أين أقبلت وعن ماذا تسل

(فاجابه عامر)

وأنت حييت وبلغت الامل • ذكرت قوما لهم عن الاهل
ليس فيهم طيش ولا فشل • انهم قصدى وهم خير الامل

(فاجابه مراد)

قد بلغت ما أملت من مرادك • فاشرح لنا هديت عن أحوالك

(فاجابه عامر)

لست بطلوب فانى سالك • فى طرق لا ألف فيها هالك

(فاجابه مراد)

بين لنا الطريق أين مقصده • تنبيك عن واضحه ومرشده
وبعـــد هـــذا ما تشاء نحمـــده • وقارب الامر ولا تباعـــده

(فاجابه عامر)

انى الى الرحمان جئت أعبـــده • أشكوا له وبعـــد ذاك أحمده
ولى خليـــل جئت أشهده • لى على نائل لا أجحـــده

(فاجابه مراد)

بحرمة البيت ذى المقدار • وقدرة الرب العظيم البارى
من ذا الذى تنعته فى الدار • لعله منا من الاخيار

(فاجابه عامر)

أقسمت بالله العظيم البارى • (محمد) قصدت من مضار

أرجو به عونا على الاشرار • من كل جبار من الكفار

(فلما) سمع مراد منه ذلك زاد غيظا وحنقا ولم يظهر له فى ذلك وأظهر أنه يميل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مخادع لينظر ما عنده

(فاجابه مراد)

أهلا وسهلا بك من خليل • اذ جئت قاصدا الى الرسول

السيد المشهور بالتفضيل • من أنت قد نجيت من تنكيل

(فاجابه عامر)

أنا ابن ذى القوة ثم الخيل • أعنى الطفيل والدى فى الجبل

فمن يعاديه رمى بالويل • تأتيه منا الخيل مثل السيل

(قال فلما) سمع اللعين مراد ذلك منه وتحقق انه عامر بن الطفيل تركه وولى نحو مكة وأطلق عنانه فلما غاب عن عامر نظر عامر الى سرعته فأنكر ذلك وقال ما أظن هذا الا عدو لمحمد استغنم انفرادى فمضى مسرعا ليأتى بمن يقتلنى فقام من وقته الى مطيته واستوى عليها وأطلق زمامها وأعنف فى السير وقد سبقه اللعين مراد ودخل مكة قبل عامر فأقبل مراد الى الأبطح وقريش قد تكاملت به (فلما) أشرف عليهم ونظر واسرعته أنكر واذلك ووثبوا اليه مسرعين قال له عقبة بن أبى معيط ما الذى طرقك يا مراد وأطاش لبك وأعجلك قال خيرا ثم انعزل عن قريش بأبى جهل لعنه الله وشيبة بن أبى ربيعة والوليد بن عتبة وصفوان بن أمية ومنبه بن الحجاج (فلما) انفرد وامعه ومعهم صلاح بن حزام أخو نضلة بن حزام الذى كان الطفيل قتله فى بادية أمره فلما اعتزل بهم مراد بن جماهر قال لهم يا بنى الأبطح والصفا سعد جدكم وتعب عدوكم ونلتم ما تريدون هذا عامر بن الطفيل بارك كالبعير فمن أى جهة شئتم فانحروه واقطعوا أوداجه وخذوا بثار نضلة بن حزام فبادروا الى المكرمات واصرفوا عنكم العلالات فأنتم أهل الثار والسادات الاخيار فاكشفوا عن العار والشنار قال له أبو جهل يا مراد ما أظنك الا نمت فرأيت فى منامك شيأ ظننته انه حقا فى يقظتك هيهات هيهات ان نرى الطفيل أو ولده أو واحدا من عبيده لا نذا أبدا ولعل الذى رأيت سالك طريق أو عابر سبيل رآك فخاف منك فذكرك انه ولد الطفيل طلبا للنجاة منك لما يعلم من مكان الطفيل (فقال) مراد لا وحق عيش أبى بل هو عامر بن الطفيل وهو أشبه الناس بالطفيل ولقد راوغته مراوغة الثعلب الى أن خرج لى بغامض سره ومكنون أمره وأخبرنى ان أباه خارج من حاضره يريد (محمدا) صلى الله عليه وسلم وأن عمرو بن حمامة كلب دوس خرج فى طلبه وخرج عامر مستغيث بمحمد صلى الله عليه وسلم على عمرو بن حمامة قال صباح يا معشر قريش قد علمتم ان أباه قد أجفى فى أخى بالأمس وأنا مبادر اليه فمن أعاننى على قتله قبل دخوله الى الحرم لم أنس له ذلك ومن تأخر فلا لوم عليه ثم ترك القوم وأقبل الى منزله وركب جواده وتقلد سيفه وخرج مبادرا فما توارت عنه الاوطان حتى تلاحق به القوم وأخذوا فى تلاحقه واحدا بعد واحد فلما نظر تلاحقهم به وقف حتى تكاملوا معه وهم يتسللون من الشعب والفجاج وخرج منذر هم مراد بن جماهر يريد الرجعة معهم فهم كذلك اذ أشرف عليهم عامر بن الطفيل منحدرا من الثنية تحرك على مطيته (فلما) نظروا اليه قال قائلهم ان كان هذا فرأيكم قد زال وأمركم قد حال فتأمله مراد ابن جماهر فقال هو صاحبكم لا محالة ولا شك فان مددتم أيديكم اليه فانها مع بنى هاشم كليلة وما لكم طاقة بقتال بنى هاشم ولا بسيوف بنى عبد المطلب وما لكم طاقة بحضرة العباس وطالب وعلى ابن أبى طالب رضى الله عنهم فارجعوا قبل ان يقع الصوت ويكبر الأمر فلو صرخ ابن الطفيل من مكانه لأجابته الكتائب وتبادرت من الوادى المواكب (فلما) سمع صباح بن حزام ذلك من مقالته

قال

قال مالكم قد انصدع جمعكم وتلاشى أمركم ستنظرون وتعاينون ما أوقعه به ويقول قائلكم لله درصباح انه لبطل مكير لم يغفل عن ثاره واما أن تتركوه يخرج من مكة سالما فانى اذا لعاجز (قال) ثم رجع القوم على أثرهم وهم متغرقون لئلا ينكر عليهم ذلك فلم يعلم أحد بخبرهم قال وأقبل عامر بن الطفيل وقد عاين القوم من الثنية واجتماعهم فقال فى نفسه بوشك أن يكون الفارس من أصحاب (محمد) صلى الله عليه وسلم وقد سبق يخبرنى كما ذكر وخرج القوم لاستقبالى فسر بذلك وجد نحوهم فلما رآهم تغرقوا راجعين على أعقابهم أنكر ذلك وأوجس فى نفسه خيفة منهم ودخل مكة عند اصفرار الشمس فأقبل يسئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له تجده عند الكعبة وقد انصرف فبينما هو كذلك اذ ابصر عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فقال) له ابن الطفيل ياشيخ دلنى على منزل (محمد) بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فانى عليه وافد واليه قاصد فلما سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذلك قال له ومن أنت يافتى فقال له أنا عامر بن الطفيل الدوسى (قال) فلما سمع عمر بذلك وثب اليه وتعلق بزمام الناقة وانكب الى الارض فأخذ جندلة مملمة أراد بذلك ان عارضه أحد يضربه بها فظن الطفيل انه يريد أن يضربه بها وانه من أعداء (محمد) صلى الله عليه وسلم فصاح عامر بن الطفيل وحلف وقال لن أقتل بين شعاب مكة وأهوى بيده الى سيفه ليسلها فقال له عمر بن الخطاب مهلا يافتى انما فعلت ما فعلت فزعا عليك من ذوى الضغائن وأهل الشاجر لانه ما أصبح بمكة بدوى ولا حضرى الا وهو طالب لك ولابيك وعشيرتك وذويك فكن آمنا من جهتى فأنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا عمر بن الخطاب فلما سمع عامر بن الطفيل ذلك فرح فرحا شديدا وقال لا عدمت عصبتك ولا فقدت رؤيتك وذكرك فى قبائل العرب انك لسراديق صاحبك وحجابه فاتم أياديك بالوصول اليه والاقدام عليه (قال) فجعل عمر يخترق الشعاب حتى أتى به منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجده هناك وقد خرج الى الكعبة وقال له أنخ مطيتك الى أن يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأناخ ناقته وأوثقها عقالا وجلسا يتحدثان وابن الطفيل يشكو لعمر بن الخطاب ما ناله أباه من قومه وما ناله من فقد زوجته رغلة وما أظهر لهم أبوها من العناد فأبكى ذلك عمر بن الخطاب ودمعته تجرى على خديه فبينما هما كذلك اذ أشرف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فد خطوته فوصل اليهما فنظر الى عامر بن الطفيل وعمر بن الخطاب ودمعته تجرى على خديه وقال له يا عمر ما يبكيك صرف الله عنك الاسواء والبلاء (قال) يارسول الله هذا عامر بن الطفيل يشكو اليك ما طرقه وطرق أباه من الارذال وها هو يارسول الله صلى الله عليك فاسمع منه وأنت صاحب الامر ثم قال عمر بن الخطاب لعامر بن الطفيل قم فاشك اليه ما نال أباك من الاعداء فقام عامر بن الطفيل وقال يارسول الله أنارت بك الشعاع وضحكت بك البقاع يا ابن الاهلة والتيجان والسلف الاكبر من عدنان فخرت بنى هاشم بك فى الورى وسعدت أمتك بين الامم يارسول الله طردنا من الاوطان وخرجنا اليك بالاهل والولدان فقطعنا وطاينا وعاقدنا الاقارب ورفضنا الحبائب كل ذلك اذ سعدنا الله بك وبمحبتنا لك وزجر أبى زجرا حتى وفد عليك (فلما) أن رجع من عندك أظهر الله له ما طلبه من الآيات وأعطاه نورا أضاءت به الظلمات والشعاب والاكمات فلم يزد ذلك للقوم الا تمردا وخلافا وخبالا وزرع لنا ذلك فى قلوبهم بغضة واضغانا فارتحلنا من الحاضر اليك يارسول الله فابعدنا عن الديار حتى لحقوابنا القوم اللئام يريدون هتكنا وفضيحتنا فنصرنا الله عليهم وأظفرنا بهم وقد هموا وأحدقوا بنا كسواد العين ببياضها فلو رأت عينك يارسول الله بكاء الصبيان وصراخ النسوان لاقلقك حالنا وأحزنك أمرنا ثم انى أشكو اليك يارسول الله ما أصابنى من فراق زوجتى وهى رغلة بنت عمر بن حمامة وقد بذل فيها أبى من الاموال ما لم يبذل أحد من العرب قبله ولا أظنه

يتطاول اليه أحد بعده (فلما) تحقق عنده ميلى اليك وايمانى بك وبربك منعنى منها وأحبها عنى وأنا يارسول الله مشغوف بها وبحبها وأخشى ان يتزايد على الامر فاموت كمدا وحسرة على الاماء والولدان والنساء والصبيان كل قد كرهونا بعد محبتهم لنا كل ذلك ليميلنا اليك ودخولنا فى دينك وما كبر علينا ذلك بل غاية مرادنا الوصول اليك ونكون فى ظلك وتحت كنفك وننظر الى هذه الغرة الزاهرة مساء وصباحا وانى تركت أبى كالذاهل الحيران وقد ضاقت عليه المذاهب وسدت عليه المسالك فهو لا يدرى أين يتوجه يمينا وشمالا بل أحدقوا به بالكظم وأحاط به الغم ولولا مساعدة صفوان بن عنبسة واعانته لنا لكنا من الهالكين لانه بذل دونا روحه وترك أهله وولده وقطع أقاربه وعشيرته فى حق أبى والحق بنا وهو كان على المشركين أكثر ذاية وأشر بلية ثم ان عامرا جعل يقول

يا ابن الأهلة والتيجان من مضر ● ومن له شرف عال على البشر
أنت المجير لمن حق المجير له ● وأنت سيد أهل البدو والحضر
فالمجير سواك اليوم ينقذنا ● مما نجل لنا من سورة النكر
أغث الأرامل والأيتام انهم ● قد مسهم وجل من عصبة الكفر
يقلن لى عند ما عزمت مرتحلا ● والدمع منهم على الخدين كالمطر
صف (لمحمد) عنا ما نجل لنا ● عساه ينقذنا من خيفة العسر
كن لليتيم وكن للطفيل انهم ● كالفرخ لم ينعس يوما ولم يطر
أن المعذب قد أضحى على وجل ● نحيف جسم وفى الأحشاء كالجمر
مولاه قلبه من حب جارية ● كان لمعتها من لمعة القمر
ان لم يغثه رسول الله فى عجل ● فالحب يرميه فى رمس وفى حفر

(قال) فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تغرغرت عيناه بالدموع فاقبل على عامر وقال أخبرنى عن صفوان بن عنبسة أهو على طريق دوس وشركها أو هو رجع الى الله وانتقل عما كان عليه قال عامر بأبى أنت وأمى يارسول الله هو على ما كان عليه الا انه مقارب ومساعد لنا وميله لك يارسول الله وان ذكرت بين يديه وصفك بما اتصل به من أخبارك صلى الله عليك وما انتهى اليه من آثارك وأنا أرجو أن يكون منا وعلى ديننا ولولاه لهلكنا ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله وهو قابض على يد عامر وعلى بين يديه وعمر بن الخطاب من ورائه وجلسوا فلما اطمأنوا قدم له قعب من لبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سقى عامر بن الطفيل وعمر وعلى قال عامر بن الطفيل فتأملت العقب فاذا هو لم ينقص منه شئ ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا عمر امض فأتنا بأبى بكر الصديق وزيد بن حارثة وسعيد بن زيد ومن قدرت عليه من المؤمنين حتى نشاورهم فى هذا الأمر يعنى أمر عامر بن الطفيل (قال) فاسرع لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لعلى امض الى عمك حمزة والعباس وأخيه عقيل وأخيه طالب ومن قدرت عليه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب (قال) فاسرع لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى مع ابن الطفيل يسأله عن أمره وما يجده من زوجته وأنشد شعره وما قال فيها من الأشعار الى أن تزايد الأمر فبكى عامر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقلل من بكائك يا عامر فيجعل الله من أمرك فرجا ومخرجا وسيجمع الله بيننا على ملة الاسلام الا أنه يجهدك يا عامر جهدا كثيرا وليكون لك أمرا يتحدث به العرب (قال) فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك اذ أقبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع من أرسل الله وأقبل على رضى الله عنه مع عمومته وأقاربه وعشيرته من بنى هاشم قال فأخذ رسول الله صلى الله عليه

وسلم اللبن وشرب منه وأداره عن يمينه وجعل القوم يشربون واحدا بعد واحد الى أن رجع القعب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينقص منه الا اليسير (فقال) عامر بن الطفيل يارسول الله لو منننت على بهذا القعب فان قومي فى حصار وقد شملهم الاضرار فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياعامر انما هو آية من آيات الله وبركة من بركة الله عز وجل (قال) ثم أقبل على أصحابه وقال معاشر الناس قد عرفتم مكان الطفيل وشرفه ورياسته فى قومه وهو سيد عشيرته وقد صار لكم مؤاخيا ولله ورسوله مدانيا وقد كان منه بعد خروجه عنكم ما كان من الأمر العظيم أمور جلة وأحاديث جسيمة وهذا ولده يخبركم بمانالهم وماطرقهم ثم أقبل على عامر بن الطفيل وقال حدث اخوانك المؤمنين بمانزل بكم من الكفرة فجعل عامر يحدث المسلمين بمانالهم من التشتيت والطرد والعناد والكيد ومادخل على النسوان من الفجعة والخروج عن الأوطان واتباع القوم لهم من مكان الى مكان الى أن أفاضت عينا الصحابة بالدموع من حديثه وارتفعت الضجة بالبكاء (فلما) فرغ من حديثه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترون من الرأى قد لزمنا معاونتهم وما الى ذلك من سبيل ولا يحسن بنا أن نسلمهم الى أعدائهم والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه فما الذى عندكم فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله نرى من الرأى أن نسير اليهم ونبذل فيهم السيف ونسير الى حاضرهم ونكسر صفهم ونخمد أنفاسهم فمن أراد المقام على الاسلام تركناه ومن أبى أهلكناه ثم أقررنا الطفيل فى حاضره حتى يعود الى ما كان من سدده فشكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال هل من قائل هل من مشير فقام على رضى الله عنه وهو يومئذ أصغر الحاضرين سنا فقال يارسول الله ما أرى من الرأى الا أن نبعث اليهم باناس من أصحابك منذرين من سطوتك محذرين من نقمتك فان أطلعوا لك عن الطفيل وماله وأهله وولده يخفف عنهم الى أن يقضى الله من أمرك ماهو قاض فشكر النبى صلى الله عليه وسلم قوله ثم قال هل من قائل هل من مشير فقال حمزة رضى الله عنه يارسول الله ليس من حرب الحروب كمن لم يجربها وانك قد أمسيت فى ضعف من أصحابك وقلة من قومك ومن كان معهم فأكثرهم فى بلاد الحبشة وهم آمنون فى جوار النجاشى ولم يبق معك الا هذه العصابة التى هى محدقة بك فان أنت خرجت بهم لم نأمن سفهاء مكة على أهلنا ونسواننا وأموالنا لانه ليس بالحرم الامن هو عدو لك ولنا من بعدك وهم راجون هلاكنا وهلاك لما دعوتهم اليه وحسد الما خصك الله به وان خرجنا وتركناك كان ذلك أكثر هلعا وأشد جزعا ومانأمن عليك ان يصل العدو اليك وسيبلغوا بك ما كانوا يؤملون معنا ونحن واثقين بمن أرسلك انه يكلؤك ويرعاك وينصرك على أعدائك ومانرى فينا كفاء لمعاديك لان دوس جمع كبير ومانرى لك من الرأى أن ترمى بنفسك وقومك فى أمر يخشى عقابه ويحزن آخره فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له الله أنت ياعم فما كان أكرارى وتزايد مشورتى الا لما ذكرت والفكرة فى هذه العواقب وتزائد المصائب فكيف الحيلة عندكم فى هذا الأمر فأمسك الناس عن الكلام وقد ألجمهم حمزة عن القول فجعل بعضهم ينظر الى بعض (فقال) أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله أنك شاورتنا لتنظر ما عندنا وقد رددنا ذلك أمرنا وأعلمناك بما عندنا وبعد هذا فنحن بين يديك فذلك الأمر ومنا الطاعة صلى الله عليك وسلم (قال) فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمه العباس فجلس بازاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أذنيه فيما بينه وبينه سرا طويلا ثم أقبل على عامر بن الطفيل فقال ياعامر طب نفسا وقر عينا فلستا تركناك فى نصرتك ونصرة أبيك وقد شاورت عمى العباس فى أمر أرجو فيه اقالة عثرتكم وكشف كربتكم وبلوغ مسرتكم وقد أجابنى لما دعوت اليه من مشاورتكم من غير أن نبعث أحدا

من المؤمنين وهى فرحة لك وأرجو أن يكون ذلك توفيقا من الله عز وجل ثم قال معاشر الناس انصرفوا رحمكم الله مشكورين غير مذمومين فسيعلى الله ملتكم ويكثر جمعتكم وينصركم على عدوكم حتى لا تكون يدا على أيديكم وماذلك على الله بعزيز (قال) فانصرف القوم ولم يعلم أحد منهم بما أسر عمه العباس ولا ماوعده اليه ولم تكن له عادة يخفى منهم شيأ وثانية مما وعد به عامر بن الطفيل من كشف ما تجللهن من غير بعث يبعثه ولا أحد يسير معه فقال بعضهم لبعض أتدرون ماذا أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل قد انقطع عن الكلام ولم يعلم أحد ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا الى منازلهم وقد طالت عليهم الليلة انتظارا لآخرها لينظروا برهان ماوعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق عنده غير عمه حمزة وعلى والعباس رضى الله عنهم أجمعين (فقال) لعمه حمزة خذ اليك عامر بن الطفيل وليكن الليلة فى ضيافتك وتحت كنفك وليبت عندك مسرورا فاذا كان فى غداة غد فأت به الى لأنظر أمره. فقال يا ابن أخى ما الذى تشاورت به أنت وأخى العباس فى أمره لأنظر ماهو فقال النبى صلى الله عليه وسلم فى غداة غد ان شاء الله تعالى يظهر لك البرهان فقام حمزة وهو يتبسم وقال يا ابن أخى أخشى أن يعقب المسلمون منى غما (قال) النبى صلى الله عليه وسلم حسبك عن ذلك ياعم ولا سيما وقد أنا لست أظهر لك فى وقتى هذا شيأ قال رضيت بأمر الله وأمرك يارسول الله ثم قام فقال لعامر قم فأنت السيد الأولى والمعظم الأوفى فقال عامر ان رسول الله أخبرنى بما لقيت عند دخول مكة ثم حدثه ماكان منه مع مراد بن جماهر ومن خرج من الخيل وكيف تفرقوا عنه فقال يارسول الله وان أبى قد حذرنى من أهل مكة الا من كان على مثلك وانى أخشى منهم ان يطرقوا بى بطارقة ومايعظم على قتلى كما يعظم على تطاول قومى اليك وانتظارهم اياك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماصفة الرجل الذى دهمك فقال عامر قليل اللحية ضخم المناكب طويل السواعد أسمر اللون فى أحد عينيه حمرة (فلما) سمع ذلك حمزة من عامر قال هو مراد بن جماهر لامحالة وهو لعمرى معدن الشر ونهاية الخدع والمكر قال العباس صدقت يا ابن أبى وما كذبت هو مراد بن جماهر لاشك فيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم امض مع عمى حمزة صاحبك فانك فى حرز منيع لا تصل اليك يد الأعداء. ولو دهمك أهل مكة جميعا ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمه حمزة ياعم ان لهذا الغلام فى هذا الشعاب أعداء جثم كجثمان الأسد الى فريستهم فاحذر غائلتهم ووثبتهم قال حمزة يا ابن أخى قد علم القوم مكانى ولو وجدونى نائما ما أيقظونى ولو أرادوا فى سوء لوجدونى كفؤا لهم وأرجو أن يكون عامر اطريقا لكشف القناع وبسط الباع وقد امتلأت الصدور وضاقت وعيل الصبر وأزف الوقت فشكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله وخرج حمزة وسيفه بيده وقام عامر بين يديه وخرج معه على رضى الله عنه الى أن وصل منزل عمه حمزة ووطأ له مقعدا فقدم له موزا كان أهدى اليه من الطائف وجلس يحدثه فلم يزالا كذلك الى أن هجم النوام فانصرف حمزة الى داخل حجرته وترك عامر فى عرصة الدار وهو لا يخطر على وهمه أن أحدا يتطاول اليه أو يطرقه فى داره (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله وكان مراد بن جماهر الملعون لما فاته ماكان أجمع عليه من قتل عامر وفاته ذلك وحصل فى ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن نظر اليه مع حمزة والسيف فى يد حمزة وعلى معهما فولى اللعين هاربا فاقبل الى صباح بن حزام (فقال) له صباح ما الذى طرقك وما الذى جاء بك فلقاما ستعجلا فى مثل هذا اليوم قال مراد هو سر فقال ما سرك فقال نحب أن يكون الستور دونه مسدولة والابواب مقفولة فقال له ولا سوء عليك فقال له مهلا حتى أدخل فأمره بالدخول فجلس فى قعصة هنالك فقال ماهاهنا من يدفع عنك ضرا ولا من جنبته سوأ قال لا قال فأقبل مراد (فقال) ياصباح اخبرنى كيف نسيت قتل أخيك وماتزل به من أعدائك قال

لا وأيم الله ما نسيت شيأ من ذلك وان لباس الحزن لم يزل الى الآن على النسوان والخدود مفرحة من البكاء من النظر ايتم الولدان ومن حين فارقته لم يهنأ لى عيش ولا قرار ولا مسست طيبا ولا ذقت شرابا ولا مهدلى وطئ ولا نمت الى قرب النساء وان حزنى كل يوم يتجدد وناري فى القلب تتقد قال مراد ان عامر بن الطفيل قد خرج من عند (محمد) وأنزل على عمه حمزة وحيدا فريدا فما يمنعك أن تهجم عليه فى الدجى فى أناس من عشيرتك وابطال من قبيلتك فتأتى عليه ولا يعلم بك أحدا فان وقعت تهمة فعلى غيرك من أعداء (محمد) قال صباح يا مراد أخشى من صولة بنى هاشم وسيوف بنى عبد المطلب قال وما أنت وذاك أخرج فى خمسة أو ستة حتى تأتى منزل حمزة تحت الدجى ولا يعلم أحد بذلك فاهجم عليه فاذا قتلته فاخف مكانك قال له صباح هل أنت معتزل عن هذا الأمر أم لا قال لا بل أنا فى باديته وآخره فانظر لنا ثالثا وها أنا منتظرك اليك فأسرع ما قدرت (قال) فخرج صباح من وقته ذلك حتى أتى اللعين أبا جهل وقال فى نفسه ما نقصد الا هو (لمحمد) معاندا وله شانئا فلما وصل اليه قرع الباب فطلع من أعلى داره اليه وقال من أنت فقال صباح بن حزام قال فنزل اليه مسرعا وقال أهلا ومرحبا ما الذى أتى بك قال له انه قد كان ما كان عزمنا ان نأخذ بثارنا منه بالأمس وهو عامر بن الطفيل والآن قد وصلت اليه وبلغنا منه مرادنا وانه قد خرج الليلة من منزل محمد الى منزل حمزة ولقد عزمت الليلة على قتله فهل عندك غضب بعشيرتك وبنى عمك فأطرق اللعين أبو جهل برأسه الى الأرض مليا ثم قال له ان أمل استنقاذ الطير من مخلب الباز أمل بعيد وان حمزة ممن قد عرفته وخبرت شأنه فان كبر الأمر ووقع الصوت وخرجت ليوث بنى هاشم وعملت الصوارم فى الجماجم فلم أجد صبرا على قتال حمزة والعباس وطالب وعقيل وعلى (قال) صباح انا نطلب قتله تحت الدجى فنقتله وننكر مكانه قال اللعين أبو جهل لقد رأيت رأيا ضعيفا وعقلا وهنا لا تجد عندى ما طلبت ولا أنا مساعد لما ذكرت فاطلب لهذا الأمر غيرى (قال) فتحرك ومضى الى عقبة بن أبى معيط فوجده فى مرقده عند أباعره وخيله وحوله العبيد فصرخ عليهم فتواثبوا اليه قياما وقد راعهم ذلك فقالوا له ما شأنك (قال) أين عقبة قالوا هو أمامك نائم فقال ايقظوه لى فانى أتيته مستعجلا فى أمر لا أتكل فيه على غيره قال فأيقظوه له وانعزل به صباح فقال له انك لنا لانذ وصاحب حتف والكافى فى كل ملمة والدافع لكل عظيمة وقد علمت ما رميت به من العار والشنار فى جميع الأقطار وكل يعايرنى بقتل أخى نضلة اذا لم أطلب له ثار ولقد كنت اذا رمت ذلك يبعد على والآن أمكنتنى منه الفرصة الا انى رمت عدة أتعلق بها ومحجة أسلكها فلم أجد عدة أوثق من عدتك ولا محجة أوضح من محجتك فان رأيت أن تكون لى عونا على هذا الأمر فعلت (قال) عقبة اكشف لى على حقيقته قال هذا عامر بن الطفيل قد نزل بفناء حمزة منفردا بنفسه فى حجرة الأضياف ليس معه أحد فان رأيت أن تكون معينا لى على قتله وازالة العار عنى فافعل (فلما) سمع عقبة ذلك تبسم وقال ان لنا زمانا نطلب تغوير هذا الماء فلم نصل اليه واذا كنا نصول ونطول على الأعداء برجلين لم يكن فى الحرم أشد منهما وقد صارا فى حزب (محمد) أحدهما عمر بن الخطاب والآخر حمزة بن عبد المطلب وقد علمت ما بيننا وبين بنى هاشم من النوائب لأجل (محمد) وأبذ لنا المال الجزيل عليه وقد علمت أننا مشينا قبل أبى طالب ليسلمه الينا فبسط الينا لسانه ووعدنا بامور تكون فى (محمد) وكنا نتمنى موت أبى طالب مساء وصباحا وقد كان لعمرى مصباحنا الانور وقمرنا الازهر فلما مات قلنا قد وصلنا الى محمد بما نريد فعاضده حمزة وكبر ذلك الغلام على بن ابى طالب وترعرع وانتقم وأرعش وقد هابته الابطال من صغره فكيف عند كبره ومن ذا كرلك صباح انه بايع نفسه فى مرضاة غيره انه لكذوب فانى وأيم الله لأعارضن بنى هاشم وبنى عبد المطلب بسوء لأنى أعلم أنه راجع الى وواصل لدى ولقد أنشدنى لبيب بن ربيعة حيث

يقول العقل ثوب ملبج يزين لابسه • فمن تدرع لم يؤت من عطب
من باق مهجته عمد الطالبها • فذاك متلفها من غير ماسبب
وكل شئ من الدنيا له عوض • من غيرها فاصرف الامثال بالكذب

(قال) فلما سمع ذلك من مقالته تركه وولى كالمغضب وهو يقول ما أراني أقصد الا كل هلع جزع دعني أقصد رجلا لم يبق لي غيره فان أجابني والا كنت في الامر بنفسي كائن من كان ثم أقبل الى النضر بن الحارث وكان من أعدى الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان وفد على كسرى وأقام عنده وبذل ماله الى أن تعلم صوت العود فقدم مكة فعلم أهل مكة وفيه نزلت هذه الآية قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم الآية فاقبل الصباح بن حزام فذكر له من أمر عامر بن الطفيل ماذكره لصاحبه وقال انك أول من يتبعني على هذا الامر لما بيني وبينك من الخلة القديمة فقال له النضر بن الحارث قد علمت اني أنفقت مالي وما ملكت يميني في تلف (محمد) وقد سألت بعض العلماء على (محمد) فأخرج لي صفته ونعته ونهاني عن التعرض اليه وقال لي انك ان سالمته كانت الخيرة لك وان أبيت كان عيب ذلك راجع اليك وقال لي ان (محمد) سيعلوا أمره ويكثر جنده وتشتد شوكته وتكثر عصبته ويملك الأقطار وتتابعه الأخيار فيقتل بسم الاسرار ويزيل الأصنام وينكس الأوثان فالق عن قلبك ذكره أصلح لك فلا يزال المرء تحت العوافي الى أن يتعرض (لمحمد) بشر فيرجع بعد طول الغيبة بالاياس والخيبة واخش عاقبته وماذكر لي عنه وما ألقى الى من أمره وقد اعتز بعمومته وبني عمه وأقاربه ولو وجدت لبابك طريقا لفقته ووصلا لصحته وأنا أشوق الناس الى قتله (قال) فلما سمع صباح ذلك منه قال ما كنت أظن الا أنك ناصري اذا أوعرتني المذاهب واشتدت على المطالب فان أبيت فاني أكابد هذا الأمر بنفسي وأنفرد له وحدي مع أنه قد أجابني الى ذلك من هو في الشدة والرخاء وبذل روحه وماله (قال) له النضر بن الحارث ومن هو ذلك قال مراد بن جماهر فضحك النضر وقال ذلك زال عقله وكثر جهله فلا يدري أمامه من خلفه فان رمت هذا الأمر بنفسك فلا تلحقه وان عزمت فقدم وصيتك الى أهلك فانها طريق مهلكة لم ينج منها أحد (قال) فلما سمع ذلك من مقالته تركه وعاد الى منزله فصادف مراد بن جماهر هنالك لم يبرح من مكانه فلما رآه قال ما وراءك يا صباح قال ما وجدت الا كل ضنين بروحه شحيح بنفسه جزع هلع من بني هاشم وبني عبد المطلب فرجعت خائبا مما أملت وآيسا مما رجوت (قال) مراد فما الذي عزمت عليه قال عزمت على أن ألقى الأمر بمهجتي ولا أبالي مما نزل بي فان كنت مساعدا على هذا الأمر العظيم فلم تزل عضدا لنا وان كرهت ما كرهوه لم ألزمك الى ذلك لانك قد بلغت وأنذرت قال مراد يقبح لي أن أقطع أمر ادونهم وانما أردت أن أكون معهم في هذا الأمر سواء وفي الهجمة تحت الدجى اكفاء فان طلبنا مطالب بدية عامر بن الطفيل تحملناها بيننا وهان ذلك علينا واما أن أقطع أمر ادونهم فلا أقدر وقد علموا اني أول من أسرع لهذا الأمر ودعي اليه وقد بصرني عامر بن الطفيل وعرفني ولا شك انه لصاحبه (محمد) قد وصفني فتى قتل كانت التهمة لي قديمة وعلي راجعة فان شئت فانفرد لهذا الأمر بنفسك فان وصلت اليه فهو الذي تريد وان كانت الأخرى فأنا أدبر لك أمرا يوصلك اليه فان عجزت يدك عنه فأنا الملتهم دون كل أحد ثم ترك مرادا وانصرف عنه وقد تزايد الأمر على صباح بن حزام وتجددت له الأشجان والاحزان وسمع نحيب النسوان فلم يستطع صبرا دون أن قام من وقته وأفرغ عليه الدرع وظاهر من فوقه بثوب ومكن البيضة من رأسه وسترها بعمامة وأخذ خنجره وودع أهله وقال اني ماض الى جبل صعد فان وصلت اليه فهي ارادتي وان قطع بي الأمل وهلكت فاطلبوا بني هاشم بديتي وحاكموهم في المواسم وأظهروا الفجعة والصراخ

عند فقدى فى الأودية والشعاب قبل أن تصيروا الى منزل حمزة بن عبد المطلب لئلا ينكروا فان وجدتموني هناك فثوروا الى الأبطح واستصرخوا قريشا جميعا وقولوا ان حمزة اغتالنى وقتلنى فان أسلموه اليه فاقتلوه قبل الصباح فذلك الذى تريدون (قال) فتعلق به النسوان وسألوه الامساك عما عزم عليه فأبى وخرج من عندهن وقد مضى من الليل نصفه وجعل يتخلل الشعاب ويختفى مرة ويظهر أخرى اذ لقيه حكيم بن حزام فقال أين بك يا بارز بن فى مثل هذا الوقت فقال الى الكعبة قصدت واليها خرجت فتأمله حكيم وهو طائش مذعور فقال له ما هذا مرادك وما لهذا خرجت وهذا وقت ما رأيتك فيه قبل ذلك (قال) صباح اعترانى الارق واشتد بى القلق منذ فارقت ابن أبى وأمى فأنا هائم لا تأوينى الأوطان ولا تحجبنى الجدران وأجدنى فى التفرد فرجا فقال حكيم وقد وصل اليه لأن لك أمرا الا أقف عليه وضرب بيده الى عضده فاحس بحوسقته تحت أثوابه فانكر ذلك حكيم ومضى وتركه وكان حكيم بن حزام فيه ميل الى بنى هاشم لما كانت عمته خديجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ممن أعان بنى هاشم وقت حصار الشعب (قال) فلما رأى ذلك من صباح ولبس الجوسق من تحت أثوابه وكان يعرف بغضه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما عزم صباح الليلة الا على بلية يوقعها بمكة فمالى لا أسبق بالنصيحة الى (محمد) صلى الله عليه وسلم ولا آمن أن يكون يطلبه أو يطلب بعض أصحابه قال ثم أسرع من وقته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وخفى صباح أيضا من جنبته فاقبل يسرع فى خطاه ويهرول فى مشيه الى أن وصل الى منزل حمزة فجعل يكابد الباب الى أن فتح أغلاق الباب ثم دخل مسرعا ومد بصره واذا بعامر بن الطفيل راقدا منفردا بنفسه ليس معه ثان فسر بذلك سرورا شديدا فألقى عنه عباءة كان ملتحفا بها ثم استخرج خنجرا ودخل طائشا الى أن وصل اليه وهو نائم فأشار بالخنجر وهم أن يضربه اذ سمع حس حمزة وقد خرج من عند النسوان عاريا مهرولا وبيده سيفه يهزه وهو يزأر كالاسد فارتجف صباح لذلك اذ سمع من ورائه حسا فالتفت اليه واذا به العباس بن عبد المطلب وطالب ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد قشع نوره الظلام كبدر أبرق من غمام (فلما) نظر صباح الى ما قد دهمه من بين يديه ومن خلفه أمسك عن الكلام والجواب وانسدل الى بعض الجدران فسبق اليه حمزة من جنبى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما) نظر صباح الى ما قد دهمه انهدت قوته وسقط الى الأرض فى دهشته وغشيه حمزة بالسيف وصاح به أبيت يا عدو الله الا أن تلحق بأخيك الى النار فاستيقظ عامر بن الطفيل عند صوت حمزة واذا بريق السيوف تلمع فى الظلام وحمزة عاريا والسيف بيده يلمع وأخوه العباس له صاحبة وهدير وعلى ابن أبى طالب له همسة وقعقعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محتزم ببردته (فلما) نظر عامر الى ذلك جعل يعرك عينيه ويقول أحلام هذا أم يقظة وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمه مهلا لا تقتله بسيفك الى أن نكشف أمره فسكت حمزة سيفه عنه (قال) فلما سمع عامر ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وثب قائما وقال بك الملاذ يا رسول الله ما انفكت منذ أسلمت ولا استبدلت بالاسلام دينا وانى لمتمسك حقيقا فيما استوجبت أن يقتلنى عمك بسيفه يا رسول الله وبما يرميني من حتفه وانى صدقت برسالتك وآمنت بما جئت به من عند ربك وعرفت ما عرفتنى وليس من شأنك ولا من أخلاقك أن تقتل من لاذ بك ولا من وفد عليك واستجار بك لتكشف عنه كربته وتزيل ترحته فابق على فانى سند النسوان وحصنا للعجائز والولدان ولا سيما ان كان الشيخ قد سفكت دمه فمن بعده لليائسات وبالذل ملتحفات فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وقال مهلا يا عامر لا تخف انا جئنا اليك لنستنقذك ونأخذ بثارك ممن أراد قتلك الليلة ألا ترى غير عمك ومدانيك قال فنظر عامر الى صباح بن حزام قائما فى مرعته فقال يا رسول الله ومن هذا قال هذا صباح أخو نضلة

الذى قتله أبوك فأتاك الليلة متهجما عليك يطلب قتلك بقتل أخيه فمنعه الله ما أراد وكان من ورائه بالمرصاد ونحن ان لم نكن أدركناك فى هذه الليلة لقتلك فخر عامر ساجدا لله تعالى لما نجاه من الشدائد ثم اخترط سيفه وقال يا رسول الله مرنى بقتله فأعلوه بسيفى هذا وألحقه باخيه (فقال عليه) السلام مهلا يا عامر حتى تنظر ما يكون أعجب من ذلك وليكونن لنا مع قريش فى غداة غد مشهدا عظيما ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة فقال يا عم أما أنا فان حكيم بن حزام أتانى فاخبرنى بهذا اللعين انه رآه مجد تحت الدجى وانه لامسه فرأى عليه الدرع فعلم انه قصد لقتالنا ليأخذ بثار أخيه منا وأنت يا عم فمن أخبرك بأمره حتى تداركت اليه وقت شدته (قال) حمزة يا ابن أخى بينما أنا نائم رأيت انه أتانى آت فقبض على وهزنى هزة ارتعدت لها ثم جعل يقول

بادر الى ضيفك واسرع عاجلا • قبل الفناء وباعدن مهلا
هذا العدو معه قد حصلا • ان لم تدركه سريعا قتلا

(فلما) سمعت ذلك لم أطق صبرا دون أن أخذت ازارى واخترطت سيفى وأشهرته بيدى فصادفت عدو الله وقد وصل اليه وهجم عليه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وقال يا عم أتعرف الزاجر قال لا وأيم الله يا ابن أخى وما أظنه الا كان من الملائكة قال يا عم ان الملائكة لا تقول الشعر ولكنه من مؤمنى الجن ممن صدق بى حين رجعت من الطائف فسر حمزة بقوله وقال زادك الله شرفا وفضلا يا ابن أخى فقال على يا رسول الله فما يوقفنا عن عدو الله قبل أن نقع الصرخة بمكة ولا بد منها فما أظن عدو الله يريد غير المكر لا بلغه الله ما أمله ثم دنى من عدو الله صباح فاذا هو كالخشبة الملقاة فقال حمزة لعلى حله يا ابن أخى من يديه فاطلقه فسقط كموتته الأولى فلمسه حمزة فاذا هو قد هلك من الخوف فقال هلك والذى بعثك بالحق وعجل الله بروحه الى النار فمازرى من أمره ثم ان حمزة فتشه فاذا عليه الدرع ثم ستره بأطماره والخنجر فى يديه وقد شدت يداه وأنامله عليه واذا عدو الله قد قبض على خنجره وقال

اذا لم أقتل بقتلة نضلة • سقيت بكاس مسبرا بعجلة

(قال حمزة) قد بلغت ووصلت يا عدو الله الى ما طلبت ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى لنا من الرأى أن نصنع بهذا اللعين أنحفره فى منازلنا أو نحمله تحت الدجى الى أسفل مكة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اتركه يا عم فى مكانه وغطه بعمامته فليكونن لنا فى غداة غد مشهد عظيم (قال) ففعل حمزة ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسوا يتحدثون فى أمره وما هم به فى ليلته فقال عامر بن الطفيل يا رسول الله أتأذن لى أن أسير قبل الصباح للرجعة الى أهلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ولم ذلك فقال انى فيما أرجوه رجل عافصه الذئب فكادحه الى أن أفلت منه فاذا دنى منه صادفه الاسد فنسى ما كان فى بادية أمره مع الذئب اذ جاءه أعظم منه وكذلك حديثى كنت مع أبى فيما نالنى فيه (فلما) أحدقت بنا الاعداء أهويت اليك أؤمل فرجا وما أظن الا انى سقت لنفسى الهلاك وسمعتك تقول يكون لك فى غداة غد مع القوم مشهد عظيم فان رأيت أن تطلق لى السبيل لاكون فى عزل عن ذلك المشهود وما جزعى على نفسى وانما جزعى على أهلى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اصبر ترى ما يسرك وما تخرج الا نهارا على رؤسهم جهارا ثم لا تعد الى أهلك الا بفرحك واجتماعك مع قرابتك (قال) فتهلل وجه عامر ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لطالب ابن أبى طالب وعلى يأمره باحضار بنى عبد مناف ويأمرهم بالمسير اليه فذهب على وأخاه يسرعان لما أمر هما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول من وصل اليه عمر بن الخطاب وأبو بكر بعده وقد أدركه القوم الاول فالاول فاقبلت بنو هاشم ممن تابع (محمد) صلى الله عليه وسلم غضبا لابن اخيهم الى ان تكاملوا وامتلأت منهم الدار فلما تكامل القوم لم يبق من الليل الا القليل فقال على رضى الله عنه بينما أنت مع صحابتك وعشيرتك وذويك قد

تكاملوا من حولك فقل ما عندك فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة وهى أول خطبة خطبها بمكة فكان مما قال (الحمد لله) نحمده ونستعين به فى التوكل عليه ونؤمن به ونفوض أمرنا اليه لانه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أنى عبده ورسوله أرسلنى بالقول الصادق والقرآن العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فبالغت اليكم وكنت أشفق عليكم من أنفسكم فمن تبعنى نجا ومن خالفنى ندم (ثم) قال صلى الله عليه وسلم معاشر الناس هذا صباح بن حزام وكشف لهم عن وجهه حتى عرفه الناس أجمعين قد أجمع الليلة أن يقتل بغتة من استظل بجوار عمى حمزة فاتانى الخبر فادركته وقد هم به وايقظ عمى زاجر فأدركناه فلما أبصرنا هذا اللعين مات هلعا وجزعا ولا بد من عشيرته وأقاربه ونسوانه أن يطلبوه ولا بد لقريش جمعا فى غداة غد من الارعاد والكلام والابراق وسينفرون لنا نفر الديار ويقضى الله أمرا كان مفعولا وانى لست ألزمكم ما تكرهون ولا أحملكم ما لا تطيقون فمن عاضدنى وساعدنى أشكر له ذلك ومن بخل بنفسه عنى فان لى ربا يساعدنى فان توكلى عليه ولا يضيع من اعتمد عليه وقد أخبرتكم لأنظر ما عندكم قبل الصباح وقد علم لى ان ابن الطفيل يطلب نصره على من عاداه من قومه وقد شاورت عمى العباس فى أمره فرأيت فى جوابه هلاك القوم ان شاء الله فما عندكم من القول فاذكروه فكان أول من تكلم من القوم عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فقال) يا رسول الله صلى الله عليك أما أصحابك ومن يلوذ بك فهم أبذل الناس لاموالهم وأرواحهم فى سبيلك يحفظون للقريب ولا يبغون على النسيب قد رفضوا الاهل والاولاد وبذلوا نفوسهم فى طاعتك الى أبد الآباد وأما قرابتك وعشيرتك وأدانيك فهم يسمعون كلامك (ثم) سكت عمر فقام العباس رضى الله عنه فقال أما بعد يا ابن الخطاب فان كنتم متتابعين ومعاضدين فأنا أولى الناس بنصرته وأسبق الى معونته نحفظ له حق القرابة ونرعى له حق الآباء وقد تشرفنا به شرفا زيادة على شرفنا وزادنا عزا الى عزنا ونحن أرباب الحرم وسادات الامم ومطعمى الاضياف فى القدم فان كنا نعظم قريشا لقدرها أو جوارها فتعظيمنا لابن أخينا أعظم ونحن بذلك أولى وعليه أقدم فان عادانا معاند بذلنا دونه أرواحنا ومن يموت منا ومنهم لأن عاره عارنا وجماله جمالنا وانا لنعلم أن كل من عانده يذل وكل من تطاول عليه يفل وسيظهر لكم ذلك عيانا ثم ان العباس جعل يقول

رفضنا الاقارب فى حقه ٭ وكنا له عصبة فى القدم
فلو عاداه ملوك الشام ٭ مع آل كسرى وجميع العجم
لصلنا عليهم بأسيافنا ٭ فعاداتنا هى ضرب الهمم
ومن يرضاه قد رضينا به ٭ ومن شناه يشنه الندم
فان قال لا يقولون لا ٭ وان قال أحدنعم فهم نعم

(قال) فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول عمه العباس فرحا وقال يا عم بلغنى الله وايالك الامل قال فتواثبت بنو هاشم كلا منهم يقول كقول العباس ونحوه ولم يكن من تخلف عنهم من أفاضل بنو هاشم الا أبا لهب فقال حمزة لأخيه العباس دعه اذا تبرأ عن حسبه وخرج من نسبه أبعده الله (قال) فلم يزل القوم فى المشاورة والحديث الى أن أشرف ضياء الفجر وانبلج ضوء الصباح واذا هم يسمعون ضجة النوادب وصراخ النسوان (فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فالق الاصباح ومرسل الرياح هبنا بركة هذا اليوم وانصرنا على القوم الكافرين الظالمين وأظهر الحق لأهله انك على كل شئ قدير (ثم) أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على من حوله من أهله وأقاربه وعمومته وأصحابه فقال قوموا بنا الى الكعبة فسيكون لنا لهم خطب عظيم فنهض القوم باجمعهم ونهض رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقال قبل خروجه لنسوان عمه حمزة اذا جاء الصراخ من النسوان يطلبن هذا الهالك صباح بن حزام فلا تمنعونهن من الدخول اليه ولا تتركوهن يحملنه وان سألتكن عنه فقلن هو صاحبكن صباح بن حزام ذلك الميت ولا علبكن من ذلك من شئ وتركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى الى الكعبة والناس من ورائه صفا واحدا وهو بين عمومته فما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عمه حمزة حتى وصلن النسوان الى الديار صارخات يلطمن على الخدود وقد فككن شعورهن وشققن جيوبهن (فلما) وصلوا النسوان هنالك أعلنوا بالصراخ على الباب ثم خفقن بالجنادل فخرجن اليهن نسوان حمزة فقلن لهن ما بالكن وما تطلبون قالت زوجته عائدة ذكرلي ان زوجي صباح عندكن فقلن لها صدق الذي ذكر لكن ذلك وهو عندنا غير منكرين ولا فزعين قالت فحي هو أم ميت فقلن لها بل هالك قد سلب روحه الى مالك خازن النار ومن حفر الشر قليلا وقع فيه ومن طلب مالم يوصل اليه كان حمامه معجل وانه طرق منزلنا وطرق ضيفنا تحت الدجى فرد بغيه اليه ومكره عليه فاهلكه الله من غير قاتل قتله ولا ضارب ضربه بل أخذه أخذ عزيز مقتدر وكذلك يفعل الله عز وجل بكل من سلك سبيله وطلب طريقه لانا نحن أولياء الله والمستولون على حرم الله فقالت زوجته وأين هو يعلى صباح فقالت لها هو بباب عبد المطلب فقمن لها الباب وقلن لها هو جديل ولكن ليس لكن اليه من سبيل الا أن يأمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) فهنالك عظم الصراخ وعلى الصياح وكثر الضجيج وخمش الوجوه وامتلأت مكة وشعابها بصراخ النسوان وعطفن من منزل حمزة متشائعات بالصياح والعويل حتى وصلن الى الكعبة وقد وقع الصوت بمكة (فلما) أشرفوا على الابطح وقد امتلأ بالناس فعند ما سمعوا ذلك انفضت المجالس وقام كل قاعد وجال الخطاب وارتفع الكلام فلما وصلن النسوان أشارت اليهن عائدة بالسكوت وأشارت الى قريش ونادت يا أهل الابطح والصفا وذوى الرفعة والثنا والعهد والوفا أترضون لنا بهذا الذل والاحتقار وما هذه مرة ولا مرار بالامس قتل محمد نضلة والليلة قتل حمزة أخاه صباح وها هو في دار حمزة جديل مضمخ بدمائه قتيل فأين عصمتكم لقومكم وحمايتكم على عشائركم وأين يقظتكم لاشرافكم فقد قتل شريفين عظيمين في أيام قلائل بلا ذنب أتياه ولا دم سفكاه فغفلتم عن ثارهما فلا زالت عنكم الذلة ولا فارقكم الهوان والقلة مع ان (محمدا) سيدرجكم ادراج الناقص اذا برز اليه الحب فاذا وصل غافصه وكذلك (محمد) كان يطلب الاوباش والآن قد صرف همته لقتال الاشراف والكبراء فايقنوا بالدمار ما عشتم في الديار أما انكم ان غفلتم عن ثارهما فقد رماكم الدهر بكلكله وطعنكم طعن الحصيد بسيفه مع ان رماحه قد بددت جنادل الصفا وملأت أكناف البطحا وكانت تقلع أباقبيس وحرى وجبل ثبير ومنى أف لكم من سادات استبدلوا بالسدد ذلا وعدموا عقولهم وطاشت حلومهم وهدموا عزهم (ثم) ان عائدة جعلت تقول واسيدها وصبيانها وأولادها (قال) فغار الابطح كفوران القدر على النار وارتفعت الاصوات وعلى الضجيج وماج الناس كموج السفينة في البحر وأخذتهم الحرقة وهم يحرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسط لسانه مراد بن جاهر لعنه الله ووجد ارادته وبلغ أمنيته وكان أشد القوم تحريضا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجابه أبو جهل وأبو هياب بن الهيثم وكانت قريش قد جعلت جعلا على قتل (محمد) صلى الله عليه وسلم وأكثر من حرض القوم أبا جهل وعقبة بن أبي معيط والعاصي بن وائل والوليد بن المغيرة وعقبة وشيبة وأمثالهم وقالوا لا نجاور (محمد) بعد هذا اليوم وكثرت الناس واختلفت بالاهوية وقال أبو جهل امايدفع لنا بنو هاشم (محمد) فنقتله أو نطرده من أرضنا فنكتفي مؤنته واما أن نكشف القناع ونعد الباع حتى نخوض في دمائنا ودمائهم فكم لحقنا من العار والشنار من أجل (محمد) ونحن نتحمل ذلك حياء من أبي

عتبة يعنى أبا لهب ولم يزالوا فى الابطح كذلك يومهم وأجمع القوم على الزحف على بنى هاشم باجمعهم ليفصلوا أمرهم معهم اما بصلح أو بحرب (فلما) رأى ذلك منهم أبو هياب بن الهيثم وكان محتالا خبيثا شجاعا أقبل على كبرائهم وسادتهم وقال يامعشر قريش اذا أنتم مضيتم الى بنى هاشم ماذا تقولون قالوا نقول ان (محمدا) قتل نضلة وأخاه قتل صباح قال أبو هياب ان التأمل فى الامور بلاغة المأمول والفكرة فى العواقب أصلح للعقول فاجمعوا على رأى تتبعونه وكلام تتفقون عليه وتحاكمون عليه بنو هاشم بشهادة ثابتة قاطعة تلزمهم بتسليم محمد اليكم وعامر بن الطفيل معه فان خطأكم ذلك فاطلبوا عمه حمزة معان (محمد) أحب الينا من حمزة وغيره لأنه أصل اللؤم وجرثومة الشر قال فما ترى لنا يا أبا هياب فما زالت تأتى بالصواب قال أما نضلة فقد علم قاتله فلا تطلب محمدا الآن به واطلبوا محمدا بصباح أخيه فان (محمد) لا ينكره لأنه فى دار عمه حمزة فاجمعوا كلمتكم ولا تشتبهوا فى قتله عن محمد وحمزة وقولوا انه خرج يريد قضاء حاجته وعباءته على عاتقه فمر على منزل حمزة فصادف محمدا خارجا من هناك فتعلق بصباح وصاح بعمه حمزة فأعانه عليه بجروه وسحبوه وأدخلوه الى الدار (ثم) لم تعلم ما كان منه وأثبتوا الشهادة رجالا منكم يقطعون وقد فعلت ذلك وكذلك حمزة ولا تخافون سطوته ولا تخشون مكانه والزموهم الشهادة لا يحولون عنها ثم تسيرون بجمعكم تطلبون المقتول من بنى هاشم فان فعلتم ذلك ودفع اليكم بنو هاشم محمدا بنضلة وحمزة بأخيه صباح فيكون عليكم أسعد الايام (فقال) أبو جهل ويلك يا أبا هياب انهم قوم لهم هياج وهم أرباب نظر وأخشى أن يدبروا أمرا يكون عقباه وبالا علينا وبلاء صائرا الينا فقال ان تهاونتم وتفاشلتم وتخاذلتم فهو لعمرى صائر اليكم لان هذا أمر كبير تضرب فيه الرقاب وتكثر فيه الاسباب فان لزمتموه ولم تحولوا عنه واجتمعت كلمتكم عليهم ولم تحل شهادتكم وتكلمتم عن لسان واحد وأجابتكم النسوان بالصراخ رجوتم أن يتم لكم ما تدعون وتصلون الى ما تطلبون فمن يكن معاضدا الى على الشهادة ومرافقا لى قال مراد بن جاهر لعنه الله أنا معك وناطق بشهادتك متابع لك فى مقالتك غير هلع ولا جزع قال له أبو هياب انك لكفؤ كريم لم تزل معاندا لمحمد من قديم فمن يكن الثالث قال الاسود بن عبد يغوث ها أنا ذا لك قاصد وللشهادة غير جاحد قال أبو هياب سيد مطاع وكريم دفاع فمن لنا رابعا قال الوليد ابن المغيرة أنا رابعكم وأنا ان شئتم أكون خطيبكم ولسانكم لبنى هاشم غير هالع ولا جازع قال أبو هياب لم تزل عنا صائلا وفى كل أمر ناهلا فمن يكن لنا خامسا قال الحارث بن قيس أنا خامسكم ومتابعكم فى قولكم قال أبو هياب حسبكم فلو أن أحدكم حين يطلق شهادته لمكانه منا فكيف وأنتم جماعة أشراف وعصبة كرام أسلاف فكونوا الآن متأخرين عن أصحابكم أجمعين واذا دعيتم الى الشهادة فانجزوا مسرعين وقولوا سمعنا قولك وأطعنا أمرك (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله قال اسلافنا الرواة لهذا الحديث هؤلاء الذين شهدوا الشهادة كانوا يستهزؤن برسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم نزل قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وكانوا اذا قدم أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم يردونه ويقولون له لا تمضى الى (محمد) ونحن نحمل وزرك ان كان صادقا فنزلت فيهم وليحملن أوزارهم الآية (قال) فلما اجتمع القوم على هذه الشهادة وانعقدت كلمتهم عليها قال أبو هياب من يكون الطالب لهذا المقتول والمخاطب لبنى هاشم ولمحمد ويكون من أولياء المقتول وعشيرته قال أبو جهل ما أنا بذلك خائف ولا وجل الا أنى أحب اليكم ان تكلمت أن تعينونى بالكلام وتتابعونى بالملام (قال) فصمت القوم عن آخرهم وقالوا نساعدك بالسنتنا وأيدينا وأسيافنا ومهما دعوتنا الى شئ فهو أقرب ممن ذكرت ولقد رضينا لو أن خرجنا من أموالنا وما ملكته أيدينا ونبلغ هذا الأمر الذى دبرت (قال) فنهض القوم من فورهم وقد وافق القوم على ذلك وقد اجتمعوا بفناء الكعبة فاطلقوا فى أوانهم اللعين أبو جهل ومن معه من عظماء

قريش واتبعهم القوم وقد تخلفوا من ورائهم وقصدوا يريدون الكعبة فالتقاهم أبو لهب فقال أبو جهل يا أباعتبة لا تلمنا بعد اليوم ولا يكبر عليك غضب هذه العصابة على اخوانك وأهلك فقد بلغ الأمر غايته وزاد فوق نهايته وقد غاب الصبر فلا صبر لنا بعد اليوم فانا كنا نحمل الامور العظام نخلتك وعزتك ومكانك والآن فقد لزم الامر أن لا يسعنا معه الصبر قال أبو لهب قد علمتم اني رجل منكم أحب ما تحبون وأكره ما تكرهون وقد تيقن صغيركم وكبيركم اني قد قطعت أقاربي وأحبابي وذوي رحمي واتبعت آثاركم فما الذي طرقكم قال أبو جهل لعنه الله يا أباعتبة بالامس قتل ابن أخيك نضلة ابن حزام وقد علمت أنه منا ونسبه لاحق بانسابنا والبارحة قتل أخاك حمزة أخاه صباح وها هو في منزل أخيك جديل فهل ترضى يا أباعتبة أن تاتي كل يوم بفقد مناسيد فان رضيت فنحن راضون وعلى المصائب صابرون (فقال) أبو لهب مازلت أغضب لغضبكم وأرضى لرضائكم حتى يكون أمركم الاعلى وأمر عدوكم الادنى أفتحسبون ان أكون لسانكم ومعاونكم على ابن أخي واخواني جميعا قال أبو جهل مالنا عنك غنى ولكن نؤخرك الى ما هو أعظم من هذا لا عدمنا طلعتك ولا غابت عنا غرتك فامض مصاحبا للسلامة قال فمضى أبو لهب وهم أول الناس شكرا له ومضت قريش الى الكعبة ولهم ضجيج وعجيج فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال لمن حوله من أقاربه وعشيرته قد أقبلت عليكم قريش بارعادها وابراقها ومن تبعها من عبيدها مضمرين لكم الشر يقدمهم فارسهم أبو جهل لعنه الله ليحاكمونا في أمر الهالك فلا حكم من اليوم بقضية سماوية تتعجب منها ملائكة الجبار (قال) حمزة رضي الله عنه وأيم الله يا ابن أخي ما خرج اليوم معك الا من هو أشرف من سل الحسام وضرب الهام من جميع اللئام فقد ضاقت الصدور وحملت مالا أطيق حمله فان طلبت قريش مكاشفتنا ومعاندتنا فتالله وأمنيتنا فلنعطين اليوم السيف حقه والرمح طعنه ونخوض بالرجال في الدماء ويفعل الله ما يشاء وقد رعينا لهم حق الجوار فما رعوه لنا وحفظناهم فلم يحفظوه لنا والآن اذا كان منهم فتح باب الشر فقد أردناه وطلبناه (قال) علي رضي الله عنه يا رسول الله تتركهم حتى يصلوا الينا ولا نلقاهم على بعد قبل أن يشرفوا علينا لئلا يقولوا اجزعنا منهم فان طلبوا طريق العوج أهوينا هم فيه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وقال مهلا يا علي فسترى ما يسرك ان شاء الله وهو حسبنا ونعم الوكيل فما استتم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه حتى أشرف عليه قريش باجمعهم يقدمهم أبو جهل الملعون ومن ورائهم العبيد والاماء فتأهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للقائهم وقال لا يزول أحدكم عن مكانه ولا يقوم قائم من مجلسه حتى أسمع كلامهم ثم أجيبهم عليه قالوا سمعا وطاعة (قال) فلما وصلوا أشار اليهم اللعين أبو جهل فأمسكوا عن الضجيج والعويل وجلس كل قائم وتطاولوا اليه بالنظر فبسط لسانه وقال يا بني هاشم يا بني أبينا وجيراننا لقد علمت الاقطار الأدنى والاعلى انا لم نزل لكم من القدم مطيعين والى شرفكم غير جاحدين ولا منكرين ونقدم اسلافكم لمهماتنا ونحكمكم في ملماتنا ونجعلكم قضاة العرب وحكام الأمم ولا ندع سلفكم ولا ننكر شأنكم وكنا نحن وأنتم شامة في العرب يقدم الينا الوافد من بلد بعيد وجبل سحيق وتم ابنا الملوك وتكابنا الاكابر حتى نشأ هذا الغلام وكان السبب لزوال عزنا واخماد شرفنا واطفاء جمرتنا والقاء العداوة بيننا وتشتيت الفتنا وباعد بين أسلافنا وابنائنا بتغليط كلامه وما يبديه من مراده فما كبر ذلك علينا فتركناه وما يريد اذا كان ذلك مراده فلما سمحنا له صار يطلب عنادنا وقتلنا ودعى من كنا نعول عليه فاجابه وصار من حزبه وعونا له على أمره فعظم الأمر وكثر الشر وهو أقرب منه الى النقصان وأخشى أن يكون السبب لزوالنا وزوال عزنا واذهاب شرفنا وانقطاع الزوار عن هذا البيت المعظم الى آخر الأبد وقد علمتم انه بالأمس قتل سيدا من ساداتنا وهو نضلة بن حزام وان

كان لم يقتله بسيفه فهو كان السبب لقتله فسامحناه وصبرنا على ما نزل به والليلة الماضية قتل أخاه صباح بغير ذنب أتى به بل مراعاة لعدم غضب الطفيل بن عامر وها هو في منزل عمه حمزة وموجود عندنا رجال سادات كرام لا يعرفون الكذب ولا يليق بهم شهادة الزور قالوا انهم رأوا محمدا وحمزة يسحبونه على وجهه الى أن أدخلاه الدار وغيباه عنهم وهذا لا نرضاه فان صبرنا على الاذى فلا صبر لنا على القتل وان تبرأتم من هذين القتيلين فانظروا من قتلهما فادفعوهما الينا عوضا فانا لا نقبل الدية ولا الفدية فاما أن تدفعوا الينا (محمد) وحمزة فنقتل (محمد) بقتلهما ولا يجيبكم الا ذلك ومن أجل أن يكون احساننا عليكم ظاهر نطلق حمزة ونهبه لكم لما سلف له علينا من المحبة ودفع المنكرات ونقتل (محمدا) بهذين القتيلين ونفعل به ما نريد فان أبيتم ذلك فلا شئ بعده غير كشف القناع وبسط الباع وقطع الحسب وانصرام النسب وشماتة القريب والبعيد (قال) فما تم آخر كلامه حتى وثب اليه علي رضي الله عنه وهو يومئذ حديث السن ولم يجد صبرا على ذلك الكلام وقد جرحه بكلامه وتهدده بلامه وقال أمسك عليك يا ابن اللئام عن مثل هذا الكلام فقد أشرفت على بحر كدر ونهر عكر تقع فيه غريق ولم تجد للنجاة طريق لا أبالك لقد تطاولت نفسك الى ما ليس لك يا هل اذ أقرنت نفسك يا هل الرئاسة والفضل والله لقد قتلنا أكابركم ولم يبق الا الأصاغر ولم يعدلوا بأنملة من أناملنا ولا شعرة من شعراتنا ثم ذكرت من زهت أنواره وعظم عند الله مقداره وبه نشر الحرم وهو سيد الامم من العرب والعجم وأنت يا عدو الله رميته بالخنا والشنار ونسبته الى النقصان والعار مع أنه من الاشراف وصاحب عدل وانصاف وان الذي ذكرت من أمر صاحبكم فهو أحقر وأذل فمن أين يمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وحمزة عمه أعظم همة من أن يهجم عليه وانما أراد قتل عامر بن الطفيل باخيه نضلة فاركس هاويا والقى ثاويا والرفق بكم والامهال عليكم قبل أن نطحنكم طحن الحصيد وما ذلك منكم ببعيد فان أظهرتم الشر تجبذونه اليكم تحت الصبر الى أن يطلق سبيلنا هذا الرسول المختار وأيم الله لو أطلق لي السبيل لضربت في أعراضكم عرضا ورضضتكم رضا وزلزلت أقدامكم وعجلت ارغامكم ومايكبر علينا جمعكم ومايكون ليثكم معكم الا كالراكب على النار فامسك عليك يا ابن اللئام فالضرب عادتنا والحرب شيمتنا فاشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجلوس فجلس فقال أبو جهل أيحمد أن يخاطبني هذا الغلام بهذا الكلام بحضرتكم وأنتم تشهدون (قال) فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قريش والى بنو هاشم بعد أن أنصت الجميع وقال الحمد لله الذي أرسلني بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وقد دعوتكم الى ما يجيبكم فيهديكم ولم أدعوكم الى شطط والى ما يرديكم ولا أردت على ذلك منكم رشوة ولا جزاء ولا شكورا الا ابتغاء وجه ربي الاعلى فمن أجابني قبلته ومن أبى ذلك تركته ولم ألزمكم ذلك والله يجزي المحسنين باحسانهم والمسيئين باساءتهم ولا زلت أدعوكم الى الله لعلكم تهتدون يا بني لؤي بن غالب زالت العوائق وظهرت الحقائق فان آمنتم بالله كان خيرا لكم وان أبيتم فما على الرسول الا البلاغ المبين وأما ما ذكرتم من قتل صاحبكم فهو لعمري في دار عمي حمزة قد أهلكه الله وأباده وحاشا لله أن أقول ما ليس لي بحق ولا أقتل أحدا بغير جناية سبقت منه الى فان كنتم جئتم تطلبون وتؤملون أن تصلوا الى قتلي بقتله فان الذي أملتموه بعيد وذكرتم أن عندكم شهودا يشهدون أنهم نظروني أنا وعمي حمزة نسحب صاحبكم الى الدار ودخلنا به فليس ذلك من شأني ولا من شأن عمي حمزة أن نتعرض الى سالك طريق أو عابر سبيل وانه لا يجوز أن يسمع قول مشرك على مسلم الا انه قد رضيت بما كتمتكم لي وعلي فان انصفت فانصفوني وان حدثت بالحق فالله ولي الحق يا معشر قريش من يشهد لكم (قال) أبو جهل الملعون هذا أبو هياب لا يشك في سدده

وهذا الاسود بن عبد يغوث المنزه عن الخنا الموصوف بالعز والتقى وهذا الوليد بن المغيرة سيد قومه وكبير عشيرته وهذا الحارث بن قيس من تعرف العرب مكانه وشرفه ولو كان واحد من هؤلاء لكان فيهم كفاية (فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتوا شهودكم حتى أسمع قولهم فأنا على الحق بحائد ولا جاحد فوثب أبو جهل وقال يا معشر قريش لا يزول أحدكم عن مكانه حتى أعود اليكم فوثب القوم فاقبل اللعين حتى أتى أولئك الخمسة الذين اتفقوا على الشهادة بالزور ورموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسرعوا لما اتفقتم عليه واجمعوا كلمتكم ولا تخالفوا شهادتكم فهذا يوم لا تنظر قريش أعظم منه بركة ويمنا فوثب القوم لما دعاهم اليه وبعث أبو جهل النسوان وقال لهن اذا شهدوا وفرغوا من شهادتهم فقوموا أنتم بالضجيج والصراخ والصياح ليكون ذلك أشد تحريضا على قتله وسار أبو جهل واتبعه الشهود الى أن وصل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تطاولت اليه الرقاب (فلما) ان وصلوا فرجت لهم قريش وهم يتخطونه الى أن دنوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى هاشم فجلسوا هنالك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا ما أنتم قائلون ولا تشهدوا الا بما رأيتم قال أبو هياب بن الهيثم يا بنى هاشم انكم لدينا منكرين ولكن لا أقول غير الحق ولا يليق بى الا الصدق وانى سمعت الضجة والصيحة فى الليل فخرجت فاذا أنا بصباح بن حزام فى وسط الطريق وقد تشبث به هذا وأشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه حمزة وهو يستغيث منهما ويسئلهما أن يخلوا سبيله وهما يجرونه ولا يسمعوا كلامه الى أن أدخلوه الدار وغلقوا الباب من ورائه ولم أدر ما كان منه ولا منهما وهذا ما عندى فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله سائلك عما قلت وبما شهدت ثم تأخر وتقدم مراد بن جماهر اللعين وقال يا (محمد) بلغت غاية الاسراف وفعلت ما لم تفعله الاشراف قتلت رجلا لا ذنب له ولم يحزنك حتى قتلت أخاه بالأمس وألحقته به وما نرضى لك بهذه الفعال ولا يرضى قومك ولا عشيرتك وانى والذى نصب هذه الكعبة وأقسم بها وما عليها من الآلهة الا بصرت بك تسحب صباح على وجهه وعمك حمزة مساعد لك عليه ولقد صحت بك (يا محمد يا محمد) ما الذى افترى عليك وأقسمت عليك بالهك الا ما بقيت عليه فلم تسمع قولى ولم تلتفت لى وما يلزم عمك من قتله شئ لانى رأيته كاره لذلك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وقال له قلت ما أنت له أهل ثم تقدم الاسود ابن عبد يغوث فنطق مثل صاحبه وتقدم الشهود واحدا بعد واحد على مثل الشهادة الاولى فكان آخر القوم الحارث بن قيس القيمى (فقال) يا معشر قريش ان (محمد) مثل له انه ما بقى منكم مجتهد فى قتله وسيلفظكم لفظ الطير للحب أو كلفظ النوى وقد بدأ بالاكابر وسيلحق بهم الاصاغر فان دفعه اليكم بنو هاشم لتقتلوه فمن قتل منكم فقد أنصفوا وأنا رأيت وعاينت حزام بن صباح البارحة وهو يتضرع اليه تضرع العبد بين يدى مولاه وهو بقساوة قلبه لا يلتفت اليه فان غفلتم عن ذلك فانتم قريبا لاحقون فاكشفوا الغطاء ولا تسلموا أنفسكم للفناء فكم تسمعون وتولون وأنتم بحقر بالمذلة راضون فأف لكم من رجال رضوا بالذل والاذلال وآل عنهم الى الاقلال فما استتم كلامه حتى تصارخ به النسوان وأعلن بالبكاء والنحيب والعويل ومان على الرجال وحثوا التراب على رؤسهن ورموهم بالجنادل والاحجار وأخذن يرمين الى ناحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن معلنات مدللات قد نشرن شعورهن وشققن جيوبهن فتواثبت قريش من مكانها وهاجت كهيجان الذئاب والاسود الى فرائسها ودارت الى بنو هاشم باجمعها فتواثبت بنو هاشم من حول (رسول الله صلى الله عليه وسلم) وتزامت الابطال وتقدم من قريش أولئك الشهود الملاعين وتابعهم أبو جهل وعتبة وأمثالهم من فتاك قريش وتقدم من بنى هاشم حمزة وأخوه العباس وطالب وعلى بن أبى طالب وعمر ابن الخطاب وأبو بكر الصديق رضى الله عنهم وتسابق القوم اليهم فقام قائما رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم وضجت النسوان والولدان ومشى الرجال بعضهم الى بعض وقد أجمعوا أن يتواخذوا فصاح بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع الفريقين يابنى هاشم يا بنى زهرة يابنى عبد شمس يابنى لؤى ابن غالب يا أهل الابطح والصفا (قال) فانفضت اليه الخلائق وأنصتوا اليه بآذانهم وشخصوا نحوه بأبصارهم وهدى الضجيج وسكن صراخ النسوان (فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أفسمعتم شهودكم ولم تسمعوا كلامى وجعلتكم حكاما علينا ولم تلووا الى حكمى قصيرا قليلا فلا قضيين بالحق فمن وضحت عليه الحجة والاساءة فاقتلوه ولا تقتلوا أنفسكم بأيديكم فتذهب دماؤكم ضياعا (ثم قال) يابنى عبد المطلب ان وجبت على القضية فسلمونى اليهم ان شاؤا قتلوا وان شاؤا تركوا ولا يحجبنى عنهم أحد ثم نادى يامعشر قريش ان وضح الحق على هؤلاء الذين شهدوا على بالزور وغرهم الغرور فسلموهم الى قالوا نعم ماشهدوا الا بالحق ولا نطقوا الا بالصدق (فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى محالسكم وقروا فى أماكنكم فما أنا بالمجهول ولا بالملول (قال) فسكن القوم ورجعوا الى مجالسهم انتظارا لما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالتباعد عنه فتباعدوا ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وقد تغير لونه وارتعدت فرائسه من عظيم ماظهر له وخشى ان يكون أول مقتول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعامر لا خوف عليك ان شاء الله (ثم) أقبل على الجميع وقال اسمعوا وعوا وتفهموا فقد قضى بهذه القضية قبلى نبى الله داود عليه السلام ثم أقبل على الذين شهدوا عليه وقال لهم قوموا بأجمعكم ولا يتبعكم أحد من قومكم واعتزلوا بالبعد الى تلك الجنبة الى أن أهتف بكم ففعلوا ما أمرهم به (فلما) بعدوا صاح رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباهياب هلم الينا دون أصحابك فتقدم فافرج له الناس الى أن وصل اليه (فقال) له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا باهياب أنت بصرت بى وبعمى حمزة ونحن قد تشبثنا بصباح بن حزام (قال) نعم كذلك كان فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وهل كان مع صباح شئ من السلاح قال لا ومارأيت عليه من الاطمار قال بردته وعمامته (قال) فى أى وقت من الليل كان قال شطره أو دون شطره فقال النبى صلى الله عليه وسلم فاعتزل الآن الى الجنبة الأخرى ثم نادى بمراد بن جماهر فلما وقف بين يديه قال يامراد هل كان مع صباح شئ من السلاح (قال) وهل لا تركت له سلاح أنت سلبته وعمدا أخذ سيفه من عاتقه قال فى أى وقت من الليل كان قال عند هجوم النوام أول رقدة فقال النبى صلى الله عليه وسلم تنح فى هذه الجنبة الأخرى (ثم) دعى بالاسود بن عبد يغوث فسأله عن ذلك فعلم مايراد به فقال وأيم الله ماجعلت بالى منه حتى أنظر ماعليه من السلاح غير انى رأيتك أنت وعمك تسحبانه فقال النبى صلى الله عليه وسلم فى أى وقت من الليل كان (قال) فى الثلث الآخر من الليل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو رجلا بعد رجل فاختلفت شهادتهم ولم تجمع كلمتهم وقريش قد خمدت جمرتها وتصدعت بيضتها (قال) فوثب حمزة رضى الله عنه وقال يامعشر قريش قد ظهر لكم الآن الكذب والبهتان من عتبة وأصحابه فسلموا الينا هؤلاء اللئام أو يحكم بيننا وبينكم الحسام (فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أزيدكم بيانا لتعلموا أن صاحبكم هو الظالم وأراد الغدر وأظهر الشر وأراد أن يسفك دم عامر بن الطفيل فى منزل عمى وتجاسر على من لم يجسر عليه أحد فقال القوم نعم فقال صلى الله عليه وسلم ائتونى ائتونى بصباح بن حزام على أكف الرجال وقد توكل به رجال من بنى هاشم يحفظونه لئلا يغيروا عن حالته التى مات عليها (فلما) وصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كشف العباءة عن وجهه واذا بالخنجر فى يديه قابضا عليه وقد شديده يؤمل ان يأخذ بثار أخيه نصلة حتى يبست يداه عليه فأظهره النبى صلى الله عليه وسلم للجميع حتى عاينوه جميعا فقال رأيتم وشهدتم وكشف الثوب

عن وجهه واذا بالدرع من تحته (قال) وهذا الدرع تعلمون أنه درعه قالوا نعم قال أفرأيتم من خرج الى حاجة كهذه يخرج بدرعه وبيضته وخفره وجميع عدة الحرب فنظرت قريش بعضها الى بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا صاحبكم طلب عامر بن الطفيل بأخيه نضلة ليقتله ويأخذ بثاره وأعجب مما رأيتموه هل ترون فيه أثر ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية بسهم أو أثر خنق (قال) فنزعوا عنه أطماره وفتشوه فلم يروا فيه أثر (فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قتله وأهلكه لما أظهر من كيده وفسقه هل تحقق عندكم ذلك قال فامسك القوم ولم يردوا جوابا فضجت بنو هاشم وقالوا لا نصفح عن هذا الامر ولا نطلق هؤلاء اللئام الذين شهدوا بالزور وتواعدوا على قتلك وقد آن لنا أن نقتلهم لما جاؤا به علينا فكبر ذلك على قريش وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك سببا لسفك الدماء وفناء الناس (فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش قد ظهر لكم بيان تصديقي وقد استوجبتم العقوبة وقد رضيت بالله حكما بيني وبينكم قالوا نعم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على قدميه وقال لا تزولون عن أماكنكم حتى يحكم الله بيني وبينكم (ثم) تعلق باستار الكعبة وقال اللهم رب الأرباب ومعتق الرقاب وحاكم الحكام والمطلع العلام أحكم بيني وبين هؤلاء القوم الظالمين وأنت خير الحاكمين (اللهم) ان هذا أبو هياب ومراد والاسود والوليد والحارث شهدوا علي بالزور وغرهم بالله الغرور وقالوا على ما لم يكن حسدا مني لما خصني الله به دونهم وفضلني الله عليهم (اللهم) أنت الذي لا تعزب عنك صغيرة ولا كبيرة ولا يجوز لك ظلم ظالم وأنت بكل ما نالني منهم عالم فاحكم لي على من ظلمني وانصرني على من قهرني وأظهر لهؤلاء الكفرة ما يعتبر به العاقل ويرتدع به الجاهل انك على كل شئ قدير (اللهم) ان كنت ظالما لهم فخذلهم الحق وبين لهم الصدق انك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ثم قال صلى الله عليه وسلم آمنوا كلكم على دعائي لتنظروا الصادق من الكاذب فأمن الناس كلهم فقام العباس وقال يا معشر قريش حفظنا لكم القربى مرة ومرارا ورعينا لكم مالم ترعوه لنا من جواركم وما يلزمنا من حق هذا البيت المعظم والبلد المكرم وأنتم في ضلالتكم ترتعون وعلى جهالتكم تعتكفون ولا تعتبرون بما ظهر لكم المرة بعد المرة واننا لو قتلنا ابن أخينا وظهر كذبكم وزوركم لفعلنا بكم ما لا يحمد عقباه وأنا أشهد الله وأشهدكم أننا قد وهبنا دماءكم وعفونا عنكم وجعلنا أمركم الى الله سبحانه وتعالى اما علمتم أن ابن أخينا اذا (قال) صدق ولتنظرن ما تعتبرون الى الآباد (قال) فقامت قريش تحت الخجل والخيبة مما أملوه ورجعوا الى الأبطح وجلوا صاحبهم فدفنوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الآية الكبرى ما يظهر لكم من قول هؤلاء الذين قالوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الحق (قال ثم) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبض على يد عامر ودعى بعمه حمزة والعباس وعلي رضي الله عنهم وقال لبقية بني هاشم وأصحابه انصرفوا مشكورين وكونوا لله شاكرين وارتقبوا ما ينزل بهؤلاء القوم الظالمين فتفرق الناس الى منازلهم (قال) فعارض القوم (جبريل) عليه السلام بأبي هياب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي في الوقت والحين ورمى بالاسود ابن عبد يغوث فأشار جبريل الى بطنه فانصرف اللعين صارخا يصيح ويستغيث وجعل يشرب الماء حتى انشق بطنه ومر بمراد بن جماهر فثقل في وجهه فتساقط لحم وجهه وهلك الآخر بأشد العذاب قال وأقبل النبي صلى الله عليه وسلم الى منزله ويده في يد عامر بن الطفيل وقال يا ابن الطفيل كيف رأيت نصر الله لأوليائه (فقال) عامر بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما شككنا في أمرك الا أن الله قد زادني بما ظهر لي اليوم يقينا وبرهانا وايمانا فان كان الله نجاني بدء من القتل ولكن يا رسول الله الفكرة العظمى والبلية الكبرى عندي وجي من مكة لأني أعلم ان القوم لا يغفلون

عن صاحبهم ولا يصبرون عن مطالبتهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا بالذى نسلمك الى عدوك أبدا حتى نبلغك مأمنك ان شاء الله تعالى (ثم قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس يا عم ما قولك بالذى أسررته اليك بالأمس فقال العباس ما بدا لك فانى أرجوا ان يكون للطفيل فيه فرجا (قال) وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد قال لعمه العباس حين شاوره يا عم قد علمت ان قومى قد تفرقوا فى بلاد الحبشة بعضهم باليمن ولم يبق منهم الا هذه العصابة التى تراها معى فما ترى من الرأى قال أرى أن تخرج الى كفالتنا من بنى خزاعة فتأمرهم بالمسير مع عامر بن الطفيل لنصرة أبيه فانهم لا يتأخرون عنا وكانت خزاعة متحالفين مع بنى هاشم فى الجاهلية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرأى ما رأيت يا عم (فلما) كان تلك الليلة أجمع القوم على ذلك فنزل (جبريل) عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عن ذلك وقال له انه لا يجوز لك ان تستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك فعظم ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رضيت بما رضى الله به ثم أعاد القول على عمه العباس وقال يا عم انى نهيت عما كنت ذكرت لك من أمر خزاعة فقال له عمه افعل ما بدا لك فهو الصواب الا أنى لا أعلم لك معينا على هذا الأمر لا من أهل مكة ولا من أصحابك فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عم قد فرج الله كربتى وبلغنى أمنيتى ان شاء الله بعد ذكرى الى رجل طويل الباع سيد مطاع مجاب الدعوة كبير الاسم عظيم الخلقة من بقية التبابعة صبور على التحارب يوحد الله ويقر برسالته وبرسوله (فقال) العباس من هو هذا الموصوف بهذه الصفة فانى لا أعرفه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هو ضماد الازدى قد قدم مكة قبل ذلك معتمرا وكانت قريش تمنع السادات والاشراف من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما) بصر وا بضماد وهو داخل مكة نهوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انه مجنون وساحر مفتون وكان ضماد يسمع قولهم وينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتأمل فى حسنه وجماله واشراقه وبهائه وما أعطاه الله من الشرف والتفضيل والنور الزائد والاشراق فبهت بالنظر اليه وجعل يبكى وكان بكاؤه رحمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما ألقاه قريش اليه من انه مجنون (فقال) له النبى صلى الله عليه وسلم ادن منى يا أخا العرب قد نى منه فقال النبى صلى الله عليه وسلم مما بكاؤك أمظلوم أنت فنأخذ بظلامتك فتبسم من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا (محمد) انما بكيت رحمة لك قال ولم ذلك قال ان قومك ذكروا لى أن بك جنونا وانى عالجت كثيرا من العرب مما كان به أشد مما كان بك فأفاق فان شئت عالجتك يا (محمد) مع انى نهيت عن ذلك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أخا العرب اسمع وع كلامى ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الى قوله الأسماء الحسنى (قال) وضماد شاخص اليه يسمع كلامه فلما فرغ قال ضماد بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما سمعت كلاما أطيب من هذا ولا أعذب منه فقال عليه السلام هذا كلام رب العالمين (قال) فكيف الوصول الى هذا الرب العظيم قال تقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان (محمدا رسول الله) وعبده ورسوله فسر النبى صلى الله عليه وسلم باسلامه وشكر الله على ذلك فقال له اعلم انى قد أرسلت بالرفق واللين وسأدعوك قريب فادع قومك الى الاسلام وأرجوا أن يتم الله لك أمرك (قال) والذى بعثك بالحق لو خالفنى منهم مخالف لعلوته بسيفى مع انى عندهم كبير معظم ثم ان ضمادا انصرف الى قومه فدعاهم الى الاسلام ووصف لهم النبى صلى الله عليه وسلم فما تخلف عنه من قومه أحد وكانوا فى جمع كبير ورجال لا يطاقون قد خلقهم الله تعالى وزاد فى خلقتهم ثم ان ضمادا كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعلمه باسلام قومه ويسئله المسير اليه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالثبات فى موضعه فثبت (فلما) كان فى ذلك اليوم وذكره النبى صلى الله عليه وسلم لعمه العباس فرح بذلك فرحا عظيما (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله تعالى فلما سمع حمزة والعباس بذكر ضماد قال يا محمد لقد ذكرت رجلا فاضلا شجاعا وبطلا كريما فابعث اليه فانه لا يتأخر عن حاجتك ولا يقصر عن أمرك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعامر بن الطفيل ما قولك يا عامر فى هذا الرأى فقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما رأيت فهو الصواب فقال صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب له يا على فكتب له كتابا عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم (من محمد) رسول الله الى ضماد الازدى سيد قومه وكبير عشيرته أما بعد فانى كتبت اليك فى أمر لم أر له أهلا غيرك ولا كاشف له سواك فاذا قرأت كتابى هذا فاسر من وقتك ان قدرت أنت ومن تابعك من قومك ومن كان فى جوارك من العرب مع عامر بن الطفيل لنصرة أبيه فانه أخاكم فى الدين وقد أحدقت به عصابة ظالمة وهموا به وبنسوانه وأمواله فاغشه وخلص ماله وأهله وقاتل من قاتله وسالم من سالمه وما غنمتم من أموالهم فهو لكم ولمن معكم من قومكم حلالا طيبا الا من آمن بالله وصدق برسول الله فكف عنه وعن ماله والسلام عليك وعلى من معك من المؤمنين ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وناوله لعامر بن الطفيل وقال سر على بركة الله وأمر عميه حمزة والعباس وعليا بأن يشيعوه الى أن يبلغ مأمنه ففعلوا ذلك فلما بعدوا به من مكة الى حيث يأمن رجعوا بعد أن سلم عليهم وودعوه وسار عامر بن الطفيل الى حيث أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أشد الناس قلقا على أبيه لا يدرى ما كان من أبيه فى هذه الأيام التى مضت وهو مع ذلك فانه يؤمل فرج الله وعونه وتمام أمره أن يبلغ الى زوجته (قال) فلما خرج عامر من مكة جعل المشركون ينظرون اليه شزرا ويرمقونه غيظا وكانوا قد أجمعوا على اللحوق به فلما رأوا معه حمزة والعباس وعليا وأبطال بنى هاشم قد خرجوا معه تصدعت بيضتهم وخمدت جمرتهم فقالوا ارتقبوا رجوع بنى هاشم فاذا رجعوا اتبعناه حيث ما سلك فتأخذوا منه ثأركم فأجمعوا على ذلك فخيب الله رأيهم ولم يبلغوا أمنيتهم (قال) وسار عامر بن الطفيل الى أن قرب من ديار ضماد الازدى فنظر الى أموال سائبة فى تلك الأرض وقد ملأتها الطول والعرض ورأى رجالا عظاما طوالا جساما وهم أزد شنوءة المعروفين عند العرب (فلما) أشرف عامر بمطيته ليلتقوا اليه احتقارا به وتهاونا بأمره فلما وصل الى الحى وسأل عن ضماد فأرشد اليه فلما قرب من أبياته واذا به جالس كأنه النخلة السحوق طويل الساعد هائل المنظر يكاد أن يقطر الدم من أماق عينيه (فلما) نظر الى عامر كلمه وقال له من أنت أعابر سبيل أم طالب حاجة فقال له عامر لكم قصدت واياكم طلبت فكان ضماد متكئا فاستوى جالسا (فقال) ما حاجتك من ضماد سيد هذا الوادى المشهور فى كل نادى قال عامر أنا رسول اليك من (محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب سيد مضر وسيد أهل البدو والحضر فلما سمع بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثب قائما وقبله ما بين عينيه وقال أهلا بك وسهلا وبمن أرسلك وهو منقذنا ومنجينا المفيض علينا بالنعمة وما استشعب وادينا وامتلأ الضرع وأخصب الزرع الا منذ عرفنا (محمد) صلى الله عليه وسلم فطب نفسا وقر عينا فأنا ولد ضماد سيد هذا الواد وأنا فى انتظاره وكائد به قد عاد فابشر بالاكرام والاعظام اذ جئتنا من عند (محمد) بن عبد الله فسر عامر بكلامه وبسط له بساطا وتسامع أهل الحى بذلك فجاؤا اليه من كل جانب ومكان وأقبلت أبطال الازد يعظمونه ويبجلون كل من مر به وهو يكتم أمره (قال فسورة) بن ضماد يا معشر الازد وابطال شنوءة أرجو أن يكون الوقت قد دنى والوعد قد أتى وقد كان سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم وعدنا اذا صرخ الصارخ بنا أن نسرع اليه وأرجو

أن يكون ذلك فتفلق الهام ونهشم العظام من كل أسد ضرغام ثم ذبحت الذبائح ونحرت النحائر لعامر ابن الطفيل اكراما له ولم يكن فى القوم الا من دخله السرور والفرح من ذكر (محمد) صلى الله عليه وسلم وبعثه اليهم فلما كان عند اصفرار الشمس أشرف ضماد ومعه جماعة من قومه وعشيرته على على خيل عتاق وقد عاد بصيد وقنص وقد سبق البشير يبشره بقدوم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتهج فرحا وامتلأ سرورا فاسرع مبادرا فما تنهد ولا استقر ولا نزع أطماره ولا خفيه حتى دعى بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عامر حتى دخل عليه (فقال) ما حاجتك وما تريد قال أطلب فرج القلوب وكشف الكروب ونجاة الهارب المطلوب وأنت المعين لمن كدحه الزمان وطرقه طوارق الحدثان وتبدلت نضارة عيشه بالشقاوة وجلله بعد العز سجاف الفنا والجلا وطردته عشيرته وأحدقت به بالرغم قبيلته فهو مفقود ممن يحبيه فى أبعد البعاد وأعظم من ذلك مطالبة الدانى والقاصى ومعاداة الاحباب والاخوان والأقارب لميلها الى سيد لؤى بن غالب واستجرنا بك من أشرار كفار قد كشفوا لنا البلا وعزموا على الفنا فانظر لسادات ذلوا وحماة أشراف نكسوا ومعى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك بنصرتنا ومعاونتنا ولم يجد لهذا الأمر نصيرا غيرك فان شئت لموضعى وقصدى اليك ولكتاب (محمد) صلى الله عليه وسلم وان شئت غرت على الحريم الذى مزقت عنهم الاستار فهم تحت الهم والاضرار يسكبون الدموع أسفا ويعلنون بالصراخ لهفا قد أحدقت بهم الاعداء من كل جانب ومكان فلم يبق لهم خلاصا ولا لهم من الموت مناصا وانى أقسم بالذى بعث محمدا نبيا ورسولا لا أنادبك الا من تحت ثقل عظيم وكرب أليم وقد تركت أهلى فى حلق المضيق لا يجدون الى السلامة طريق وأنت أكرم من أجارنا وأعز من نصرنا ثم ان عامرا جعل يقول

بك الملاذ وأنت الذخر والأمل * عليك بعد اله العرش أتكل
انصر أناسا أناخ الدهر كلكله * عليهم وعظيم الدهر مثقل
لا يرحمون نساء الحى ان صرخوا * ولا الصغير اذا قد مسه الأجل
مشردين عن الدنيا كأنهم * طير أحاط بهم من صقرها الوجل
مرو عين ولا يرقون من وجل * فالخد ملتطم والعين تنهمل
هذا كتاب رسول الله يأمركم * أن تنصروه وقد ضاقت بنا الحيل
يا أيها السيد المشهور مورده * يا ابن الاكارم يا ضرغام يا بطل
خذ الضراغم لا تترك مرابضها * الى اللئام ولا تبطأ بك العلل
خذ اللصوق باقدام فقد غدروا * وليس من شأنك الابطاء والمهل

(قال) ثم ناوله كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ضماد ففكه وقرأه فلما فهم ما فيه ضمه الى صدره وجعله على عينيه وجعل يقبله (ثم) قال سمعت وأطعت ثم قال يا فتى لك منا الاجابة والاكرام فواحدة هى اكراما واعظاما (لمحمد) صلى الله عليه وسلم وما يوجبه علينا من الطاعة والثانية لقصدك الينا ونزولك علينا ولو لم تأتنا بكتاب محمد لكان الاولى بنا اجابتنا لك فانا نغيث الملهوف ونؤمن المخوف لا يخيب راجينا ولا نتأخر عن أمر اليه دعينا فنأخذ للمظلوم حقه ممن ظلمه ونكشف عنه كربه ونزيل همه فمن أنت من العرب حييت ووقيت فقال له أنا عامر سيد دوس وشريفها أنا عامر بن الطفيل بن عمرو الدوسى فقال له ضماد يا للرجال سيد لا ينكر ومعظم لا يحقر وهو أولى بأن يعان وينصر فما عهدته الا مقبول الدعوة فى قومه كبير الصوت فى عشيرته يطيعون لأمره وينتهون الى قوله فما الذى حملهم على معاندته (قال) عامر أكبر جرم أجرمناه

اننا آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقناه بما جاء به فلما جاءهم أبى من عنده ودعاهم الى الله عز وجل وأمرهم بترك صنمهم الذى يعبدونه فخالفوه وعاندوه فرحل عن ديارهم يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدارك القوم على الخيل العتاق طالبين لأخذ أموالنا وتفريق شملنا فأخذوا الاماكن وأحدقوا بنا من كل جانب ومكان وضايقونا وحاصرونا فلما اشتدت علينا المذاهب وانقفلت الابواب وأيقنا بالهلاك تركنا الشيخ فى عظيم المجهودات والسياق وعملت الحيلة باللحوق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرتجيه أن يكون لنا معينا ونصيرا فكان سبيلى كسبيل رجل خلص من ماء يخوض فيه فوقع فى بحر عميق فنسى ماكان فى باديه وماخلصت من مكة الا بالجهد الجهيد ولقد كبر أمرنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين الاعداء راتع وبين الأسد الناظرة اليه جائع فهو يخشى هجمتها وصولتها وأصحابه قد تفرقوا عنه فى الاماكن فلم نجد لما نزل بنا معين غيرك ولا كاشف لما تجللنا سواك فكتب اليك لما يعلم من حزمك وعزمك وشجاعتك وشرفك فى قومك فان فعلت فلم تزل مجيبا الداعيك فقال بالعزة الكبيرة والطلعة المنيرة فى الجرثومة الطاهرة (محمد) صلى الله عليه وسلم الا أفديتك بنفسى ومالى وولدى وقومى وعشيرتى ولابد أن أبلغك منالك وانصرأباك وأفصل الأمر بينكم وبين قرابتكم فان أذعن القوم الى الصلح أبرمته معهم وان أبوا فحينئذ أمحو قبيلة دوس من العرب الامتك ومن أبيك ومن أقاربك وذويك ومن يقل بقولك منهم (ثم) ان ضماد أمر عبيده أن يمتغوا فى الحى ويأمر أهله بالاجتماع اليه فتبادروا اليه ثم أذن لهم مؤذنهم العشاء الأول فاجتمع الناس من جنبات الحى فصلى بهم ضماد (ثم) قال يامعشر الازد ان الذى فرض عليكم هذا الدين وعرفكم برب العالمين سيد البشر واكرم العالمين وطاعته مقرونة بطاعة الله وقد بعث اليكم مع هذا الرجل الذى لاينكر شرفه ولا يجحد سلفه يأمركم بنصرته ومعاونته ولو لم يأمركم لكان يلزمكم ان تجيبوه لما أتى ولا ترد وا مسئلته وأنا راحل معه بولدى ومالى ومن أجابنى فما أنتم قائلون فنادى القوم بلسان واحد وتبادروا عن آخرهم فقالوا أجبنا داعى الله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسير بسيرك ونجيب لقولك نجير من أجرت وننصر من نصرت ولو لقيت بنا العرب والعجم لما تأخرنا عنك (قال) فأمر بالطعام أن يحمل اليه فقربت الجفان بالثريد واللحم والقديد ولم يتخلف منهم أحد اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما) فرغوا من الطعام ورفعت الجفان قال لهم ضماد لايأوى أحدكم الليلة الى فراشه حتى يفرغ من أهبته ولامته واصلاح شأنه ومن أعجزه شئ من السلاح والزاد لعياله أومركوبه مثل مطية تحمله فعلى ذلك اكراما منى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا الفتى فشكر له القوم ذلك وحمدوا فعله ووثب من وقته فأمر عبيده فاحضروا له خيلا وابلا ومطايا مرحلات والخيل مسروجة وبسط بساطا فافرغ عليه مالا وأخرج سلاحا وألقاها امامهم وقال من أراد منكم شيأ من السلاح فله ذلك فمنهم من أخذ سيفا ومنهم من أخذ رمحا ومنهم من أخذ فرسا ومطية الى أن اكتفى القوم بأجمعهم فردوا العبيد بقية الأموال والسلاح الى موضعه وقال تاهبوا للرحيل على بركة الله وعونه فانتهوا الى أمره وفرغوا من أهبتهم وبات عامر فى أبيات ضماد وكانت له بيوت منفردة عن بيوت النسوان (و) قد أعدت للضيفان وكان كثير الزوار لايمر عليه يوم الا ويمر به زائر أو طريد أو عابر سبيل أو فقير أو طالب حاجة أو شاعرا أو مداحا فلا يقصده قاصد الا وجده فوق مايؤمله فكانت ناره لاتخمد ليلا ولانهارا (قال) فلما لاح ضياء الفجر ضج الحى من جنباته وتصارخ الرجال وتبادروا اليه بالخيل كالاسود الزائرات وأسرعوا الى سيدهم وهم متأهبون متدرعون قد اشتملوا بالدروع وتعمموا بالعمائم وقد زادت خلقتهم

وتعاظمت صورتهم زيادة على ماهم عليه وأذن مؤذنهم وصلى بهم ضماد صلاة الصبح (فلما) فرغ دعى بجواده فقرب اليه وثوائب الرجال الى الخيل فلما أحدقوا به فأمر باحصائهم فاذا هم تسعمائة فارس أبطال أنجاد ليس فيهم فشل ولا جبان (قال) فأخرمنهم من الشبان والكهلان فى الحى مائتين وجعل أمرهم الى ابن عمه فارس بن معطل الأزدى وكان من الأبطال المذكورين والفرسان المعدودين فأمره بلزوم الحى والمنعة عنه والقيام بامر الزوار والضيفان وأفرد له أباعر وجزورا ينحرها للضيفان وأوصاه بما أراد وفصل ضماد من الحى فى سبعمائة فارس ومعه ولده قسورة وركب عامر مطيته والقوم مجدين فى السير فجعل يقول

يادوس حزما فاصبرى وتمهلى • وتحملى هذا المقام وأفضلى
ياعصبة الاسلام جدى واسرعى • ولتارحوب فى الكريهة فاكدحى
فلنجد أخاك بكل أسمر مرهف • وبكل أبيض كالصفيلة مصقع
نرضى بذاك نفوسنا ونبينا • زين الجميع وخير أهل الأبطح

(قال) وسار ضماد يجد السير برجاله كأنهم قطع من جبل لعظم خلقتهم وكثرة أدراعهم لايعدلون الى منهل ولا الى راحة وضماد فى أوائلهم زائد عليهم بطوله وعظمه فلم يزالوا كذلك يجدون السير ليلا ونهارا مدة ثلاثة أيام الى أن قربوا من الموضع الذى وصف لهم عامر أنه ترك فيه أباه أولا ولا يظن ان يدركه حيا (فقال) عامر اضماد ياباسديس انك قد قربت من الموضع الذى تركت فيه أهلى وأبى ولاشك ان القوم ان لم يعجلوا على سيدهم ولم يمدوا أيديهم الى النسوان فانهم انى ضننك من الاحزان معذبين من الحصار والظما والاضرار يتوقعون فرجا فهل تأذن لى أن أسرع بمطيتى امامك الى أن أشرف على القوم وأعرف حالهم وما كان منهم بعدى فى هذه الأيام التى مضت فان يكونوا بالحياة أبشرهم بقدومكم وأوعدهم بنصرتكم فتعيش أرواحهم وتزول أتراحهم وان يكونوا الاعداء قد وصلوا اليهم بيد الشر واستحوذوا عليهم فأعود اليك بخبرهم لترجع على أثرك مشكورا على أفعالك مثابا على صنعك (قال) ضماد أخشى عليهم ان يكون القوم على حالهم محدقين بأبيك وأهلك فاذا نظروا اليك قد أشرفت عليهم يستريبوا أمرك وينكروا ذلك وربما وقع اليهم فى غيبتك عنهم فى هذه الأيام التى مضت انك سرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستنصرا به عليهم فلا تأمن أن يميلوا عليك بليلة واحدة فيقتلوك فتعظم على أبيك الرزية وتكبر البلية وسيرك بسيرنا اصلح لنا ولك (فقال) عامر رأيك أفضل وقولك أجمل (قال صاحب الحديث) رحمه الله هذا ما كان من عامر بن الطفيل فى سيره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأما) ما كان من خبر أبيه الطفيل بن عامر لما تركه عامر وسار كما تقدم فى الحديث قبل هذا فانه لما سار عامر ابن الطفيل كما تقدم وبقى الطفيل وصفوان (قال) الطفيل ياصاحب الخير هذا أمر قد أبرمناه وعلى الله تمامه ومنتهاه فلما أصبح الطفيل فى ذلك اليوم الذى نزل عليه عمر بن حمامة وقد فرغ الطفيل مما عزم عليه وقد حصر نساءه فى الكهف وصدر الاموال امامهم وسار العبيد فى صدر الاموال متعلقين بسند الجبل وبقى هو وصفوان بن عنبسة يطوفون على النسوان وجعلوا يضرمون النار مرادقا الى أن برق ضياء الفجر ووقعت العين على العين فنظر الطفيل الى عمر بن حمامة مما يلى السند الى السهل الى الطريق الى السند الأخرى وقد تكاثروا عليه مما لحقه من الناس من حاضره ومن حوله من العرب وعمر بن حمامة من جهة الطفيل فى خاصة قومه وعشيرته فنظر اليهم الطفيل وقد اجتمعوا الى سيدهم وهم كالسيل لهم ضجيج وعجيج فما كانت الا هنيهة حتى تكاملوا من حوله وشهروا السلاح والسيوف والرماح والدروع والجواشق تلمع كلمعان الشمس عند طلوعها أو كالبرق فى الظلام والرماح

مشتبكة كالقصب المتكاثف تلوح المنايا من أطرافها وهم من حول سيدهم كقطعة ليل مظلم (فلما) رأى الطفيل ذلك قال صفوان ياصاحب الخير ما الذى تراه من الرأى فلم يبق الا ميلة القوم علينا فيطعنونا كطعن الحصيد وما جزعى من الموت وانما جزعى على الظعائن والحلائل وبنات خفرات ونسوان ناعمات لم يطرقوا بعدى ولولاهن لكان الموت أمنيتى ولم أجد طارقة فى جسدى فما الذى تراه (قال) صفوان انك قد رميت بقوم قد خلعوا العذار وقطعوا الانساب والأرحام وصاروا بفعلهم لئام ونكروا حقك وجحدوا مكانك وقد كنت منيعهم فى الأوقات وناصرهم فى النائبات فان يكن القوم قد بغوا عليك ومدوا أيديهم بالسوء اليك فانك فى حصن حصين وفى كنف رب العالمين فهلا حتى أقدم الى القوم بالاعذار والانذار وأسألهم البقاء عليك لعلهم يفعلون وعما عزموا عليه يرجعون (قال) الطفيل انى أخشى عليك منهم ولم يبق لى غيرك معين فان أصابوك بقيت فريدا وحيدا وانما أنا بك أصول وأطول (قال) صفوان لابد لنا ان نبذل أنفسنا اليوم ونحامى على حريمنا ولا نسلم اليهم النساء والاموال والبنات أو نجادل بين هؤلاء الصقور والجنادل ثم أفرغ عليه أدراعه وركب جواده وأخذ قناته وقال انى مستودعك الله تعالى (ثم) انى أوصيك بنفسك وأهلك واياك أن يخامرك الجزع من كثرة القوم فتستسلم اليهم رجاء الحياة فحياتك بعد أهلك ومالك أعظم من الموت لما يحلك من الفقر وما يمسك من الضر فانظر لنفسك وقاتل عن أهلك فاما حياة بصلاح أو موت بفلاح وانى أوصيك بأهلى كما أوصيك بأهلك ان بقيت فكن لهم من بعدى خلفا واحل عنهن من كدح الزمان وطوارق الحدثان وكن لهن بعد منيتى (ثم) ضمه الى صدره وقبله بين عينيه وفارقه والطفيل قد التجم عن الكلام لترادف العبرة وانسكاب الدمعة وانحدر صفوان نحو القوم وهو على أهبته وجعل يقول

اذا أتى طالب يوما لاهلك باغيا • فقل لمنادى الموت لبيك داعيا
لاسلم أهلى للعدا غير مانع • أواصب فى الاحيا يوما ردائيا
فلا كنت فى الاحياء يوما يزورنى • خليل وان الموت قصد فؤاديا
اذا أنا لم أمنع حريمى ونسوتى • فلا نعمت فى دنياى ولا روحيا

(قال) فصاح به الطفيل وأنت يا أخى فعليك السلام ما توالت الاعوام واختلفت الجيوش الى بيت الله الحرام (قال) ونظر عمر بن حمامة الى صفوان ينحدر من سند الجبل متأهبا للحرب فلم يخف عليه شمائله ومعاطفه فقال لمن حوله من قومه هذا صاحبكم صفوان ولاشك انه جاء يطلب لخليله منكم الامان ولا يعلم انه هالك قبله وأول مطالب ومحارب فلا تخاطبوه ولا تعاقبوه حتى تنظروا لما ذا قصد وما يريد فتطاول القوم اليه وأقبل صفوان غير مكترث ولا مهيب الى أن دنى من القوم (ثم) عارضهم برمحه وجبذ عنان فرسه فوقف ونادى برفيع صوته وقد أنصت القوم اليه (فقال) وقد اسفر عن لثامه معاشر قومى هل فيكم من ينكر شأنى ومكانى وأنا بينكم ربيت وبلبان أقاربكم غذيت لا خارج عن حسبكم ولا منكور فى نسبكم وانى محذركم ومنذركم من الغدر والمكر فانهما خلقان ما تخلق بهما أحد الا قالوه ولو كان سيد الاحقروه ولا متعاظما الا أهدروه فأنا الآن آمركم بالصيانة والعفاف فانهما من أخلاق الكرام الاشراف والاولى بكم ان تبقوا عليكم عزكم لا تزيلوه وشأنكم لا تهدموه وان الطفيل بن عامر رجل لا تنكرون فضله ولا تجهلون ذكره مصباح عشيرتكم وسراج قبيلتكم بهتمابكم الملوك ويخشاكم الصعلوك وكان لكم كهفا فى الشدائد ويصرف عنكم الاوائد وقد علمتم انه رجل حكيم لا يتسلق عن عقله وكان سبيلكم ان تتبعوه فيما رضى لنفسه ولكم من اتباع (محمد) صلى الله عليه وسلم فاذا كرهتم ذلك لكم دينكم الذى ارتضيتموه لا نفسكم وله دينه

الذى ارتضاه لنفسه لا يكايدكم ولا تكايدوه ولا يعاندكم ولا تعاندوه وتبقوا عليكم شرفكم فان لم تجيبوه ولم تجاوروه فقد خرج من بينكم ويقطع النسب الذى يجمعه بكم وانى أقسم لكم بالحرم المحرم والبيت المعظم الا ما أبقيتم عليكم أحسابكم وأنسابكم لا تزيلوها فيؤول أمركم الى خسران ووبال ونقصان أرأيتم لو قتل سيدكم الطفيل واحتويتم على ماله وهتكتم سجافه وأزلتم آثاره ما كان ذلك عند العرب فخارا بل يؤثركم عارا وشنارا مع أنكم لا تصلوا اليه دون أن يقتل رجالا ويجندل ابطالا ومعه من لا يسلمه دون قتل نفسه وذهاب مهجته وهو من يخاطبكم ولا يعاتبكم وقد علمتم مكانى ولا بد لى من المنعة عن صاحبى أو اجندل امامه وبعدى يأتيكم ولده فان قتلتموه فهل بكم الدمار حتى يدهمكم صاحبه بعسكر جرار ويقطع منكم الاثار وهو (محمد) المختار صاحب الامور العظام والاهوال الجسام وهو أمره يترقى ويعلو ويصعب وينهوا كالنار بدؤها يسير وفعلها كبير وقد بلغنى أن لمحمد رجالا لا يطاقون منهم حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب المتفرع من شجرة أبيه والزائد عليه فى معانيه وانى قد نصحت لكم وأنذرتكم فاحذروا أن تقع بكم العين فتفنى الاكابر ولا تبقى على الأصاغر فان قبلتم ما أقول لكم كان أرشد لكم وان خالفتم قولى كنتم من النادمين حيث لا ينفعكم الندم فما تقولون قبل كشف القناع وبسط الباع فتطعم الطير والوحوش من أجسادكم وترتع الهوام فى أبدانكم وتمكن السيوف من عصب رقابكم (قال) فاضطربت دوس من كلامه وفارت كفوران المرجل على النار وتسابقوا يريدون الحملة عليه قال عمر بن حمامة مهلا معاشر الناس (ثم) التفت الى فتاك بن مجالد الدوسى وكان من الدهات وقد عرفت صولته وبلبته وشجاعته وبراعته فقال له أخرج الى هذا الصائل بكلامه المنجب بمرامه ولا تدعه يرجع الى أهله وحيه ولتكن غيرته على نسائه وبناته أولى وأحق من نساء غيره ولتكن نصيحته لنفسه أوجب عليه فان أبى فقد عدم أيامه وعجل ارغامه وقرب حمامه (قال) فتاك بن مجالد فلما نظر اليه صفوان عرف مكانه فعطف برمحه بعد المعارضة وتأهب له فلما قاربه قال يا ابن عنبسة أنهى قوما عن العار وأنت اليه قاصد وفيه راتع تظن وتأمل أن لك طاقة بمن تراه من ابطال قومك وسادات عشيرتك لو هموا أن يحملوا على أطراف الأسنة لفعلوا لكنهم حفظوا لك ما لم تحفظه لهم فخل عنك الطفيل وما اختاره لنفسه فذلك رجل عور عينه بيده وأظهر شينه بجهله اذ خالف دين آبائه وملة عظمائه وأنا غير تارك أو يعود على ما كان عليه من عبادة ذى الكفين ويسب (محمد) ويكون أول عدوله فان أبى فما يكبر علينا سفك دمه وهتك حريمه ولتكن شفقتك على أهلك ورحمة لبناتك وخل عمن عدم عقله وظهر جهله فقال صفوان ان بناتى ومالى وما ملكت يمينى فداء لصاحبى وخليلى ولا يقال عنى أسلمته أبدا وقد اخترت الفناء على البقاء بعده (قال فلما) سمع فتاك مقالته لم يتمالك دون أن وثب بجواده اليه وبادره بالحملة من غير اعذار ولا انذار وطلب غفلته وهم عليه برمحه فوجد الأمر أبعد مما طلب وكان متيقظا فلما رأى فتاك وقد هم به همز جواده وخرج عن مجرا السنان فلما جاوزه عطف عليه صفوان فطعنه فى خاصرته خالط بالسنان أمعاءه فانجدل صريعا (فلما) نظرت دوس الى ذلك تصارخت لهلاك صاحبهم وقالوا لعمر بن حمامة قد أردنا أن نسبق اليه فمنعتنا من ذلك وان صفوان داهية لا يطاق ولا يدرك فى السباق (قال) واذا القوم كذلك يتصارخون اذ أشرف عليهم صفوان بالحملة وصاح بهم عند ما قرب منهم وقال يا قوم ليس للملام عليكم سبيلا ولا للكر اليكم تسليلا فقد هلك من كان قبلكم وكان أصعب منكم مراما وأعظم انتقاما أدار الزمان عليهم بكلكله فطعنهم طعن الحصيد للسويق فى بلد سحيق وانى مستجير بالله من بليتكم (قال فلما) أتى على آخر كلامه حتى سمعه رغاء الكاشح بن يعوث وكان من فتاك دوس وشجعانها فخرج الى

الحرب يرغوا كما يرغوا البعير ويسمع له عند صياحه هدير وزئير (قال) وكان عمر بن حمامة قد استصرخه لما نظر الى صفوان قد قتل فتال بن مجالد فقال له يا أبا الكشائب أما تنظر الى ابن عنبسة وما أظهر لنا من العناد والكيد غضبا لصاحبه الطفيل كأنه من قبيلة ونحن من قبيلة أخرى فاكفنا مؤنته ولا ترجع عن قصدك حتى تأتي بالطفيل فان استسلم اليك فأت به أسيرا وان أبى فاتركه عفيرا (قال) فخرج الكاشح بن يغوث فعلم صفوان ما عنده بحسب هديره وزئيره ولم يكترث عليه أمره وصاح به الطفيل من السند جزعا عليه يحذره من مكان الكاشح وهو يقول يا صاحب الخير كن متيقظا لما أتاك حذرا من أعداك فمثلك لا يؤمن من غوائله ولا يجزع من عظائمه (قال) فعلم صفوان انه يوقظه والكاشح قد أقبل اليه مبادرا والغضب على وجهه ظاهرا وبيده حسام جزء يخيل للناظر اليه انه برق لامع أو نور ساطع وهو يقول

كم خضت معمعة بحد حسامي ٭ وأخذت لمع ضرامها بضرامي
كم ضربت كتائبا بحسامي ٭ وسقيت جمعهم بكاس حمامي
ما رامني يوم الوغى منجالد ٭ الا أزلت جلاده بحسامي
يا ويح صفوان بشر فعاله ٭ اذا كان عن مثل الطفيل محامي
اني وذي الكفين غير مقصر ٭ عنه وصفوان مراد ومرامي

(قال ثم) همز جواده وكر رجعته فلما تحقق فوران جواليه عنانه وقال أنت صفوان قال بأبي وأبيك أنا صفوان مدانيك ومن بني أبيك قال فما الذي أتى بك أتريد فقد نفسك (قال) نعم لاجل خليلي وصاحبي فان سلمته فأنا بكريم فقال هل لا تغضب لأهلك كما تغضب لصاحبك (قال) غضبت له لخصال منها انه دعاكم لما هو خير لكم وحقن دمائكم وهو اتباع براهين من تشهد له العرب بالامانة والعفاف والصيانة والكفاف ما كذب صغير فكيف يكذب كبير دعاكم الى مارضي لنفسه فخالفتموه وأردتم أن تقتلوه بغير ذنب أذنبه وثانيا انه خرج من بينكم بنسائه وماله فأدركتموه وهو فريد فعارعلى أن أسلمه أو أخذله وثالثا انكم أنيتموه بجموعكم وهو وحده فلا يحسن تركه ولا خير في العيش بعده فاذا أنا قتلت فلا لوم علي بعد قتل نفسي لاجله وهو من بعد قتلي يفعل ما يشاء (قال) فعظم قوله على الكاشح ثم قال له صفوان ان عديدك الى فلقت بالحسام هامك وهشمت عظامك وقربت حمامك (فلما) سمع الكاشح كلامه لم يطق صبرا دون أن حمل عليه فتلقاه صفوان بقلب أشد من الصوان وانبسط في المجال واشتعل بينهما القتال وكان الكاشح يظن أن صفوان لا يصبر على قتاله ولا يقدر على نزاله فلقي منه في ذلك اليوم أمرا عظيما وحربا جسيما وعاين منظرا لم يكن يعهده فيه وذلك من تتابع صولاته وترادف حملاته وسرعته وثباته وتخلصه من أبواب الخداع ودوام الحرب فتعجب الكاشح منه تعجبا عظيما وقال ويلك يا صفوان اني لم أعهدك بما ظهر لي في وقتك هذا وأنت تعلم انك لست من أقراني ولا من أكفائي فمن أين لك هذا النشاط والانبساط والحدة والثبات بعد الوهن والفشل فقال صفوان كل ذلك ببركاله السماء نظرا الى صاحبي وما قدر لي به من بغيكم فنصرنا عليكم وهذا الطفيل فوق الجبل راكعا ساجدا متضرعا الى خالقه يسأله أن لا يسلمني اليكم وأرجوا أن يكون قد سمع نداءه وأجاب دعاءه فما أعطيته اليوم من النصر عليكم فهو ببركة صاحبي وبركة (محمد) بن عبد الله قال الكاشح أصبوت الى (محمد) فتقاتل على دينه قال ما صبرت ولا كبرت عما كنت عليه غيراني أؤمل أن تلحقني موجة من بحاره فتغسل كل داء وترشدني الى طريق الهدى قال فاشتد غضب عدو الله وتعاظم شره وصاح صيحة وانقض عليه فلم يزالا كذلك يقربان ويبعدان ويلتقيان ويعتزلان وقد تطاولت أعين

الفريقين اليهما والطفيل مابين شاك وبالوداع وضارع يمرغ خديه على الثرى لا تنشف عبرته ولا تسكن دمعته وينادى كل ماتحاملا وتلاقيا (يامحمد يامحمد) يامغيث أغثنى وأغث صاحبى فكأنما كان فى شعلة فطفئت فلم يزالا كذلك الى أن جيت الشمس واشتد لهيبها وعظم الأمر والوهج فافترقوا واستراحا قليلا ثم عاودا الحملة ساعة (ثم) افترقا على مثل ذلك تارة يسبحان فى القتال من شدة حر الرمضا وتارة يفترقا الى أن هبت أوقات العصر وكلا منهم قد كل ساعده وانبهرت قوته وانقطعت الخيل من شدة الفر والكر فقال الكاشح يا ابن عنبسة انى راجع عنك الى قومى وهذا يوم قد أظلك بالسعود فى غداة غد يطلع نجمك بالنحوس وتبقى برأيك منكوس (ثم) رجع الى قومه قال فلما نظر اليه عمر بن حمامة مطرقا الى سرجه اطراق الغضب وقد كساه العرق فعرف ماعنده فقال أهلا بك ومرحبا أنت كاشف الملمات والموجودات فقد اجتهدت اليوم فى رضى عشيرتك فلا يعظم عليك انفلاته من يديك فانه طعمتك وفريستك وطعم سيفك (فقال) الكاشح لقد بلوته قبل اليوم وبلانى ولم أر منه قط مارأيته اليوم ولقد أعطانى اليوم البراعة والشجاعة حتى خفت آتيه من جنبته فاكون فضيحة فى العرب قال فلم يزل عمر بن حمامة يمسح أعطافه حتى زال ماسكن به (قال) ورجع صفوان الى الطفيل فألفاه حزينا باكيا غير أنه واثق بربه وبنبيه صلى الله عليه وسلم فسكن هلعه وزال جزعه وقبله مابين عينيه وقال له انى نذرت لله نذرا ان رجعت الى سالما أن أبذل من مالى ماتصل يدى اليه وأعتق رقبة شكرا لله تعالى وخصوصا فى هذا الوقت قد زال من النسوان ماتجللهم من الجزع والخوف على أنفسهن وأولادهن (فقال) الطفيل لو طال عمرى يومين أو ثلاثة لرجونا أن الله يأتينا بفرج من عنده قال فبقى القوم بقية يومهم حتى أدركهم المساء فعاودوا مثل ليلتهم الماضية الى حرصهم وفرق الطفيل العبيد وأضرم النيران ولزم حرسه فلم يزل القوم كذلك الى أن برق ضياء الفجر فقال الطفيل لصفوان أنا أرى من الصواب أن نباكر القوم قبل أن يباكرونا فقام صفوان فى الحال وشد عليه درعه وهم بالخروج فتعلق به الطفيل وقال أين تريد ياخليلى قال لهؤلاء القوم اللئام حتى يحكم بينى وبينهم الحسام (فقال الطفيل) ما أنا لك بصاحب ولا خليل ان تركتنى كل يوم تخرج الى الاعداء وأنا أنظر اليك فوالله لا يخرج فى هذا اليوم اليهم غيرى قال صفوان بل أنا دونك فان طرقنى سوء كنت قبلك قال الطفيل أرأيت ان طرقك سوء لم يكن لى بقاء بعدك (قال) صفوان الا انى أحب أن يكون يومى قبل يومك ويبكينى أهلى ولا يبكيك أهلك أمامى فان مت فلا أبالى بما كان بعدى (قال) الطفيل أقسمت عليك بالله ورسوله أن لا يخرج اليهم اليوم غيرى ويكون ماشاء الله ان يكون ثم ان الطفيل أفرغ عليه أدراعه وركب جواده وودع أهله وداع من لا يعود اليهم أبدا ثم قال للعبيد لا يكون اليوم شغل الا جمع الوطيس حتى تحدقوا بالأموال والنسوان فان فقدت فصاحبى لا شك أنه يطلب نارى ولا يقصر عن أعدائى وان زحف القوم اليكم فاضرموا ناركم والزموا ما يكون لكم طريقا تمانعون به عن أنفسكم وحريمكم ولا تسلموهم ولا تخذلوا حتى تموتوا وتهلكوا (قال) فبكى العبيد من قوله وقالوا لا نسلم أهلك حتى نموت أمامهم فشكر لهم ذلك ثم سلم على خليله صفوان وودعهم وانفصل منهم ودمعته جارية على خده وأوصاهم وعهد اليهم والى زوجته وبناته وانحدر من السند وهو يقول

أستودع الله من خلفته خلفا * على النساء مع الأهلين والحرم
نعم الخليل فتى للروع باذلها * محله كرما ناهيك من كرم
منى السلام عليه كل ماطلعت * شمس وماغربت بغياهب الظلم

ياخليلي ان قدر الرحمن فرقتنا • فاقرأ السلام على المختار فى الأمم
بلغه مانالنا من معشر غدروا • صبرا على ماجرى فى اللوح والقلم

(قال ثم) انحدر الطفيل من السند نحو القوم فقال عمر بن حمامة هذا سيدكم الطفيل قد أقبل اليكم فانظروا ماعنده وماذا يقول لكم فان هو استسلم فاقبلوه وابقوا عليه ولا تقتلوه فلما أن قرب منهم صاح بهم وقال ياقوم ان الفرار شين والثبات فى المعامع زين والباغى مخذول وسيفه مفلول وان كنتم استحسنتم الغدر والاسراف فالانصاف من شيم الاشراف ولكن هلموا الى القتال ومحل الطعن والنزال (قال) فبرز اليه عباس بن خطير وكان من الرجال المعدودين فهجم عليه الطفيل من غير امهال ولا جواب فما كانت الا جولة جائل حتى وصل اليه الطفيل وطعنه طعنة صادقة تركه عفيرا وعلى الثرى قتيلا ثم طلب البراز فخرج اليه زهير بن سالم وكان قريبا له فى النسب فما كانت الا هنيهة حتى ألحقه بصاحبه فبرز اليه خالد بن كثير فالحقه بهما فلم يزل يبرز اليه فارسا بعد فارس الى وقت الظهر وقد قتل منهم احدى وعشرون فارسا فانعزل الطفيل وصلى صلاة الظهر ثم عاد الى مقام الجلاد فعظم ذلك على دوس وتظرت الابطال بعضها الى بعض وتطاولت الاعناق الى الكاشح فعلم مرادهم فخرج نحو الطفيل فاقاما بقية يومهما فى القتال والنزال الى أن أدركهم المساء فافترقوا سالمين فلما كان فى غداة غد خرج صفوان فلم يزالا كذلك وهما ينتظران فرجا الا أنهم بطاولتهم قد قتل منهم خلق كثير وقد صبر الطفيل وقومه على الضرر وقلة الزاد ولم يكن عندهم طعام ولا شراب غير اللبن يسدون به رمقهم (قال فلما) تطاولت عليهم الأيام فكر عمر ابن حمامة وقال لقومه ياقوم ان الأمر بعد علينا وقد اكتنفنا هذان الرجلان وقاتلا جمعنا ورجالا من قبيلتنا وأنا لم نظرت عامر بن الطفيل فى الأيام التى مضت ولا فى هذه المدة الحاضرة ولا بد أن له أمرا لم نقف عليه فاما أن يكون مريضا واما أن يكون قد مضى الى (محمد) بن عبد الله يخبره بخبرنا ويحدثه بحديثنا وماوقع منا فالآن ان طاولناهم فنونا رجلا رجلا عن آخرنا ويبقى الحى خاليا من الفرسان فالاصوب عندى أن نحمل على القوم بجمعنا ونطعنهم طعنة واحدة لا يوجدون بعدها أبدا فاذا أصبحتم تقدموا بأجمعكم وترجلوا عن الخيل وأحدقوا بالقوم من كل جانب وتحيزوا الأموال واحملوا على الرجال واهتكوا السجف عن البنات والنسوان واسبوهم سبى الاماء واسطوا عليهم بيد الرداء واصحبوهم من الآكام والربى ليعلم الطفيل ان (محمدا) لم يغن عنه شيأ قال فبات القوم على ذلك فرحين مسرورين وكلا منهم متطاول بالنظر الى زوجة الطفيل وبناته لحسنهن وجمالهن (قال) والطفيل لا يعلم بشئ من ذلك الا أنهم فى غاية الحذر من الاعداء وقد نصب الطفيل من حوله وطيسا صار حجابا بينه وبين أعدائه وسرادقا لا يصل اليه واصل فلما أن لاح له ضياء الصبح صلى الطفيل وأفرغ عليه لامته وفعل صفوان كفعله وكان الطفيل قد عزم ذلك اليوم على القتال بنفسه (قال) فبينما هم كذلك يوصى كلا منهم صاحبه وعبيده اذ حانت من الطفيل التفاتة واذا بالقوم قد تكاملوا حول صاحبهم عمر بن حمامة وهم يتشاورون فيما عزموا عليه ودبروه فانكر أمرهم وقد افترقوا بعد الاجتماع ثم أقرنوا المناكب وأشهروا القواضب وحملوا نحوه أجمعين وحمل عمر بن حمامة فى أوائلهم والكاشح وغانم بن جبير وأمثالهم من أبطال دوس والقوم من ورائهم كالليل الداعس لكثرة أدراعهم وبعضهم يضرب بالسيوف على الجحف ولهم ضجيج وعجيج (فلما) رأى الطفيل ذلك خفق قلبه وعظمت مصيبته واشتدت حرقته وانهملت عبرته بالدموع وبكى صاحبه صفوان مما ظهر له وتصارخن النسوان من أعلى الكهف بالبكاء والنحيب وعلا صراخهن وعويلهن فتزايد الأمر

على الطفيل فنادى وأهلاه واحريماه واولداه فقال له صفوان لا أذلك الله ولا شتت شملك ماهذا البكاء والنحيب انظر لنفسك ودبر أمرك (قال) وماذا أصنع وأنت ترى زحف القوم اللئام علينا بجموعهم فقال صفوان وما عليك والمكر في مثل هذا اليوم مكرمة فأمر العبيد أن يضرموا النيران في الوطيس فان فعلوا ذلك واتصل بعضهم ببعض صارت كالسرادق لا يقربهم أحد قال فلما سمع الطفيل من صفوان هذه المشورة أمر العبيد أن يضرموا النيران في الوطيس وزحف هو وصفوان والعبيد من ورائهم فوقفوا في المنفذ ووقف الطفيل وصفوان امام العبيد فوصلوا القوم اليهم ومالوا بكثرتهم عليهم فلم يكبر ذلك عليهم دون أن قاتلا قتالا شديدا وصرعا من القوم جملة رجال قال وكان عمر بن حمامة يندب لهم فئة تقاتلهم فاذا انبهرت رجعت ودنت طائفة أخرى وهما صابران محتسبان لا يزولان عن مكانهما الى أن زاد عليهم الأمر فقدموا العبيد أمامهما ليستريحان قليلا من تعبهما فقتل من العبيد أربعة في أقل من حلبة حالب فخشي على بقية العبيد فأزالوهم من مكانهم وتصدروا للحرب فجعلت فرقة تدخل اليهما وأخرى تخرج عنهما الى أن ضاقت منهم الأنفس وكلت الابدان ولم يبق منهما منعة ولا انبساط فجعلا يدافعان عن أنفسهما فتقدم عمر بن حمامة والكاهن وزحف القوم اليهما بجمعهم حتى اذا كان بعد صلاة العصر والقوم في أشد القتال ولم يبق في الطفيل وصاحبه غير الارواح تطلع وتهبط (قال) فبينما هم كذلك اذ أشرفت غبرة عليهم ودنت منهم فصاحت زوجة الطفيل ببعلها تبشره لكي يشتد قلبه وقالت له ياخير قرين وصاحب أبشر فقد أظلتك الكتائب من كل مكان وجانب فلا شك أن قائدهم (محمد) بن عبد الله وعلي بن أبي طالب قال فالتفت الطفيل عند صراخها واذا بالغبرة قد انكشفت عن خيل كالعقبان وعليها رجال كالاطواد غلاظ شداد كأنهم الفحل السحوق أو كأنهم جبال أطبقت عليهم صحائف من حديد فحار والمناظروا ودهشوا مما عاينوا وبكى الطفيل من شدة فرحه وجعل ينشد ويقول

عم السرور علي حتى انني ● من عظم ما قد سرني أبكاني
ياعين صار الدمع عندك عادة ● تبكين في فرح وفي أحزاني

(قال) فنظر الطفيل فوجد ولده في أوائلهم على مطيته فصاح عامر عند ما عاين أبوه وقال يا أبت طب نفسا وقر عينا فقد أنتك النجدة من عند نبينا (محمد) صلى الله عليه وسلم فكبر القوم بأجمعهم وكبر ضماد الازدي ومن جاء معه من قومه ونادوا بجمعهم لا اله الا الله (محمد) رسول الله وسمع للتكبير دوي عظيم فعند ذلك تزايد بالقوم البكاء فقال صفوان ما أسرع ما عتدت ياطفيل ان خفت بكيت وان أمنت بكيت (فقال) الطفيل ياصفوان بكيت مما أصابني أما والله لو لم يدركنا الله بنصرته لرأيت اليوم نسائي وبناتي وامائي مهتكات فالحمد لله على ما أعطى وأولى قال فتأمل المشركون لمن أشرف عليهم من الازد واذا هم رجال طوال وقد زاد الله في خلقتهم وهم رجال شنوءة معروفين بعظم الجثة وتاملوا في أوائلهم ضماد بن عنترة وهو قد علا عليهم بعظيم خلقته وهول منظره وكثرة لامته فتعرف به قوم وأنكره آخرون وأقبل الكاهن الى عمر بن حمامة وقال له ما انتظارك وقد زال الهزل وأقبل الجد هذا سيد الازد وصاحبهم ضماد من لا يطاق ولا يدرك في السباق فانظر لنفسك ودبر أمرك ورأيك وقد أتاك من لا طاقة لك به ولا بدفاعه واعلم ان هذا ضماد قد نال من كل فاضل فضله وأخمل كل لبيب عقله تهابه الرجال وتحذره الابطال وقد اتصل بنا انه صبا الى (محمد) هو ومن معه من قومه فلا يتخلف منهم أحد عن اجابته ولا شك ان عامر بن الطفيل وفد على (محمد) فاستنصره واستنجده فبعث الى ضماد وأمره بالمسير اليكم

فما عندك من الرأى (قال) عمر بن حمامة هذا الذى حسبناه والامر الذى كنا نخشاه ولا بد لنا أن نحاول القوم بالخداع ونرميهم بالقراع عسى ان يكفونا مؤنتهم ويصرفوا عنا شرهم فان لم يفعلوا ذلك والا فلا بد لنا من أن نمانع عن أنفسنا ولا نسلم اليهم أرواحنا لان القوم قد ذهلوا من رؤيتهم وعظيم خلقتهم وامتنعوا عن حربهم واشتغلوا بالنظر اليهم (فلما) وصل ضماد الى أصدقائه بدؤا القوم بأن جعلوا خيلهم عارية من ركبانها حين نزلوا عليها وزحفوا الى الطفيل وتركوها خلفهم فلما نظر الطفيل الى فعلهم عرف أنها حيلة دبرت عليهم ومكيدة يوقعونها بهم فأمر عبيده ومن معهم من الرجال أن يهجموا على خيل الاعادى الذى جعلوها من ورائهم ويأتوه بها فى أقرب وقت قال فلما سمعوا ذلك من سيدهم مالوا على الخيل وعلى رحالها فأخذوها وملكوا عسكرهم بأسره وحازوها اليهم فى الحال من دون قتال ولا نزال فبعد ذلك تقدم اليهم عامر بن الطفيل وقال يا معاشر الازد هذه أول غنيمة من القوم بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستلوهم فان استسلموا اليكم فسالموهم وان أبوا الا قتالكم فكنوا السيوف من الهام والنحور والاوداج ولا تبقوا الا على من استسلم اليكم (قال) فوقف القوم صفا كانهم صف من حديد وتقدم عامر بن الطفيل امام القوم ونادى برفيع صوته أظننتم يا لئام العرب انكم تظفروا بنا الا بعد ذهاب أنفسنا واتلاف مهجتنا فالآن ليس لكم مفر من جنود الله وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أوقعكم الله فى غدركم وخاننا من مكركم فابشروا بالدمار من عصبة أخيار حتى تقروا وتعترفوا بالملك الجبار خالق الليل والنهار وقد ملكنا خيولكم وبقيت أرواحكم فما أنتم قائلون هل لكم بجنود الله من طاقة وبحرب كتائب الله من استطاعة (قال فلما) سمع ذلك عمر بن حمامة أقبل الى الطفيل وقال يا طفيل ألا ترى الى ولدك قد زاد فى تعاظمه علينا واشارته الينا يظن انه يقدر على اساءته لنا بمن أنجده فان كان أتانا بهذا الجمع وبسطوا أيديهم الينا وأصابوا منا وأصبنا منهم فالحرب سجال فان طاولونا كتبت الى القبائل والعشائر فيأتونا من كل واد مضيق وبلد سحيق وأنت تعلم انى مجاب الدعوة ومسموع الكلمة لا يتخلف أحد عن دعوتى فأقبل بهم عليك وعلى من معك ولا أترك منهم أحد فاصرف هؤلاء القوم عنا فعند القتال تشتد الضغائن فى الصدور وتهجم عليك فلا تجد ناصرا ولا معينا لديك وتوقع بك وبولدك التدمير فالذى أشير به عليك أن تدفع القوم عنا وتمنعهم منا فيكون أصلح لك وأستر لنسائك وابقى لحياتك وأمرهم ان يردوا خيلنا ورحائلنا علينا (فقال الطفيل) أنا ما أقدر أن آمرهم ولا هم عبيدى آمرهم وانما هم جند الله وسهامه فيصيب بهم من يشاء من الارذال والكفار وما أنا براغب فى مجاورتكم ولا مساكنتكم بعد ما ظهر لى من غدركم وأنا قاصد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكون فى بلده وتحت كنفه الى أن يأتينى الموت الذى لا بد منه (قال) فلما رآه عمر بن حمامة لا يرجع عما هو عليه ونظر الى القوم وقد أجمعوا على الحملة عليهم فصاح بهم اللعين مهلا يا معاشر الازد فان هذا الرجل كان سراج حضرنا وعمدة قبيلتنا تهابنا العرب من أجله وتعظمنا من هيبته فلما خرج من بيننا أظلم الحى بعد اشراقه وأدهمهم بار تحاله نخشينا أن يطمع فينا الطامع ويكدحنا الكادح ويلومنا اللئيم ان تركناه يخرج من بيننا فخرجنا اليه بجمعنا لنرده الى بيت مجده وعزه ومحل آبائه وأجداده فامتنع منا وأبى الرجوع معنا فلزمنا المقام حوله لعله يرجع الينا بغرضه لاننا لو شئنا الوصول اليه والهجمة عليه لكنا فعلنا من منذ قدمنا وانما خشينا العار فى الاقطار وهتك الاستار وظهور عورة نسائه وبناته للنظار ونحن لم نكن لذلك خرجنا وانما كنا نؤمل عطاءه ونناله أن يداخله الضجر فيعود الينا ونحن لو كنا نوصل منا اليه لكنا أشفق الناس عليه ولكنه لما طالت به الايام أرسل

ولده مستجيرا (بمحمد) فبعث اليكم فاسرعتم لامره تظنون أننا ممن يعانده أو ينازعه ولكن الامر بخلاف ذلك لاننا لو رأينا أحدا من العرب يطلب عناده أو يطلب كياده لكنا نضرب باسيافنا دونه وأما ولده فقد أوصاني فواصلته وخطب مني ابنتي فزوجته والنسوان قد أخذوا في اصلاح شأنها لأجله فارجعوا أنتم على أثركم مكرمين وأكون لكم من الشاكرين لاننا صرنا اخوان وأصهار ومساعدين بعضنا في اليسر والاعسار قال فلما سمع ضماد رحمه الله من عمر بن حمامة ذلك الكلام قال له اني لست أرى فعلكم فعل من أظهر الوداد وانما أرى فعلكم فعل من أظهر الكياد والذي ظهر لي منكم أنكم لو ملكتموه اليوم لملكتموه وأنكم لو كنتم تطلبون صلحا ما قتل بينكم قتيل ولا سفكت هذه الدماء ولكن اعتزلوا في ناحية حتى أمض الى الطفيل واسمع كلامه وانظر ما عنده من أقواله (قال) فاعتزلوا عنهم وأقبل ضماد الى قومه وقال لهم كونوا بازاء القوم حتى أعود اليكم ثم أقبل ضماد وعامر بن الطفيل (فلما) قربا ونظر الطفيل ولده تزايد همه وتجددت عبرته وذكر ما ناله فانتحب وبكى لبكائه حتى اذا وصل اليهما فعانق الطفيل ولده (ثم) عانق ضمادا وسلم عليه وسلم عليهما صفوان وجلس القوم لجلوسه ثم قال ضماد للطفيل اخبرني بخبرك مع قومك وعشيرتك فانهم ذكروا لي أنهم ما أرادوك بسوء ولا كادوك وانما كان غاية مطلبهم أن يردوك ثم ذكر له جميع ما قاله عمر بن حمامة من الخداع والمحال فقال الطفيل معاذ الله يا أباسديس أن يكون الأمر كذلك بل كبر عليهم دخولي في دين (محمد) صلى الله عليه وسلم وهذا النور الذي أعطانيه الله في سوطي وكان السوط معلق في أعلى الكهف أمامه كالمصباح يلمع شعاعا فنظر اليه ضماد فرآه فقال ما هذا قال آية احتج بها على قومي لما أعلم من أكبادهم القاسية فاظهرها الله لي وقد أشرقت على الحاضر وليس معي منه شيء (فلما) قربت نزل على هذا النور من السماء بيركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل في وجهي فسألت الله أن يزيله من وجهي فنقل الى سوطي وهو يشتعل فيه ليلا ونهارا فقال ضماد انذ يا طفيل لذي النور فسمي الطفيل ذي النور من ذلك اليوم عند أهل العلم وأصحاب الحديث (فقال) ضماد لما ظهرت هذه الآية ما ارتدعوا قال الطفيل والله ما زادهم الا ضلالا وخبالا ثم أخذ الطفيل يحدثه بما كان منه في بادية أمره من القتال الى منتهى ما كان من القوم ومن قتل منهم ومن قتل من عبيده قال ضماد يا طفيل قد مضى الأمر بما فيه وقد حال الله بيننا وبينهم وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصرتنا ومعاونتنا على عشيرتنا الى أن يبلغنا الله رضاه فما الذي تأمرنا به أن نفعل (قال الطفيل) آمر بالصبر عليهم ما قدرت ونحسن اليهم ما استطعت فاني حفظت لهم مالم يحفظوه لي وراعيت لهم مالم يرعوه لي وقد آلمني من قتل منهم وكبر على صرعتهم فان رأيت أن تكون السفير بيني وبين القوم الظالمين فتكون سببا للصلح وحقن الدماء وأنت المكرم بذلك لأن في الحاضر عمات وخالات وأخوات وأقارب وبنات لنا ولهم فاذا سفكت دماؤهم ورد النادي الى الحاضر فأي حال ترجو أن يكون حالهم وقد خيرتني فأنا لا أود الا البقاء على قومي وأقاربي وحقن دماء عشيرتي والذي أنا طالب منهم أن يسلم عمر بن حمامة ولدي زوجته فانه مغرم بهما مشغوف بحبهما فان كره ذلك فليرد علي ما أخذ من المال في بعضه غناء الى الأبد وعيش الرغد ثم ينصرفوا بحال سبيلهم الى حاضرهم وأنا أنصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) ضمادا نذ يا طفيل كريم من نسل كريم فمهل حتى أعود الى القوم وأنظر ما عندهم قال عامر بن الطفيل يا أبا سديس كن على أخذ وجتي حريص ولا حاجة لي في المال وان طلب الزيادة زدناه فمضى ضماد نحو القوم وهو يقول اذا بلغت الذي أرجوه من أملي ● فاحمد حامدا لا تجمل بعشره

كم حافر لقليب الشر يضرمه ● فكلهم تداعى في قعر محفره

أبا الطفيل سوى الاحسان ينشره ٭ مبقيا ذكره فى طيب عنصره
نرى الكريم اذا والى كريمته ٭ فى الناس يدخرها يوما لمحشره

(قال) ثم أقبل ضماد الى أن وقف بازاء القوم ثم نادى عمر بن حمامة فأجابه قال له ضماد انى أتيتك من عند رجل كريم فى الناس وقد أبقى عليكم وقد أرسانى اليكم بأمر أرجو منكم قبوله فاخرج يا عمر ان شئت حتى ألقى لك ذلك وان شئت أن تسمع سمعت وان شئت أن تقبل قبلت والا فاصنع ماشئت (قال) فخرج عمر بن حمامة وقد أخذ حذره منه وكان قد خوفه الناس منه فقال له الكاشح اياك يا عمر أن تسلم قيادك الى هذا الرجل والدنو منه فيخطفك واياك أن تخالفه فيما يدعوك اليه وكن له مجيبا لقوله مصيبا فان عدت من عنده علمنا بحسب مارأيناه وان طلب ابنتك فلا تمنعه منها وهنيه بها طول مقامه معنا وقل له يسكن بها ابن الطفيل فى حاضرنا وراوغه مراوغة الثعلب (قال) وحق ذى الكفين لا بد لى من قتل الطفيل وخليله صفوان والحق بكسرى فقال عمر أنا مجيبك على مثل هذا ثم خرج مسرعا الى أن وقف بازاء ضماد وقال صدقت فيما ذكرت من أمر سيد هذا الحاضر (قال ضماد) لعمرك انه لسيد فاضل وقد صح عندى انك كاذب فاجر ناقص فى فعلك فلا أهلا بسمع أتاك ولا مرحبا بمثلك ولو أطلق لى الطفيل السبيل لتركتك ومن معك طعمة للطير الا أنه لكرمه أبى الا الاكرام وسبيل الكريم أن يبقى اذا ظفر ويحسن اذا قدر وذلك من شيم الاكابر وذى الفضل والمفاخر وانى وجدته أبقى الناس عليكم وان كايدتموه وارحم لكم وان لم ترحموه وقد سمح وعفى وابقى وترك لكم ماكان منكم اليه فى هذه الأيام التى مضت مع أنكم لو انتهيتم الى أمره وقبلتم قوله كان أرشد لكم فان أبيتم كان لكم دينكم الاطود وله دينه الاسعد والذى يفصل بينكم هذا الأمر أن تسلم ابنتك الى بعلها يسير بها الى حيث شاء لا يجاوركم ولا تجاوروه ولا يعاندكم ولا تعاندوه فما أنت قائل فيما ذكرت لك والسعادة لكم ان قبلتم (قال) عمر اسنا نمنعه من زوجته ان شاء أخذها وان شاء تركها ونحن لمحله أحوج ولرجوعه معنا أطلب فقال ضماد أما الرجوع معكم فلا يرجع أبدا بعد ماظهر له من غدركم ماظهر ولم يجمعه الزمان عليكم بعد اليوم (قال) عمر بن حمامة وأنت يا أباسديس مايكون منك معنا قبل ترد علينا ما أخذته من خيلنا ورحالنا قال ضماد هو لنا ونحن أحق الناس به وان شئنا وهبناه وان شئنا أخذناه مع أنكم اذا اصطلحتم لم تنصروا الا شاكرين وعنا راضين (قال) فتلك الاجابة منا والاكرام للطفيل الحب والانعام فهذا النهار قد مضى والليل قد أقبل فاذا كان فى غداة غد اجتمعنا نحن واياكم واصطلحنا وتعاقدنا وتعاهدنا الى أن ينفصل بيننا وبينكم الشر وتسيروا أنتم بالنجاح ونرجع نحن بالصلاح (قال) فقال ضماد لك ذلك ثم عدل نحو أصحابه وأشار اليهم فاعتزلوا الى ناحية الطفيل وأخذوا السند بعادا ونزل الطفيل وصفوان وأمر عبيده أن ينحر لهم ثلاثة من الابل قال ضماد لابل واحد فيه الكفاية وأبى عليهم فذبح من الغنم والمعز مع ذلك ماكفى القوم وأمر أن يصنع ذلك فى سرعة فتسارع العبيد والاماء الى ذلك واقبل عامر بن الطفيل الى الحريم فسلم عليهن وبشرهن بما توافق عليه القوم فضمته أمه الى صدرها وقبلته مابين عينيه وسألته عما شهد من أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) لها وماعسى أن أصف لك من أحواله وهو بهجة الزمان ونور البلدان قوى الجنبات سماوى الذات زاهر الخطاب جميل الأصحاب رئيس كريم رؤف رحيم ضاحك السن كثير الزهد زايد الوقار اذا سئل أعطى خير لمن طرقه محسن على من قصده تحف به عمومته وأقاربه كأنه بدر أحدقت به النجوم صلى الله عليه وسلم قالت له أمه تعس شانئه ومعانديه وسعد من والاه لقد فزت يا ولدى بالنظر اليه فهل ذكرت له من شأن زوجتك شيئا تقر به عينك فقال والله ان حبه أنسانى زوجتى الا أنه ذكر لى وهو الصادق فيما ذكر ان الله سبحانه سيجمع بينى وبينها على ملة الاسلام وأرجو

أن يكون ذلك قد قرب (ثم) اخبرها بما اتفق عليه من الصلح وماذكروه من دفع زوجته اليه فسرت أمه سرورا عظيما ثم تركهم ورجع الى أبيه فاظلم المساء فاذن عامر فقال الطفيل لضماد تقدم فانت أقدم مني في الاسلام فتقدم ضماد وصلى بالجميع والمشركون باهتون الى المسلمين ينظرون الى قيامهم وركوعهم وسجودهم (فلما) فرغوا من صلاتهم قرب اليهم الطعام قال ولما رجع بن حمامة الى قومه وقد عظم عليه ماذكره ضماد من تسليم ابنته الى زوجها واخراجها من حاضرها فكرهت ذلك نفسه ورجع الى قومه كئيبا حزينا (فلما) رآه الكاشح قال له ماوراءك قال ورائي امر كريه دونه قطع الانساب وخوض الدماء قال وماهو قال ان القوم قد تطاولوا الى أمر لا يكون وأما القتل والفناد ونه يسير وان هذا الرجل ضماد يسئل ان يكون سببا للصلح بيني وبين الطفيل على أن أدفع الى عامر ابن الطفيل ابنتي رغلة يمضي بها حيث يشاء من البلاد ان شاء الى (محمد) وان شاء الى غيره واني أرى جز الفلاصم وقطع الرؤس بالصوارم أيسر وقد أجبته الى ذلك حذرا من شره وخوفا من مكره لاني رأيت المنايا في حمالق عينيه والبلايا ظاهرة عليه فلم أرده في كلامه خيفة من انتقامه غيراني قد أخرت ذلك الى غداة غد وأنا مهون على ان أسرع الى ابنتي تحت الدجى فاعلوها بسيفي وأقطعها اربا اربا (ثم) أعود فاناضل القوم فاما أسعد فانال المنى وأما أن أهلك فلا يكبر على هلاكي فما الذي عندك من الرأي في هذا الأمر (قال) الكاشح ياسيداه فأين حيل الرجال وخدع الابطال قال وماذاك قال أنا أعلم ان صاحبهم ضماد هو عماد القوم وهو ناصر الطفيل بن عامر مدا ينا وغريمنا ولسنا نطلب سواهم وقد أجبت القوم الى الصلح والاجتماع في غداة غد فاذا اجتمعتم وجلستم على الارض وتكلمتم في الصلح واطمأن القوم فاطلب أنت أحد الاثنين اما الطفيل واما ضماد أيهما شئت وليكن معك من تثق به من قومك ليكون لك عونا وهم دائرون من حولك واتعلق أنا بالآخر فاذا نظروا الينا وقد تعلقنا بهما فليتداركوا باسيافهم فاذا قتلا كان بقية القوم لك طوعا وفي يدك جمعا ويكون سبيلهم كسبيل الابل اذا ضل راعيها وتبدد شملهم بعد الاجتماع (قال) عمر بن حمامة ليس لهذا الأمر من معين غيرك ولا معاند ولا مساعد وقد بلوتك في الشدائد فوجدتك معينا وكاشفا عند الامور وقد أمهلتك لهذا الأمر وله طلبتك وما بي عنك غنى (قال) الكاشح أنا كنت المشير وأنا خائض معك في الهجمات على هذا الأمر العسير فأيهما شئت فافردني اليه (قال) الطفيل بن عامر رجل قد بلونه وخبرته وقد عرفت مكانه على طول الأيام وأنا أقدر الناس عليه وأما هذا الرجل ضماد فانه رجل لم أعاركه ولم يعاركني ولا باليت بحربه ولا بلي بحربي فأنفذ أنت اليه وأنفرد أنا للطفيل (قال) الكاشح لا بل هو سيد قومه وأنت سيد قومك ولك يشار فانفرد أنت له وخلني أنا للطفيل قال عمر اني لاكره منظره ولا طاقة لي برؤيته فاعفني منه ولا تباني به فأنت له دوني قال الكاشح أنا له ولوده قسورة من بعده فاعهد الى قومك اذا رأوني وقد تعلقت به أن يسرعوا الي بالسيوف ولا يبقوا عليه لأنه ان بقي كان السبب لفنائكم وهلاكم قال فدعى عمر بن حمامة رجال من قومه صلاب شداد ليوث انجاد فعرفهم بما عزم عليه هو والكاشح من الغدر ووصاهم وقال لهم اذا رأيتم الكاشح وقد وثب لضماد وتعلقت أنا بالطفيل فاخترطوا السيوف ومكنوهما من أعناقهما ولا تبقوا عليهما فأجابوه الى ذلك وبات القوم بأطول ليلة وعمر بن حمامة مكره لما دبره الكاشح وتاباه نفسه لما ظهر له من كلام عامر بن الطفيل فهو بين الخائف والراجي وكان قد قال لهم عون بن منال الدوسي يا قوم بئس ما اخترتم لأنفسكم من قصدكم القوم وصاحبكم الطفيل بلي بكم وبلوتم به والآن سامحكم وعفا عنكم ما كان منكم اليه وهذا من شيم الكرام ولو أنه أطلق لهؤلاء الازد السبيل لمزقتكم بمخالبها لكنه رعى لكم مالم ترعوه له ولقد وضع عما ملكت خيلكم ورجالكم وأخشى أن تملك بعدها أرواحكم (ثم) بعدها حاضركم فلا تجعلوا للبلا

عليكم من سبيل ولا تقضموا ببغيكم على هذا الأمر فلو وصلتم بزعمكم الى هؤلاء القوم وسفكتم دماءهم لما مضت الايام حتى تر واجند (محمد) فى دياركم صباحا وشعارهم فى دياركم رواحا (قال) فلم يلتفتوا الى قوله ولا الى كلامه وباتوا مصرين على الشر فلما أصبحوا أرسل عمر بن حمامة الى ضماد ان أخرج الى رجال من قومك مع الطفيل ليكون صلحنا بحضرتك وتكون أنت حاضره ومشاهده فتى نقض أحدنا كنت أنت المعين عليه فلما أتاه الخبر بذلك سر به وقال الحمد لله على حقن الدماء وصرف الشر عنا والبلا (ثم قال) للذى أرسل اليه ارجع اليه وأخبره انى خارج بمن لا بد لى منه من أهلى وعشيرتى فليخرج بمن شاء ولا يكثر علينا بالقوم فيكثر الصوت ويغيب الصواب (قال) فدعا ضماد ولده قسورة وابن عمه نابل وتم العشرة من أصحابه ودعى بالطفيل وولده وقال اخرجوا بنا الى هؤلاء القوم فعسى يكون اليوم انفصال الشر فقال الطفيل يا أباسديس ان من ذاق الصبر مرارته والعسل وحلاوته لم يخف عليه شئ منهما وانى أعرف من قومى ما لم تعرفوه فلا تستسلم اليهم استسلاما من جهتكم وكن حذرا منهم فضحك ضماد (وقال) يا طفيل يبسطوا أيديهم الى قال الطفيل لا يكبر عليهم ذلك فقال له ضماد ومن يخوض فى جحيم نار ملهب ويجرى عليه هلاكه بالمطلب ثم قال لولده قسورة يا بنى ان الطفيل قد ذكر شيئا يخامرنى وهمه ويخطر بقلبى غمه فكن غير متأخر عن قومك وعشيرتك فان ظهر لك من القوم غدرا ومكرا فاحمل بمن معك ولا تبق على كبير ولا صغير فان كان الطفيل يرعى لهم ما لم يرعوه ذوى القربى اقرابتهم فانى لا أرعى لهم ذمة ولا أحفظ لهم حرمة (قال) قسورة كفيت ما تخشاه ان شاء الله وخرج ضماد والطفيل متقلدان أسيافهما وتابعهما عامر بن الطفيل وبيده قوسه ونبله قال ضماد للطفيل وولده كونكما عازمان على اللقا وخارجان الى حومة الوغى (قال) الطفيل وما يؤمنى من غائلة القوم فكن متمسكا بالغدر على قوم غدار قال فعلى رسلك أيضا فوحق الحرم المحرم والبيت المعظم لولا رعايتك لهم ومنعك لى عنهم لضربتهم ضرب الجزار وأهلكتهم عن آخرهم ثم احتمل السيف وخرج قابضا على يد عامر بن الطفيل بيمينه وولده عامر عن شماله وأصحابه من ورائه فنظر عمر بن حمامة القوم وقد خرجوا من بين الصفين وعاين ضماد متقلدا سيفه (قال) له الكاشح ما انتظارك والقوم قد خرجوا اليك قال عمر وانى وأيم الله كاره لمشورتك فى أمر أخشى عقباه بطاولتك قال الكاشح أنا أتولى أمرهما فاخرج ترى ما يسرك فانى أتولى من تخشاه وهو ضماد فكن بعدى للطفيل فالزمه الخروج كرها فخرج هو والكاشح ومقاتل بن الزيان وجعل يدعو رجلا رجلا من كل من يعرف شجاعته وفروسيته الى أن دعى من القوم سبعين رجلا وقال تكونوا أضعافهم فان كبر علينا أمرهم فكرنوا الداعونا عليهم (ثم) خرجوا وليس أحد منهم خال من السلاح (قال) الطفيل لضماد ان القوم قد خرجوا أضعاف عددنا قال ضماد وما عليك فردنى اليهم فاكفيك مؤنتهم بعون الله تعالى والا فانى اذا العاجز قال ووصل القوم اليهم فقال الكاشح خدعة منه ومكرا بأبى وأمى عزة أصرفت عنها الوحائل وأزلت الطوائل وحقنت الدماء لا عدمناك صباحا ومساء ثم خطى اليه وجلس بازاء ضماد ليس بينهما الا مدباع وألقى السيف أمامه وجلس القوم جميعا جاثين على الركب متأهبون مستيقظون وعمر بن حمامة ينظر الى ضماد برمقه رمقة الخنق من وراء وجهه بخلاف ما رآه بالأمس من انتقاع لونه وارتداء وجهه فانكر ذلك من أمره والطفيل جالس وحسامه على ركبته ويمينه على قوائم سيفه وولده بالنبل الى جانبه فغاب رشده وحار عقله واصفر لونه وارتعدت فرائصه والتجم فاه عن الكلام وجعل ينظر اليه وليس منهما الا من داخلته الهيبة لما ظهر منه ومن عظيم ما ظهر لهم من ضماد والطفيل وأصحابهما فكان أول من ثار من القوم ووثب ورمى بنفسه للهلكة الكاشح واتكل على صاحبه عمر بن حمامة وعلى أصحابه أن يدركوه بالسيوف فالقى بنفسه على ضماد وصاح برفيع صوته

اخترطوا السيوف ورموا الظبا بالحتوف ولم يكن في القوم من يقدم على ما تجاسر عليه الكاشح وجبذت نفس عمر بن حمامة عما عهد اليه وفكر وخشي على نفسه الهلكة (فلما) رأى ضماد وقد غشيه لم يكبر عليه ذلك ولم يزل عن مكانه دون ان ضرب باحدى يديه على الكاشح فقلعه من الارض ورمى به الى ورائه ولكزه بزجة بعقب رمحه أسكنه رمسه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (فلما) رأى عمر بن حمامة ذلك وثب قائما عند ما صنع ضماد بالكاشح ما صنع وجرد سيفه وعلا به على صاحبه الكاشح وقطع رأسه وقال يا ابن الذمية والفروع اللئيمة من أمرك بهذا الغدر لقد كدت ان تهلكنا الى آخر الابد (ثم) أقبل الى ضماد وقال يا سيد قومك جدبا الاحسان وتطاول بالعفو والامتنان وابق من رضاك لسخطك ومن كرمك لغضبك ولا يقع عندك انتقاض منا من صاحبنا بما فعل ولو عهدنا منه انه يصنع بك ما صنع لكنا أول من بدأه قبلك فكيف وبك حقنت الدماء وأصينت النساء فان منننت فأنت أهلا لذلك وان عاقبت فما رضينا نحن بشئ من ذلك هل رأيت سيدنا الطفيل كيف من علينا حين ملك وعفا حين قدر ولو شاء لأهلكنا بكم وقد جدت فعاله فاغفر لنا هذا الذنب العظيم لأن كرمك أعلى من كل كريم (قال) ضماد وكأنك لم يكن ذلك من مرادك ولا من شهواتك ولا أجدتموه بينكم قال لا ورب الكعبة ومنى وأبي قبيس والصفا وذي الكفين (قال) ضماد قد وهبنا لكم الذنب العظيم وعفونا عنكم وسمحنا ولو شئنا لأخذناكم به فانصلوا الآن أمركم مع هذا الرجل قال عمر بن حمامة ما حكمت به أيها السيد علينا رضيناه وما ألزمتنا به التزمناه فلك منا الاجابة والهنا وللطفيل السنا (قال) ضماد انه قد دخل في دين عزيز من دخل فيه فهو حريز ولقد هال وكبر واتبع نبيه الأزهر ونوره الأقمر أفضل أهل الشعر والوبر (محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب وقد ظهر برهانه بما جاء به صاحبكم من هذا النور اللامع في سند الجبل فهل أنتم متبعون بصاحبكم الى دين الله والاقرار برسول الله صلى الله عليه وسلم وازالة الأصنام والاوثان بينكم (قال) عمر بن حمامة ان القوم سبيلهم كسبيل الطفل اذا قطع عن المراضع للعادة الجارية ولن يتركوا دينهم ودين آبائهم ويرجعوا الى الدين المحدث لا يفعلون ذلك أبدا ولعل لهم يوما يجيبوه فيه غير هذا اليوم (قال) ضماد فان لم تجيبوه الى ذلك واخترتم ما أنتم عليه فينصرف بحال سبيله قال عمر بن حمامه انا نحب أن يرجع الى وكره ووطنه لأنه سيدنا في الشدائد ومعيننا على الاوائد فان خرج من بيننا يحمل عزنا ويزيل فخرنا ويشمت بنا عدونا ويلزمنا العار والشنار في جميع الاقطار اذا افتخر كل سيد بسيدهم ولم يكن معنا فخارا وأنا أدفع ابنتي الى ولده وأحملها اليه وأرد عليه جميع مهره وأضيف معه زيادة وأعاضده على الزمان ويعاضدني وأساعده ويساعدني (قال) ضماد لا يطمئن اليكم بعد ما ظهر له من فعلكم ما ظهر وهو غير امن لكم وانه لا يجعل به المقام بينكم ولا يقدر أن يعبد الله وحده وأنتم تعبدون صنما جلمودا وتتخذونه معبودا (قال) عمر بن حمامة فما الذي تراه وتأمرني به قال تحمل ابنتك الى بعلها وتتركها تمضي لحال سبيلها قال عمر وانى فاعل ذلك فاجل بيني وبينه أجلا مسمى ان نأخذ في اصلاح شأنها وما يليق بها ونحملها اليه مسلمة مكرمة ونسوق معها أموالها وما تملكه يدها وعبيدها (قال) ضماد أجلناك شهرا وتحملها الى مكة بعد الشهر كما ذكرت قال عامر بن الطفيل تحملها في هودجها باطمارها وتحل عنها بما لها وما حوته يدها قال أبو هبل احملها بما قدرت واحمل معها ما استطعت وما ادخرت الأموال الا لها ولعلي هالك عن قريب قال ضماد فان كنت كما ذكرت فاكتب الآن علينا كتابا يشهد فيه من حضر منا ومنكم فان أخرتها عن الامد فقد نقضت العهد واستوجبت ما يستوجبه الغادر من العقوبة (قال) لك ذلك وأتى الطفيل بدواية وقرطاس وكتب ضماد بخط يده كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم (هذا) ما اصطلح عليه عمر بن حمامة الدوسي

مع الطفيل بن عامر الدوسى اصطلحا على حقن الدماء وصون النساء وترك العناد ومنابذة الكياد لا يتحاسدون ولا يتباغضون لهم دينهم الذى ارتضوه لأنفسهم وله دينه الذى ارتضاه لنفسه شهد على صلحهما وكان المتولى لأمرهما ضماد بن عنترة الازدى وولده قسورة وعشيرته وافترقا على تراض منهما وعلى عمر بن حمامة أن يدفع ابنته رغلة الى بعلها عامر بن الطفيل بما حق عليه من رحلها وما سهل من مال دفعه اليها مسلمة بعد شهر بالحرم فان نقض أو غدر فان الطفيل مطالبه بحق واجب ودين لازم وكان من شهد صلحهما عونا للمظلوم على الظالم وتراضيا بذلك وأشهدا به على أنفسهما وكفى بالله شهيدا (ثم) كتب ضماد شهادته وكتب القوم شهادتهم من الازد وأخذ شهادة دوس وقام القوم فعانق بعضهم بعضا وقام عامر بن الطفيل الى عمر بن حمامة وقبل رأسه وسلم بعضهم على بعض ودفع ضماد الكتاب الى الطفيل وقال هذا حجة لك ان عاقد عائق فأنا أول معين على هذا الأمر وهم القوم بالقيام (فقال) عمر بن حمامة مهلا يا أباسديس اذا انفصل أمرنا من أصحابنا انفصل أمرنا معك ولم يبق غيرك قال ضماد قل ما أنت قائل قال عمر أنا أعلم أنك لو مددت اليوم يدك الينا لأفنيت جمعنا ويتمت أولادنا ولكن تكرمت وانعمت ومن جاد على بنفسى أولى أن يجود على بمالى ولا يحملنا أن نمشى الى الحاضر على أرجلنا لاننا من أهل الرياسة والفضل وكذلك قومى ان رجعوا الى الحاضر على أرجلهم كان عار علينا وشنار واصل اليهم فأول من يعيرهم النسوان يقلن لهم خرجتم تطلبون الربحان فوقعتم فى الخسران فان رأيت أن تهب لنا خيلنا ورحالنا وركائبنا فتكون منعما بذلك علينا (قال) ضماد قد وهبتكم ذلك فلا تحقروا امكانى وتوسطى بصلحكم فيكون ذلك سببا للعداوة اليكم والحجة عليكم (قال) عمر لا نغير هذه المنزلة التى لنا عند العرب لا نغدر بعد العهد ولا نخلف اذا وعدنا ولا نكذب اذا قلنا ولو لم تكن متوسط لهذا الأمر لكان الاولى بنا الا نخلف سيدنا وعده ولا ننقض عهده (قال) فرد عليهم ضماد خيلهم ورحالهم وقال لهم افتقدوا هل بقى لكم شئ أو ضاعت لكم حاجة فاطلبوها (قال) بعضهم قد ضاعت ليدة فرسى قال ضماد لقومه اطلبوها فوجدت وردت اليهم وقال لهم انصرفوا الآن لحال سبيلكم وارجعوا الى حاضركم فودعهم عمر بن حمامة وودعه الطفيل وودع القوم بعضهم بعضا فلما انفصلوا بكى عامر بن الطفيل وجعل يقول

ودع صحابك ان الركب مرتحل ● واترك دموعك فوق الخد تنهمل
هيهات ليس صبر ولا جلد ● يوم الفراق وقد سارت بهم الابل
فالعين من أدمع الزفرات فى غرق ● والنفس فى فرق والقلب مشتعل
مهما ذكرت زمانا بالعذيب خلا ● حيث الاحبة والابناء والأهل
وكيف كنا على وصل وطيب هنا ● وسلك طريق منظوم ومشتمل
فاضت دموعى شوقا من أجفانها ● مثل السحب بالامطار تنهمل

(قال) ونظر عمر بن حمامة الى أصحابه وعليهم أثر المذلة والقهر والغلبة فقال لهم أظننتم انى الذى أعطيت القوم الأمان وانى على الطفيل وولده ونسوانه راجع أما وذى الكفين لا رجعت الى الحاضر الا برأسه ورأس ولده وجميع ما ملكت يديه (قال) فارتحل ذات الشمال ثم أخذ الجادة الى أن غاب عن أعين القوم هو وأصحابه وامعن فى السير فلما صار بازاء المنفذ والمضيق عرج بمن معه هنالك وخرج الى واد الأرقم الى أرض بنى عائذة وتسلم ربوة الجندل ونزل أرض العاجلة وتسلق الرمل من طرف السجة يومه الأطول الى أن حان وقت العصر فخرج الى الجادة العظمى القاصدة الى مكة فوقف هنالك وقال هذا مجمع الطريق وان صاحبكم لا يريد الا مكة وما قصده الا محمد فاكمنوا فى أماكنكم من وراء هذه الربوة فان أتاكم منفردا بنفسه فهو الذى تريدون وان كان غير ذلك عملنا

على حسب ما تراه فأجابه القوم الى ما ذكر وجثوا هنالك ينتظرون مقدم صاحبهم الطفيل (قال صاحب الحديث) هذا ما كان من خبر هؤلاء القوم وأما ما كان من أخبار الطفيل ومن معه فان ضمادا لما ارتحل عمر بن حمامة ومن معه من قومه أقبل على الطفيل وقال له ان الله تعالى دفع عنك المكروه بحسن نيتك ونصرك على عدوك وانجدك بنا وقد انصرف القوم عنك بالخيبة راجعين فاجعل شكرك لله رب العالمين وارحل بنسائك وأموالك وأهلك واطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم واقرأه سلامي وسلام ولدي قسورة وقومي ثم ودعه وانصرف وهو يقول

سلم الأمر الى رب البشر • واطرد الهم ودع عنك الفكر

لا تقل فيما جرى كيف جرى • فكل شئ بقضاء وقدر

(فقال) الطفيل لضماد انى أخشى من غوائل القوم وعطفتهم على ورجعتهم الى قال ضماد ها أنا نازل لا أزول من مكانى بمن معى ثلاثة أيام حتى أعلم انك وصلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابعث معك ولدي قسورة فى رجال يبلغونك الى مأمنك فشكر له الطفيل ذلك ودعا ضماد بولده قسورة وقال يا ولدي سر مع الطفيل فى رجال من قومك حافظا له مشيعا (قال) سمعت وأطعت فافرد له ضماد مائة فارس من قومه وابطال عشيرته فقال له كن فى أعقاب القوم وكن متيقظا مع انك أمين ان شاء الله (قال) وقدم الطفيل أباعره ومطاياه وأوثق هوادجه وحمل نسوانه وافسحت الأموال واتسعت فى الأرض بعد ضيقها وحصارها وأمر العبيد بسوقها وتسريحها والتقديم بها فتقدمت العبيد بالأموال فلما امتدت امامهم وابعدت سارت فى أثرها الابل والهوادج وسارت فى أعقابها الفرسان والابطال وسلم الطفيل على ضماد وقال يا أباسديس ان غدروا القوم بى ومنعوا ولدي من زوجته فأنا أبعث اليك بذلك وأعرفك لترى فيه رأيك (قال) ضماد ان فعلوا ذلك أرسل الى رسولا وكن فى مكانك فوعزة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كنت الا سببا لفنائهم وهتك نسائهم فجزاه الطفيل خيرا وسار معه قسورة فى أعقاب الأموال وعامر بن الطفيل مسرور ابما نعاقدوا عليه وما تعاهدوا من الأمر وما وقع عليه الصلح وهو لا يعلم ما أظهر القوم من الغدر فضرب المطايا والجمال وجدوا فى السير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله تعالى وكان الطفيل قد خشى من المكيدة فقدم الأموال مع العبيد امامه فلما بعد سار فى أثرها وسار فى أعقابها مع ولده عامر وصفوان وقسورة يسير بسيرهم فى مائة فارس من ابطال قومه وصار القوم يجدون السير ولا يخطر على قلوبهم ما دبر القوم عليهم فزجر زاجرهم وحدى حاديهم واستقام سيرهم والطفيل فرحا بسلامته وسلامة نسوانه وخدامه ومنعه من يدى عدوه فلم يزالوا كذلك يسيرون سير الفرح على مهل والأموال امامهم فنزل القوم على غدير من الماء ومرج أخضر فنزلوا هنالك وحطوا الهوادج عن الأباعر وسرحوها مع الأغنام فى ذلك المرج الخصيب والسكلا والشعب وأخرج الطفيل طعاما ونحر جزورا واطعم القوم هنالك (ثم) أقبل على صفوان وقال يا صاحب الحى قد بلغت عندنا من الاكرام ما لم يبلغه أحد وقد فارقت أهلك وعشيرتك وحاضرتك ولا يعلم ما كان منهم بعدك ولا نأمن من أن يعد اليهم عمر بن حمامة يد السوء فعسى أن نعمل الحيلة فى الوصول اليهم أو تشرف عليهم فتكون آنس بهم من طارق يطرقهم وأنت فى ذلك غير ملوم فان خلصت أهلك فالحق بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكون تحت كنفه وتتمتع بالنظر الى وجهه ونور غرته وبهائه (قال) يا هذا لن ترانى أسلمك فى هذا المكان وقد قتلت فيك من القوم أعداء ولا آمن أن يعطفوا عليك ولك أيضا فى الحرم أعداء يطالبونك بثارهم وأنا أول من يتحمل عنك هذه الامور وأعاونك على كل محذور حتى تستقر فى جوار (محمد) بن عبد الله ويكون المتولى على أمرك لانى آثرك على أهلى ومالى وما تملكه

يدى ولا أسلمك فى المهمات حتى نجرع الموت امامك جرعا (قال) فشكر الطفيل له وأقام القوم هنالك يومهم فلما أدركهم المساء وهبت الريح وطاب النوى قدم الطفيل السرح والاموال وقال للعبيد اضربوا أذناب الابل وجدوا فى السير وتأخر الطفيل وولده صفوان الى أن مضى النهار وقرب الليل وانسدل الظلام لئلا يطرقهم من ورائهم طارق فيكون حماية عنهم وقلوبهم مطمئنة أن يطرقوا من امامهم (فلما) جدبهم السير وسار واعلى الجادة العظمى أمن القوم من ورائهم وهم لا يعلمون ما امامهم فجعل الطفيل يقول

أعز منير مشرق الوجه أبلج ● جميل قبيل زاهى فى المواسم
علت هاشم فخرا بغرة وجهه ● وسادت به فى عربها والاعاجم
سمنع عناك كل باغ وظالم ● ويبذل فى الاعداء بزل الصوارم
صلاة ورضوان وروح ورحمة ● عليه ولا أولى لقول اللوائم

(قال) وصار القوم يجدون السير وهم لا يعلمون ما أحدث القوم من المكر والغدر والخديعة وانهم قد سبقوهم (قال المخبر للحديث) وكان من قضاء الله وقدره أن العبيد صاروا بالاموال حتى وصلوا الى الوادى الذى فيه القوم مكمنين وكان وصولهم اليهم أول الليل والقوم فى مكمنهم ما بين مستيقظ ونائم اذ سمعوا ثغاء الغنم ورغاء الابل وحديث العبيد فوثب كل راقد وقام كل قاعد فقال عمر بن حمامة يشرف أحدكم على القوم ينظر هل مع الطفيل ضماد أو رجع عنه لنعمل على حسب ما نراه فاسرع لذلك جندل بن جبير وكان من أنجد الابطال والسعاد لا يلحق له غبار فترجل عن جواده وسار راجلا فاشرف على الأموال فلم ير معها أحدا غير العبيد فنظر الى الأباعر قد لاحت من وراء الأموال والهوادج محيطة بالأرض وتحقق فلم ير معهما أحد والحمية متباعدة عنهم (فلما) نظر الى ذلك رجع على أثره يسرع ويهرول الى القوم فقال أبشروا بأخذ الثار وهذه الأموال قد وصلت اليكم والحماة متأخرة فاغتنموها بعجل فلا شك ان الطفيل وولده فى أعقابها لانهم يحذرون من خلفهم ولا يحذرون من امامهم (قال) فركبوا خيولهم واسرعوا (و) اخترطوا القواضب واعتقلوا الرماح ووقفوا فى أماكنهم الى أن وصلت اليهم الأموال والعبيد يطردونها طردا فقال عمر بن حمامة لجندل ابن جبير سرانت الى الأباعر والنسوان وها أنا أجمع السرح والأموال لئلا يفلت من العبيد أحد فينذروا علينا ويستنفر الأزد الينا ان كانوا فى أماكنهم (قال) ففعلوا ما أمرهم به ومالوا من وراء الكثبان الى أن صاروا فى أنفاذ الابل والهوادج والنسوان فسبق عمر بن حمامة بمن معه فحاز الأموال ومال بهم ومال جندل من جانبه وأطبق القوم عليهم فلم يفلت منهم أحد وملكوهم أجمعين (قال) فعند ذلك صرخت النسوان فأمرهم عمر بن حمامة أن يشتغلوا بالأباعر التى عليها الهوادج ووكل بالنسوان رجالا يسوقونهم ويدورون حولهم وشد العبيد كتافا (ثم) قال لأصحابه كونوا على أهبة فكأنكم بصاحبه قد أشرف عليكم وولده وصاحبه فيكونوا زيادة لغنيمتكم وتنصرفوا بفرحتكم (قال) فانتهى القوم الى أمره وانفرد رجال منهم الى الأموال فداروا بها وبقيت القوم متأهبين للقتال قد أفرغوا عليهم الدروع والجواشق والبيض ووقفوا فى متنفذ الجبل فقال اللعين جندل بن جبير وكان فيه فطنة وبصيرة بالحروب لعمر بن حمامة انك قد عرفت الطفيل وشجاعته وولده عامر وصفوان وأعظم من ذلك معهم الداهية العظمى والمصيبة الكبرى ضماد الازدى فما أظنه يحصل لنا من الغنيمة شئ الا ما يحصل للقانص على الريح فانى أشير عليكم بأمر (قال) عمر بن حمامة ما أخطأت فى مشورتك فافعل ما تراه قال فافرق الناس فى أربعة أماكن من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فما أفرغ القوم من تعبيتهم حتى أشرف عليهم الطفيل

بمن معه فسمعوا صهيل الخيل فأعان النسوان بالبكا والصراخ والعويل فوقف الطفيل عن المسير وقال هذا صراخ النسوان ورب (محمد) لاشك ان القوم قد دهمونا من بين أيدينا ونحن لا نعلم وجرت دموعه واشتدت حرقته وانكسر قلبه وقال وافضيحتاه وا أهلاه (ثم) قال لولده عامر أشرف لنا على القوم (قال) فسورة وما هذا الامر في ظلام الليل فان كان القوم قد وصلوا الى نسوانك فقد وصلوا الى أموالك ولعلهم من غير قومك وقد مضى من الليل أكثره وكانك بالصبح قد أصبح وقع العين على العين فينكشف الامر وان الامر مهوب فان كان قومك غدروا بعدما أوليناهم الاحسان فقد زاد اللئام علينا لوما (قال) ووقف القوم في أماكنهم على ظهور خيلهم ينتظرون الصباح الا انهم كلما سمعوا عويل النسوان ونحيب الاماء تزايدت أحزانهم وكبرت أشجانهم ووقف الطفيل متضرعا باكيا يسئل الله ويقول اللهم ان كان في رضائك فصبرا على بلائك ورضى بقضائك سلمت أمري اليك وتوكلت عليك فلم يزل كذلك الى أن برق ضياء الفجر فصلى بالقوم غلسا ثم توا ثبوا الى ظهور الخيل ووقعت العين على العين وارتفى عامر بن الطفيل على ربوة هنالك فاشرف على القوم فنظر الى الاموال والهوادج والخيل محدقة بها كالسرادق (فلما) رأى ذلك هبط من الربوة وقد تزايد عليه البكاء فقال أبوه ما وراءك يا بني قال عامر يا أبت الموت اجل بد من أخذ نسوانك ومالك فما بقي لك شئ ترجع اليه ولا عبد تتكل عليه ولا ولد هذا عمر بن جمامة قد سرى اماما بقومه وحاز أهلك ومالك وجعل يقول

الموت ستر لمن أضحى أخا حزن ● طريد عديم الاهل والمال مثبور
نسوانه ملكوا يا ليتهم هلكوا ● بل يا ليت حاميهم في التراب مقبور
جار الزمان علينا اذا تجلانا ● يا ويل أصبح هذا الشيخ مثبور
ما حال من عدم الدنيا ولذتها ● قد كان بالاهل والاولاد مسرور

(قال) فبكى الطفيل حتى غشي عليه ومال عن سرجه وسقط الى الارض وانهمل في غشيته ثم أفاق بعد ساعة وجلس كالخائف الوجل الذي سلب عقله وقال له صفوان يا صاحب الخير ما هذا الاسف والبكاء الا تلزم نفسك الصبر على البلاء وتمنيها بالامانى والرجاء وقد ذكرت ان (محمد) ذكر لك ذلك فاستعد للصبر جلباب فان صبرت كان لك الاجر والثواب ويأتيك الله بالفرج من عنده كالهاطل من السماء فكن صابرا عند الشدائد الى أن يأتيك الله بالرخاء ولعل الفرج قريب منك وهذا مالك وولدك بين يديك وسيوفنا في أيدينا ورماحنا على عواتقنا فان كان القوم في كثرة ونحن في قلة فنحن نرزقنا الله عليهم النصر فاشدد عليك أدراعك وقاتل اليوم على أهلك ومالك وهذا قسورة معنا وهو ركن من أركان الدين (و) ليث من ليوث المسلمين فميلوا بنا على القوم ونتوكل على رب العالمين (فقال) الطفيل قد بان صبري والعزاء وقد غلبني البكاء (قال) ثم ان قسورة همز جواده الى أن وقف باذائهم (و) نادى بصوت جوهري يا أهل دوس ان البغي مسرعة الخجل وخذلة الرجال والكذب فيه آفة الابطال ومن جرد سيف البغي قتل به ومن حفر لاخيه قليبا وقع فيه قريبا وقد أسرفتم على سيدكم الطفيل وعند الاسراف يحل الاتلاف وتزول النعم وتحل النقم وعند سوء التدبير يحل التدمير فبئس العشيرة أنتم وبئس الفعل فعلتم مع سيدكم فيما استوجب لكم هذا الامر ان نقضتم عهدنا بعد ان عقدتموه وعاديتموه بعد ما صالحتموه وأخذتم أمواله وحريمه وأهله وماله ولقد استوجبتم مناضربا لا تقوم له السيوف (و) لا تثبت له الوغى ولا يرجع عند اللقا فبئس ما صنعتم فيما فعلتم اذ أنتم جاهلون ثم جعل يقول

بئس العشيرة أنتم فارتقبوا ● يا للرجال بئس ما اخطأتم

الغدر أخبث ملبسا ومدرعا • غدرتم من بعد ما عاهدتم
لو تحفظوا ما كان منه اليكم • لكان تاج جمالكم لم باعدتم
ما نقضتم فانقضوا وتأهبوا • الى محل فنائكم فقد قدمتم
انا لنسل الاكرام من مقامنا • ألم ألف اخوانا كما قدمتم

(قال) ثم أمسك عن الكلام فتطاولت دوس الى عمر بن حمامة ينظرون أمره وقد ماجوا واضطربوا من كلام قسورة فأقبل عليهم اللعين عمر بن حمامة وقال يا معشر دوس ما أنتم قائلون قالوا أنت القائل ومنك الامر فقل تسمع وأمر تطاع (قال) لهم ان الفكرة فى عواقب الامور نجاة من المحذور وكنا أملنا أملا نخاب ما أملناه ولم نعط ما رجوناه رجونا أننا نحوز هذه الاموال بلا تعب ولا نصب واذا نحن وقعنا فيما لا طاقة لنا به من عداوة ازد شنوءة وهم أكبر بلية من صاحبكم الطفيل وضماد فدتوسط صلحنا (و) عاهدناه وانا نرى من الرأى ان النجاة بأنفسنا أصلح ونرد الغنائم الى أهلها فانه أصلح لنا وأسلم الى أن يرجع ضماد الى داره فنعمل على حسب ما نراه فما ترون أنتم قال فنظر القوم بعضهم الى بعض ولم يسرهم ما سمعوا منه فقال له جندل بن جبير أظنك أيها السيد حامر لك الهلع وداخلك الجزع من رؤية هؤلاء القوم وما الفكرة فيهم والعرب قاضية حاجتك تسمع قولك وتجيب دعوتك وتسرع الى اجابتك وانا نستصرخ لك القبائل من العرب ونستنجد لك العشائر فتزحف بهم الى أعدائك فتبلغ منهم أملك (قال) وكان فى دوس رجل يقال له جلهمة وكان ذا عقل ورأى وتدبير فلما سمع كلام قومه همز جواده بين القوم وخرج يريد الطفيل فلما قارب به قال يا ابن عامر كيف أقول حتى أكون من حزبك وحزب نبيك (محمد) قال تقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن (محمدا) عبده ورسوله قال فنطق بها من حينه وأسلم وحسن اسلامه ودخل فى جملة أصحاب الطفيل بحرقة قلبه على العيال والنسوان وشد عليه أدراعه وخزم وسطه وحمل فى المشركين وقاتل قتالا شديدا حتى تعجب منه الفريقان (قال) فخرج اليه جندل بن جبير وتلاقيا وخشى المشركون على صاحبهم وجعلوا يناديونه ويهتفون به وهو لا يلوى اليهم وصاح عامر بن الطفيل بابيه يحرضه وصاحت به زوجته من هودجها فسمع القوم صراخها وهى تقول فداك أبى وأمى احمل على قرينك واتكل على ربك وانقذنا من يد الاعداء واصبر على جور الطغاة فلهم الويل من المساء وان قتلوك فان المصيبة بهم نازلة واليهم واصلة وان تركوك كان أعشب لديارهم فدتك بنفسى كرفى الجلاد والضرب لاجل نسوانك وبناتك فنهم تجسم الاياس ضارعين الى رب السماء فيرجونك لتلقاء سترهم (قال) فلما سمع صراخ زوجته زاد نشاطه وجعل يقول

الموت دون ضغائن لى أوجب • وهو المحب لذا المشيب وأقرب
أضحى يطالبنى بحق لازم • حتى كانى كالمدين أطلب
لا مرحبا بالظالمين ومعشر • من غير جرم بالسفاهة لهب

(قال) ثم حمل على قرينه وصلصل صلصلة الذئب وراغ روغان الثعلب فابتهر عدو الله لشدة جلاده وذل مصيره وشجاعة قلبه فلم يزل عدو الله يراوغه ويحايد عنه الى أن مسا الليل وانصرف كل قوم الى مراتبهم الى أن فجر الصبح فقام الطفيل فصلى بالناس صلاة الصبح وقام جلهمة بن رياش وشد عليه أدراعه وخرج من بين الصفين (وقال) هل من مبارز هل من مناضل فلم يخرج اليه أحد فحمل فى الميمنة وردها الى الميسرة وحمل فى الميسرة ردها على الميمنة فقال عمر بن حمامة أيكم يخرج الى هذا الاسد الجسور ويأتينا به حقيرا ذليلا ليعلم أنه قد ذل بعد العز وانحمل بعد العلو فيعلم ما عنده من الأمر (قال) فاستحيا القوم من كلامه ولم يكن فيهم الا من هابه وخاف مكانه من عظيم همته

وكبر شأنه وشدة سلطانه فامسكوا عنه اجلالا لحمل أيضا على مهنتهم قلبها وميسرها وقتل
فى حلاته فارسين من ابطال القوم فرشقوه بالنبل فوقف فقالوا له يا ابن رياش ما الذى تطلب منا حتى
نجيبك اليه قال لهم تشهدون لله بالوحدانية والربوبية كما شهدت أنا وتقولون ان (محمدا) رسول الله
والا أفنيت منكم الاكابر ولا أبقى على الاصاغر (قال فلما) سمع عمر بن حمامة قوله وما ظهر من
معاونة الطفيل اغتاظ غيظا شديدا لما سمعه منه فنظر فى هيبة الناس وتأخرهم عن الخروج
وامساكهم عن حربه وكانهم بين يديه أغنام يزجرهم حيث شاء لا يمنعه منهم مانع فلما رأى ذلك أفرغ
عليه أدراعه وعزم على الخروج اليه بنفسه فعارضه جندل بن جبير (وقال) على ما عزمت أيها
السيد قال اخرج الى هذا الشيخ المضل الضال الذى تأخرت عن قتاله الابطال فكيف بكم اذا حملت
هذه الأسود الزائرة والرجال الشنوءية كانها أسد فاغرة أفواهها كاشرة أنيابها ثم زفكم بمخالبها يمينا
وشمالا فاذا قد تأخرتم عن الحرب وقصرتم عن الضرب وشملكم الكرب كانكم أموات وقد فرقكم
الشتات وعن قليل تصيرون رفات فانا أول من يتولى هذه الحروب بنفسى وأبلغ أمامكم مهجتى حتى
أبلغ مسرتى واشفى قلبى واكشف كربتى وأزيل عنكم ما لحقكم من الجزع (قال) أعلم أيها
السيد ان منع قومك من الخروج اليه ما يوجبونه من حقه وما يعرفونه من فضله وكل ما تراه له عليه
يد أو معاونة فى نائبة أو دفع مهلة فهم يرعون له ذلك ويحشون مكانه ومعيرة العرب لهم فانا أخرج اليه
دونك أكفيك مؤنته واصرف عنك شره وآتيك به ان شئت أسيرا وان شئت قتيلا وآتيك
بالطفيل وولده مقرونين معه ولا أبقى على قسورة بن ضماد (قال) فشكر له عمر قوله وأمره بالخروج
اليه فبينما جلهمة واقف ينظر من يخرج اليه من القوم اذ نظر الى عسكر القوم قد ماج وهاج كالبحر
العجاج المتلاطم الأمواج وافترقا فرقتين وقد خرج من بينهم جندل بن جبير على فرس له أشقر يلمع
سابق مطاع وعليه الدرع والبيضة تلوح لشدة شعاعها وبيده حسام أخضر يلوح كانه برق خاطف
وهو فى متن جواده كانه شعلة نار والفروسية ظاهرة عليه فى شمائله والشجاعة تتبين من معاطفه فلما
قاربه صاح به جلهمة رحمه الله تعالى الى يا عدو الله قصدا فانا لك كفؤا مفردا وفى وجهك سدا الا أن
تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقر أن (محمدا) عبد الله ورسوله (قال) جندل بن جبير أصبوت
يا جلهمة الى (محمد) قبل أن تراه ولا سمعت كلامه قال جلهمة لو لقيته لقيت رجلا حكيما وسمعت
منه علما ما يظهر لك من عجائبه قال له جندل حاشاك أن تكون مثل الطفيل قد خرف وزال
عقله وظهر حمقه وجهله وذلك انه لقى (محمدا) بمكة فكان منا ومنه ما كان وما رأيت فاحذر أن تنزل
أنت بنفسك ما انزله بنفسه ويكون مشؤما على مهجتك وعلى أهلك انظر أن ذى الكفين ما يغلبه
غالب أو يفوته هارب ألم تعلم أنه رب الشاهد والغائب ومظهر العجائب ألا ترى من أنزل بالطفيل
اذا ملكنا ماله وحريمه ولم نقدر نحن على ذلك الا بحوله وقوته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا
كبيرا فلا تحوجنا أن نصنع بك ما صنعناه به فتكون مثله (قال) جلهمة الا أنى قد رضيت لنفسى
ما رضيه الطفيل لنفسه من الحق والصدق فاصرف عنك كثرة الكلام وما أتيت به من الملام فقد
عاديت فى هذا الدين كل مؤاخ وكل ذى رحم ورفضت كل صديق الا من قال بقولى فى هذا الدين فهو لى
مؤاخيا والآن قد بلغ الكتاب أجله وقد كنت من أهل النار والخائض فى دار البوار فارجو
اليوم أن يغفر لى الجبار ويمحو عنى خطيئتى وما اكتسبته من زلتى ويقبل منى توبتى ويقيل
عثرتى ويرحم شيبتى وقبل وبعد فانى هاجم عليك فخذ لنفسك واحترز لمهجتك ثم جعل يقول

يا نفسى قد نبت الى الجليل ٭ فخالى الحياة من سبيل
كم ذا صحبت فى الضلال ذيولى ٭ كم شهدت لكافر بجميل

وكم أمر هائل مهول * وسالك مكذب ذليل

(قال) ثم حمل عليه جلهمة فلما رآه جندل وهو مجد فى الحملة عليه والمبادرة اليه قاومه وصادمه مصادمة الأسد وانفرد اجميعا فتعجب منهما الفريقان وشخص نحوهما الجمعان (فلما) نظر قسورة الى ذلك سأل الطفيل عنه فاخبره باسلامه وقال انه اليوم أحد سادات قومى وفرسان عشيرتى (قال) قسورة هو كذلك وما كذبت فقال الطفيل انه غضب لى كما غضب صفوان وآثرنى على أهله وماله (قال) قسورة انما غضب لله ورسوله فسر الطفيل به وقال الحمد لله الذى هداه الى اجابته ونجاه من النار وأرجو أن ينصره على الكفار فتطاول الطفيل اليه ينظر اليه وصبر جلهمة صبر الكرام وظهر للفريقان من جندل التقصير فكبر على المشركين ذلك وقال عمر بن حمامة ان صاحبكم هالك لا محالة ولا هو من أقرانه ولا من أشكاله فادركوه والا قتله ثم التفت عمر بن حمامة الى الجحجام بن بسطام وكان عن يمينه وهو رجل حالك السواد واعر الخلقة وكان ممن يتكل عليه عمر فى الشدائد (فقال) يا أبا الاهوال وليس له فينا مثال هل لك أن تنجد صاحبك جندل على هذا الشيخ المهول فقال الجحجام انى أحفظ له ما يحفظه له غيرى فان أحببت أن أقتل جلهمة وغيره فالحق أول القوم بآخرهم فاخرج معى لنكون فى الاساءة اليهم سواء وأنا أتولى الحرب بنفسى فقال عمر بن حمامة مما أدركه من الغيظ والحنق أنا معك وأنا معاونك ومساعدك واهجم بهجمتك واضرب بضرباتك واجمع على الخروج الى جلهمة (قال فلما) رأى الطفيل ذلك منهم عزم على الخروج اليهم فقال لولده عامر كن مكانك ولا تزل من حول النسوان والاموال فانا لا نأمن باشتغالنا بالحرب معهم يستميلون بهم للهرب ويبعد علينا انقاذهم والطلب ونقع فى التعب والنصب ويفوتنا منهم الامل فان جلهمة مع جندل فى حقيقة الجد وقد ظهر من عندل الغشل وجلهمة أطمع ما يكون اذ نظر الى فارسين قد خرجا اليه من عسكر المشركين وهما قد أطلقا عنانيهما فتأملهما الطفيل فعرفهما وعرف مكانهما فصرخ الصارخ وزحف القوم (فقال) عامر بن الطفيل يا أبت ما انتظارك بعد غدرة القوم بنا وبصاحبنا هذا عمر بن حمامة وهذا الجحجام بن بسطام وفى أحدهما كفاية لصاحبنا فما انتظارك عن نصرة صاحبنا أو يجدل قتيلا (فقال) الطفيل يا بنى ان صياح النسوان وبكاء الاطفال هد أركانى وزال اطمئنانى فكن أنت يا بنى حامل عن أبيك هذا الأمر شكر الله لك ذلك قال فذهب عامر يخرج فرآه صفوان فقال يا عامر ها أنا معك فى مكان أبيك فخرجا يجدان وبركضان وكان عمر بن حمامة والجحجام قد وصلا الى صاحبهما وقد أشرف على الهلكة فقوى عندرؤيتهما بعد الوهن (فقال) عمر بن حمامة اسلم أن يستأسر لنا فقال جلهمة رحمه الله ان استسلام الشيخ لقبيح وكيف لى بالشهادة فى مثل هذا اليوم الذى عرفت فيه ربى وأقررت بدين الصادق الذى هو بالحق ناطق وكفى بالموت فى مرضات ربى (قال) فلما سمع عمر بن حمامة ذلك من مقالته فصمصما على جلهمة وأعانهما جندل فصبر لهم جلهمة رحمه الله وصاربهم وبذل من نفسه فبينما هو آيس من نفسه والقوم أطمع ما كانوا فيه اذ نظر الى فارسين قد أقبلا من جهة الطفيل واذا عامر بن الطفيل وصفوان بركضان نحو القوم وهما يناديانه يا جلهمة أنا لك الغياث من عند رب العالمين وهجما عليهما فى الميدان وتعاركوا فى القتال وطال بينهم المجال حتى صار عليهم من الغبار حجاب وقتام وصار كالليل وحجبوا عن الابصار من كثرة القتام وغابوا عن أعين الناظر فقام الفريقان وتطاولوا فى سروجهم ومدوا أعناقهم ليعلموا من الغالب من المغلوب والناكب من المنكوب والطفيل كالمرأة الثكلا أو الحبة فى المقلا وهو ينادى (يا محمد) أين أنت عنى وعن من أحدق بى (يا محمد) لو رآنى وما أنا فيه لرحمتنى ورثيت لى (يا محمد) حل بى البلاء ونزل بى سوء القضاء وصرت شمامة فى الاحياء وان قومى وعشيرتى طلبوا قتالى آملين لغربتى ووحدتى مع أشرار

قبيلتى وثأم عشيرتى فسل ربك أن يحكم بينى وبين من ظلمنى بالحق وهو خير الحاكمين وقد صعب الأمر وعلا الشر وزاد الحرب وكثر الكرب وزاد الاوهام وصار القوم ركام كأنه الليل المظلم الخالط بالدامس وقد عظم الصراخ من المشركين والمسلمين كل يرجو النصرة لصاحبه والطفيل مع ذلك لاجد أمن الدعاء (فلما) اشتد به الأمر ترجل عن جواده واصق خده بالتراب وقال الهى ان كان ما أنا فيه مما يرضيك فزدنى منه وارزقنى الصبر عليه غير انى أسئلك أن تكشف لى الغبرة لأنظر لمن الغلبة وعلى من النكبة بحق (محمد) المصطفى صلى الله عليه وسلم قال فانكشفت الغبرة (قال صاحب الحديث) وكان من خبر القوم انهم لما تلاحموا فى القتال انفرد عمر بن حمامة لعامر بن الطفيل وانفرد الجحجام لصفوان وانفرد عندل الى جلهمة غير أن جلهمة أقوى من عندل فضربه ضربة على حدب البيضة فقطعها ووصل السيف الى رأسه فقسمه نصفين وعجل الله بروحه الى النار فكبر جلهمة عند قتله وكبر صاحبه لتكبيره وسمع الطفيل التكبير فعلم أنهما ما كبرا الا عند ظفرهما بالأعداء فاستبشر لذلك وعاد الى ظهر جواده (قال) ومال جلهمة على صفوان وعامر بن الطفيل مع عمر والجحجام وقد تلاحموا فى القتال فترقب جلهمة من الجحجام فى بعض حركاته هفوة فضربه ضربة هائلة وضربه أيضا صفوان فأما ضربة جلهمة فوقعت على عاتق الجحجام فقطعته وأما ضربة صفوان فلم تعمل فيه شيأ (ثم) ضرب الجحجام جلهمة فوقع السيف على أنامله فقطعها فألقى الجحجام بنفسه على جلهمة فقبض عليه وهو فى سرجه فاقتلعه من سرجه وأخذه أسيرا (فلما) نظر صفوان وصاحبه الى ذلك حملا عليه لينقذاه من يديه فلم يقدرا على ذلك وحمل عمر بن حمامة وصرخ بقومه فانقضت اليه الاعنة وفوقت نحوه الاسنة وثار الغبار وارتفع القتام وصار كالظلام وبريق الاسنة والسيوف فيه كأنه برق فى خلال الغمام وأسرع منهم كل أسد ضرغام وأسرعت الكتائب وتتابعت المواكب من كل جانب (فلما) نظر الطفيل الى ذلك لم يطق صبرا دون أن صاح بقسورة بن ضماد وقال الا ترى من غدرة القوم وكيف مالوا اليهم بأجمعهم فهل لك أن نحمل بأجمعنا على القوم فنجازيهم بفعلهم (قال) قسورة احمل بنا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ثم) أشار الى قومه أن احملوا بارك الله فيكم وتقدم الطفيل وقسورة وقد تصايح الفريقان يطلبان بذلك تحريضهم على المشركين الى أن اصفرت الشمس للغيب والتحم القتال بين الفريقين فتكافحوا وتضاربوا فلم تجد فى ذلك اليوم الا رأسا ساقطا وكفا طائرا وفرسا يجول بغير راكب (قال) وساقوم ضماد على المشركين الى أن غابت الشمس (ثم) افترق الجمعان وقد كثر فى المشركين الطعان وتواعدوا الى غداة غد وأصيب من قوم ضماد رجال ختم الله لهم بالسعادة الا أن المشركين جرحوا جلهمة وأسروه وانصرف الجحجام بجرح عظيم (قال) وافترق القوم بعضهم من بعض فقال الجحجام ادفعوا الى جلهمة اقتله لانه قد وصل الى من الجرح الذى جرحنيه أذى كثير وما أظن انى ناج منه أبدا (قال) عمر بن حمامة ما فيكم الا من أصاب من صاحبه وقد جرحك وجرحته وأوهنك وأوهنته وها هو عندنا أسير فأيكما هلك قتل به الآخر وأكون فى ذلك عادلا غير جائر حتى تعلم العرب انى على الحق اذا سمعت بذلك ولا أظلم الأسير (قال) الجحجام لابد لى من قتله على كل حال قال عمر ولست بتاركك حتى أنظر ما يكون منا ومن القوم وقد رأيت وعاينت من قتله منا القوم ولم يقتل منهم الا اليسير ولا يفوتك قتله قال فأجابه الجحجام الى ذلك ثم ان عمر اعتقله وربطه وضمه الى جهة العبيد المأسورين وأمر الموكلين بهم أن لا يغفلوا عنه حذرا أن يفلت منهم (ثم قال) يا معشر الناس قد قتل جندل وقتل غيره ممن نعمد بهم على الأعداء فى وقت كشف البلاء وقد أصبنا بالجحجام وانى أخشى من أزد شنوءة أن يأتينا منهم ما لا طاقة لنا به لأنهم لا يطاقون وقد أشرت عليكم بما فيه

لصلاح لى ولكم فلم تقبلوا فما ترون (قال) الجحجام ما هذا الجزع والفزع اما تستحى أن ترجع الى الحاضر وأنت خاسر ومصاب وقد قتل أكثر أصحابك وما أصبت منهم شيأ فتعاير نساء قال عمر فما ترى من الرأى (قال) فان كان ولا بد فابعث الى القوم وصالحهم على أن نطلق له أهله وحريمه سوى الاماء والعبيد والاغنام والخيل فيكون غنيمة لك وترجع الى حاضرك مسرورا غانما فتكون قد وصلت الى بعض ما وصل اليك وأنت بعد ذلك قادر ان تكشف بقية عارك وهو عندى الرأى والصواب فقال عمر احضروا لى زوجة الطفيل وأمرها أن تكتب الى بعلها وترو عه بذلك ففى راض به ولا أخالفك فيما أشرت ولا أحيد عما وصلت وأنا أحرض الناس على ذلك فان لم يرض الطفيل بذلك فما أرى أن نطاوله ونبعث رسولنا الى العرب يستنفرها الناس من كل جانب وهذا هو الرأى (قال ثم) بعث الى زوجة الطفيل فاتته وهى تعثر فى أذيالها وهى متكئة على وليدتين عن يمينها وشمالها وكانت فائقة فى الجمال حسنة القوام فصيحة اللسان جزلة الجنان مقتدرة على الكلام زائدة الفخار (فلما) وقفت بين يديه لم تسلم عليه بل جلست وجلس الولائد من حولها غير مكترثة به ولا معن أحضرها ولم تلو على من دعاها فلما استقر بها الجلوس قال لها عمر لقد كنتم فى غنى عما نزل بكم من المحن وما تجللكم من الاحزان ولقد كنتم فى رغد عيش ونعمة يقصدكم القاصد ويفد عليكم الوافد تمسون فرحين وتصبحون مسرورين فما كان أغناكم عن هذا الدين حين دخلتم فيه تسربلتم بالعار وتدرعتم بالشنار وما أراه أعقبكم الا الفقر والذل والأسر ولقد كان (محمد) عليكم مشؤما وهذا لمن عاد ذى الكفين يسير وتركه وترك دينه ودين آبائه وأجداده فما ترون ان أفعل بكم (قال) فلما سمعت كلامه بسطت اليه لسانها وقالت يا ابن حمامة صرت اليوم كلب دوس وأنت بالأمس أحقر من فى الحى أنت وأبوك تخرجان من أرضكما الى الشام ومن الشام الى الحجاز تملآن بطونكما من خبز الذرة والشعير لا تعرف لكما ثروة ولا تعهد لكما نعمة ولا رياسة فجمعت ما جمعت من سرقتك الى أن صار للثمال يسرح وما عرفت لك قط جفان تعد للضيفان بل كنت ترقب الضيفان اذا وردوا على الطفيل فتحضر معهم فيدعوك الى الطعام معهم فتأكل ذلك لشبعك حتى سمولك مشيع الجفان وما عرفت لك دية تحملتها ولا رزية كشفتها ولا ملمة دفعتها ولا طريدة رددتها الا أن الدهر أسعدك وأحسنا وانه لن تزل صروف الزمان تمنع الكريم وتعطى اللئيم وما بلغ من قدرك يا ابن حمامة أن تمد يدك الى الطفيل ولا الى ماله وأهله الا أن الدهر ذو غير ودول وأيام تدور ثم انها جعلت تقول

لا تأمن الدهر فى تصرفه له • سعد يكون واقبال وادبار
يعطى الجزيل ومايعطيه ممتزج • حلو ومر واعسار ويسار
وكل ذلك فى اللوح المحفوظ جرا • حقا وفى الفلك الدوار اقدار

(ثم قالت) يا ابن حمامة أما ما ذكرت من أمر سيدنا ونبينا (محمد) صلى الله عليه وسلم وقولك انه مشؤم علينا فقد كذبت وما كان الا رحمة علينا أنقذنا الله به من الجهالة ونجانا من الضلالة فانفسنا وأموالنا (لمحمد) الفداء فما تصنع بالملك والدنيا فانه يؤول أمرها الى فناء وزوال وما عند الله خير وأبقى وانما الدنيا دارهم وغم فكلما كثر مال المرء كثر خطؤه فان عمل فى ماله ما أمره الله به نجا وان لم يعمل بما أمره الله به فتكوى به جبهته وجنبه يوم القيامة (قال) فلما سمع عمر ذلك من مقالتها اغتاظ غيظا شديدا وهم بالاساءة اليها فخشى من العواقب فقال انما أحضرناك شفقة منا عليك فقد رأينا أن نترك الطفيل وما اختاره لنفسه الا انه ان غاب لم نفتقده وان مرض لم نعده وان استنصرلم ننصره فهنالك يطلب الرجعة الينا وقد رأينا أن نطلق لكم سراحكم ما خلا الأموال والاغنام والخيل فيكون ذلك معتقلا عندنا الى أن نرى فيه رأينا فاكتبى الى بعلك كتابا بذلك فان

رضى أطلقنا لكم السبيل وان أبى فما بقى بعد ذلك علينا لائمة لأحد من العرب وقد أنشد فى طالب بن كثير حيث يقول

اذا أكثر الانسان طرق نجاته • وتاه به الاعجاب فى طرق الهلك
فذاك فتى باع الكرامة بالردى • وبدل اخوان الحقيقة بالشك
ومن عرف الأيام كان محاذرا • كراكب مرج لم يأمن من الهلك
ومن تراه يصبح فى الدهر ضاحكا • فلابد من بعد المسرة أن يبك

(فقالت) له يا ابن حمامة طال ما ضحكنا وفرحنا فلابد اذن تعبرنا بما أصابنا وساعرض ماذكرت على الطفيل وأنا أعلم ما يكون منه أنه لا يترك ماله دون سفك الدماء أبدا الا أن يكون له رغبة فى الأهل والولد دون المال فأتاها عمر بدواة وقرطاس وقال اكتبى اليه بخطك فانه أعرف الناس به فكتبت كتابا تقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا (محمد) خاتم النبيين وخير الخلق أجمعين من المرهبات الاسرات والابنات والمخدرات ومن بالذل ملتحفات ومن كشف الدهر عنه أسجافه وجلب عليهن أرجافه فبدل نضارة عيشهم هما وفرحتهم غما (أما) بعد فان الخدود التى كن ناعمات قد دهمها الطم اللوائم والعيون التى تركنها كأعين الظباء قد جرحها البكاء والمعاصم التى عهدتها بيضا قد حصرها الشد بالمحازم والأرجل التى كان يؤلمها المشى قد دميت من الحفا والاجسام التى كانت توطأ لها الفرش والوطاء قد كلت من النوم على الحصى والرؤس التى كانت تتوسد بالنمارق والوسائد قد صار وسادها الاقتاب والاكاد التى كانت تتغذى بالاطعمة الطيبة الملونة الشهية معذبة بالجوع والظمأ وقد تزايد علينا الهم والأذى الا اننا شاكرون وان تزايد ما بيننا فى أيدى العدا ونرجو بعد الشدة الرخا وبعد هذه الضيقة فرجا ومخرجا فلا يضيق صدرك فانا تحت السلامة فى أنفسنا والذى أبلانا قادر على خلاصنا فأنا لله ضارعة وعلى ما أبلانى صابرة شاكرة وأن عمر بن حمامة سألنى مكاتبتك ومسائلتك وهو يعرض عليك أن تعفيه من حربك على أنه يطلق لك حريمك وأهلك وبناتك ولا يطلق لك مالك ولا سرحك وتسير بأهلك ناجيا ويسير بأموالك الى حاضره غانما فانظر ما تراه لنفسك صلاحا فافعله ولا تجعل لأحد من سبيل عليك وانظر ما يرضى الله ورسوله فافعله ولا تمل الى رضاء الناس وأنت أعلم بما أشير به عليك والسلام عليك وعلى ولدك وخليلك الذى واساك بنفسه وعلى من معك من المؤمنين ورحمة الله وبركاته (ثم) أرادت أن تطوى الكتاب فقال لها عمر اقرئى علينا الكتاب قالت انى لغنية عن ذلك (قال) لها بحق (محمد) عليك الا ما أقرأته علينا فقرأته الى آخره فقال لها أبيت الا التعرض فى معانيك والاشارة فى كتابك اليه الا يفعل ما عليك ولم يمنعك ذلك حتى جعلتنى مهينا ولير جعن وبال ذلك عليك وعليه ثم أمرها بالانصراف فانصرفت فكتب عمر كتابا ثانيا يدعوه فيه الى ماذكر من اطلاق النسوان وأخذ المال ثم بعث الكتابين مع رجل من أصحابه يقال له جناح بن مضر الدوسى فخرج بالكتابين فى ظلام الليل والنيران مضرمة من حول عسكر الطفيل وهم يضجون بالتهليل والتكبير وكان فى تلك الليلة يطوف عليهم صفوان فى فرسان من الازد وقد عظم عليهم فقد جلهمة ابن رياش فنظر الى الرسول مقبلا الى عسكرهم فى ضوء النار فهم به ليقتله (فقال) على رسلك لا تعجل فان العجلة ليست من شأن اللبيب والامهال من شأن كل امرء مصيب فانا رسول من عند نسوان الطفيل ثم ناوله الكتابين بعد ما سلم عليه فقرأهما على قسورة بن ضماد ووجوه الازد فقال لهم الطفيل ما أنتم قائلون كفى بالفقر بلاء وان الفقر بعد الغنى لقبيح وما هو زين ولا يصلح وان ليسود الوجه المليح ويعجم اللسان الفصيح والموت أجمل بى من أرى بناتى ونسائى عاريات مهتكات ومن

فقد ماله أى حال يكون حاله وذهب نضارته وساءت حالته وكان بين الناس محتقرا لا يسمع كلامه ولا يجاب اذا دعا أما سمعتم ما قال القائل اذ يقول

يمسى الفقير وكل شئ ضده * والخلق تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقونا وليس بمذنب * يلقى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ملبس * حنت اليه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عاريا * نبحت عليه وكشفت أنيابها
وترى الفقير مباعدا من أهله * من بعد ما كان لبابها
واذا الغنى تكلم يوما خاطئا * قالوا صدقت وحققوا أسبابها

(قال) الطفيل ما يحسن بى ان أسلم مالى لعدوى ولا بد لى من القتال أو أقتل دونهم والله وليهم من بعدى قال قسورة وصفوان لولم تقل هذا الكلام لتبرأنا منك ومن خلتك وانكرنا بدك الأمر أن نسلم عزك لغيرك وأنت الظافر وسيفك القاهر فلا تطمع القوم من جنبتك ولا تيأس من أهلك وولدك وأنا أرجو من الله أن يوصلك اليهم عن قريب ثم أخذته الالسن وجعل يقول

أين القرون التى آوى الزمان بها * فى سالف الدهر من عجم ومن عرب
أين الملوك وأبناء الملوك ومن * أمسى مصرا على اللذات والطرب
وأين كسرى وأجناد تحف به * أضحى يعضعض بين السم والغضب
وتبع قبل ذا أودى وعاجله * كرب الحمام ولم يمهل أباكرب
وساكن القوم من سند اذ سكنوا * دعا المنية تحت الترب والحصب
بادوا جميعا وفى تذكيرهم أدب * للسائلين أولى الافهام والأدب
مالى أرى الناس قد خانوا أمانتهم * فاصبحوا بين سلاب ومستلب
لا يحلفون بحق فى مواعدهم * ولا يبالون بالتمييز والكذب
أستغفر الله انى من أحاسنهم * حالا وأدناهم فى هربة العطب
لا ترهب الموت ان الموت موعظة * ولا تضج لامر جاء فى الكتب
ليت ابن آدم لم يخلق على عجل * لما يرى من عظيم الهول والكرب
يوما يفوز ذوو التقوى بسبقهم * فيه ويحظى ذوو الالباب والقرب
يوم المواقف والأبدان عارية * يوم الموازين يوم الويل والنصب
يوما ترى المرء فيه خائفا وجلا * خوف النباعة عن أم له وأب
يا من تطاول مقتدرا بدرهمه * يمسى ويصبح من دنياه فى تعب
أقلل من النصب المعطى وارض بما * يرضى اللبيب أخو التحصيل من شرب
وحاذر المال مع جاه لأنهما * أعدى على الدين ما هذا من الحرب
لا يخد عنك جاه جا ولا ذهب * فالدين يذهب بين الجاه والذهب
كم من غنى وذى جاه تراه غدا * أشقى وأسوأ من حمالة الحطب

(قال) فلما أتى الطفيل الى آخر هذه القصيدة الوعظية ودموعه تنهمل من جفونه بكى المسلمون لبكائه حتى علا صراخهم قال ثم ان الطفيل رجع الى حسه وثبت ثبات الكرام وأظهر التجلد وأخفى التبلد وقال يا قوم الى متى هذا البكاء تضرعوا الى الله بالدعاء انه سميع مجيب والفرج ان شاء الله قريب (ثم قال) ناولنى دواة وقرطاسا لأكتب لهؤلاء اللئام جواب كتابهم فالتمسوا دواة وقرطاسا فلم يجدوا عند واحد منهم فقال للرسول عد الى أصحابك وقل لهم انا لا نترك أمر الله

ورسوله ولم يأمرنا ربنا ان نسلم مالنا ونولى الأدبار ونركن الى الفرار فان ذلك عار علينا وشنار وقد احتسبنا أنفسنا وأموالنا وأهلنا فى رضا ربنا ولا بد من الحرب ما بقينا (و) الصبر حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين (قال فلما) سمع جناح بن مضر المرسل اليهم ذلك من مقالته قال يا طفيل ان هذا الدين الذى دخلتم فيه لعزيز حيث يرفض فيه الأهل والمال والولد فى رضى هذا الرب العظيم والله لا أختار غيره ما حييت امدد يدك فانى أقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان (محمدا) عبده ورسوله قال فسر القوم باسلامه وقال له الطفيل يا جناح انك قد صرت من حزب الله ورسوله وقد وجبت عليك النصيحة لاخوانك وان القوم لم يعلموا باسلامك فكن لنا عند القوم عينا فاظهر لك منهم فاسبق به الينا قال حبا وكرامة ثم رجع وجعل يقول

أتيت كافرا ثم رجعت مسلما * فالحمد لله على ما أنعما
فشكره حق علينا دائما * اذ قد هدانى بنبى الأمما
ياصاحبى عرجا وسلما * قولا لجناح قد أتانا مسلما

(قال) ورجع الى عسكر المشركين الى أن أتى عمر بن حمامة فاخبره بما رد عليه القوم وما هم عليه وقال لهم رأيتهم أشوق الناس الى قتالكم وقتلكم وشرب الدماء أحب اليهم من شرب الماء قد طالت عليهم الليلة انتظارا للصباح كانهم سباع تنظر فرائسها (و) ذلك انهم لما سمعوا كتاب الله تضاحكوا منه لما سمعوا من مخاطبتك لهم بذلك والقوم قد وقع لهم انك طعمة لهم (فلما) سمع عمر ذلك اغتاظ وغضب وبعث الى وجوه أصحابه فحضرهم وحمل الجحجام على ظهور الرجال وجلس بازائه وقد وهنته ضربة جلهمة وأحضر اليقظان بن وائل وجندب بن الوليد ونظراءهم من أبطال دوس وشاورهم فى أمره وقال ما فكرت فى هؤلاء وانما فكرت فيمن تخلف مع ضماد ونخشى أن يدهمونا ولا يكون لنا بهم طاقة ولا منهم نجاة (فقال) لهم الجحجام قد بدلت لهم مالا وافرا وأطلقت لهم الأموال وطلبت النجاة بنفسك لم يبقوا عليك ولكن ابعث رسولا من عندك الى النازلة من حولك فادعهم الى نصرتك واجعل لهم نصيبا فى هذه الأموال والغنائم التى بين يديك فانهم لا يتأخرون عنك وتعمد الى هذا الأسير الذى بيدك فتقتله وتبعث الى القوم برأسه وأنا المتولى أمره وقتله قال عمر ومن يسبق الى هذا الأمر وله الجائزة والحباء (قال) الجحجام ليس لهذا الأمر غير الضحاك بن علقمة فانه رجل ذو لسان وفصاحة وبيان فصاح به عمر فحضر بين يديه قال فلما نظر جناح بن مضر رحمه الله الى ما قد عزم عليه القوم تركهم وانسدل حتى أتى الطفيل وأصحابه وأخبرهم بذلك (وقال) عزم القوم الليلة على قتل جلهمة وان يبعثوا الى العرب فيستنجدوهم ويجعلوا لهم نصيبا فى أغنامكم وأموالكم وقد بعثوا بالضحاك بن علقمة فى ذلك يوافيهم بجمع كثير من العرب فلما سمع القوم ذلك (قال) لهم الطفيل ما ترون من الرأى فيما سمعتم قال فسورة تجعلون الرأى لى فى هذا الأمر قالوا نعم قد قلدناك أمره اليك فافعل ما بدا لك فدعا فسورة برجل من الأزد يقال له جندلة بن خباب الأزدى وكان من الأبطال المشهورين والفرسان المعدودين (فقال) له اركب جوادك وأطلق عنانك حتى تلحق بأبى ضماد وتخبره بما نحن فيه من أمرنا وما فعل القوم معنا وغدرهم بالطفيل وأخذهم له وأهله وان القوم قد أرسلوا رسولا يستصرخ لهم العرب علينا فأسرع أنت ما قدرت (ثم قال) للرسول اسرع ما استطعت ثم مضى لما أمره فسورة ثم دعا بعده بعامر بن الطفيل وقال له أسرع الى فم الوادى وكن هنالك فاذا وصل اليك الضحاك بن علقمة فاقتله ولا تبق عليه وغيبه هناك حتى لا يظهر له خبرا كفنا مؤنته واحرص ان تأتينا قبل الصباح (قال) حبا وكرامة قال فخرج عامر بن الطفيل من وقته ومعه المنهال بن قتادة وزيادة بن سويد وعابس بن جابر وأمثالهم خمس نفر ليس فى هؤلاء الا كل معظم وسار وافى طلب

الضحاك بن علقمة (قال) قسورة هذا أمر قد اقترحناه وبقى الثالث وهو أصلح من الاثنين قال الطفيل وماهو (قال) هذا ماله غيرى ولا يلزمه غيرى قال وماهو يا أباجبل قال قسورة انه بقى فى قلبى حسرة واحدة وقد أمرضتنى وأحزنتنى وهو مانزل بصاحبنا جلهمة وغاظنى ماذكره جناح بن مضر وان الجحجام قد عزم على قتله فى هذه الليلة وقد اجتهدت ان أخرج الى القوم حتى أخلط بالغنائم والاموال وأخفى نفسى عن الارذال وأكون هنالك فلعلى أجد لصاحبنا خلاصا من يد القوم وان ظفرت بصاحبه الجحجام بطشت به ان شاء الله وان وجدت سبيلا الى خلاص النسوان فعلت (قال) الطفيل أخشى عليك من القوم انهم سد من حديد وقد رأيت غدرهم وما أبدوه لنا من مكرهم الى أن وصلوا الى ما أرادوا هذا أمر بعيد المرام شديد الاقدام وأخشى أن يحدث بك حادث فتعظم مصيبتنا ويطمع فينا عدونا وتكثر رزيتنا (قال) قسورة هذا أمر لله فيه رضا ولنا فيه صلاح ولى فيه أجر وثواب وللمؤمنين فيه فرج وحسن مآب وحرمة نبينا (محمد) صلى الله عليه وسلم لابد لى من ذلك وأنا أوصيك بتقوى الله والرضا بأمره والصبر على حكمه والتسليم لقضائه والشكر على نعمائه والثبات عند حلول بلائه وان لا تفشلوا ولا تكسلوا ولا تجازعوا فان أتيتكم الليلة بما تريدون فذلك أمر من الله عز وجل وهو المراد وان هلكت فكل شئ هالك الا وجهه وكونوا مستيقظين وان سمعتم نداء فلن استصرخ بكم الا عند شدة وكربة وان القوم قد لزموا مكانى فأسرعوا الى اذا سمعتم النداء فلعل الله ان يكشف عنا الضر والبلا انه ولى ذلك والقادر عليه والله خليفتى عليكم (ثم) نزع أدراعه وطلب التخفيف فافرغ عليه مدرعة سوداء وجبة ومنطقة وأخذ سيفه ودرقته وخرج من عندهم فغدا نحو المشركين وهو يقول

ولما رأيت الأمر مر مذاقه ٭ وقد جثم الأعداء للغدر والمكر
وجاء نذير القوم يخبر أنهم ٭ يريدون غدرا بالاشاوسة الزهر
سريت لهم والليل أرخى سدوله ٭ كمثل غراب البين جاز عن الوكر
وقمت اليه بالحسام أحوطه ٭ حذرا عن الأخيار يطرق بالأمر
وخوفا على المأسورات يقتلونه ٭ رجوت له ان ينتجا من الأسر
وربى عالم بالذى أنا راجى ٭ أؤمل بعد العسر يأتينا باليسر

(قال وسار قسورة) وقد حار القوم من شجاعته وما عزم عليه من الهجمة على المشركين وحده وقالوا ما رأينا أحدا مضى عزما ولا أشد حزما من هذا الفتى قسورة ولقد أعطى من البصيرة والشجاعة مالم يعطه أحد غيره وانه على منهاج أبيه والورقة من الشجرة فقال صفوان للطفيل يا خليلى ان هذه الليلة ليست كسائر الليالى وهى كثيرة الطوارق والعوائق وقد تعلقت القلوب بذلك ورسولك الى ضماد ما نعلم ما يقدم عليه وغمنا على ولدك وما يخوضه فى هذه الليلة وهمنا على النسوان أشد والبلاء بنا قد اشتد وارجو أن يؤول أمرنا الى خير وان لا يؤول الى شر فتسامع الصوت فان سمعت شيئا فنادنى حتى أسرع اليك فانى أرجو أن يخلص الله هذا الغلام من هؤلاء اللئام (قال) فتواثب الطفيل وتواثبت ازد شنوءة الى الخيل كالأسد الزائرة وتطاول القوم الى ما يكون من أمر صاحبهم قسورة (قال) صاحب الحديث ان قسورة لما خرج من عند أصحابه أخذ متيامنا الى أن وصل من وراء القوم واذا بالغنائم مجموعة والنساء والولدان فى وسط الاموال والعبيد أسارى والرجال محدقين بالاموال على ظهور خيلهم يطوفون عليهم قد تقلدوا رماحهم وأشهروا سيوفهم وفوقوا سهامهم وهم متأهبون للحرب (فلما) رأى قسورة ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال أطاول القوم لعل أن يغلبهم النوم فابلغ منهم المراد فوقف مكانه فبينما هو واقف اذ سمع وقع السيوف على الدرق والزعقات فى العسكر

وقد هاج وماج ولم يدر قسورة ما سبب ذلك (قال) وكان سببه ان عمر بن حمامة لما أذن للجمجام فى قتل جلهمة اشتد على عشير بن جندل بن جبير الذى قتله جلهمة فقال ابن أخيه شاحب بن غياث يقتل عمى ويقتل قاتله غيرنا لا كان ذلك أبدا ولو قتلنا عن آخرنا (قال) وسبق هو وجماعة من بنى عمه وأقاربه الى جلهمة وكان بقرب الاموال معتقلا قد كتفوا يديه وأوثقوا زنده وقد سقطت أصابعه وترادف دمه وهو ملقى لما به لا يطيق حراكا وهو يكابد الجهد وغصص الموت وهو يقول فى أنينه يارب اليدُ المشتكى من عظيم البلا ومازل بى من العدا يارب أنت العالم بما أشكو اليدُ من الجوع والظما ومانزل من فقد الاهل والاحباب والشوق الى (محمد) المصطفى صلى الله عليه وسلم فان كان الذى نزل بى يرضيكَ فزدنى منه فانى صابر محتسب شاكر فهو كذلك يتضرع اذ أشرف عليه شاحب بن غياث هو وقومه وقد أشهروا السيوف يريدون قتله فقال قوم منهم ياويلكم ان هذا هلاكه فاتركوه يكابد الموت فذلك العذاب الاكبر وان القتل له راحة فلا تريحوه مما هو فيه قالوا ان لم نقتله يقتله غيرنا ويخرج من دمائنا بغير حق ولا ثار (قال) فبينما القوم كذلك اذ التقى الجمجام مستندا على بنى عمه وقد أشهروا السيوف وقالوا لا كان ذلك أبدا وتآخذ القوم بالسيوف فقتل من الفريقين زهاء أربعين رجلا وكادوا أن يفنوا عن آخرهم فركب عمر بن حمامة اليهم وحجز بينهم وقال أنا أفعل هذا الأمر ليس فيكم الا من يطالبه بدمه فقم أنت ياجمجام وأنت ياشاحب واتركا أصحابكما وانفردا به دون أحد من قومكما وأجمعا عليه بضربتكما ولتكن فيه واحدة فتشتركا فى قتله ولا يكون لأحدكما دون صاحبه (قال) فرضى القوم بذلك وانفصل الامر بين الفريقين وتراضوا بما قال لهم عمر بن حمامة واحتمل أصحاب الجمجام صاحبهم وحمل جلهمة رحمه الله الى أن أخرجاه الى جانب العسكر خارجا عن الاموال والعبيد وعن قومهم ولم يتبعهم أحد وكان الحامل له شاحب والجمجام من ورائه وليس معهم أحد ثالث من قومهم فخرجا به بعيدا وكان من قضاء الله تعالى ان قسورة كان قريبا منهم فى تلك الناحية (قال) وجلهمة يقول لهم ياقوم لا تقتلونى فانى هالك فى لبلتى هذه فقالا له وذى الكفين لنقتلنكَ شر قتلة وقل لصاحبكَ (محمد) ينقذكَ من أيدينا ولربكَ أن يخلصكَ منا (قال) فلما سمع قسورة كلام القوم وعلم ما دبروه من قتل صاحبه لم يطق صبرا دون ان حمل من الموضع الذى هو فيه كالبرق الخاطف وكانوا القوم قد هموا بقتله فانقض قسورة وثار عليهما ثورة الأسد وأدهشهما بوثبته وأشغلهما بهجمته عن قتل جلهمة وقال ياويلكما قد أغاثه وأنجده (محمد) ورب (محمد) ثم هز سيفه وضرب الجمجام على هامته فلقها نصفين (ثم) عطف على شاحب بضربة ثانية فقطع يمناحاصرته وتركهما فى الارض قتيلين وعجل الله بارواحهما الى النار واحتمل جلهمة على ظهره وقال ما انتظارى والساعة يفتقد القوم الرجلين فانهض بجلهمة وانج بروحكَ (فلما) دعته الحالة الى ذلك احتمله ومضى به مسرعا حتى قرب من أصحابه وجلهمة قد تحير مما رأى (قال) فلما أبطأ الرجلان عن عمر بن حمامة قال أنا أمضى وانظر ما كان من خبرهما قال فسار الى المكان الذى كان فيه جلهمة فوجدهما قتيلين ولم يجد جلهمة هنالك فدهش مما أبصر وصاح بقومه وقال ياويلكم ادركونى فتبادروا اليه بالسيوف واذا بالرجلين قتيلين وافتقدوا جلهمة من بينهما فلم يروا له خبرا ولا أثرا فقالوا ان كل واحد منهما قتل صاحبه وأفلت جلهمة من بينهما فقال عمر لا أرى الا أنهما مكيدة من عدونا قتلوا أصحابنا واحتملوا صاحبهم فاطلبوهم فلم يبعدوا فافترقوا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا (فقال) عمر هذا أعظم من كل ما نزل بكم ومن كل ما فعلناه وغنمناه فصاح القوم وصرخوا وقالوا له انه لعمركَ كما ذكرت (قال) وارتفع الصياح حتى سمع النسوان ذلك فسألت زوجة الطفيل بعض من حضر ما الخبر فاخبروها انه قتل من سادا تهم

رجلين لم يعلموا من قتلهم وفقد الأسير الذى أسرناه من أصحاب الطفيل الذى يقال له جلهمة (قال) فسرت بذلك وقالت ان الذى من على هذا باطلاقه قادر على أن يطلقنا من شدة هذا الأمر ثم قالت اللهم انصرنا على من ظلمنا ومن اعتدى علينا بغير جرم أجرمناه ولا ذنب أذنبناه غير أننا آمنا بالله وأقررنا برسوله صلى الله عليه وسلم اللهم كن فى القيامة غدا راضيا عنا غير غضبان انك الواحد المنان فقد حلت المصائب وأنت قصد الطالب وغاية الراغب لن نعترض عليك فى حكمك وقضائك رضينا وقبلنا فطال مارتعنا فى هذه الضلالة واعتكفنا فى الجهالة فلعل أن يكون هذا كفارة لما مضى وقد صدقنا بنبيك وآمنا به ومانحن بآيسين من فرجك القريب فدار كنا برحمتك يا أرحم الراحمين (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله ولما رجع القوم آيسين مما رجوه من لحوق من قتل صاحبهم اجتمعوا الى عمر بن حمامة وقالوا له أيقتل صاحبنا ويفلت أسيرنا وتغفل عن هذا الأمر فأمرنا أن ننهض تحت الدجى حتى ندهم القوم كما دهمونا ونكبسهم كما كبسونا ونجازيهم على ماسبق الينا منهم من قبيح الفعل لئلا يقال انا غفلنا عن هذا الأمر العظيم فقد جسروا فى هذه الليلة على أمر عظيم (وما) فعلوا فى هذه الليلة ما فعلوا الا عن مشورة وتدبير (قال) عمر وانى أخشى أن تطلبوا الزيادة فتقعوا فى النقصان وهؤلاء الازد قوم لا يطاقون جبارة عمالقة وقد بعثتم برسولكم يستنجد لكم العرب وكأنكم بالكتائب قد أشرفت عليكم وقبائل العرب قد وصلت اليكم فتأخذ لكم بثاركم وتحدق بأعدائكم فلا ينجو منهم أحدا فتشفوا ما فى أنفسكم وما أشير عليكم الا بالهجمة ليلا كان أو نهارا الا نى لا آمن عليكم من القوم أن يخطفوكم من كل جانب (قال ثم) تولى عمر بن حمامة حرس القوم فى تلك الليلة حذرا منهم على أصحابه قال وان قسورة لما حمل جلهمة على ظهره كما تقدم لم يزل يسرع جريا وقد اشتد قلق الطفيل وأصحابه عليه والطفيل يتضرع بالدعاء ويمرغ خديه فى الثرى وكان ولده عامر قد مضى فى طلب الضحاك بن علقمة ليقطع عليه الطريق وقد مضى أيضا جندلة يريد ضمادا يستنفره وقسورة أيضا فى طلب جلهمة والطفيل قلق عليهم قلقا عظيما مما يحل بهم والناس كذلك يتوقعون مايكون من أمرهم وينتظرون الصيحة أن تقع فيهجمون وقد تقدم صفوان فى أوائلهم (قال) وبينما القوم كذلك اذ سمعوا الصرخة والجلبة فعزموا على الحملة فقالوا هذه صرخة قوم قد أصيبوا ونكبوا فقال صفوان ماصبرنا على ما سمعه (قال) والقوم قد أقرنوا الأعنة وفوقوا الأسنة وعزموا على الحملة اذ أشرف عليهم قسورة وهو يحمل جلهمة على ظهره وهو يأتى به كالبرق فتأمله الطفيل وصفوان فعرفاه فلما نظروا اليه كبرا فرحا وخر الطفيل ساجدا وقال اللهم لك الحمد على ما أوليت وما أعطيت فقال صفوان الا تخبرنا كيف كان أمرك وخبرك وكيف وصلت اليه (قال) قسورة ان ربى لم يزل بى رفيقا والى محسنا وعلى منعما ثم أخبرهم بخبر الرجلين الذين قتلهم وكيف نجا بجلهمة (فقال) الطفيل أنا والله لا أنسى لك هذه الفعلة والذى سلمك قادر ان يسلم ولدى ويرده الينا فاغاثنا ان شاء الله تعالى قال وانهمل جلهمة بن رياس فى غشيته مما نزف من دمه ومالقى من حمل قسورة فكلموه فلم يجبهم فقال لهم قسورة انه قد مخض كما يمخض اللبن لسرعتى به فاتركوه حتى يهدأ ما به (ثم) أقبل قسورة على الطفيل فقال له أتأمرنى بالزحف الى القوم قبل الصباح فان قدرت على النسوان واطلاقهن أتيتك بهن وان رزقت الشهادة فعلى الله تعالى توكلت وبه استعنت وانى سمعت أبى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا وأنا أعلم أن نسوانك قد أشرفن على الهلاك فان أنا خلصتهم الليلة فقد أحييتهن وان قتلت فقد علم الله نيتى (فقال) الطفيل ان فعلت لا ينسى الله لك ذلك ولله على نذرا وصدقة وثواب الله أعظم من ذلك قال حبا وكرامة ها أنا أسرع الى ذلك غير مقصر فان أدركنى الاجل فانا أستودعكم الله وأستودعكم

والسلام

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم) سلم على القوم ومضى يريد عسكر المشركين فلما رأى أول الجمع عمر بن حمامة تولى حرس القوم بنفسه حذرا من غائلة القوم فوقف قسورة ينظر فرصة من القوم (قال) وكان جناح بن مضر قد خرج مستترا يريد عسكر المسلمين فبصر به اللعين بن حمامة واسرع اليه وصاح به من أنت ياويلك ومن أين أقبلت فقال أنا جناح بن مضر فقال لا مرحبا بك ولا أهلا فما أظن أنا قد طرقنا الا من أجلك وخبثك فقال جناح ياسيدى ومثلى يخشى منه جنية سوء (قال) عمرو يلك ومايؤمنني منك وقد بعثت بك الى القوم بكتابى ولا شك انك قد صبوت الى القوم فقال ومثلى من يصبو الى غير دينه قال فاذا فاشتم (محمدا) حتى اعلم انك صادق قال ومالى بشتم رجل لا أعرفه ولا أقدر أن أذكره بقبيح وذلك عار على السادات والأكابر لا كان ذلك أبدا (فلما) سمع اللعين عمر ذلك لم يمهله دون أن علاه بالسيف فطرحه قتيلا وعجل الله بروحه الى الجنة (وروى) عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صبيحة تلك الليلة التى قتل فيها جناح بن مضر وقد صلى الغداة عند الكعبة واستند اليها وهو يقول لا اله الا الله رحم الله جناح بن مضر فقلت يارسول الله ومن هذا جناح بن مضر فقال هو رجل من أهل الجنة لم يصل لله صلاة قط ولا أعرفه بوما كاملا وانما أسلم البارحة واستشهد فى ليلته فتقاتلت عليه ألف حوراء من الحور العين كل واحدة منهن تقول هو لى فقال الله لهن كلكن أولى به وقد أخبرنى جبريل بذلك (ثم) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن حمامة ومن معه ودعا للطفيل ومن معه من المسلمين قال وسمع قسورة اللعين بن حمامة حين قتل جناحا فأراد أن يهجم عليه فخشى أن يحمل عليه المشركون فلا يصبر المسلمون عن نصرته فيقتتل الناس فى الظلام ويقتلهم الحسام فرجع الى الطفيل مسرعا فأخبره بذلك فاغتم وحزن عليه فقال انما قتله عمر ليهدن به القوم ويسكن مافى قلوبهم من الجزع ثم قال ياقوم انما أتيتم من جنبة صاحبكم هذا (ثم) حدثهم حديثه قال وأرسلت زوجة الطفيل الى عمر بن حمامة تقول له لا تعرض بقية أصحابك الى القتال وأطلق الطفيل ونسوانه وأمواله وأهله وارجع بمن معك من قومك الى حاضرك غانما وبروحك سالما فارسل اليها لا يسرك مافعله قومك فى هذه الليلة فكل أول له آخر وكائن بالخيل والكتائب قد وصلت الى قومك فيبيدوهم عن آخرهم وأما اطلاقى من يدى فذلك مالا يكون حتى يرجع اللبن للضرع قال وطالت على الفريقين تلك الليلة وكل فرقة تنظران تأتيها نجدة فعمر ينتظر مايأتيه به الضحاك بن علقمة والطفيل ينتظر ولده ومايكون منه وينتظر نجدة من ضماد وهو أشد الناس خوفا على أهله وبناته ونسوته أن يسير بهم الى الحاضر فى ظلام الليل وهو ضارع الى ربه ينتظر فرجا ومخرجا (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله تعالى وكان من خبر عامر بن الطفيل حين سرى فى طلب الضحاك بن علقمة انه لما وصل الى المضيق أقام هناك الى أن مضى من الليل أكثره فبينما هو كذلك اذ أشرف عليه راكب على مطيته وهى ترقل به رقلا فلما رآه عامر بن الطفيل قال للنهال بن قادم أسرع الى هذا الراكب فأتنا به وبخبره (قال) فاسرع اليه عابس بن سليم وقال أنا آتيكم به فالبثوا فى أماكنكم فثبت القوم وخرج عابس فى أثر الراكب فناداه حييت بالاكرام والانعام من سائر فى ليل بهيم من أين والى أين فوقف عن المسير وقد ذعر وقال أعوذ برب العباد من هذا الوادى من أنت قال عابس أنا رجل من الانس مثلك أسئلك عن أمور لك فى معرفتها السرور فلا تخافن منى وأنا بشر مثلك فقال حييت يافتى فلقد ذعرنى كلامك فما حاجتك (قال) ان لى صاحبا بازائك يسئلك عن أمور ان كان لاح لك منها شئ (قال) حبا وكرامة ثم سار معه الى عامر بن الطفيل فلما وقف بين يديه قال عامر من الرجل ومن أى الناس أنت قال الرجل أنا من الازد قال فأين طريقك قال أريد قسورة بن ضماد قال عامر

وأين قسورة (قال) عند الطفيل بن عامر وقد وجهني اليه أبوه ينظر ما كان منه ولقد لحق ضمادا مرض شديد وأنا سائر اليه أطلب الطفيل حيث ما كان (قال) عامر حييت ووقيت قال هل لقيت في طريقك رجلا راكبا على جواد قال لقد لقيته سائرا يطلب بني مازن ولقد سألني عن حالي فكتمت أمري ولم أبح له بسري فمن ذلك الرجل (قال) عامر ما اسمك قال ابن جابر فعرفه القوم (قال) عامر بن الطفيل ما أغفلك عما نزل بالطفيل بن عامر من عمر بن حمامة قد نقض العهد وخالف الوعد وخالف الطفيل في الطريق الى أن جاوزه ثم عطف عليه فغار عليه فأهله وماله والحرب بينهم والراكب الذي لقيت هو الضحاك بن علقمة خرج يستنفر العرب لحربنا ونحن خرجنا نحن هاهنا لنرده عن مراده وننفيه من الدنيا وقد فاتنا ما عزمنا عليه فارجع معنا الى أخينا قسورة (قال) فرجع مع القوم الى الطفيل فلما وصلوا اليهم قال قسورة لعامر بن الطفيل ما كان منك قال قد فاتنا عدو الله وهذا رجل من رهطك قد جاء يفتقد أحوالك ويخبرك عن أبيك انه قد اشتد به المرض وانه وصل الى ديارنا (فلما) سمع الطفيل ذلك أطرق الى الأرض وقد ركبه الهم وتزايد عليه الغم واستدت عليه المذاهب (قال) الآن هلكنا لا محالة ان أنجد عدونا نجدة وأنا عارف بعدو الله الضحاك انه ممن لئن شر اولا آمن منه أن يأتينا بقوم من الأشرار فيحل بنا ما لا طاقة لنا به ولكن استعن بمن يرى ولا يرى وهو بالمنظر الأعلى الذي لا يحول ولا يزول ووقع في بحار الفكرة لا يدري ما يقدم وهو خائف من نزول البلية أن تنزل به من الضحاك (قال صاحب الحديث) وأما ما كان من خبر الضحاك بن علقمة فانه مضى في طلب النجدة كما تقدم فوقع في قوم عذرهم في طريقه نازلين فدخل في وسطهم فسألهم عن انسابهم فقالوا نحن بنو مريخ قال حييتم ومن الاسوا وقيتم أنتم معدن الفخار ومنكم تذهب الأشرار وبكم المستجار لانكم ملجأ لمن استند اليكم وملاذ لمن اتكل عليكم فهل لكم أن تجيبوا رجلا قد كدحه الزمان ورماه بطوارق الحدثان وعدا عليه أقاربه وأدانيه واستجاشوا عليه وأجلبوا الأعداء اليه فرجاؤه لكم أن تكونوا له عضدا وركنا سندا ولكم غنائم تغتنمونها وأموال تحوزونها مع ذكر سني وأمر هني قال له سيد القوم مصعب بن عمار يا فتى نحن كما وصفت وعندنا ما ذكرت من انجاد الجار ودفع الدمار وعقد الذمام ومن ذا الذي أنت له مستنصر وعلى من أنت مستنفر قال الضحاك اما الرجل الملتجى اليكم الطارح بنفسه عليكم فهو عمر بن حمامة الدوسي وأما الذي عدا عليه واستجاش القبائل عليه فهو الطفيل ابن عامر الدوسي استجاش عليه الازد وصاحبهم ضماد بن عنترة الازدي ومعهم غنائم كثيرة وأموال عظيمة لا تعد ولا تحد وقد حازها عمر بن حمامة وجعلها لمن أغاثه وانجده (قال فلما) سمع مصعب ابن عمار ذلك من مقالته قال ومن يطيق الازد وضماد فارسها ومع ذلك (محمد) له معاضد وملاذ وسيذل من عاداه فارتحل عنا أرفق بدنك لئلا يعلم (محمد) انا قد اجرناك فيجعلنا وكره وقصده ولولا انك قد توسطت حينا لما رجعت الى صاحبك أبدا (قال) فلوى مطيته واستوى على كورها وقاد فرسه ثم صار لا يدري أين يقصد فبينما هو سائر اذ وقع بفارس بين يديه عبد وهو دوج ونحة من الخيل ومطايا فلما رآه الضحاك دنا منه فسلم عليه (فقال) الفارس مرحبا بك وبطلعتك من أين والى أين قال الضحاك ممن كمل المروآت وعقد الذمات وقد خرجت اطلب أصحابا ولي صاحب قد عدا عليه أقاربه وأدانيه وطلبوا منه ما يشينه وما يؤذيه فسألني أن أسير اليكم أطلب له عونا ونصيرا لما نزل به وبذل لمن أجابه وأعانه أموالا كثيرة وسرحا غزيرا وولدانا واماء وعبيدا وغنائم يطيف بها ألف وحداء عند العرب جميعا فأتيت هذا الحي فخاطبني صاحبهم مصعب بن عمار وقال لي اني لا آمن على نفسي من الذمام فخرجت خائبا مما أملت ومن أرشد امرأ على طريق فقد نجاه من

الغرق وقد القيت أمرى اليك واتكلت فيما أطلب عليك أن ترشدنى الى ابطال ذوى شدة وبأس لأستدفع بهم ما لقيت من ضرى فتكون أنت المجير والنصير فما اسمك أيها الرجل البهى والفتى السنى (قال) اسمى الضحاك بن داود وأنا من مراد قال الضحاك فالى أين يجد بك السير قال الى قوم هم لنا أخلاف من بنى يشكر وصاحبهم المعروف بجبل الشر مرهج بن وهاج اليشكرى وهو ركن لمن اعتمد اليه وكهف لمن لجأ اليه (قال) فمن صاحبكم الذى أنت له مستنصر ومن عدوه الذى أنت عليه مستنفر قال الضحاك أما صاحبى فهو عمر بن حمامة وأما عدوه فالطفيل بن عامر الدوسى (قال) وما جرى له على عداوته قالوا انه صبا الى (محمد) وسحره فأمره ذو الكفين بارتجاعه واللحوق به فنعه من المسير فاستجار الطفيل بسيد الازد الذى يقال له ضماد بن عنترة الازدى وقد تركت صاحبى فى كرب السياق ولا يجد الى الخلاص مذاق قال له الفارس ما اسمك قال اسمى الضحاك بن علقمة (قال) يا ابن علقمة ان المرشد الى الأمان كمعطى الذمام والدال على الخير كمعطى الذمام وأنا أدلك على رجل تجد عنده حاجتك ومطلوبك وأنا سائر الى سيد بنى يشكر لأنى بجواره وأهلى من حوله نازلون وهو جبل الشر مرهج بن وهاج اليشكرى وهو أجدر أن يعينك وينصرك وهذا مرهج هو عندى اسمه مرهج الحروب وموقع الضروب تهابه العرب وتخافه السادات وذوو الرتب وما حل بأرض الا وخلت له العرب عن مياهها وانجلت عن مراعيها فزعا من شره وخوفا من سطوته فسر معى اليه وعنده تجد مطلوبك وبقضى من أعدائك مأربك وفيه يقول الشاعر

اليك بن وهاج أجد السرى ● وأشكوا الجفا وطول التعب
فلا راحة حتى أرى امرأ ● جوادا كريما رضى القرب
● حليم رحيم لدى أهله ● جزيل الوفاء عظيم الغضب
لقد طفت فى الأرض ألتى امرأ ● ودودا حليما شريف النسب
فجئت الى سيدى ساجدا ● له الفخر كل وعز الحسب
وفى الذمام همام فذاك ● هو بن وهاج المنتخب ●

(قال) الضحاك هديت ووقيت ها أنا أسير معك شاكرا ولما أوليتنى ناشرا لا عدمت منك الابطال ولا الجأك الدهر الى سوء حال وسار معه الى حى بنى يشكر (قال) فلما وصلوا الى حيهم ونظر القوم الى الضحاك بن داود تسارعوا اليه بالتحية والاكرام وسألوه عن الرجل الذى معه وهو الضحاك فقال لهم انه أتى قاصدا الى سيدا لحى مرهج بن وهاج فحيوه وأنزلوه عندهم وأكل من طعامهم وقالوا له ان مرهج فى قنصه غائب وكأنك به قد أتى فأقام عندهم الى مغيب الشمس واذا بمرهج بن وهاج قد أتى من الصيد والقنص والعبيد مثقلون مما حملوا من الصيد ومرهج على جواده وعليه درع متضاعف الزرد وعلى رأسه بيضة من خالص الحديد وبيده عمود من حديد فخرج اليه أهل الحى فتلقوه بالتحية فأجال طرفه فيهم فرأى الضحاك بينهم فقال لهم ما الذى أراه بينكم قالوا أيها السيد هذا رجل قصدك فى حاجة يريد قضاءها وعندك مبدؤها واليك منتهاها (قال) وما حاجته قالوا يأتى اليك ويذكر لك حاجته بين يديك (قال) لا أنزل عن ظهر جوادى حتى أعلم حاجته فأقضيها له (قال) الضحاك أيها السيد انى أتيتك مستجيرا برجل أرسلنى اليك يطلب سندا يستند اليه وكهفا يلجأ اليه من غدر زمانه وهجمة اخوانه فكن له عند أمله فان تجره فنعم المجير أنت وان تبعده فماله من نصير (قال) مرهج من هذا الذى استجارك بنا قال عمر بن حمامة الدوسى قال وما سبب العداوة بينهما وهما بنو عم وأقارب قال الضحاك ان الطفيل بن عامر صبا الى دين (محمد) بن عبد الله وأتاه ودعاه الى ما صبا اليه فأبى عليه فخرج عنه فأمره الهه ذو الكفين فطلبه فخرج اليه فلحقه على أنه يرده فاستصعب عليه فكتب الى

(محمد) فانجده بقبائل الأزد وسيدهم ضماد بن عنترة وابنه قسورة وقد تركت القوم فى حرب وكرب فان لم تدركه بنصير فانه لا شك عقير وفى بلاد القوم أسير فان كنت أجرت أحدا من العرب فكن لهذا الفتى نصير (قال) مرهج وما اسمه (قال) اسمى الضحاك بن علقمة قال يا فتى لقد بلغنى عن عمر بن حمامة أن له ابنة تسمى رغلة قد زوجها العامر بن الطفيل وانها لأجل نساء دوس كاملة الأوصاف ناعمة الأطراف وقد تناهى الى ذكرها وسمعت خبرها فأنا أنصرف وأنجده وأنتقم له من عدوه على أن يكون بينى وبينه شرط (قال) الضحاك وما شرطك يا سيدى قال اذا القيت من هذا الغلام الذى يظهر على العرب وزعم انه نبى كفيته أمر عمومته وقرابته وعشيرته وقتلت الطفيل وضماد الأزدى يزوجنى رغلة ابنته ويخلعها من عامر بن الطفيل (قال) الضحاك ولو لم تشترط علىه ذلك لفعل لأنه قد أظهر ذلك ولا يدفعها اليه أبدا وهو لك بذلك واف (قال) مرهج صاحبك أرسلك تطلب له مجيرا قال نعم قال له صاحبك لا يخالفك قال لا يخالفنى قال فأخذ بيده عما ضمن له من التزويج برغلة (قال) ثم نادى مرهج ألا من أراد المسير مع السيد فليتجهز ومن أراد الغنائم فليسرع من وقته ويلحق بسيرنا (قال ثم) تجهز اللعين وسار من وقته وقال للضحاك سر بنا فسيلحقنا القوم فسار من ليلته فلما أصبح واذا به قد تلاحقت به ستة آلاف فارس فلما نظر الى ذلك سر به فميز القوم فاختار منهم أربعة آلاف بالدروع والعدد وأمر الباقين بالرجوع الى الحى وأقبل على ولده هجاج وقال له انى سائر مع هذا الرجل وقد دهمنى لأكشف عنه العار وعن قومه الشنار فكن خلفى على قومى وكن سريع الركاب فان أتاك طارق فلا تهجم حتى يتبين لك الأمر (قال) حبا وكرامة ثم سار مرهج وهو يقول

أتينا أخانا اذ دعانا بجمعنا ٭ نعاون ابنا الكرام الأشاوس
نقود الى الغارات خيلا مضمرة ٭ عليها من أبناء الليوث النعاطس
بنو بشكر فى الناس عز ومنعة ٭ وسيفهم يفنى الكريم المداعس
اذا افتخر القوم الكرام بفخرهم ٭ ففخرى فى الهيجا قتل الفوارس

(قال) وصار القوم يجدون السير وقال مرهج للضحاك سر بين يدى فقد نصرك قوم لا يطاقون ولا يقاومون أبدا قال له الضحاك يا سيدى أن لى اخوالا أريد أن أمضى اليهم وأسألهم المسير معنا يكونون لنا عونا على أمرنا (قال) فمن اخوالك من العرب قال بنو نجيح قال له سر الى ما أنت طالبه فأنا ماض الى عمر بن حمامة واذكره ما بينى وبينك من الشرط الذى ذكرت لك فان هو وفى بما طلبته منك وضمنت لى كفيته مؤنة عدوه وان هو أبى رجعت عونا عليه (قال) له الضحاك يا سيدى انى غير راجع عما ضمنته لك عنه فكن لذلك مطمئن القلب بما ضمنته له قال وسار الضحاك يريد أن يستنفر لعمر بن حمامة قوما آخرين وسار مرهج يجد السير الى أن أشرف على عمر بن حمامة (قال) فلما أشرف على عمر بن حمامة ورأى القوم المؤمنون ذلك قال الطفيل خذوا على أنفسكم فقد طلع هذا الجيش ولا ندرى ما هو وكانوا أصبحوا وتشاوروا فى القتال (وقد) أشرف بن حمامة على الهروب من قسورة ابن ضماد وأيقن بالعطب فلما أشرف عليهم عسكر مرهج استراح اليه وقال هذا صاحبى الضحاك قد استنفر لى العرب ولئن كان يأتينى بنجدة لأولينه احسانا ووفيت له بكل ما ضمن عنى (ثم) أقبل على فارس من قومه وقال له أشرف على هؤلاء القوم وانظر من هم وأين جديهم السير قال فأسرع الفارس والفتيان شاخصون فاستقبل القوم وقال حييتم أيها القوم السائرون من أى الناس أنتم وأين تريدون قالوا نحن ناس من بشكر فما هاذان الجمعان (قال) هذا عمر بن حمامة مناضل للطفيل بن عامر قال مرهج وأى الفئتين فيهم عمر بن حمامة قال هو هذا حيث الهوادج والأموال والسرح

قال له مرهج سر الى عمر بن حمامة وقل له هذا جبل الشر مرهج بن وهاج البشكرى قد أتى لنصرتك فكن مستعد اللقائه فهو يكفيك أمر عدوك كائنا من كان فرجع الفارس يركض الى عمر بن حمامة فقال له ماوراءك وما الذى أتيتنا به ومن هؤلاء القوم (قال) أيها السيد هذا جبل الشر مرهج بن وهاج البشكرى قد أتاك فى أربعة آلاف فارس من أبطال بشكر فسر اليه واستقبله وعظم قدره وكبر ذكره فقام عمر بن حمامة لاستقباله (فلما) قرب منه هم أن يترجل له فقال له مرهج أقسمت عليك الا تفعل فدنا منه واعتنقه وبكى عمر بن حمامة وقال يك الملاذ ولك يلين الفخار ولك يجب الشكر انى أشكو اليك نوائب ومصائب تشيب لها الذوائب وأريد منك أن تكفينى شرها وتصرف عنى مكرها وهنا عدوى قد استنصر على بقوم الأزد وهم لنا منازلون يطلبون لى القصر وأنا نحت الصبر وقد من على الهى ذو الكفين بك (قال) مرهج يا عمر وما جئتك الا وأنا عازم على فناء أعدائك الا أنى أبتغى على ضمان ضمنه لى صاحبك الضحاك بن علقمة فان أنت وفيت به فأنا لك والا كنت عليك سيفا مرهفا (قال) عمر وما الذى ضمن لك عنى قال ضمن لى أنك تزوجنى من ابنتك رغلة على نصرتك قال عمر وهى لك وان لم يضمن لك صاحبى من أمرها شيأ فانزل بالرحب والخب فقد أدركنا المنى فاذا كان فى غداة غد فعلنا امرنا مع هؤلاء القوم وأوصلك الى حاجتك وما تهوى فضمن له مرهج عند ذلك كفاية القوم فعدل معه الى حيث عسكره (قال) ونظر الطفيل الى القوم وتكاثرهم فورد عليه أمر أنساه أهله وماله فقال له قسورة بن ضماد انى أرى القوم يتكاثرون علينا ومددهم يتزايد الينا وقد كنت أملت الا يأتى أبى الا وقد أنجزنا أمرنا مع القوم واذا مدد القوم قد أتى ونحن فى قلة وضعف من المال فاما ان ترحل معنا وتكون معنا الى أن يأتى أبى ويستنقصه ونرجع الى عدونا واما أن تتغيب عن القوم ولا بد لى من اللحوق بأبى فاما أن يبعث معى بالمال والرجال واما أن يكون قد أفاق من مرضه فيعود معنا الى عدونا ولو اتصل بأبى ما نزل بنا ما كان زال عن موضعه ولا قصر عن نصرتك (قال) فلما سمع الطفيل ذلك قال أخلى عن النساء وبناتى ومالى لا أستطيع ذلك فامض أنت الى أبيك شاكرا شكر الله لك صنعك فها أنا فى هذا الكهف أنا وولدى وخليلى صفوان وخذ معك هذا الرجل جاهمة فانه قد ضعف ونزف دمه ودعنى أراعى أهلى مساء وصباحا حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا وان وقع القوم فى وقتلونى فهو أروح مما أنا فيه (قال) فارتحل قسورة بن ضماد بمن معه من قومه فلما مضى من الليل هجيعة ارتقى الطفيل وولده وصاحبه الى كهف فى الجبل يحصنهم من عدوهم وقالوا صبرا على ما قدر الله علينا وهو قادر على أن يفرج ما نزل بنا (قال) وأقبل عمر بن حمامة فى الليل الى مرهج بن وهاج وقال له أريد أن تزيل عنى فى غداة غد هذا الأمر قال مرهج وأنت على الشرط (قال) عمر انى عليه معتمد وبه واف قال مرهج وأنا أيضا أكفيك أمر (محمد) وعمومته قال عمر هى مسلمة لك بمالها وعبيدها قال مرهج أقسمت بآبائى العظام لا أفتح الحرب ولا أشرع الطعن حتى تحمل الى ابنتك من الحى فاذا وصلت الى حيى حملت على أعدائك حملة واحدة أطحنهم بها طحن الحصيد وأتركهم صرعى (قال) عمر فانشأ قال نعقد نكاح ابنتك بين يدى قومى وقومك وأبعث بشقتى وثقاتك من يسلمها الى قال عمر فانى قد أهديتها اليك بغير مهر بعد أن تكفينى أمر عدوى (قال لك) ذلك قال فدعا مرهج من قومه من يثق به ودعا عمر بمن يثق به من قومه وجمع رؤس قومه فلما حضروا (قال) عمر يا معشر قومى من حضر من العرب من بشكر وغيرهم من دوس أشهدكم انى قد زوجت ابنتى رغلة من مرهج بن وهاج البشكرى وقد جعلت مهرها الذى عليه فناء أعدائى الطفيل ومن معه ومحمد وعمومته وكل من تبعه وكل من عادانا وناوانا فعليه نصرتى وعلى أن أدفع له ابنتى وانى موجه من ليلتى من يحملها اليه بمالها وسرحها ورحلها ولا أترك

لها عقالا الا ودفعته معها كرامة منى اليه فاشهدوا على بذلك قالوا شهدنا (ثم) دعا بابن عمه عامر بن رواح وقال يا ابن العم انطلق فى مائة فارس من قومك الى حاضرنا وحينا فسلم ابنتى رغلة بما لها وسرحها لرسول مرهج بن وهاج ولا تترك لها عقالا الا سقته معها فاذا وصلت الى حيها وحصلت عند أهله فعد على أثرك الينا بخبرها (قال) حبا وكرامة سمعت وأطعت (قال) فلما سمع مرهج ذلك دعا برجل من قومه ممن يثق به يقال له عقال ابن نهال البشكرى فقال له امض مع القوم وتسلم هذه الجارية مع عبيدها ومالها وما تحويه يداها وسر بها الى حينا فاذا وصلتها فابقها هنالك مكرمة وعد الى فلست تعود الا وتجدنا قد فرغنا من عدونا وانهض الى مكة الى (محمد) وعمومته ومن تبعه قال عقال بن نهال سمعت وأطعت أيها السيد قال وبعث معه مرهج فوارس من قومه أنجادا وليوثا شداد من صناديدهم وانفصل الرسولان فى الليل من عندهما (قال) وسمع الطفيل دوى الخيل وصهيلهم وقعقعة اللجم وقال ان للقوم أمرا لانقف عليه فيا ليت شعرى ما الذى عزموا عليه فقال له ولده عامر يا أبت أنا آتيك بالخبر (ثم) أسرع منحدرا من الجبل الى أن استقر فى الوطى فنظر الى الخيل راجعين الى ديارهم نحو حاضر دوس فانكر ذلك وقال أتراهم راحلين فيا أسفا على الأهل والمال لقد جئنا الى تعب ونصب (ثم) أنصت عامر اليهم باذنه ليسمع ما يقولون فى ظلام الليل اذ سمع أحدهم ينشد ويقول

الا فأنعمن اليوم يا مرهج نعمة • برغلة تهديها اليه كرامه
وقد رماها ابن الطفيل بنائل • ونال عظيم لا ينام مرامه
فساق اليها ما يساق لمثلها • وزاد لها ما لا عظما أمامه

(قال فلما) سمع عامر ذلك غشى عليه وسقط الى الأرض مغشيا ثم أفاق فأقبل الى أبيه باكيا فضمه الى صدره وقبل ما بين عينيه وقال ما يبكيك يا بنى ما وراءك (قال) و رائى الموت الذى ليس له بد وهذا فراق بينى وبينك ولا صبر لى على ما سمعت الا وأنى أتبع أثر القوم فانظر ما يكون منهم وعسى أجد فرجا أو راحة (قال) أبوه يا بنى هلا أخبرتنى بالخبر (قال) يا أبت ان هؤلاء القوم من بشكر وانهم قد وردوا النصرة عمر بن حمامة وانه قد زوج ابنته رغلة لسيد القوم مرهج بن وهاج وقد وجه بخيل يسلمونها اليه ويحملونها الى حيه قال فبكى الطفيل وقال يا رب صبرا على قضائك (ثم) قال لولده يا بنى ذهب أهلى ومالى وبناتى وبقيت وحيدا فريدا ولم يبق لى غيرك نصيرا أتفجعنى ببعدك قال عامر يا أبت انه لعز على أن أفارقك ولا صبر لى وقد عظم الأمر على فعليك السلام (ثم) عانقه وعانق صفوان فريدين فقال له الطفيل يا صاحب الخير قد مضى الأهل والولد والمال والعدو بازائنا نازل وقد انقطع منا الرجاء ولم يبق لنا الا رب الأرض والسماء وقد فعلت يا أخى فوق ما يجب عليك فاتركنى فى مكانى أشرف على أهلى وقومى وبناتى ومالى فانهم ارتحلوا جهم وأنا سائر على رؤس الجبال الى أن يقضى الله من أمرهم وأمرى ما هو قاض ولعل الموت يأتينى فى ليلتى أو فى غد فأستريح (قال) فبكى صفوان وقال له انى لم أتخلف عنك ولم أتركك فى وقت الرخاء أأتخلى عنك فى وقت الشدة والوحدة وقد انقطع عنك الرجاء لا كان ذلك أبدا فهلم بنا نستتر فى مكان من أعدائنا حيث نراهم ولا يرونا فننظر ما يكون منهم مع أهلنا وننظر ولدك وما يكون منه (قال) فارتقيا الى أعلا الجبل فكمنا فيه وعمدا الى جوادهما فعقلاهما عن الطفيل وقد صدر من المرعى والماء فربطاهما بازائهما (فلما) انفجر الصباح نظروا الى العسكر نازلا بازائهما فعظم ذلك عليهما قال ونظر عمر بن حمامة الى الطفيل والى من كان معه فلم ير له أثر ولم يعرف لهما خبر قال مرهج ان القوم قد تشهلوا فى الليل ولو لا غرتك ما فارقونا غدوا ورواحا قال مرهج أنا ضامن لك قتل ضماد الأزدى وولده ومن معهم من

الأبطال (ثم) لا أرضى حتى أقتل (محمدا) وعمومته وأصحابه ولا أبرح من موضعى حتى أنظر تمام ماقد وعدتنى و يأتينى رسوله فهنالك أوفى لك بكل ماذكرت (قال صاحب الحديث) هذا ماكان من خبر القوم وأما ماكان من خبر عامر بن الطفيل فانه لما فارق أباه وصفوان واتبع أثر القوم وهو ينشد و يقول

رعى الله أياما لكم يا أحبتى * وحيا زمانكم فيه جيرتى
اذا ماتذكرت الذى كان بيننا * تبدل ذاك الأنس منكم بوحشتى
أنوح على ماقاتنى من وصالكم * وتجرى عليكم بالمدامع عبرتى
وحقكم انى حزين عليكم * ياليت قبل البعد كانت منيتى
وقد كان لى قبل البعاد بقية * فأفنيتم بعد البعاد بقيتى
فيا ليته لما قضى بفراقنا * أياسادتى يقضى على بموتتى
بحقكم دوموا على ماعهدتم * وارثوا بما صنع الفراق بهجتى

(قال) وسار القوم الى الحاضر فلما وصلوا اعتزل عنهم مباعدا مفكرا ينظر مايكون منهم فأقام يومه ذلك وان القوم لما وصلوا الى الحى ونزلوا بعثوا الى رغلة أن تجهزى الى بعلك قالت وأين بعلى قالوا لها هو معنا بيد أنه الى أن تمضى الى حيه قالت وأى حى هو نازل قالوا بواد ذهيبا قالت ومايصنع بعلى بواد ذهيبا ومافعل أبى قيل لها فاتظنين بعلك قالت عامر بن الطفيل قالوا لا تذكرى عامر بن الطفيل فقد خلعك أبوك منه وزوجك من رجل آخر من بشكر وهو سيدها مرهج بن وهاج (قال فلما) سمعت بذلك استقهرت وقالت يا أبت غير الله ما بد لها لك بنقمة ثم قالت صبر جميل على ماقدر على من فقد الحليل ثم أخرجت ما كان لها مدخورا من مال و جوهر ودنانير ودراهم ولباس وغير ذلك وأمرت عبيدها وولائدها الا يتركوا لها شيئا يعرف لها الا أخرجوه لها ففعلوا ذلك وهى مفكرة ثم ارتحلت وحملت معها مالها وسرحها ولم تترك شيئا لها فقالوا لها بارغلة امضى الى الهدذى الكفين وسلمى عليه ينصرك و ينصر أبالك على عدوكما قالت لا كان ذو الكفين ولا نعمت يداه ولا رنحت قدماه (ثم) أمرت جوارحها وخدامها فى الهوادج وأمرت العبيد بسوق الأموال وكان لها خيل عتاق وكانت من المتر جلات البازلات قد أعطيت شجاعة و براعة وكان أبوها قد علمها الفروسية وانفصلوا سائرين الى حى بنى بشكر (قال الراوى للحديث) وكان عامر بن الطفيل جالسا على طريقهم مستترا لا يظهر لأحد باقى يومه فلما كان بعد العصر أشرفت عليه الأباعر والهوادج والأموال والسرح والخيل والنجائب وجميع مال زوجته رغلة وكان عارفا بهوادجها لكثرة زينته فلما نظر الى ذلك خفق قلبه وارتعدت فرائصه ثم صير نفسه الى أن جاوزه القوم ثم جعل يقول

ولما رأيت القوم سار وا بجمعهم * وهم يحملون البدر فوق النمارق
بكيت على الوادى وقد قل ماؤه * فصار بدمعى كالبحار الطوابق
فلت الى الوادى لأغرف جرعة * فجف بانفاسى ورب الخلائق
فلولا ان شممت من حبيبى شمة * لمت حريقا بين تلك المشاهق

(قال) فلما بعدوا عنه اتبع أثرهم فلما أتى القوم الى وادى العرجون وقد أدركهم المساء نزل القوم هنالك وأضرموا نيرانهم وأظهروا طربهم ليلتهم (قال) فلما رأى عامر ذلك اعتزل بفرسه فاوثقه فى بعض المكمنات ثم أقبل يدب دبيبا الى أن قرب من فم الوادى ينتظر فرجا فبينما هو كذلك يأمر نفسه بالهجمة عليهم و يلقى بنفسه الى الهلكة عسى أن ينظر أو يصل الى زوجته اذ نظر الى نسوة قد أقبلن من فم الوادى متباعدات عن الهوادج (فلما) بصر بهن دنا منهن ليسمع كلامهن

اذ سمع كلام زوجته رغلة قد خرجت فى ولائدها ووصائفها لتقضى حاجتها (قال) فلما سمع كلامها أخذته الرجفة من شدة الشوق واختطف قلبه من كثرة شغفه بها فاسبل عبرته وبكى ثم دنا منه النسوان وقد أعمى قلبه فلا يكاد أن يتحرك فلما دنين منه وقربن استوقفتهن رغلة وقالت على رسلكن فانى أشم رائحة عامر بن الطفيل فقلن لها قولى يجلب عليها وبالا وما هذا الكلام الذى لا يخطر على الأوهام فعساك مشغوفة به لأنك تحبينه قالت انى لأحبه حبا شديدا ومع حبى له انى أعلم انه منى قريب (ثم) صاحت ياعامر فوثب اليها وهو قلق من صوتها وكادت روحه أن تزهق وهو يقول لبيك لبيك ياسيدتى انا عامر فمشت اليه ومشى اليها فقالت له ما الذى أتى بك قال أنت وما القصد غيرك قالت هل معك عسكر ومعين يعينك ويجيبنى معك قال ليس لى أحد غيرى فهلمى أردفك وراءى ونجو بنا تحت الظلام قالت هذا رأى غير سديد فان الرجال جثم على فم الوادى بالسيوف والحجف يسطون علينا سطوة الأسد فان أبطأت ساعة واحدة تفرقت الخيل فى أثرنا فقف فى موضعك حتى أعود اليك فقال لها ها أنا ثابت لا أزول فرجعت على أثرها وأسكتت ولائدها (فلما) وصلت الى رحلها أخذت فى أهبتها فعمدت الى درع لها سابغ فتدرعت به وجعلت على رأسها بيضة عادية ولبست خفين أحمرين من أديم الطائف وتقلدت بسيفها وقالت لبعض العبيد أسرج لى الجواد السابح فمضى الغلام ليسرج لها الجواد وبعض الجوارى قد مضت الى عقال بن نهال وعابد بن الرواح فقالت لهما الحقا برغلة فقد عزمت الليلة على الهروب الى عامر بن الطفيل فادركوها قبل أن تتأهب للخروج فان لحقتموها كاملة أهبتها لم تطيقوها (قال) عقال وأين عامر ابن الطفيل قالت ها هو فى فم الوادى جاثما منتظرا لها (قال) عقال لعابد علينا أنت برغلة ودعنى أنا بعامر قال فخرج عابد بن الرواح الى رغلة فادركها قد تأهبت وهمت أن تتقلد سيفها فأمر القوم فأحاطوا بها وصاح بها يا ابنة السيد على م عزمت ان هذه آلة من عزم على الحرب ولا شك انك تريدين اللحوق بعامر بن الطفيل قالت كذب من ألقى اليكم ذلك وأنا متعودة بلقاء الأبطال وركوب الخيل وخوضان الليل غير محبة للهوادج فأحببت أن أكون على ظهر جوادى فان طرقنا طارق كنت أول من يدفع العوائق وأما ما ذكرت من عامر بن الطفيل فانى غير راغبة فيه ولولا ذلك لما أجبت الى ما دعيت اليه من طاعة أبى (قال) فالزموها الملام قالت ياقوم اتركوا الملام فقد صدقتكم قالوا فانزعى عنك أطمارك وارجعى الى هودجك ان كنت صادقة فرجعت الى هودجها وجواريها حولها وقد عظم عليها ذلك وعلمت أن بعض الجوارى سمعت بها وبما عزمت عليه واضمرته فى نفسها (فلما) استقرت فى هودجها أحاط القوم بالهودج بالسيوف والحجف وأما عقال بن نهال فخرج يطلب عامر بن الطفيل فى فم الوادى ومعه مائة فارس من بنى يشكر فسمع عامر الضجة والصياح وسمع خفيق الخيل (فلما) تحقق ذلك أيس منها ومما أمل وأقبل الى فرسه فاستوى عليه وأطلق عنانه تائها حائرا لا يدرى أين يأخذ وأين يقصد وقد ضاقت عليه المسالك (فلما) بعد عن الوادى جعل يلتفت يمينا وشمالا اذ نظر الى نار لائحة فى البرية متباعدة منه (فقال) أقصد هذا النار لعلى أجد فرجا مما أنا فيه ومخرجا (قال) فقصدها فلما قرب منها توقف وجعل يتأمل فى ضوء النار فرأى ابلا باركة واقفة فقرب منهم فخشى أن يحملوا عليه وهو لا يعلم أن له فيهم فرجا قريبا (قال) وبصر به القوم فوثبوا اليه فقال لهم مهلا حييتم ونجيتم ومن الاسوا وقيتم من ركب نازل ما أنا بعدو ولا غادر ولا معاند ولا حاسد بل أنا بكم مستجير أرجو امنكم نصير يامعشر الانجم الزاهرة قالوا أجبنا قولك وسمعنا كلامك انزل فلك الحب والاكرام فنزل عامر وقد اطمأن الى كلامهم وزال عنه بعض ما يجده وأحاط القوم به فقالوا له ما بالك يافتى قال الا انى مستهام فلى منكم الذمام قالوا

لك الذمام والأمان وعليك الكرامة والاحسان فعرفنا بك من أنت ومن أى الناس أنت (قال) لهم وأنتم فعرفونى بكم قال أحدهم أنا العباس بن عبد المطلب وهذا ابن أخى عقيل بن أبى طالب وهذا فلان وفلان حتى فرغ من أسمائهم (قال) فلما سمع ذلك عامر غشى عليه فلما أفاق من غشيته واستوى جالسا جعل يعرك عينيه ويقول هل أنا نائم أم يقظان فقالوا له بل أنت يقظان فقال بكم المستجار وأنتم لمن كدحه الزمان انصار ولمن نزل به البلا من كل مكان أنا ابن مجيركم والمستجير بذمامكم أنا عامر بن الطفيل قد علمتم ما لقيت ببلدكم ياسادتى فنجانى الله بكم فجئت الى الشيح بنجدة سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم ابن أخيكم فأخذوا النا على أعدائنا العهود والمواثيق الا يغدروا ولا ينكروا علينا وان يدفع الى عمر بن حمامة زوجتى فغدروا بعد العهد ومكروا واختلعها منى وزوجها لرجل من الأشرار يسمى مرهج بن وهاج البشكرى وان انصارنا لما رأوا كثرة أعدائنا انصرفوا عنا وذلك أن ضماد الازدى أوثق بالصلح للقوم والمواعدة ولم يعلم أن القوم خائنون فرحل عنا وخلف ولده قسورة فخالفنا القوم وأخذوا المال وسبوا الحريم (فلما) تطرقسورة الى ذلك والأمداد تأتى الى عمر بن حمامة رحل عنا ورجع الى أبيه وبقيت أنا وأبى وصفوان فسمعت صهيل الخيل فانكرت ذلك فودعت أبى ونزلت من الجبل لأنظر ما الخبر واذا القوم يلهجون بتزويج زوجتى لمرهج بن وهاج فلم استطع دون ان اتبعت اثر القوم الى أن وقفت على زوجتى فعزمت على أن تسير معى فكأن مخبر أخبرهم بذلك فتفرقت الخيل الى وأقبلت الرجال يريدون قتلى (فلما) رأيت ذلك سرت على وجهى لا أدرى أين أتوجه الى أن رمانى السعد عليكم وأقصدنى الأمل اليكم وأنا الآن متكل عليكم فى خلاص زوجتى (قال) فلما سمع العباس قال ياعامر وأين القوم الذين أخذوا زوجتك قال هاهم قد خرجوا بازائكم وقد خرجوا بها ويدون حى مرهج بن وهاج ومعها من الأموال والجمال ما تضيق عنه الأماكن وأنتم أحق به فساعدونى على أخذها وأوصلونى بكرمكم اليها (قال) العباس رضى الله عنه وجبت علينا نصرتك ونجدتك ولو كان عدوك كسرى وقيصر ملك الشام أو النجاشى ملك السودان فابشر بالأمان ثم أقبل العباس على من معه من قومه فقال لهم يامعشر قريش قد تعلمون ما جرى لهذا الغلام ولأبيه بمكة من اذى قريش وما تخلص الا بابن أخى (محمد) صلى الله عليه وسلم وبأخى حمزة ولولا ذلك لكان قد هلك قالوا نحن لك وبين يديك فما أمرتنا به ائتمرنا وما نهيتنا عنه انتهينا لا نخالف لك رأيا ولا نعصى لك أمرا فسر بنا ولا يكبر عليك أمر القوم ولو كانوا ملء الأرض والجبال وعدد الرمال (قال) عقيل سر بنا يا عم الى أعداء ابن أخيك فلو عاداه كل من فى المشرق والمغرب لكنا لهم اعداء وأسدا عند اللقا فسر بنا اليهم ترمنا ما تريد فما أحد منا متأخر عن دعوتك فجزاهم خيرا قال العباس انى رأيت ابن أخى يحن على هذا الغلام ويقربه اليه (قال) عقيل لو لم يكن له عند (محمد) يد واصلة لرأينا نصرته فرضا علينا واجبا وقد التجأ الينا وطلب نصرتنا وقد أوصله الله الينا ثم جعل يقول

للجار فرض على الانسان يكرمه ● فرض الكلاءة والاحسان والكرم
والنصر مفترض فيمن يلوذ بنا ● حتى ينال الذى يهوى من النعم
نحن الملوك وفينا النصر يعرفه ● كل الأنام ومن يسعى على قدم
ابن الطفيل لذا قد جاء منتصرا ● ما قامه قائم بالسيف مجترم

(قال) فجزاه العباس خيرا وكان مع القوم ثلاثون عبدا يخدمونهم ويسوقون أموالهم فاقبل العباس على عبد له يقال له بشارة وقال له انى مخلفك على رحلى ورحال قومى والعبيد طوع يديك وأنت المأمور عليهم ولا يخالفك أحد منهم فأقيموا فى مواضعكم الى أن أعود اليكم فان فقدتمونا

وإن رجع اليكم فارتحلوا الى اليمامة وانزلوا بها الى أن تأتيكم الأخبار بما كان منا فهناك فاعملوا على حسب ما ترون وأوصى القوم عبيدهم بمثل ذلك (قال) وسار القوم والعباس رضى الله عنه الى أن أتوا الى فم الوادى فقال لعامر سر بنا الى الموضع الذى تركت فيه القوم فسار عامر بين يدى القوم وقد انجلت عن قلبه الأحزان وتفرجت كربته بعد الاياس وقال فى نفسه هؤلاء صفوة الأمم وسادات الحرم ولم يزل عامر يسعى بين أيديهم الى أن وصل الى فم الوادى وقد هبت رياح السحر فقال يا سيدى ان القوم نزلوا فى هذا الوادى قال فهم العباس بالحملة اذ سمع واضجة وصياحا وصراخا (قال) العباس انتظر واما هذه الضجة فالقوم غنيمتكم ان شاء الله تعالى الا انى أعرف منفذا آخر من طريق الربذة قال عقيل أنا له فافرد له العباس عشرين فارسا وقال لهم سيروا الى أن تأخذوا المنفذ الآخر فانظروا شجرة الأراك فانزلوا بازائها فمن خرج اليكم فاقتلوه ومن استسلم اليكم فخذوه ونحن نلاقيهم من هذا المنفذ الآخر الى أن نلتقى معكم واياك أن تكون يا عقيل عاجزا فليس فى بنى عبد المطلب عاجز (قال) حبا وكرامة قال وسار بمن معه ووقف العباس فى موضعه ينتظر القوم وهم فى الضجيج والعجيج قال عامر بن الطفيل يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتأمرنى أن أمضى الى القوم وانظر ما هم فيه وأعود اليك (قال) العباس انى أخشى أن يظفروا القوم بك فتهلك نفسك ولا يحصل لك ولنا من القوم ما نريد قال يا سيدى انى لا أهجم على أمر حتى اعلم ما هو وانى بحمد الله غير جبان فى الطعان فقال له العباس امض وتوكل على الذى خلقك فترجل عامر عن جواده وخفف من لامته وتقلد سيفه وأخذ جفته وأخذ نحو القوم يخفى أمره ويغيب شخصه الى أن دنا من القوم واستمع منهم ليعرف ما هم فيه واذا القوم فى محاورة ومشاجرة كبيرة وكان من خبر القوم انهم أرادوا الرحيل على عبادة ابن الرواح وعقيل بن نهال البشكرى يقول قد آن الرحيل وقد أقبل علينا أول الليل وكأن عامر بن الطفيل كامن فى الوادى وما نأمن منه على هذه الجارية أن يختلسها فى الليل ولكن نصبر الى الصباح وتقع العين على العين ويعرف بعضنا بعضا (قال) عقال وان يكن عامر كما ذكرت فما الفكرة فى رجل واحد ليس معه جمع ولا عدد فبينما هم كذلك اذ ظهر بينهم أسد فى الحال وقد عقر مطية عائذ بن الرواح فوثب القوم الى الأسد بالسيوف والرماح والنبال والأسد جاثم على المطية وقام فيهم فلطم واحدا منهم فقتله فتوقفوا عنه ثم رجعوا اليه بالعدة والعبيد بالحجارة وهو غير مكترث بهم ولا فزع من جمعهم (ثم) وثب عليهم ولم يكن فيهم من يجسر على الدنو منه بل كل واحد حذر على نفسه فتصارخت النساء وصاحت العبيد قال فلما رأت ذلك رغلة قالت مالكم تنظرون الى هذا الكلب وهو يقصدكم وأنتم عنه متأخرون ينفرد منكم رجل فيريحكم منه فنادى عائذ بن الرواح أسكتى وقرى فى هودج فقد عى عنك كلاما تلقيه وأمر الا تصليه فمن يطيق هذا الأسد العادى وهو عقر مطيتى قالت أفلا تأخذ منه بثارك وتكشف عارك يا ويلكم أيكون كلب واحد يأخذ قعدتك ويرجلك عن مطيتك وأنت قادر عنه (قال) وما أصنع فى أبكم لا يعلم وضيغم قد هجم لا تعمل فيه الرماح ولا يفكر فى الصفاح غير مكترث بنا قالت رغلة واأسفاه اذ جمع بى الزمان مع أمنالكم لو علم عدوكم ما أنتم عليه لطال عليكم الوصول اليهم (ثم) قالت الا فانصرفوا عنى وتباعدوا منى فلولا انى أكره مقاومة كلب لرميت بنفسى اليه ولكن تأخروا عنى فانهزم القوم لمقالتها وتأخروا عن الهودج وقد حمى القوم بكلام الجارية ولحقتهم الحمية فحملوا على الأسد فكر عليهم فحمل على الخيل فردها الى الهودج فنفرت الرواحل واذا برغلة قد ثارت من هودجها وترامت الى الأرض وقد قبضت على سيفها وجفتها ووثبت وثبات مسرعات والخيل متباعدة عنها وقد اشتغلوا بأنفسهم لا يلوون اليها وقد انبلج الصباح والأسد يزبد ويهدر ويثير

الغبار والقوم خائفون منه على أنفسهم وقد أجفلوا من حوله اذ ظهرت رغلة فى لامتها وقد زحفت للاسد وهى تقول

يا أيها الأسد العادى على عصب ٭ رميت نفسك فى بحر من العطب
انى لليث هدير فارس بطل ٭ فاستيقن الآن بالخذلان فى الحرب

(قال) ثم هجمت على الأسد فنظر اليها وقد أقبلت نحوه فزأر وهمهم وحمل عليها وجمع نفسه للوثبة اليها وهى زاحفة اليه تلوح بسيفها فلما قربت منه وهى ممسكة عن الكلام انقض عليها وهم أن يضربها فاستقبلته وتلقته بحجفتها وضربته بسيفها وطبرت فخذه فسقط على مؤخره وزعق فلحقته بضربة أخرى على وسطه فقطعته نصفين وتركته فى موضعه عفيرا وعادت الى هودجها وقالت دونكم الكلب لا تخافوا فقد خاب من اتكل عليكم (قال) فمال القوم الى المخبال وقال بعضهم الى بعض يا ويلكم أما والله لقد كنا عن هذا غير حذرين ولا مخبرين لو اجتمعت بعامر بن الطفيل الليلة لافنيانا جميعا (قال) فاقبل عائذ بن الرواح على عقال بن نهال وقال خذ الجارية وامض بها الى حى سيدك فقد سلمتها لك مكرمة وقد أخرجتها من الحاضر بمالها وعبيدها ولم أترك لها شيأ فسر بها حتى ارجع الى الحاضر فاحوز أهلى (قال) عقال ألم يأمرك ابن عمك عمر بن حمامة أن تسير بها معى حتى تصل الى حى سيدنا فهناك استلمها منك ونتركها عند أهله ونرجع الى صاحبنا بالخبر وكيف أتسلمها منك فى وادى العرجون وبيننا يومان فان أنت سرت معى والا فعد بها الى حاضرك وانصرف انا الى ابن عمى مرهج فاعلمه بما فعلت (قال) عائذ بن الرواح يا عقال انا نخشى على أنفسنا من هذه الجارية لأنها تعودت ركوب الخيل وخوضان الليل وقد تفرست وليس لفروستها غاية ولا الى شجاعتها نهاية وقد بددت على أبيها من الغارات ولا أظن الا ان عامر بن الطفيل قد اتبع أثرنا فان وقع بنا والتامت معه صعب علينا المسير واختلست الجارية منا وأخذت رحالها من أيدينا (قال) عقال اذا فما عندك من الرأى فى هذا الأمر الذى قد صعب علينا قال عائذ الرأى عندى الا نرحل من هاهنا حتى تطلع الشمس وتقع العين على العين فاذا دهمنا بأمر كنا على حذر ونكون متأهبين ومن رغلة حذرين فقد رأيت ما كان منها مع الأسد وكل منا عائذ عنه (قال) افعل ما رأيت ولكن تقدم بنا الى رغلة نعتذر اليها من تقصيرنا على الأسد قال فتقدما جميعا الى الهوادج فناداها عائذ بن الرواح يا ابنة النعمان لناشر فاعظيما على الاقران ولقد سرنا ما رأيناه منك فى هذا المكان فى الليل الغابر من قتلك لهذا الأسد الزائر وبمثل فعالك يفتخر الفاخر اذا ذكر الافتخار أو رمينا بالعار فقالت له الومكم على التقصير ولا احمد نفسى على التشهير لأن الأمر على هين يسير ولكنكم سمعتكم تخوضون فى أمر بعلى عامر فلست بخارجة عن طاعة أبى فسيروا الى حيث أمركم أبى فى أى وقت شئتم فقد علمتم مكان عامر منى الا انى قبلته وصرفت أمره عنى (ثم) قالت وهما يسمعان قولها وعامر بن الطفيل فى ذلك الوقت قد قرب منها واختلط بالقوم وهو بحيث يسمع كلامها وقد شغلوا بما هم فيه فجعلت رغلة تنشد وتقول

الا بلغا عامرا وان كان غائبا ٭ فذى جزع وان توانا
وقولا لقيت بعدك كربة ٭ وقد كدت ان ألقى بذاك هوانا

(قال) فلما سمعا ذلك أطرقا الى الأرض ولم يردا عليها جوابا ولا خطابا وقالا يا رغلة أتهجيننا وتصغرين أمرنا وتنقصين من قدرنا قالت ما أريد بكم الا خيرا (قال) فرجعا من فورهما وقد ورد عليهما من مقالتها وشعرها أمر عظيم فقال عائذ بن الرواح لعقال انا نرحل فى هذا الوقت قال نعم فنادى بالرحيل وأمر عقالا وأصحابه بالرحيل وأمر العبيد أن يطردوا الأموال ويشدوا الهوادج على الجمال فالقوم على

ذلك عازمون (قال فلما) سمع عامر بن الطفيل ذلك رجع على أثره للعباس وكان قلق لابطائه عليه وندم على ارساله اليهم وحده وخشى أن يكون حدث به حادث ثم أشرف عامر بن الطفيل وهو يشتد فى جريه فقال له العباس لقد كدت ان أحترق الوادى بصيحتى وأهجم على القوم فحدثه بالحديث من أوله الى آخره وأنشده الشعر الذى قالته رغلة (قال) العباس هل أنت عندك خبر ياعامر بالقوم هم راحلون أم نازلون (قال) بل هم راحلون الساعة قال العباس فانجز ياعامر قال عامر يا يدى قد ذهبت نفسى قال العباس امض وكن على يمين الوادى بحيث تختفى وأكون أنا فى يسرة الوادى فان لاح لهم لائح كانوا فى أهبة وان لم يروا شيئا تأمن أنفسهم فعند أمانهم نهجم عليهم فمن ثبت أبدناه ومن ولى وطلب المنفذ الآخر أخذناه (قال) فمضى عامر الى حيث أمره العباس وكمن فى مكان يخفيه وانصرف العباس الى مكمنه وبينما هم كذلك اذ أشرف القوم عليهم وقد تقدم عائد بن الرواح فى أوائل القوم والهوادج ليكشف عن فم الوادى فنظر يمينا وشمالا وأماما فلم ير أحدا فرجع وقال ابشروا (ثم) قدم هودج رغلة أمام الهوادج وعبد يقود البعير والخيل محيطة به ومن بين يديه وامام الهوادج ثم خرج من الوادى وأتبعه الهوادج ثم خرج عامر بن الطفيل وقد تجرد من أطماره وصاح أنا عامر بن الطفيل أنا الهاجم فى الليل الغابر فذهب عائد بن الرواح وهم أن يحمل على عامر فظهر له العباس بن عبد المطلب فصاح عائد بالعبد اعطف بالبعير ياويلك فقد دهمنا بأمر خطير فهم العبد بذلك ورمت رغلة بنفسها من الهودج وصاحت وا شوقاه اليك ياعامر والى وجه (محمد) نبيك وهاديك فهم عائد ان يعطف عليها أو يمنعها مما عزمت عليه فوثب عليه العباس فلم يمهله وقال اليك عن المرأة الطاهرة (ثم) ضربه ضربة هائلة على أم رأسه قسمه نصفين وعجل الله بروحه الى النار ووصلت رغلة الى عامر بن الطفيل وهى مشتملة بلامتها فقال لها عامر كونى من ورائى ثم حمل على القوم وحمل العباس فلما نظر القوم الى صاحبهم قد قتل اضطربوا وماجوا وعطف منهم قوم يريدون الهروب من المنفذ الآخر فأتبعهم القوم بالسيوف يمينا وشمالا فحازوهم عن الأموال والرحال وأتبعهم عامر بن الطفيل فى أوائل الخيل ورجعت رغلة الى هودجها فنادت بعبيدها وقد سمعوا بذكر عامر بن الطفيل فاختفوا من وراء الهوادج والرحال لا يظهرون (فلما) نادتهم رغلة أجابوها وقالت لا خوف عليكم انا قد أخذنا ثارنا من القوم وان عامرا والعباس اتبعا القوم فهموا بالهروب وفى أوائلهم عقال بن نهال اليشكرى (فلما) بلغ فم الوادى طمعت نفسه فى النجاة فظهر له عقيل بن أبى طالب وكان بين يدى عقال النديد بن جبير اليشكرى فضربه عقيل على هامته ألقاه على الأرض قتيلا وعجل الله بروحه الى النار وحمل العباس وعامر يضربان فى أعراضهم ضربا منكرا وعقيل من الجانب الآخر (فلما) نظر الى ذلك ورأوا عقيل بن أبى طالب قد ملك عليهم الجانب الآخر من الوادى رجعوا على أعقابهم وقد قتل منهم زهاء مائة فارس فعند رجوعهم نادى عقال بن نهال ياعامر بن الطفيل أنا فى أمانك وتحت ذمامك وداخل فى شريعتك وشاهد لك انه ناصر لأوليائه وخاذل لأعدائه وأن نبيك (محمدا) وافى الذمام شامل الاحسان فما أقول ياعامر حتى أكون من أصحابك ومن حزبك وحزب نبيك فقال عامر وقد سره ما سمع منه قال تقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن (محمدا) رسول الله فقالها بيقين من قلبه وتم اسلامه فلما سمع قوم يشكر مقالته واذعانه نطقوا بالشهادة وقالوا نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن (محمدا) رسول الله معلنين مذعنين وقال العباس قد سددتم اذ أتيتم مسلمين (ثم) التفت عقال الى من بقى من قومه لم يحضر فقال يا معشر قومى وعشيرتى قولوا كما قلنا فقال الذين تخلفوا من ورائهم لا نفر ولا نرجع عن ديننا أبدا فبذل فيهم السيف وأفناهم عن آخرهم ولم يبق لهم هنالك معاند ولا كائد

واحتوى

واحتوى على ماهنالك من أسلاب القتلى وخيلهم وسلاحهم فقال عامر بن الطفيل يا أهل مكة والحرم هذه الأموال والذخائر مباركة لكم فيها (فقال) له العباس يا عامر بل هى لكم مباركة طيبة بذلك نفوسنا وما كان من خيل هؤلاء القتلى وأسلابهم وماتركوه فهو لنا فسره عامر بذلك ثم أقبل العباس على عقال بن نهال البشكرى وقال له من أى الناس أنت قال من بشكر من أصحاب مرهج بن وهاج قال فما ترى ان أصنع الآن فقد صرت من حزب ابن أخى (محمد) عليه السلام فقال ما الذى عزمت عليه أنت قال العباس أنا عزمت على نصرة الطفيل بن عامر وهذا ولده قد نصره الله بنا وأوصله الى زوجته يسير بها الى مكة الى جوار ابن أخى فاذا سار سرت انا بمن معى الى نصرة الطفيل (قال) عقال قد رأيت أنا أيضا رأيا ننظر فيه للطفيل ونأخذ بثاره قال العباس وكيف ذلك قال عقال معى من قومى ممن آمن خمسون رجلا وهم انجاد ليوث شداد نسير بهم الى حاضردوس فنأخذ ما كان فيه لعمر بن حمامة من مال والى بنى عمه وأسبى حريمهم كما سبوا حريم الطفيل فان كان الأمر على الطفيل فديناه بمال عمر بن حمامة وكان لنا بذلك ثواب من الله (قال) العباس لقد رأيت رأيا عظيما وقصدت طريقا جسيما لا يركبه الا كل كريم ثم قال العباس لعامر بن الطفيل انطلق أنت يا عامر بزوجتك الى مكة وها أنا أمضى الى أبيك لأنصره على عدوكم وأخلص له نساءه وبناته ان شاء الله فكل شئ يصلح عند تمامه (ثم) أقبل العباس على من معه من قومه وقال لهم يا معشر قومى وبنى عمى ماترون فيما ذكرت لكم وما أشرت به عليكم قالوا افعل ماشئت ومرنا بأمرك ان سرت الى الطفيل سرنا معك وماهممت به فنحن بين يديك ولا نعصى لك أمرا ولا نرد لك قولا فسر العباس بقولهم وقال هذا من تمام الأمر وايم الله ليكونن لابن أخى أمر يغلب على كل أمر وليزان عليه من ربه النصر فطوبى لمن اتبعه والويل لمن خالفه ثم قال العباس لعقال بن نهال سر الى ماذكرت وتوكل على الله واجتهد ما استطعت واحذر فان الحصن حصين (قال) سمعت وأطعت فانفصل بقومه ممن اتبعه قاصدا حاضردوس قال وخرج العباس من الوادى بعد انصراف عامر وزوجته وماله الى مكة فلما سار العباس بعد أن ودعه عامر جعل عامر يقول

الا بلغوا دوسا رسولا ● فانا لا نضام لدى الاباب
وان بنيهم أضحوا يتامى ● ثووا بين العريج الى الصباب
نحكمكم على أن لا تبدوا ● بجمجمة الجياد وبالركاب
ويهدم عزكم منا حماة ● رجال من قريش ذى الشعاب
وبلغوا بن وهاج عرضت بجمع ● شملى وبلغوا بن وهاج المصاب
وانا قد حوينا ما حواه ● برغلة عند مستبق الصباب
حواها حيدرى من قريش ● بنى عم المرتل للكتاب
عمومة خير من ركب المطايا ● (محمد) المسدد للصواب

(قال) وسار عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عقال بن نهال قد سار قبله الى حاضردوس بعد أن ودع العباس وودعه ووعده أن يسبى كل من فى الحاضر وان يشنوا الغارة عليهم ويسبى حريم ابن حمامة كما فعل هو بالطفيل ويخلفه بشر خلف وكان قد أسلم ومعه خمسون رجلا من قومه وسار العباس بمن معه يريد نصرة الطفيل ويخلص له أهله وماله وقال للعبيد سيروا بالأباعر والأحمال الى اليمامة فانزلوا فى قصورها واحفظوا ما فى أيديكم الى أن أسير اليكم ان شاء الله وكان معه ابن أخيه عقيل بن أبى طالب وشداد بن أسامة وشميل بن عمر وجبير بن مطيع وخويلد بن أسد وأمثالهم (قال صاحب الحديث) وسار عامر بن الطفيل بعد أن ضم أموال زوجته رغلة وتوجه

يريد مكة وقاد العبيد والأموال وسير فى أثرها الهوادج (فلما) استقام به السير أقبل على زوجته رغلة فقال يا ابنة العم ان معنا أموالا كثيرة والطريق الى مكة بعيدة ولا نأمن من طمع البادية وقطاع الطريق فما ترين من الرأى وكان فيها عقل وأدب ومعرفة فقالت له فما منعك أن تأخذ معك رجالا ممن تصول بهم على أعدائك وكانوا قد كفوك ما أنت فيه مغتم ولأجله مهتم فما رأت عيناى قط رجالا أكرم منهم ولا أوسع هممًا ولا أعظم طرفا (قال) لها عامر قد مضى الأمر بما فيه نحذى الآن بما نحن فيه ودبرى أمرك قالت سمعتك تذكر أن صاحبك (محمدا) لا يسلم من لجأ اليه ولا يخيب من اتكل عليه فاكتب له كتابا وأعلمه بمسيرك اليه فلعله يستقبلك بمن يريد من أصحابه قال لها رأيت والله الصواب (ثم) كتب من وقته كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا (محمد) وآله سيد البدو والحضر وأكرم من ذهب وأدبر (محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم ممن قتله الزمان وجرى عليه الحدثان وعاداه الأقارب والاخوان فصار بعد الرفعة ذليلا وبعد الكثرة قليلا وبعد الأهل طريدا عامر بن الطفيل المطروق بالمصائب المفجوع بكثرة النوائب (أما) بعد فانى يا رسول الله ما أدرى ما أشكو اليك من بعد العشيرة وطرد القبيلة وأخذ المال وسوء الحال وفرقة البنات والاخوان والنسوان وسبى الولدان وفقدى لوالدى وأهلى وانى أخبرك يا رسول الله ان عمر بن حمامة جمع علينا الجموع وطلبنا بميلنا اليك واستنجد علينا بالأشرار ووصل الينا وأخذ أموالنا وسبى أهلنا فالأمهات والبنات أسارى وأعظم من ذلك انه أراد أن يعطى زوجتى رغلة لرجل من بشكر من أشرار الكفار يسمى جبل الشر مرهج بن وهاج البشكرى فأجابه فى عصبة لئيمة وجماعة غير كريمة بعد أن خلصنا ضمام بن عنترة من أيدى القوم وأخذ عليهم العهد والميثاق وأرسل معنا ولده فسورة ليوصلنا اليك فادركنا الأشرار ونزلت بنا نوازل الأقدار وأنا ما لا طاقة لنا به فرجع ضمام الى أبيه فبقينا لا مال يرجع اليه ولا أحد يتكل عليه غير الله عز وجل ورسوله ولم يبق لنا مؤنس غير خليله صفوان بن عنبسة فانه بذل مهجته ولم يسلمه لنائبة ولا مصيبة وانى لما رأيت القوم ساروا لتسليم زوجتى داخلنى ما يداخل الرجال من الغيرة على حريمهم وأهاليهم فاتبعت أثر القوم لعلى أن أقتل أو أصل اليهم فأغاثنى الله تعالى وفرج عنى ما كنت فيه بعمك العباس وقومك فجمع بهم شملى وردد على أهلى ومعى من الأموال والذهب والولائد ما يكثر ذكره وقد سرت قاصدا اليك وأخاف على ما معى أن يسلب من يدى فأكون فضيحة فاتم على أياديك واحسانك بأن تبعث الى من يوصلنى اليك وأنا وافد عليك لأكون بجوارك والسلام عليك وعلى من معك من المؤمنين ورحمة الله تعالى وبركاته (ثم) ختمه بخاتمه ثم دعا بعبد لزوجته يقال له رواح (فقال) يا رواح هل لك فى عتق رقبتك من الرق فقال له أنا غير كاره لذلك فما تريد منى (قال) توصل هذا الكتاب الى سيدنا (محمد) بن عبد الله بمكة سيد العرب والعجم فقال له العبد حبا وكرامة فأخذ العبد الكتاب واستوى على نجيب كان لسيدته وسار من وقته يجد السير نحو مكة قال ثم تقدم عامر أمام المال فأخذت رغلة ولائدها وكن أربعين وليدة وأفرغت عليهن الدروع والجواشق وقلدتهن بالسيوف وعممتهن بالعمائم وأمرتهن بالركوب ففعلن ذلك ولم تكن فيهم من تحسن القتال وانما كن كالسحاب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ (ثم) أفرغت عليهن دروع الحرب وكانت رغلة قوية الجنان فصيحة اللسان فاصحة الفرسان فتحلت بحلة الفرسان وتقلدت سيفها واستوت على ظهر جوادها وكان فى وسطهم هودج لا يخفى عن النظار انه هودج عروس قد زفت الى زوجها (فلما) فرغت من أهبتها أرسلت الى بعلها فاقبل اليها فلما نظر الفرسان معها ارتجف فؤاده فظن انه

قد طرق طارق فاطلق عنان جواده وجرد سيفه وفوق سنانه فقالت له مهلا يا عامر هذا تدبير المرجلات البازلات وهؤلاء الخيل الذى تراهم هم النسوة اللاتى كن فى الهوادج من الاماء والجوارى لكى يرهبن عدوهن وأنت الحامى عنهن ونرجو أن يسهل الله علينا ما عسر ويوفقنا لما يقربنا منه (ثم) قالت تقدم بشطر الخيل أمام الأموال فتقدم يقول

أهدى السلام الى النصوح المرشد * أطوى المفاوز فد فدا مع فد فد
ادع الاله وناده أهل اليها * وابن الأكابر والمخبر عن غد
فلقد رأت عيناك ما قد نالها * أجرت دموعا كالمهل المرشد
أما النساء فعزولات خسر * آيسا حيارى باكيات لمشهد
أغث الارامل واستمع أصواتهم * فالدهر طار قهم بنحس انكد
فبك اللياذ من زمان غادر * يا خير من وطئ الحصا والجلمد

(قال) وجعل يجد السير ولم يزل كذلك الى اصفرار الشمس فنزل على مرج النوى فحط الهوادج ولم يلو الى زوجته فأنكرت ذلك من فعله وكانت ذا عقل رجيح فقالت له يا ابن العم عهدتك على طول الايام تطلب قربى ومكانى وأراك منى متباعدا أدخلك الملل أم شملك الفخر فقال عامر معاذ الله الذى جمع شملى بك الا انى يا بنت العم قد دخلت فى دين عزيز لا يدنس بالكفر وأنت على كفرك وشركك ولا يحل الدنو منك ولا قربك حتى يقر الله عينى باسلامك وايمانك وترفضى عنك هذا الصنم الذميم فيكون ذلك أقر لعينى وأطيب لنفسى قالت يا ابن العم أنا سائرة ان شاء الله الى (محمد) بن عبد الله وسوف اسمع كلامه فان قضى الله لى بالاجابة أجبت وان طردت عن الباب حجبت فتركها وأقام ليلته هنالك حتى اذا كان السحر زجر العبيد وأمرهم بالرحيل فقادوا الأموال وفعلوا كفعلهم بالأمس وتقدم عامر أمامهم وسارت رغلة على الساقة حتى اذا كان مقدار ثلث النهار والشمس فى أول حرارتها نظروا واذا بهم قد لاحت لهم خيل مقبلة من البرية على بعد منهم الا أنهم اليهم قاصدون ونحو جهتهم سائرون فلما نظروا الى الهوادج أطلقوا الاعنة اليهم قصدا (قال الراوى للحديث) وكان القوم من جذام وكان بينهم وبين محارب مطالبة بدم قتيل قتلوه منهم فخرجوا يأخذون بثاره فبصروا بعامر وهو سائر فى البرية مجدا وكان القوم زهاء سبعين فارسا وكان قائدهم هجيج بن أثامة الجذامى وكانوا أعداء لبنى هاشم لقضية قضاها عليه عبد المطلب (فلما) ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وأتته الرسالة اشتد غضبه وبغضه له وامتنع من الدخول الى الحرم لشدة بغضه (قال) وبلغنا ان أبا لهم بعث بابل له الى اليمن فعثر بها اللعين هجيج فذكر له أنها لبنى هاشم فاحتوى عليها وأخذها وحازها بأموالها وأحمالها حتى ذكر أنها لابى لهب وانه منزوع عن (محمد) وأصحابه فردها عليه بعد أن يئس منها أبو لهب وأرسلها اليه الى مكة لم يعدم منها عقالا واحدا وكان اللعين كثير الغارات على قبائل العرب كثير الشر عظيم المكر يستحل الهتك للنساء (قال) فلما نظر الى عامر فى ذلك اليوم سرحه وأمواله وهو دجه وقلة الخيل معه قال ان هؤلاء القوم خبرهم قد غاب عنا وأرجو أن يكونوا غنيمة لنا (ثم) أطلقوا أعنة الخيل وقال على رسلكم حتى أشرف على الخيل وننظر ما عندهم ومن هم فوقفت الخيل وأسرع اللعين فادرك أواخر الجمال ورغلة قد ضيقت لثامها غير مكترثة ولا لائذة حولها قد فعلوا كفعلها فاستراب من أمرهم ونظر الى الهوادج وزينتها وما عليها والاباعر مرقومة بالرحال والأموال والرعاة من وراءهم فانكرهم ولم يسئلهم وسار عامر وهو فى المقدمة متلثما متنكرا (فلما) قاربه لم يعبأ به عامر ولا الوى اليه ولم يخاطبه احتقارا له فعظم ذلك عليه وعطف على قومه وقال لقد ظهر من هؤلاء القوم ما لم أره من غيرهم وان معهم ما لا تضيق عنه خزائن كسرى وقيصر ولقد

عارضتهم فلم يخاطبوني فاما أن يكون القوم أهل بأس وهم بذلك واثقون واما أن يكون لهم من ورائهم مدد فهم آمنون ثم وقف اللعين وأشرف ونظر فلم ير أحدا فقال لاصحابه دونكم الغنيمة فهي عروس قد زفت الى بعلها وأنا أحق بها وكل ماغنمناه فنحن فيه سواء الا الهودج المجلل بالديباج على البعير المقلد باللؤلؤ والمرجان فهو لي دونكم لا يشاركني فيه أحد منكم فاجابه القوم الى ذلك (قال) ثم ان عامر ابن الطفيل لما نظر الى ذلك حبس الأموال وأمر العبيد فجمعوها ووقفوا حولها وأمرهم بالمنع عنها واقبلت اليه رغلة فرأته قد حال لونه وتغيرت نضارته فقالت يا ابن العم ماعهدتك الا خواضا للحروب كاشفا للكروب فما هذا الهلع والجزع (فقال) لها والله ماجزعت من لقاء الرجال وانما جزعي عليك أخاف ان أرجع من طريقي خائبا فقالت يا ابن الطفيل ان كان كبر عليك أمر هؤلاء القوم فانا أصونك منهم وأضرب بحسامي دونك وما أترك من الجهد شيأ الا بذلته دونك وحق الخالق البارئ لو مكنوني لمكنت الحسام من صدري حتى أخرجه من ظهري ولا تطيب لي الحياة بعدك ولا يملكني أحد غيرك فطب نفسا وقر عينا (فالرجال) بعدك على حرام ففرح بذلك وضم الأموال الى شجرة هناك ووقف ينتظر مايفعله القوم قال وتقدم اللعين هجيج أمام قومه ونادى برفيع صوته من ساق هذه الظعائن والأموال فقال من تسمع كلامه وتحذر مرامه ولا تجسر أنت ولا قومك من الدنو منه وما زاده على ذلك شيئا (قال) هجيج خل عن الظعائن وانج بنفسك سالما قال عامر ان الظعائن دونها موت أحمر بحسام أخضر وهلاك أكبر وشجاع أزور فازل طمعك واقطع أملك فنحن أناس تعودنا ركوب الخيل وخوضان الليل قال هجيج ومن أنت لا كنت قال أنا من دوس الكرام مطعم الطعام ومفلق الهام فاطرق اللعين الى سرجه اطراق الخجل (ثم) قال يا غلام انى معتذر اليكم مما سلف من جرمنا اليكم فانكم منا والينا ولو عاندكم معاند لكنا أول من يكافح عنكم فمن أنت من دوس (قال) أنا من أشرفها نسبا وأكبرها حسبا الباذل ماله المعطى نواله مصلح مافسد من أحوال العرب أنا عامر بن الطفيل الدوسي قال فلما سمع اللعين ذلك صرخ صرخة منكرة وقال أنت الصابي الى دين (محمد) لقد كنت أظن انك تسير الى عمر بن حمامة واما اذا كنت ابن الطفيل فانت أكبر أعدائه فاستأسر لي حتى أبقي عليك ولا أؤاخذك ولا أقتلك ولو تابع (محمد) أهل الأرض جميعا لكانوا أعداءك (قال) عامر أكثرت الكلام يا ابن اللئام فان كنت حافظا لعمر بن حمامة كما ذكرت فاحفظه في ابنته فهي زوجتي وهذه الأموال أموالها وانا سائر بها الى (محمد) صلى الله عليه وسلم قال هجيج وأين قصدك قال مكة قصدت واليها طلبت (قال) اللعين وحق انك لمحمد قصدت قال هو ذلك وما كذبت قال اللعين فلا صبر لي على هذا ان كان عمر بن حمامة رضي لنفسه اطلاق ابنته لك فلا أتركها ولا أخليها لك وانا أحق بابنته وأمواله منك ولقد كنت عزمت على الرجعة عنك لما ذكرت فلما علمت انك من أصحاب (محمد) فلابد من هلاكك ثم جعل يقول

امض وخل الشاذر المخدرا ... وانج سالما لا تكن معفرا
انى كثير البأس المحتفرا ... اترك من حاربني مدمرا
فعامر لقي شجاعا أغبرا ... قد شد للحرب العوان مدمرا
انك تلقى دونها معفرا ... فامض ودعها لا تكن مدمرا

(قال فلما) سمع عامر من اللعين مقالته خشي على مابيده وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (ثم) أقبل اللعين على أصحابه وقال لأصحابه الغنيمة لكم خاصة نخشى عامر أن يهجم القوم عليه بكثرتهم فخرج منفردا بنفسه وصاح يا قوم ان تكونوا عدولا كراما فسبيلكم الانصاف وهو من شيم الأشراف وانى خارج اليكم فمن شاء فليبرز الى فقال هجيج حين سمع كلامه كلا لا نتركك

ولا

ولا ننصف معدٌ ان الانصاف من شأننا مع من كان من اخواننا وأما ان كان من أعدائنا فلا نصفة ولا انصاف أو تختلف الأسنة في جنبك وتقطع الصوارم محاسنك فهذا جزاء من خرج من ملتنا وحاد عن دعوتنا واتبع عدونا فلا نسلمه لراحة (فقال) لهجيج رجل من قومه يقال له معمر بن هديل الجذامي يا معشر قومي اتقوا مصرع البغي فانه مهلك الأبطال فاما أن تنصفوا الرجل من أنفسكم وتكفوا على النسوان وهتك الحريم فماله خرجنا ولا له طلبنا وهو طريق البغي والبغي يهلك صاحبه (ثم) التفت الى هجيج وقال يا أبا العواتق الرجل قد انصف وقد دعاك الى الحق فان انصفتموه والا فأنا راجع عنكم غير راض بما رضيتموه لأنفسكم من الغدر ثم لوى عنانه يريد الرجعة نحو دياره فتعلق به قومه وغضبوا لغضبه وسألوا نجيح بن سامة في أمره فقال لهم يا قوم انما أردت الغنيمة لكم لا لي وقد علمتم كثرة أموالي وانما أردت هذه الغنيمة لتيسر المعسر وتوسع على المقترفان كنتم قد كرهتم ذلك فدبروا أمركم وليبرز اليه أحدكم اذا أردتم النصفة من أنفسكم (ثم) أقبل على معمر بن هديل فقال ما تقول يا معمر في الانصاف قال أقول انه من أخلاق الرجال الكرام والغدر من أخلاق اللئام فان أنصفتم سعدتم وان غدرتم خذلتم مع اني لست معكم ولا مستحسن لكم ذلك فدونكم وما تريدون لأنفسكم (قال) فاقبل نجيح على عقبة بن مجاول وقال يا عقبة اخرج الى هذا الغلام عامر بن الطفيل فاورثه الويل ولا تنظر الى كلام معمر بن هديل فلولا أدانيه وأقاربه وأحبابه من بني أبيه لاورثته الفناء وجعلته عرضا للبلاء قال فخرج اليه عقبة بن مجاول (فلما) قاربه قال له عامر لقد انصفتم ثم قال عامر ما أتيت تبغي قال أتيت ابغي رأسك وجلدك ومراسك قال فحمل عليه عامر وقال ها أنا بالله واثق (وبمحمد) الصادق ثم طعنه في لبته أداره عن جواده تحت قوائم فرسه ولحق بالجواد ورده الى الأموال ثم قال للعبيد دونكم والجواد فهذه أول غنيمة بعون الله ثم قال ألا ان الانصاف من شيم الأشراف فهل من مبارز فبرز اليه جناح بن مجمع وقال له دع المحال والتطويل وتأهب للحرب والقتال ثم دلف نحو عامر وقد غاظه ما سمعه منه فحمل عليه عامر فحاوله فوجده صبورا على القتال بصيرا بملاقاة الرجال فناداه عامر يا ويلك ما راحتك في قتالك وهلاكك فاتركني قال جناح دع عنك كثرة الكلام فلا ذي يقتلك الحمام فدهمله عامر بالطعنة فراغ عدو الله عنها فلحقه عامر وقد اخترط سيفه من غمده وضربه ضربة على أنفه طير نصف رأسه وركض الفرس به الى أن وصل الى المشركين فلما رأوا ذلك هالهم أمره وأدهشهم فعله وقالوا انك لشجاع وضارب وقالوا انه لا يسلم الغنيمة والظعائن أو يفنى قال ولم يزل يبرز اليه فارس بعد فارس الى أن قتل منهم تسعة من أبطالهم ثم قال أخرجوا الي العاشر فقد طاب الضرب والطعن بالحسام فتأخروا عنه ونجيح بن أسامة مطرق الى سرجه اطراق الغضب وبلغ ذلك منه مما خاطبه معمر بن هديل وقال له ما بالك لا تخرج الى من منعت عنه قومك والزمتهم النصفة حتى أبادهم قال له معمر قد علمت انكم تتعرضون للحريم فدونك الآن فافعل ما بدا لك فهذا عدوك بين يديك فابرز اليه واشف منه قلبك فانما دعاك الرجل الى الانصاف لأنه وحيد وأنت في جمع عديد (فلما) اجمعت على الغدر ردد تك عنه ولم أرد بك سوأ قال فدعا عدو الله بلامته فافرغها عليه وركب جواده وأخذ رمحه وخرج ساخطا على قومه وقد ضمن قتل عامر وضمن أن يحوز الغنيمة لنفسه دونهم (ثم) ان اللعين نجيحا جعل يقول

الا لله در بني جذام * فقد حازوا بها عارا فظيعا
غداة من غيدهم صريعا * ورواحا لقد سقى النجيعا
ولا تنس مهلهل اذ أتته * مثلثة وخالطت الضلوعا

سافرغ من جميع القوم قهراه وأغنم رغلة منهم سريعا

(قال) فلما سمع عامر شعره قال له تبالك ولما أتيت تريده أتريد أن تغصب الناس على نسائهم وأموالهم ومع ذلك انك تقول تبغض بني هاشم وهم سادات أهل المكارم ومنتهى العظائم وفيهم النبي الانور صاحب الوجه الاقمر والجبين الازهر من هدايته أنارت القلوب (محمد) بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريد أن أشفي بقتلك وأروح بصرعتك حتى لا تعود الى قومك (قال فلما) سمع اللعين ذلك لم يطق صبرا دون أن حمل عليه حملة منكرة غيظا وحنقا فالقيه عامر فصادمه وجاوله فرأى منه مالم يره من غيره وصبر له صبر الشجعان للفرسان قال له نجيح يا ابن الطفيل ان الخيل قد كلت وملت فترجل نتضارب على وجه الأرض بالبيض الحداد (قال) عامر ما أكره ذلك ان شئت فترجلا عن جواديهما ثم دلفا بالسيوف والحجف فتضاربا ضربا منكرا الى أن كلت سواعدهما فقال نجيح يا ابن الطفيل هل لك في الصراع أصارعك وتصارعني فان الصراع يوصلك الى ما تريد (قال) عامر ما أكره ذلك ان شئت فخفف من لامته لما داخله من الكرب والجهد والعرق وفعل عامر كفعله ودلف بعضهما الى بعض كانهما كبشان يتناطحان أو أسدين تلاقيا وكان عدو الله نجيح كامل الخلقة جافي الجسم وكان عامر لين الأطراف رقيق الأعطاف الا ان الله قد أعطاه قوة فتصارعا طويلا (قال) ونظرت جذام الى عامر وقد صبر لصاحبهم فخافوا عليه فعزموا على الغدر بعامر وان يحملوا عليه بأجمعهم فجعل معمر بن هديل ينهاهم عن ذلك ويقول لهم انما هلك الرجل ببغيه فاحذروا البغي (قال) وكان مع القوم ولد لنجيح يقال له سيف بن نجيح وكان وقاحا في الحروب وكان اذا ظفر بأموال قومه وعشيرته لا يرجع عنها فيسبي الأموال ويقتل الرجال فلما رأى أباه مع عامر عزم على الغدر وأراد أن يبعث بمعمر بن هديل فحرك سيفه وجعل يساوقه الى أن لازمه فعلاه بالسيف على هامته أخرج السيف من صدره وقال وآبائي العظام وأسلافي الكرام ان نطق منكم ناطق لألحقنه به كائنا من كان فامسك القوم عنه خوفا من شره وحذرا من مكره وأبوه نجيح مع عامر في المصارعة الى أن أضجره وأبهره فهناك قبض عامر عليه قبضة الأسد على فريسته ورفعه عن الأرض (ثم) جلد به الأرض واستوى عامر على صدره (قال) ونظر القوم الى ذلك فقال قائلهم ما بقي الا قتل صاحبكم وذهاب عزكم وأنتم تنظرون فهل تفلح الأغنام بعد راعيها وذهاب حاميها ولو كان معكم عبد من عبيده لكان الواجب عليكم أن تنصروه ولا تخذلوه وتجدوه ولا تسلموه (قال) فحمل القوم بأجمعهم وأطلقوا الأعنة وفوقوا الأسنة فبينما هم كذلك واذا بفارس قد خرج من بين الجواري كالعقاب الكاسر وكانت رغلة بنت عمر بن حمامة قد خرجت من بين القوم وعليها درع كان قد أهداه الى أبيها ملك من ملوك الهند لا تعرف له قيمة وهي قد ضيقت لثامها وهي صامتة لا تبدي خطابا ولا تردجوابا مخافة أن يعرفوا مكانها فيطمع القوم فيها الا أنهم قد نظروا الى شمائلها وشجاعتها ونباتها في سرجها فرأوا فارسا شهد وله بالشجاعة قبل أن يلقوه فحملت عليهم حملة منكرة فردتهم على أعقابهم صاغرين عن بعلها وشغلتهم عنه وهو على صدر نجيح وهو يتمرغ ويمانع نفسه (قال) ثم ان القوم قد هشوا فحمل عليها وهاجها وهيب بن عجيف وكان داهية لا يطاق ولا يدرك في السباق فلم تمهله لخطاب دون أن طعنته في صدره اطلعت السنان من بين كتفيه فخر على وجهه قتيلا فلما تكاثروا عليها جعلت تطعن في أعراضهم يمينا وشمالا فقتلت من القوم رجالا وجندلت ابطالا وتزايد عليهم الأمر منها وجاءهم ما لا طاقة لهم به من حربها فتقهقروا عنها وتباعدوا منها وقد أنكروا امساكها عن الكلام (فقال) قائلهم ما العجب الا في امساك هذا الفارس عن الجواب وتهاونه بنا كانه غير مفكر فينا نخاطبه ولا يخاطبنا (فلما) نظرتهم رغلة تأخروا

عن

عن بعلها رجعت نحو عامر قصاد فتله لم ينزل من على صدر اللعين (فلما) رآه نجيح أيقن بالموت
فقال لعامر بن الطفيل هل لك ان تبقى على أسيرك قال عامر وأبقى عليك على ماذا قال الى ان تفصل
أمرك مع قومى فيكون منى ومنك ما تريد (قال) عامر اردد يدك الى ورائك حتى أشدك كتافا وأرى
فيك رأيا قال فادار يديه وخلع عامر عمامة نجيح من على رأسه فاوثقه بها كتافا وأقبل به على العبيد
فسلمه اليهم وقال للعبيد دونكم فتحفظوا منه لئلا يفلت منكم فلما رأى القوم ذلك وما حل بهم وبسيدهم
وقد حرضهم ولده على الحملة حملوا بجمعهم واستقبلتهم رغلة وعارضتهم وفى أوائلهم غانم فضربته
رغلة واذا به خر صريعا على الأرض فاراد وا أن يحيطوا بها ويسطوا عليها واذا بعامر قد عاود هم
وهى تقول لله درك من فارس انجد أخاه فلقد أبهرت عدوك وأرجو ان يسرنى الله بك (قال فلما) نظر
المشركون الى رجوع عامر مع صاحبه انكسرت قلوبهم وقد أخذ أسيرا والعبيد قيام من حول
الهوادج فقال بعضهم لبعض الأصلح لنا أن ننصرف فى حال سبيلنا ونرجع الى قومنا ولقد نصحنا معمر
ابن هديل فى قوله فما أطعناه وأجمع القوم على الرجعة فخشوا من ابنه سيف وهم يتشاورون (قال)
على ماذا عزمتم عليه يا معشر قومى فقال له عتاب بن سلطة وهل غاب عنك الأمر ان القوم قد كسر
قلوبهم أسر أبيك وصرعته فهل ترى من قومك ويكفينا انا بلينا بفارسين من القوم ولا سيما هذا
الفارس الذى لا يرد علينا جوابا ولا يبدى خطابا كانه أبكم أصم له هجمات مروعات وكرات مهولات
وطعنات نافذات وعزم القوم على الرجعة الى الاوطان يستنفرون حلفاءهم يأخذون بثارهم
أجمعين (قال) فلما سمع سيف ذلك من مقالتهم أطرق غضبا وقال لهم يا ويلكم أترجعون وأنتم
سبعون فارسا عرض لكم فارسان قتلا أبطالكم وأسرا سيدكم وأى معيرة أكبر من هذه وأما أنا
فلن أبرح من مكانى حتى أخلص أبى من مكانه أو أقارنه فى وثاقه أو أقتل دونه ولا ألزم نفسى العار
وأجلل بالشنار فى جميع الأقطار فالزمهم الثبات كارهين فقال له عساف أراك تلزم قومك بالثبات
وأنت متأخر عن الأمر وانما هم أصحاب أبيك فاكفهم ما تريد أن تلزمهم اياه من الصبر والأمر الشديد
فانى أراه بعيدا (قال) سيف وأنت تعرف بلقاء الرجال فاراك جبانا عن القتال حزينا عن ربات
الحجال (قال) عساف انه لعمرى كما ذكرت الا انى أحب الانصاف ولا يغدر كريم فان فعلت فانا لائم هذا
عدوك وقد أسر أباك فاحتم له ولقومك اذا كنتم تستحسنون الغدر بالنسوان وربات الحجال والولدان
فدونكم وما تعرضتم له فانى غير مساعدكم ومن ساعدكم من قومى فهو نادم وابن عمكم معمر بن
هديل لما نهاكم ونصحكم عن الغدر غدرتموه فبوسا القوم غفلوا عن ثاره وها أنا حائد عنكم فدونكم
وعدوكم ثم ثنى عنانه واتبعه عبده يقال مطاعن (فلما) نظر سيف الى ذلك أقبل على بقية قومه
وقال لهم دعوه ولا تتعرضوا له فله يوم سا ذكره فيه فعله (قال) فتوقف القوم وقالوا دبرنا بامرك وافعل
ما بدا لك فنحن نناضل بين يديك ونقاتل ونقاتل معك (قال) فخرج سيف على جواده أشقر سابق من
الخيل كانه شعلة نار فوقف بازاء عامر ثم نادى يا معشر الناس ان الحرب سجال فان أسعدكم صباحا انحسكم
رواحا فخلوا لنا عن الظعائن والأموال قبل ان تحللوا بالأهوال (قال) فضحك عامر من قوله وقال
انك لعديم عقل وحليف جهل ثم اجمع على الخروج اليه فقالت له رغلة يا عامر انه قد مسك اليوم تعب
مع هؤلاء فكن فى مكانك وانا أخرج اليه ولا شك لانه ولد لئيم لانى أراه مدلا ببأسه محرضا الناس
(قال) لها عامر انى أخاف عليك منه ولقد لقيت أنت تعبا من المجال كما لقيت انا من صعوبة النزال قالت
قد بليت اليوم فجربنه ومعه جماعة فلما كثرت بهم ثم خرجت كما خرجت فى أول مرة ثم نفضت اليه
عنانها وقومت نحوه سنانها (فلما) نظر اليها سيف عرف الفارس واستعاذ من شره وجعل يهز
سيفه ويقول

دعيت سيفا فحملت سيفا ٭ كلاهما فى الحرب هدفا
من يلقنى يلقنى حماما عاجلا ٭ من انت لا كنت لقيت حتفا
ما الفارس المذكور عنى تجمعا ٭ عرفت فى الناس اخاء الفا

(قال فلما) سمعت كلامه وشعره حملت عليه ولم تمهله فصادمها فرأى منها ما لم يره من غيرها من صبر القتال ومعرفة الرجال فوقف بازائها وقال يا أيها الفارس الممسك عن الخطاب الا بكم عن رد الجواب الا تنبئنا من أنت من العرب فقد انكرنا امرك وانت لا تجيب وهى لا ترد جوابا ولا تسمع له خطابا بل تصافح الميدان وتشرع اليه السنان وهو يحيد عنها وعامر شاخص اليها يدعوها بالنصر والسلامة اذ أقبل رواح الذى بعثه عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى الحديث فلما نظر القوم اليه وقد وصل الى عامر (قال) بعضهم لبعض لا شك أن الفارس قد جاءهم بأمر فقلق القوم على أنفسهم وعلى سيدهم وعلى عبيدهم (قال صاحب الحديث) هذا ما كان من أخبار القوم وأما ما كان من خبر العبد الذى بعثه عامر فى بدء أمره بكتابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما أخذ الكتاب وسار من وقته يجد السير بقية يومه وطول ليلته ويومه الثانى الى آخر النهار وصل مكة ونظر الى مصابيح الكعبة ولم يجد أحدا يسئله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحار العبد من ذلك ولم يدر أين يتوجه وهو يخترق الشعاب بنجيبه الى أن بلغ به النجيب الى دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف به ولم يتحرك فضربه وزجره واذا به قد برك فحار العبد واشتد عليه الأمر حين برك به فجعل يعنف عليه بالضرب فراغ البعير عند ضربه وحلب برغائه والعبد لا يدرى ما نزل به ونجيبه واذا بنور قد أقبل الى حيث العبد والنجيب فشخص العبد نحو النور فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل الى منزله فقال للعبد مهلا يا غلام لا تضرب البعير وارفق يرفق الله بك (فقال) العبد يا ذا الوجه الجميل انه تلوم على والثاث وما أبصرت أحدا قبلك فأقول رمقته أعين النظار فاصابته أعينهم ولقد كان يسير سيرا جدولقد قطعت عليه من وادى العرجون الى هذا المكان فى يومين وليلة وبعض يوم أفتظننى يا مليح الوجه نائما (فقال) له النبى صلى الله عليه وسلم ما أنت نائم بل أنت يقظان قال العبد فانه رسخ بى وبرك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تخف عليه شيئا ان شاء الله فقال العبد بشرت بخير جزيل وهل يأتى بالجميل الا كل جميل (ثم) قال يا فتى تمم احسانك أرشدنى الى سيد بنى هاشم (محمد) ابن عبد الله بن عبد المطلب فقال عليه السلام ابشر أنت ببابه واقف وهو معك قريب قال العبد هذا أعجب مما أنا فيه فان يكن مكانه فاين نجده فقال عليه السلام قد وجدته ها أنا طلبتك وحاجتك أنا (محمد) بن عبد الله قال العبد يا سيدى اليك قصدت فالحمد لله الذى هدانى بنجيبى اليك فسر النبى صلى الله عليه وسلم بقوله وقال اعقل نجيبك ولج الدار فعقله العبد وأوثقه ودخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس معه فى صحن الدار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما أرسلت له فقال رواح يا سيدى لمع بهاؤك وأشرق ضياؤك انى أتيت من عند قوم صرخ بهم صارخ الشتات ففرق الفتهم وشتت جمعهم وأرمل نسوانهم وأيتم أولادهم فهم فى بحر الهلكة سابحون وفى طريق الموت هالكون لا يرحم صغيرهم ولا يرفق بكبيرهم والموت مطالبهم والخلق تعاندهم كل ذلك لمحبتهم لك وطاعتهم لدينك أما الطفيل بن عامر فخرج بماله وما نحويه بداه وعياله ونسوانه حتى لو طلب يسد جوعته ما قدر عليه وقد احتوى عمر بن حمامة على جميع ذلك فملكه له وتركه فقيرا وحيدا ليس معه الا صاحب له يقال له صفوان بن عنبسة فانه واساه بنفسه وترك أهله وماله وهو معه مواخيا فى الشدائد وأعظم من هذا أن عمر بن حمامة كان قد زوج ابنة له يقال لها رملة من عامر بن الطفيل وقبض منه صداقها وصالحه على أن يحملها اليه الى مكة بحضرة ضماد بن

عنترة وقومه (فلما) توارى عنه ضماد بن عنترة غدر ومكر وزوجها من رجل من بشكر يكنى مرهج بن وهاج وأرسل رسله يسلمونها من الحاضر اليه فخرج عامر بن الطفيل بقفو أثر القوم فلم يقدر على الوصول اليها وهم سائرون بها وصعب عليه ذلك (فلما) أيس منها أغاثه الله بعمه العباس وعقيل ونفر من أهل مكة من بنى هاشم من عشيرته فطرح نفسه عليهم واستغاث بهم فخلصوها له وسلموها له وقد فصل بها من وادى العرجون قاصدا اليمن ومعه أموال عظيمة وهو خائف عليها وقد أرسلنى اليمن بهذا الكتاب يسئلك أن تنجده وتنصره وهو خائف فعسى أن تبعث من يؤمنه فى طريقه قبل أن يطرقه عدو فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا غلام فما كان من ضماد بن عنترة وأنا أعلم ما حبسه عنه الا المرض الذى أصابه (قال) صدقت يا رسول الله (قال) فما عندك من خبر عقال بن نهال وخبر مرهج بن وهاج وما جرى له مع الطفيل (قال) العبد لا علم لى يا رسول الله قال لقد كانت بعدك كوائن قال العبد بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما كنت معنا (قال) لا ولكن أخبرنى بذلك عالم الخفيات قال فبينما العبد يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طرق الباب طارق فقال النبى صلى الله عليه وسلم أتانى أبو الحسن على فوثب العبد ليفتح الباب فقال عليه السلام أنا أولى منك بفتحه لأنك ضيف وأنا صاحب المنزل فقام وفتح الباب ودخل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن امض فادع لى عمومتى وأهل بيتى وأصحابى (قال) فمضى على الى عمه حمزة وزيد بن حارثة فقال لزيد ادع لى من قدرت عليه من المؤمنين فمضى زيد فصرخ بعمار بن ياسر وأبى بكر وعمر وسعيد بن زيد وخباب بن الأرث وعثمان بن مظعون وأنذر بعضهم بعضا رضى الله تعالى عنهم أجمعين فلم تكن الا هنيهة من الليل حتى تكاملوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما) تكاملوا قال يا معشر قومى انه قد وصلنى كتاب عامر بن الطفيل وقد اتصل بكم ما نزل بالطفيل من قومه وما طرقوه به من الأذى وهو صابر محتسب لله تبارك وتعالى واذا أحب الله عبدا ابتلاه لينظر صبره عند البلاء وهذا الغلام يخبر أن عامر بن الطفيل قد وصل الى زوجته رغلة بنت عمر بن حمامة ولقد لقى تعبا وجهدا فكان خلاصها من يد عدوه على يد عمى العباس وابن عمى عقيل وأنا من أهل مكة وقد خشى فى طريقه من طارق يطرقه أو عدو يلحقه وقد استجار بكم وأحب المعاونة منكم فان للجار على الجار حقا واجبا فان رأيتم أن تستقبلوه حتى يدخل الينا ويأمن من أعدائه فما أنتم قائلون (قال) حمزة رضى الله تعالى عنه يا رسول الله هو أخونا وشريكنا فى الدين ونحن أولى وأحق باستقباله ودفع الأذى عنه من كل ما طرقه وأكبر ما يلزمنا من معاونته ونصرته أنه قد صار من حزبنا ودخل فى ديننا وصار أخا من اخواننا فجزاه النبى صلى الله عليه وسلم خيرا وتكلم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بنحوه وقال والذى بعثك بالحق لو عارضه معارض لأرغمنا أنفه وقبحنا فعله (وقال على) رضى الله تعالى عنه وهو يومئذ أحدثهم فى السن يا رسول الله ائذن لى أن أسير مع هذا الغلام وألقى عامرا وأدخل به الحرم فان وصل اليه واصل من قريش فانى غير عاجز عن شكرهم النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك ولم يبق فيهم الا من تكلم بنحو هذا الكلام (قال) فاخرجوا اليه فى ليلتكم هذه وان الرجل بأقرب مكان وان هذا الغلام قد كفاكم سائرا من وادى العرجون وتقدمه وأنا عند الصباح خارج لأنظر أخباركم فاخرجوا من وقتكم فاذا وصلتم اليه فاحفظوه واكنفوه الى أن يصل الينا ان شاء الله (قال) فخرج القوم من وقتهم وساروا وهم اثنان وعشرين رجلا منهم حمزة وعلى وزيد بن حارثة وسعيد بن زيد وأمثالهم رضى الله عنهم أجمعين (فلما) وصلوا قال لهم الغلام أتأذنون لى أن أسير أمامكم أبشرهم بقدومكم وقد وعدنى مولاى بالعتق وقد أعتقنى من النار اذ صرت من أهل الايمان وأرجو أن يتم الله لمولاى أمره ويسر قلبه بقدومكم

فلا أعدم منه ومن زوجته نيلا واحسانا فقال له حمزة افعل ما أردت (قال) فاطلق العبد زمام نجيبه طالبا لمولاه عامر فأسرع به النجيب ولم يزل سائرا يومه الى أن أدركه العشاء وقد أشرف على القوم وهم مع الجذاميين كما تقدم فى الحرب ورغلة منازلة بالسيف على ابن نجيح ومن معه فى أشد قتال وأعظم نزال والفرسان من حوله فانكر العبد ذلك وصاح عامر يا غلام أخبرنى ما وراءك جعلك الله لكربتنا فرجا (قال) العبد ابشر يا مولاى أنت عند ظنك جئتك بالنجاة والمعاونة وانى سرت من عندك مجدا فأقبل بى النجيب حتى اخترق شعاب مكة فلما انتهى بى الى دار رسول الله صلى الله عليه وسلم برك فاوجعته ضربا وهو يرغو واذا برجل قد خرج يفشع نوره الظلام واذا به (محمد) عليه السلام وكان النجيب به دعا وأعجب من ذلك يا موى انه حدثنى بحديثك وحديث أبيك وحديث عقال بن نهال حتى كانه معنا فقلت يا رسول الله من أخبرك بذلك قال أخبرنى عالم الخفيات (قال) عامر وكيف رأيت (محمدا) صلى الله عليه وسلم قال العبد ما رأيت أجمل ولا أنور منه وقد أعطيته كتابك فقرأه وقد أنفذ اليك أصحابه وقد انفصلوا من مكة فى أثرى وهم رجال وأى رجال قال عامر ما أسماؤهم فانى بهم عارف قال لا أعرف أسماءهم (قال) فصفهم لى فانى بصفتهم خبير قال فيهم رجل من أطول الرجال جهورى الصوت ورأيته يبجله ويكرم محله ويصمت عند كلامه ويسمع خطابه ويفرح لرؤيته ويبتهج لغرته (قال) عامر ذلك حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه عباس الذى غضب لنا بالامس وخلص زوجتى تاج بنى هاشم المشهور فى المواسم ومن رأيت معه يا غلام قال رأيت معه رجلا أصلع الجبين ينطق بكلام ينبئ عن خير ملتفت عن القتال طالب للنزال (قال) ذلك عمر ابن الخطاب رضى الله عنه سيد بنى عدى فهل عرفت غير هؤلاء قال الغلام رأيت فيهم غلاما صغير السن كبير الذهن واسع الجبين واسع الصدر طويل الظهر بعيد ما بين المنكبين عالى الذراعين مفتول الساعدين فصيح الكلام عظيم القدر يدل على انه همام وبطل ضرغام رأيته وقد سأل (محمدا) المسير وحده ورأيته قد ضمه الى صدره وقبل بين عينيه وقال لا تغيب عنى طلعتك وقد خرج مع القوم كانه أسد هصور قليل فى القوم مثله (قال) عامر تعرفه يا غلام قال لا أعرفه قال ذلك على بن أبى طالب وفيه وحده كفاية لمن طرقنا قال العبد يا مولاى انما خرجوا مستقبلين ولم يخرجوا محاربين وما أظن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بقتال بعد ولا يلقى حربا قال عامر هو ذلك لكن اذا خرجوا نحونا فمن يرجع عن شأننا وكانهم عن قريب يشرفون علينا أو يكونون فى بعض الاماكن مكمنين (قال) فبينما هم كذلك ورغلة مع اللعين سيف فى قتال ونزال وقد دهش الجذاميون من صبرها ودوام انبساطها فقال رجل من القوم يقال له زهير بن غنيم يا معشر جذام النهار قد مضى وكانكم بالليل قد أتى وهذا الفارس الممسك كلامه عنا الباسط يديه بالسوء الينا وقد ترونه ظاهرا على صاحبنا وترونه شديد الجراءة وان قتله او أسره فانتم بعده لا شك هالكون وبالعار والخيبة راجعون وما كنتم اليه متطاولين وان أكبر غنيمة ترجونها اليوم سلامة أرواحكم من هؤلاء القوم فاحملوا باجمعكم عليهم واكشفوا عن صاحبنا ما تجلله فاجمع القوم على ذلك فنظر عامر اليهم فلم يخف عليه ما عندهم فخشى على زوجته منهم فرآهم وقد ألصقوا الصوارم وشمروا القواضب ومدوا الاسنة وأرسلوا الاعنة (فلما) نظر الى ذلك حل من موضعه وصاح بزوجته انجز الامر يا ابنة العم فقد لاحت بوادر الشر وعزم القوم على الغدر (قال) وبينما القوم كذلك اذ أشرفت عليهم أعنة الخيل وأزمة النجائب فتطاول الفريقان اليهم وقد ابتهج عامر وصاح بزوجته أبشرى يا صاحبة الخير فقد أتتك ابطال الحرم وسادات الامم وفرسان (محمد) عليه السلام قال فعظم ذلك على المشركين وتسابقت الفرسان امام النجائب وقد أطلقوا الاعنة وفوقوا الاسنة حتى اذا قربوا من القوم ودنوا منهم تلقاهم عامر فاذا هم

ثلاثة فوارس حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فعرف العبد عليا فقال يا مولاى هذا الذى وصفت لك صفاته هذا الغلام الانزع والبطل الاروع ونظر اليهم سيف بن نجيح وهم مقبلون وعاين حمزة وسمع زعقاته وقهراته فذهل عقله وطاش لبه وحار وأمسك عن الكلام والانبساط وزال نشاطه (فقال) لرغلة هل لك يا غلام فى عقد الذمام والتمسك معنا بالامان قال فلم تجبه دون ان حملت عليه وخشيت من القوم ان يسبقوها اليه فطعنته طعنة صادقة فى صدره أطلعت السنان من بين كتفيه فانجدل صريعا على أم رأسه (قال) ونظر الجذاميون الى صاحبهم وقد قتل والخيل قد أشرفت عليهم واحدقت بهم فقال قائلهم اما انه لم يكن لنا بالقوم طاقة وهم فى قلة من العدد فكيف وقد جاءهم المدد من عند (محمد) وان النجاة بانفسنا أصلح لنا فعطف القوم هاربين واتبعتهم رغلة فأدركت منهم زهير بن غنيم وهو فى اعقاب القوم حامية عنهم فطعنته بين كتفيه جدلته صريعا وانهزم بقية القوم هاربين ووصل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عطفت رغلة فقالت الا تتبعون القوم اللئام فتغنموا خيلهم وسلاحهم وأسلابهم وسمع حمزة كلام الفارس فلم يخف عليه كلامه (فقال) يا عامر من هذا الفارس انى أظنه من ذوات الخدور و ربات الستور فقال صدقت هذه رغلة زوجتى بنت عمر ابن حمامة قال لها حمزة لله أنت لقد واسيت وأحسنت ومثلك يرجى للشدائد وما أمرنا بقتال ولا له خرجنا وانما خرجنا لاستقبالكم ودخولكم الى الحرم وعما قليل نسل سيف الفناء على الكفرة ونعرض عليهم التوحيد ونقتل من أبى وجعل عامر يشكو اليهم ما نزل به فقال على رضى الله عنه قد سبق الينا ذلك من أخباركم وأخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من مبتدا أمركم الى منتهاه نزل عليه جبريل عليه السلام من عند رب العالمين حتى أعلمنا ما نزل بكم بالامس (قال) عامر ان حامية القوم عندنا أسير وهو نجيح بن اسامة الجذامى قال حمزة هو من أعدى الناس لنا ولابن أخينا وقد أمكننا الله منه فهلموا بنا نضرب عنقه فاقبل القوم الى المكان الذى فيه عدو الله نجيح فالفوه مضمخا بدمائه (قال) عامر للعبيد يا ويلكم من قتل هذا فقال له بعض العبيد يا سيدى انه لما أشرف هؤلاء القوم علينا رأيته يشتم ويسب (محمدا) صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك منى وعظم على ثم أخذ يسبك ويسب أباك الطفيل اذا تبعتما (محمدا) فلم أجد صبرا دون ان علوته بسيفى قال عامر أبعده الله قال حمزة ما انتظارك سر باهلك (قال) فدعا عامر النسوان الى الهوادج وتوارى القوم عنه قالت رغلة ما رأيت اعف من هؤلاء القوم منظرا ولا أكرم قدرا ولقد ارتحلنا وكان سيرهم امامنا ولم يتخلف أحد منهم من ورائنا ولم ينظروا الى هوادجنا الى أن نزلنا وهم متباعدون منا فذبح لهم من الضأن ما كفاهم (فلما) كان فى أول الليل ارتحل عامر وتقدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم امام الهوادج فلم يزالوا كذلك الى أن أشرفوا على الحرم واذا هم براكب على مطية ترف به فتأملوه فعرفه حمزة فقال هذا وايم الله ابن أخى (محمد) قد خرج الينا مستقبلا ثم قال له يا ابن الطفيل ومثلك من يستقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد العشائر ومعدن الفخار وناهيك من فخر يزيد على الفخار اذا استقبلك (محمد) المختار وكفاك به ذكرا الى يوم القيامة فقالت دوس فى ذلك ومنا الطفيل الخير والنور وعامر تلقاه النبى صلى الله عليه وسلم (قال) فلما نظر عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هم ان يلقى نفسه عن الجواد فصاح به لا تفعل يا عامر فانا بمتكبر ولا متجبر وانما أنا بشر مثلكم آكل مما تأكلون وأشرب مما تشربون قال فثبت عامر فى سرجه وأسرع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم يا عامر أخبرنى كيف صنع الله بك (قال) ببركة الله وبركتك يا رسول الله نصرت وظفرت على أعدائى بهؤلاء المصابيح أتم الله أمرى وكشف كربتى والمنة لله ولك يا رسول الله (قال) فثنى صلى الله عليه وسلم زمام ناقته

وتقدم امام أصحابه وأحدقوا به من حوله وتقدم عامر والأموال من ورائهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه انكم اخوان وأحلاف فاختار والأخيكم عامر مكانا ينزل فيه أهله ولبكن في جوار من لا يخشى عليهم اذا نزلوا به ولا شك ان عامرا راجع الى أبيه لينظر ما كان منه ولا يطيب له المقام وقد علم على أي حال ترك أباه من فقد الأموال والأهل والعيال وعدو الله محدق به يطلب رميه بالنكال فقال حمزة رضي الله عنه بأبي وأمي أنت يا رسول الله أنا أفرد له حجرة الأضياف الى أن ينفصل أمره (فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى الكريم الا الكرم ثم التفت الى عامر بن الطفيل وقال له قد أمنت على نفسك ومالك يا عامر اذ صرت في جوار عمي حمزة لا عدمت الايصال ولا خلوت من النوال ولا زلت من الله في أحسن حال (ثم) قال يا عم ثم احسانك ولكن أمواله مختلطة مع أموالك ورعاته مع رعاتك فقال حمزة على ذلك أجمعت وأضمرت ورحل رسول الله عليه وسلم وأصحابه وعامر في أثرهم ودخلت في أثرهم الهوادج الى مكة وقريش قد خرجوا ينظرون والنسوان على الجدران يتعجبون من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستقبال عامر بن الطفيل (فلما) بصر وا به عرفوه فجعلوا يعضون عليه الأنامل من الغيظ لما فاتهم من قتله فصاح حمزة رضي الله عنه برفيع صوته ليسمع من هنا من قريش يا معشر قريش يا بني زهرة يا بني مخزوم يا بني عبد شمس يا سكان الصفا الا ان عامر بن الطفيل في جواري وذمامي فمن عارضه فأنا مطالبه وان أمواله مختلطة مع أموالي في حرمكم فوحق الحرم المحرم والبيت المعظم لان ضاعت له شاة لاطالبنكم بها فليبلغ شاهدكم غائبكم فلم يرد أحد منهم جوابا ولا خطابا فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وقال يا عامر بن الطفيل اذا كان في غداة غد فأت بزوجتك وعبيدك الى فعسى أن يكونوا من أهل السعادة وتكون لك وتكون لها (قال) عامر يا رسول الله عسى الله أن يتم أمرها ويسهل عسرها ثم اعتزلها عامر في تلك الليلة فلما أتى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها عبيدها ومواليها ولائدها ونسوان من الهاشميات أنسن بها وأنست بهن لما ظهر لهن من حسن خلقها فأقبلت الى منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رجع من الكعبة فاحضر المؤمنون من أصحابه والأكرمين من أقاربه ودخل عامر بن الطفيل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس بين يديه ودخل النسوان من بعده فدخلت رغلة وهي متبرقعة ببرقع أحمر مسبلة الاردان فنادت بلسان طلق يا رسول الله زهرت أنوارك وغمانخارك وعلا مقدارك فأنت نور الأنوار وزهر الأزهار ومصباح الأقطار ولقد كنت أضمرت فيك شيأ (فلما) نظرت الى كمالك وجمالك وأنوارك زالت الشكوك عندرؤيتك وذهب ما أضمرت فان يكن أبي ناه عن مراشده وأوجب الهلاك في مقاصده فاني عنه نائية ولو رؤيته شانئة ولمكان بعلي غير نائهة بل بما رضي بعلي راضية وبما شهد شاهدة وهو أفضل الأديان سعد من دخل فيه وخاب من كان متباغضه وعاصيه أمد يدك أنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك رسول الله حقا أرسلك بالحق بشيرا ونذيرا صلى الله عليك فسر النبي صلى الله عليه وسلم باسلامها وقال لعامر وجبت لك ووجبت لها امض بزوجتك الى منزلك ولا تأتني في غداة غد الا وعليك أثر الفرح (ثم) عرض على ولائدها وعبيدها الاسلام فاسلموا ولم يتخلف منهم أحد وردها الى بعلها بالنكاح الأول الذي عقده أبوها لم يغيره ولم ينقضه فقال يا سيدي فما أنت صانع بالشيخ المطروق بالمحن الذي أبعده أهله وسبوا حريمه لدخوله في هذا الدين العزيز وانى تركته في غمرات السباق وكرب الموت وما رأيك في الأسيرات التي طرقهن النقم ونزل بهن من الفقر والعدم فصرن شماتة للاعداء وحسرة للحبيب وقد جرت عليهن سيوف العدا وأحدق بهن سوء البلا فارحم النسوان والولدان واعطف على البنات والنسوان فوالذي

بعثك بالحق نبيا ما يطيب لى قرار ولا تكنني الديار حتى اصل اليهم وانظر ما كان منهم فالعيش دونهم كدر والفرح والسرور عسر فكيف يكون عيشى من بعدهم (قال) فاشفق له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عامر ان الذى جمع شملك بزوجتك قادر أن يجمع بينك وبين أبيك وأمك وأهلك وانك تركت أباك وحيدا فريدا فقد حيل بينه وبين نسوانه والعدو محدق به يريدون هلاكه والأمر غير ما تظن والعسر بعده اليسر وربك كل يوم هو فى شأن فاستخر الله ربك وتوكل عليه فاذا خرجت فسترى من العجائب ما يجدد به ايمانك ويزداد به يقينك وان الذى أرسل موسى الى فرعون وجنوده ونصره عليهم وأبطل كيد السحرة هو القادر أن ينصرك وينصر أباك ويشد أزره ويرحم وحدته ويرد عليه أهله وماله ونعمته فاذا عزمت فتهيأ لسيرك واستأذنى قبل مسيرك لأشير عليك بما أراه وبما يوحى الى (قال) فانصرف عامر من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دخل بزوجته وقد تزايدت أفراحه باسلامها وثانية بسلامتها وثالثة بما بشر به من نجاة أبيه ونصره على عدوه ودخل بزوجته فى مكة فى دار حمزة وعزم على المسير الى أبيه لينظر ما كان منه مع عمر بن حمامة ومع مرهج بن وهاج وقلبه متعلق بالعباس رضى الله عنه وعقال بن نهال وما قصد اليه لان العباس قصد الى نصرة أبيه وعقال مضى الى حاضر دوس ليحوز جميع ما فيه فهو قلق للوجهين الا انه قلق بالخروج الى أبيه لينظر ما كان منه ومن صفوان خليله رضى الله تعالى عنهم (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله حدثنا أشياخنا وأسلافنا الرواة لهذا الحديث بأجمعهم ومنهم من قال انه لما وصل عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وزوجته وماله وعبيده وأسلمت زوجته وعبيدها وجوارها ونزل عامر على حمزة وتحصن بجواره وأمن من أعدائه ودخل بزوجته وأقام بها ثلاثة أيام وأراح واستراح (ثم) أقبل على زوجته فقال لها انى راغب فى مجالستك غير كاره ولى فيك أمل وانك منيتى وغاية رغبتى فلله الحمد والشكر الذى جمع بينى وبينك على ملة الاسلام وانى تركت أهلى فى ضنك الأسر والشيخ فى ضر عظيم وقد استدت عليه المذاهب وأحدقت به المصائب من كل جانب وأخذوا ماله ونسوانه ولم يبق له سبد ولا لبد وقد زاده الألم والضر لمفارقتى وازداد به الهم والغم من أجلى وانما فارقته من شدة حرقتى عليك ومحبتى لك وانى منذ فارقته لم يهنأنى الطعام ولا تلذذت بطيب المنام وقد أحببت الخروج اليه لأنظر ما كان منه وقد وعدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وعدنى وهو الصادق المصدوق الا ان النفس قليلة الاصطبار فكونى حيث أنت الى ان أعود اليك ان شاء الله وان فرق بيننا الأجل فكونى حيث أنت حافظة للعهد مقيمة عليه (قال) فبكت رغلة فقالت أما ما ذكرت من أمر أبيك فلعمرى انه لازم لك ومن لا تداخله الحمية على أبيه وقومه فما هو بكريم فان شئت كنت مساعدتك وانى فى أثرك وأترك الموالى وما حوته يدى عند عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج معك أكافح الأعداء حتى يأتى القضاء وان كرهت خروجى معك فأنا مقيمة على العهد وأنا أشهد الله تعالى على ان الرجال بعدك حرام فسر عامر بذلك وقال أما مقامك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند عمه فأسر الى قلبى فقالت أنا فاعلة ذلك (قال) فدعا بلامة حربه وأصلح زاده ووطأ مطيته ودعا بالعبدر واح وقال له يا رواح أنت حر لوجه الله العظيم وقد وهبت لك عشرة من الضأن وعشرة من البقر تعيش فى البانها وتكسى من أصوافها ومطية تركبها فى سفرك وقد عزمت على الرجعة الى الشيخ لأنظر ما كان منه فهل لك فى مرافقتى ومساعدتى على انى ان بلغت ما أريد أضفت لك شيأ آخر (قال) رواح وما عندى فى تخلى عنك راحة ها أنا معك وبين يديك من غير مال ولا رغبة فى مال (قال) عامر فاركب الآن مطيتك وجنب فى مطيتى وان شئت جوادا تم ان عامرا سلم على زوجته واقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه فى الخروج

وقال لا تخلنا من دعائك صلى الله عليك فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن ذى النور سر على بركة الله فانك عن قريب تصل الى أبيك وتراه قد كثر ناصره وأتاه الله بالفرج فسر عامر بذلك وأقبل الى منزله وركب جواده وركب العبد مطيته وجنب الاخرى وخرج عامر وخرج ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعونه منهم أبو بكر وعمر وعلى وحمزة ومثلهم من السابقين الأولين فاقسم عليهم عامر ان يرجعوا فرجعوا وسار عامر وهو يقول

لقد علم الرحمن ما أنا واجد ٭ من الغم والهم المحيط بالمصائب
فيارب صبرنى على فقد غائب ٭ تكنفه الاعداء من كل جانب
وذكرى للنسوان من بعد مضجعى ٭ وفرقة مابينى وبين الحبائب
فهل لقريح القلب ياصاح فرحة ٭ وأهلى أسارى فى قفار السباسب
اذا أنام أغضب لأهلى ووالدى ٭ فما أنا الا هالك بالكتائب
فرحت اليهم ثم حفت فهجتى ٭ فهل لذة تصفو بغير الأقارب

(قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله تعالى ثم سار عامر يجد السير ويقطع المنازل حتى اذا وصل بارض بنى الطويل لاحت له غبرة لامعة وقد اسود قتامها واحلولك ظلامها فعلم أنها غبرة حرب وقتال لتزايدها وارتفاعها (قال المخبر بالحديث) هذا ما كان من خبر عامر بن الطفيل فى مسيره وفراقه لأبيه الى هذا الوقت وأما ما كان من أخبار القوم فان عقال بن نهال العشكرى لما أسلم كما ذكرنا قبل هذا ونظر الى العباس وقد عزم على المسير الى الطفيل لينصره فقال لعامر بن الطفيل ان كان العباس غضب لأبيك فانى قد غضبت لك وأنا أسير بهؤلاء الذين معى الى حاضركم وأنزل بأهل عمر بن حمامة مما أنزله بأهلكم (ثم) فصل عقال فى خمسين فارسا وسار بهم الى أن دنا من حاضر دوس وهم ليس عندهم خبر بشئ وأبطالهم وحماتهم مع عمر بن حمامة يقاتلون الطفيل ولم يبق فى الحاضر الا أقلهم وشيوخهم (فلما) قرب من الحاضر كمن الى أن أتى المساء فعمد الى أصحابه ففرقهم كل عشرة فى ناحية وأمرهم أن يحملوا من كل جانب ومن استأسر اليهم أسروه ومن أبى قتلوه (قال) ففعلوا ما أمرهم به فلما أخذت كل فرقة مكانها ومركزها كبر عقال وكبر القوم من أماكنهم واخترقوا الحاضر فكبسوهم فى أماكنهم وبذلوا فيهم السيف فأسروا أكثر القوم ومنع أقلهم وقتل بعضهم وهرب البعض فلم يأت عليهم نصف الليل الا وقد فرغوا من القوم وسأل عقال عن أبيات عمر بن حمامة فأرشد اليها فأخذ بناته ونسوانه وماله وعبيده وأصاب من المال قناطير مقنطرة مما كان يحمل الى ضماد من النذور (قال) فلما فرغوا من ذلك قالت لهم زوجة عمر بن حمامة يا قوم بما استوجبنا هذا منكم فأحضرت بين يدى عقال فقالت له أيها السيد ماذنبنا عندكم حتى غضبتم علينا وأخذتم أموالنا وليس يتعرض للنسوان الا اللئام (قال) عقال فان كان كما تقولين فبعلك بدأ بنسوان الطفيل فهتك أعراضهن وأخذ أموالهن بغير ذنب أذنب الا أنه دخل فى دين الاسلام وصدق (بمحمد) عليه السلام فقالت بعد ما سألت من سيد القوم وعميدهم وما اسمه فأخبرت بذلك فقالت له يا عقال أما يستوجب من ترك دينه ودين آبائه وصبا الى دين السحرة أن يفعل به ذلك فغضب عقال لكلامها وقال لها تبا لك ولذى الكفين معك الذى تعبدينه انما نعبد الملك الجبار خالق الليل والنهار (ثم) أمر بسوقهن مع النسوان وعزلهن عن الرجال وأمر أن يقدم الأسارى رجلا رجلا فكان يسأل الرجل منهم عن اسمه ويعرض عليه الاسلام فان أجابه تركه وان أبى قتله وربما يسأل الشيخ الكبير فيبقى عليه (قال) فأتوه بشيخ كبير آدم اللون بعيد ما بين منكبيه وقد اسبل ضفيرتين وكحل عينيه وقص شاربه ومعه هرة قد حملها معه وضمها الى صدره (فلما) وقف بين يدى عقال وكان قد عجب منه ومن منظره

قال لأصحابه من هذا فقالوا انا وجدناه فى بيته فلما أمرناه بالمسير البنا لم يعبأ بجميع ما فى البيت غير هذه الهرة فاحتملها وسار معنا وهو يضاحكها ويغنى لها فى طريقه كانه لم يصبه شئ (قال) فتعجب عقال منه وقال من أنت ياشيخ قال أنا رجل من دوس وأنا أبو هريرة بن سيد دوس وشجاعها (قال) له فلم سميت أباهريرة قال لمحبتى لها وألفتى لها لا افارقها ليلا ولا نهارا فى سفر ولا فى حضر ولا أنام الا وهى فى صدرى وقد رآنى قومى كيف تركت البيت وما فيه وخرجت بها وأنا أسئلك أن تطلق لى السبيل وتفعل بقومى وأهلى ما بدا لك وكان مزاحا من صغره الى كبره وقد نشأ يتيما وقد بلغنا أنه كان يقول نشأت مسكينا وهاجرت مسكينا (قال فلما) وقف بين يدى عقال بن نهال استظرف كلامه فقال له ماترى أن أصنع بك أيها الشيخ قال تطلق لى السبيل مع هرتى قال عقال اما أنت واما هى اختر أيكما أطلق قال كلاوالله لا نفترق حتى نحترق (قال) عقال ما تعبد أيها الشيخ قال أعبد صنما جلمودا لا يغنى عن نفسه شيأ فكيف عن غيره وقد نزلت بى علة فى هذه الأيام فشكوت اليه ما نزل بى وكنت رمد العين اليمنى فأصبحت وقد رمدت باليسرى فهجوته بأبيات فقال عقال أيها الشيخ ما الذى قلت قال قلت

مقدر الأشياء قبل الحين ● وعالم الكائن قبل الكون
أنزل بلاءك بذى الكفين ● وأنزل عليه الهلاك بعد البين
أتيته أشكو اليه عينى ● واحدة فصرت بالاثنين

(قال) فلم يبق فى القوم الا من ضحك منه ومن شعره فقال له عقال أيها الشيخ انى أراك تميل الى الاسلام والتوحيد فكيف دمت على عبادة هذا الصنم قال له زعمت الجاهلية أن عبادتهم لهذه الأصنام تقربهم من الله زلفى وما رأيتهم الا تباعدهم من الله بعدا وأما هذا الصنم ذو الكفين فسألتكم بمعبودكم ان وصلتم اليه فاقطعوا أنره فانه قد أكل قطعة من كبدى (قال) يا أباهريرة أوقفنا على مكانه فانا نسرك بهلاكه ودماره ان شاء الله تعالى فقال لهم سيروا على اسم الله فأنا أدلكم عليه فوكل عقال بالأسارى رجالا من أصحابه وسار معه فى رجال معهم السيوف والأعمدة والجنادل وسبق أبو هريرة فى أوائلهم فكان أول داخل الى الصنم (فلما) نظر اليه والماء يقطر من كفيه مصبوبا جعل أبو هريرة يقول

قد آن أقضى منك ديني ● أزلت نورى وطمست عيني

(ثم) أخذ جندلة فرماه بها فرجعت اليه وصرخ وخرج من الصنم صراخ متتابع ورجع هاربا وهو يقول دهيت ورب الكعبة فقال عقال ما شأنك يا أباهريرة (قال) غضب الملعون لنفسه وما يغضب لغيره فلم يلتفتوا الى قوله وتسابقوا نحوه فأخذتهم الصرخات والزعقات من الصنم وخرجت عليهم زوابع النيران كالبرق وسمعوا أصواتا منكرة فرجعوا ولم يجسروا فقال لهم عقال بن نهال ليس يصل الى هذا الأمر الا من سبق ايمانه وظهر برهانه من يخافه الانس والجن فرسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بهذا الأمر منى (ثم) رجع وأقام بمكانه الى أن أصبح الصباح (قال الراوى) وكان قوم من الأسارى قد عزموا على الاسلام فلما رأوا ذلك رجعوا عنه وقال قائلهم انكم ان تركتم عبادة ذى الكفين أهلككم ثم ان عقال ضم الأموال وعزم على الرحيل فقال أبو هريرة ما الذى أجرمناه اليكم فتطلبونا به فقال له عقال وما الذى أجترم الطفيل حتى أنزلتم به ما أنزلتم وكان لكم سندا فى المهمات ألم يكن لكم ناصرا وموازرا (قال) أبو هريرة وكانكم تطلبون بثار الطفيل قال عقال أجل فقال أبو هريرة أما والله يا قوم ان هذا البغى راجع اليكم فاحذروه فأبوا وهذا قليل عما نزل بهم ولو كانت لى اليد لكنت أتولى قتالهم وأهلك أبطالهم وانى أشير عليكم برأى فاقبلوه قال

قل مابد الك يا أباهريرة قال أشير عليك ان تقتل الرجال وتأخذ الأموال والرحال وتسير بها الى حيث شئت مكرما (قال) فصاحت دوس به وقال له خالد بن سعيد ما بلغ الاعداء منا ما فعلت ولقد دللت القوم على عوراتنا وأرشدتهم لهلا كنا وأمرتهم بقتلنا وأنت أولى من يسفك دمه قال أبو هريرة والله رضيت لكم الذى صنعتم بالطفيل الذى قطعتم قرابته وأنكرتم معرفته ومن جهتك عورة أخيه هتك الله عورته ثم قال لعقال الى أين تريد المسير بنا قال الى (محمد) بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة انى أحب أن أراه وأسمع كلامه فقال سعيد بن خالد يا أبا السراح ان الكريم من لم يساو اللئيم فى فعاله ولا يقبل مشورته ولا يسمع كلامه وان ابن أخينا هذا قد نحرف وزال عقله وذلك ان الناس يعرفون بالخيل والعبيد وهذا لا يعرف الا بهذه الهرة على يده وعاتقه كالمجانين فلا نسمع كلامه فان كان عمر بن حمامة بسط يده الى الطفيل والى ماله وأهله وقد أساء وجاز يقوه فاتركوا الصلح مكانا ويدفع صاحبنا للطفيل ماله وأهله وادفعوا له أنتم ما غنمتم من حاضره ويكون سببا للصلح بينهما فما فينا أحد سره ما فعل بالطفيل وانه منا والينا وأعز الخلق علينا قال عقال انى قد أنعمت عليكم وأحسنت اليكم وأجبتكم الى ما تريدون وأنا سائر بكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم مكرمون فكاتبوا صاحبكم يدفع للطفيل نسوانه وأمواله فاذا فعل ذلك أطلقنا لكم السبيل فقال له خالد بن سعيد ومالنا لا نكاتبه من مكاننا هذا حتى يتم صلحنا (قال) عقال ذلك العجز والوهن فما يؤمننا أن يسرى بمن معه الينا فيغالبونا على ما فى أيدينا فيؤول أمرنا الى خسران بل أخلفكم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر فيكم بأمره ويحكم فيكم بحكمه (قال) ثم أمر القوم بالرحيل فارتحلوا بالغنائم والاموال وفصل من الحاضر يريد مكة فلما كان فى بعض الطريق وهم سائرون اذ لاحت لهم خيل ومطايا على كل مطية رجلان وهم جيش كامل (قال صاحب الحديث) وكان من خبر الضحاك بن علقمة الذى بعثه عمر بن حمامة يستنجد له قبائل العرب وهو الذى استنجد له جبل الشر مرهج بن وهاج البشكرى فى أربعة آلاف فارس كما تقدم وخرج هو يستنفر قبائل العرب كما ذكرنا قبل هذا فسار فوقع بقوم جعافرة من بنى جعفر بن كلاب وقد خرجوا فى ألف فارس ومائتى مطية عليها أربعمائة رجل يريدون الغارة على ديار كسرى بالعراق ورئيسهم مطرف بن العجير وهو الذى طرده قومه وهو صغير لانه قد خرج من صغره قد عود الهجوم على الاحياء واعتاد سفك الدماء فطردته قبيلته لما تزايد عليهم من أمره ولحقهم من ضره فصرف غارته وهجماته على قومه فكان يستبيح أموالهم ويقتل رعاتهم ويقطع رفاقهم فردوه اليهم (فلما) كبر زادت بليته فقالوا له اذا كان ذلك ولا بد لك من الغارة وأخذ الأموال فاصرف غارتك نحو العراق وانما طلبوا بذلك هلاكه ففعل وكان يخرج فى قومه ويغيرهم ويغنم فخرج فى بعض الأيام فى ألف فارس وأربعمائة رجل على المطايا (فلما) مر بهم الضحاك بن علقمة (قال) لهم أين مقصدكم بعد ما حياهم فاخبروه أين مقصدهم وبما أجمعوا عليه من الغارات فقال لهم الضحاك كان الذى أملتموه متباعدا وهو أمامكم متقارب فأنا أدلكم على الذهب والفضة والأموال وتنصرون رجلا تلزمكم نصرته وتوجبون حرمته قالوا له ومن هو (قال) عمر بن حمامة الدوسى وقد أحدقت به الأعداء وهو الطفيل بن عامر قد صبا الى دين (محمد) واستنصر برجال من الأزد وأخذ عمر أمواله كلها وقد أحدقت به الأزد يريدون خلاصها وأنتم أحق بها منهم (قال) فارشدوه الى سيدهم مطرود فوصل اليه وقال له انك سيد يشار اليه ويتكل عليه وهذا جارك عمر بن حمامة الدوسى وهو بدئ مستجير وقد قصده الطفيل ابن عامر برجال أزد شنوءة وصبا الى دين (محمد) وقد أخذ عمر بن حمامة أمواله وكلما حوت يده وأنت

أحق بها فادركه وانصره قال وأين هو قال هو بأطراف الرمال (فقال) له مطرود قد كنت أجمعت على أمر فاذ قد جعلتنا أهلا للقصد فقد أجبناك لأنا أبغض الناس الى هؤلاء القوم ولما جاءه (محمد) ودعا اليه ثم عطف بقومه ومعه الضحاك بن علقمة يريد ون عمر بن حمامة فعثروا فى طريقهم بعقال ابن نهال بغنائم دوس وأموالها كما تقدم قبل هذا (قال) فانكر أمرهم أشد الأنكار (ثم) قال للضحاك ما هؤلاء القوم قال لا علم لى ولكن على رسلكم حتى آخذ لكم خبرهم فاطلق عنانه حتى أشرف على القوم فنظر الى أموال عمر بن حمامة وأهله وبنانه وأموال قومه والأسارى موثوقين فدنا الى أن قرب منهم واختلط بهم فرأته زوجته فصاحت به يا ابن علقمة هذا عاقبة البغى وما صنعتم لأنفسكم وأهاليكم وقد بعث (محمد) هؤلاء القوم فاستباحوا حاضركم وملكونا بأجمعنا (قال) فلما سمع ذلك صاح من وقته بالقوم وقال من أنتم فقال عقال من لا يفكر فيد ولا يسأل عما لا يعنيه قال ما سألت الا عن ما يعنينى ولا بد لى من سؤاله فمن أنتم قال من يشكر الكرام من بنى وائل العظام (قال) فخرج اللعين من وقته وقد أحرق قلبه بمرارته وسمعه فقال له يا سيدى هذه أموال قومى ونسوان عمر بن حمامة وأهله وبناته معهم باكيات وقد عظم الأمر وزاد الشر فغضب مطرود غضبا شديدا وأمر قومه بالثبات وهو يقول

الجن تفزع منى حين تبصرنى ٭ والخيل عند فراغ الهام تعرفنى
والسيف يشهد لى عند الهياج اذا ٭ علوت رأس العدا بالصارم اليمنى
والليل يعرف حقا حين أسلكه ٭ أنا الطريد عن الأهلين والوطن
أفنيت قوما بثارات الذين بغوا ٭ من مرهفى ودعانى القوم بالشطنى
حتى اذا مضى عهد الصبا وأتى ٭ قدر المشيب بأعلى الرأس والذقن
تركت فعل الصبا فيما أحاولهم ٭ اذ كان مقترنا فالموت فى قرنى

(قال ثم) أقبل اللعين منفردا بنفسه حتى اذا قرب من عقال بن نهال وأصحابه ثم نادى برفيع صوته يا أيها الهالكون ان الموت بكم نازل فانظروا لأنفسكم فأنا الهاجم على العرب والعجم وجالب الكرب والسقم والذى أرميكم بالبلا والسقم فاستدفعوا البلا عنكم والأسر باطلاق ما فى أيديكم من هذه الغنائم التى ليست لكم وأنا أحق من عفا عنكم وخلى سبيلكم فان رأيتم ذلك والا فانى هاجم عليكم فأبيد جمعكم والحق آخركم بأولكم (قال) فاقبل عقال على عظماء قومه وقال هل سمعتم مقالة هذا الرجل وانه خبيث فاجر طردته قومه وتبرأت منه عشيرته من كثرة غاراته وأذيته للناس (قال) فبينما هم كذلك اذ أقبل حوله حتى توسطهم فاطبقوا عليه فتخلص منهم وقد قتل أربعة وجرحوه جرحا موهنا ووقعت له الهيبة فى قلوبهم وعلموا أنه وقاح فى الحروب (ثم) عطف عليهم وقال نصحتكم وقدمت اليكم وقد مضى الأمر بما فيه فاستسلموا فهو أصلح لكم ولا تهلكوا أنفسكم فقد مضت واحدة فابرزوا الى ميدان الحرب فقال عقال لأصحابه انى خارج اليه مستنصرا بالله عليه ولا صبر لى على ما أرى وما قد حصل لكم منه (قال) وكان أبو هريرة بقربه وقال لقد أكل هذا الفارس قطعة من كبدى بفعله ولو أطلقت لى السبيل لكفيتك أمره (قال) عقال حتى تصح اسلامك قال أبو هريرة وما الاسلام والايمان قال عقال تؤمن بالله وحده لا شريك له فقال ما كنت الا تاركا لذى الكفين وجاعلا قصدى لمن خلق النجوم وبسط الديموم وقد بلغنى صدق (محمد) من صغره ومن عرف بالصدق والأمانة من صغره فارجو أن يكون صادقا فى كبره ولو رأيته لصدقته وأقررت وشهدت له برسالته ونبوته فقال عقال ما بعد هذا الاخير (ثم) أطلق له السبيل وحله من وثاقه ثم قال له ان شئت أن تخرج الى عدو الله فافعل (فلما) عزم على ذلك تصارخت به دوس من كل جانب

وجعلوا يوبخونه وصاح به خالد بن سعيد وتصارخ به أهله ياويلك الى أين تخرج الى حتفك وهلاكك فقال أبو هريرة لعقال اعطني عدة وسلاحا فدفع اليه ما أراده فشد أذراعه وركب جوادا دفعه له عقال (ثم) التفت الى قومه فقال انى أعلم ما تقولون وكانى بكم تنظرون الى وتقولون لاردك الله علينا وانى معجل لكم الجواب لا كلأكم الله ولا رعاكم حتى خرج الى مطرود بن البجير ولم يكن من أقرانه ولا من أكفائه وقال له أنا أقتلك لا محالة (فلما) سمع مطرود قوله قال له ارجع ياشيخ فانى آنف من قتلك وأكبرت نفسى عن نزالك فقال هيهات لابد لى منك على كل حال ثم بسط لسانه وبسط اليه سنانه وأطلق عنانه وجال معه فلم ير فيه طمعا ورآه ظاهرا عليه فخشى منه فقصر عن طلبه وعرف مطرود ما عنده فقال له ارجع ياويلك فانى قد رحمتك وقد وصلت اليك وأبقيت عليك ولو أردت قتلك لقتلتك (قال) أبو هريرة انى سامع منك ثم عطف عنه راجعا فتصارخت به دوس وهزأت به عند رجوعه خائبا مما أمله فتصايحوا به جميعا من كل جهة فقال له عقال ما أخطأ أملى فيه وقد علمت انه غير كفؤ له (قال) أبو هريرة ان الحرب خديعة وان هذا الرجل لا يطاق ولا يدرك فى السباق فاخرج أنت اليه وأنا ضامن لك قبله فاكثر اللعين من ارعاده وابراقه فقال لهم عقال أوصيكم بأنفسكم خيرا ولا صبر لى على ما أراه (ثم) خرج كانه شعلة نار تتوقد فلما نظر اليه مطرود والى شمائله ومعاطفه عرف أنه فارس شجاع فجعل يشاغله ويطاوله فقال له عقال اصرف العتاب وانجز بيننا الضراب فقد تعديت وأسرفت فيما أتيت فضحك عدو الله استهزاء به (ثم) قال ان ثبت ان كنت رجلا ثم حمل عليه والتقيا فرأى منه نشاطا وانبساطا فأخذ منه عدو الله حذره وخشى مكانه وجعل يدبر فى أبواب الخداع فوجده خبيرا فداخل عقال الكلل والملل وعدو الله صابر كلما كثر جولانه اشتد قلقه فضاق عقال ذرعا وطلب منه خلاصا وخشى أن يظهر ذلك فيطمع فيه فصبر لحد الضرر والانبهار ونظر الى الفريقين يتطاولون اليه فخشى من الفضيحة والعار أن يولى من حربه ويهرب منه (قال) فبينما هما كذلك يتطاولان ويتكافئان ويفترقان وقد أكثر اللعين مطرود من عطفاته عليه وارهاجه وارعاده اذ نار عليه أبو هريرة من ورائه وقد فوق عليه نبلة من كبد قوسه وكان راميا مصيبا وقال خذها اليك وان لم أكن لك كفؤا فهذه كفؤلك وأنت أحق بها وأولى فعطف عليه عدو الله يريده وقد أطلق أبو هريرة النبلة عليه وقد خرجت النبلة وهى هفيف فأراد عدو الله أن يحيد عنها فلم تمهله أن وقعت فى نحر عدو الله وخرجت من قفاه فسقط الى الأرض فبادر اليه أصحابه وهم ألف وأربعمائة ينظرون اليه ويسمعون حسيسه كالثور عند ذبحه أو كالبعير عند نحره وأحدق به القوم وهو لا يهدأ من صراخه فعجب عقال لذلك وسره ما فعل أبو هريرة وقال لاشل الله يدك ياأبا هريرة ولا أخذ ذكرك (ثم) ان عقالا أشار الى قومه ان احملوا فحملوا على القوم وعقال فى أوائلهم وهم يومئذ نيف وأربعون فارسا لأنهم كانوا خمسين قتل منهم فى ذلك اليوم رجال ختم الله لهم بالشهادة وحمل المشركون وقد انكسرت هممهم على عقر صاحبهم لأنه كان زمام أمرهم وحاميتهم وماحوضهم على القتال الا الضحاك ابن علقمة لعنه الله فانه أرعد وابرق عند معاينته مانزل بمطرود فقال أتى صاحبكم من أرذل الناس فانهم المصيبة عليكم فاقتلونى واقتلوهم معى فحالت الخيل عليه فقاتل عقال ومن معه قتالا شديدا (ثم قال) عقال ياقوم ان ثبتم فى أماكنكم يسيرا احتوى القوم عليكم وعلى غنائمكم وما ملكت أيديكم فيأخذونه فاطلبوا الأموال وقاتلوا القوم عنها (قال) فحمل القوم عليهم حملة منكرة فالجؤوهم الى الأموال وراء ظهورهم ثم قاتلوا قتالا شديدا وتكاثر القوم عليهم فرشقوهم بالنبل رشقا متداركا وكان القوم يتقون النبل بالجحف كالقنافذ لكثرة النبل فصبروا وصبر الكرام وقاتل اللعين

الضحاك قتالا شديدا وتطاولت بهم الأوقات وأشرفت الفئتان على الهلاك والفناء دوام القتال (قال صاحب الحديث) فبينما القوم على مثل ذلك اذ أشرف عليهم عامر بن الطفيل وهو سائر من عند رسول الله وهو راكب جواده والعبد من ورائه راكب على مطية يقود مطية مولاه فلما نظر القوم اليه كبر عليه أمرهم وخفي عليه مكانهم وقال هذا تأويل والله ماذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ألقاه في طريقي من العجائب فيا ليت شعري هل هو سائر بأهله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ خلصه العباس بن عبد المطلب وقد أدركه القوم هاهنا كما فعلوا به أول مرة ولقد بلغ منا عمر بن حمامة مالم يبلغه أحد غيره (ثم) قال للعبد خذ حذرك وجرد سيفك وكن على حذر من أمرك ثم ناهب عامر بن الطفيل ونظر الى القوم في تزايد الحرب وتأمل ماوراءهم من الأموال والنسوان والأباعر فتحقق انهم عشيرته وأهله وأقاربه فترك موضع القتال وعاد الى موضع النسوان وهو بين اليأس والرجاء ونظر القوم اليه وهم في الحرب فظنوه انه سالك طريق أو عابر سبيل (فلما) وصل الى النسوان والأموال وتأملهما واذا بر جال دوس أسارى مكتفين ونسوان عمر بن حمامة وأمواله وكلما حوته يداه فلما نظر الى ذلك سجد لله شكرا وهو على سرجه وقال اللهم لك الحمد اذ أخذت لنا بثارنا وكشفت عنا عارنا وأنزلت البلاء على الأشرار (ثم) سأل من كان هناك فحدثه بالخبر من أوله الى آخره وان عقال بن نهال قصد الحاضر فسبى أهله وماله وكان يريد بهما مكة لكن عارضه مطرود بن البحير الكلاء فحار عامر من أمرهم (قال أبو الحسن البكري) رحمه الله قال أشياخنا واسلافنا الرواة لهذا الحديث انه لما رجع عامر بن الطفيل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقى في طريقه عقال بن نهال وهو في أشد ما كان من القتال مع اللعين مطرود قال فضم عبده الى ماهناك وأوصاه بنفسه وعطف الى معمعة الحرب فاخترق العجاج ونادى برفيع صوته يا أهل الايمان والقرآن أبشروا فقد جاءكم النصر من عند الرحمن وقد أتتكم الرجال والابطال وحماة الدين وفرسان المسلمين وأنا عامر بن الطفيل الصابر الراضي لقضاء الله وقد صبرت ووصلت وشكرت الله تعالى وبلغت ومن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت وهذا النصر قد نزل عليكم من السماء كالوابل من المطر فاصبروا تظفروا واحملوا وعلى ربكم فتوكلوا (قال) فسر المؤمنون بقوله ونظر المشركون وظنوا ان النجدة أتتهم فعظم عليهم ذلك وقال قائلهم ما انتظاركم وقد أتاكم عدوكم فقال الضحاك يامعشر العرب ان صاحبكم وعميدكم قد تأخر عن الحرب وهو جريح مثقل لا يطيق حركة لما به وهو يتمرغ على وجهه من حرارة النبلة وقد علمتم انا ما أخرجناها من نحره الا بعد جهد جهيد فكونوا دونه ولا يكبر عليكم قول عامر بن الطفيل فانه كذاب مرتاب ومامعه جمع ولا عسكر ولا جمع غير أولئك البشكرى وضماد وأصحابه والقوا هؤلاء بمن معكم وجعل يحرض القوم على القتال فحملوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأجمعهم فتضاربوا وتطاعنوا بالرماح حتى تكسرت وبالسيوف حتى تفلقت وتأخذوا بالايدى وأشرف القوم على العطب والهلاك وصبر المؤمنون صبر الكرام وكثر الزحام وفلقت الهام وهشمت العظام (فلما) نظر المسلمون الى مانزل بهم من المشركين وتكاثرهم عليهم ترجلوا عن خيولهم وصاح بهم عقال الأرض يابني الكرام فجثوا حتى الأسد وألصقوا المناكب وترجل المشركون واقتتلوا قتالا شديدا وقاتل عامر بن الطفيل قتالا ذهل منه الجميع وقتل رجالا وجندل ابطالا وصبر صبر الكرام وكان يحمي عن قومه كالأسد يحمي عن اشباله وهو ينادي الجنة الجنة والنبل تأخذهم من كل جانب ومكان وقد تقدم امام المشركين أربعمائة رام ليس فيهم الا مصيب والنسوان يتصارخن ويحرضن المشركين على المؤمنين فاذا سمع المشركون النسوان اشتد قتالهم وصاح عدو الله الضحاك ياعامر ابرز ان كنت بطلا فقال عامر انا غير عاجز عنك

ثم دنا اليه وهو يقول

ما على ان أجيب لمن دعا • من شاء أسقيه سما منقعا
اذن ترانى هماما أدرعا • مشمشم الطلعة قدما أروعا
اليك عمر فى الحروب قد سعا • ليث همام فى الحروب مدرعا

(قال ثم) دلف كل واحد منهما على صاحبه وتضاربا ضربا منكرا وطلب كل واحد منهما بصاحبه عمن سواه فلم يرالناس كصبرهما وقتالهما واشتغل الفريقان بالنظر اليهما فلم يزالا كذلك الى أن مضى النهار وحجز بينهما سواد الليل وظلامه الى أن ظهرت النجوم وصبر المسلمون صبرا حسنا فافترق المسلمون وقد الجمهم العرق وداخلهم القلق وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقاتل المشركين وهو يقول

قتلت مطرودا ولا أبالى • أرسلت قصدا نحوه نبالى
فلم يحد النبل فى الارسال • مازلت أرمى نقرة الرجال
وسوف أرمى جمعهم نبالى • وسائر القوم ولا أبالى

(وكان) من أحسن الناس صبرا وقد قتل بالنبل رجالا وكان عقال بن نهال قد برز للعوام الاحوم الكلاء وكان من الأبطال المشهورين فتضاربا ضربا عظيما فصاح المشرك باصحابه فاسرعوا اليه وصاح عقال بعامر مستجيرا به فحمل عامر من مكانه وتابعه ناس من أصحابه فلم يصل الى عقال الا وقد حازه المشركون اليهم واحتوا عليه أسيرا فحمل عامر برجو خلاص عقال فلم يستطع الى ذلك سبيلا وتكاثر عليه القوم وتبادر وانحوه بالسيوف والرماح فتقهقر عامر الى ورائه وتصارخ القوم فرحا لما وصلوا اليه (فقال) لهم اللعين الضحاك أبشروا يا معشر الكرام فقد أخذتم بثار اخيكم ووصلتم اليه واحتويتم عليه وملكتم الأموال والغنائم فلو سألتم القوم أن يطلقوا لكم عمما فى أيديهم من الاسارى والغنائم والأموال وجميع ما ملكوه وتطلقوا لهم سيدهم لهان عليهم ذلك مع أن الغنائم والأموال لكم مسلمة وكسر ذلك قلوب المؤمنين بفقد صاحبهم وحزنوا عليه لانه كان فيهم سيدا وظهر لعامر ذلك من القوم (فقال) معاشر الناس لا يكبر عليكم فقد صاحبكم ولتهن عليكم أنفسكم فى الله فان متاع الدنيا قليل ولا بد لكم من الرحيل فمن قتل منكم فقد فاز لان قتلاكم للجنة وقتلاهم للنار (فلما) سمع القوم كلام عامر صبروا وقد عزهم الصبر ولم يبق لهم جلد وقد كلت السواعد وأحضرت المناكب وصاروا كالاشباح لا يتحركون كلما انتدبت لهم طائفة من العدو وقاتلت وخرجت أخرى نوبا والقوم صابرون وقد أظلم الليل وتزايد الغبار والصياح وعامر بن الطفيل امامهم يقاتل واذا تزايد عليه الأمر تأخر الى أصحابه وعدو الله الضحاك ينادى هزأ بالمسلمين ويقول قاتلوا كما أمركم صاحبكم واختاروا القتل عن الحياة حتى تصلوا الى الجنة التى وصفها لكم صاحبكم (محمد) ووعدها فلما ترك لكم (محمد) عملا تملكوا به الجنة ضل سعيكم وهلك متبعكم فما كان أغناكم وما أنزلقوه بانفسكم أردتم أن تغنموا الأموال وتملكوا ربات الحجال وتساووا بفعلكم السادات أظن عقال أنه يدرك ما أدرك عمر بن حمامة من الطفيل ليأخذ بثاره والآن فقد حصل أسيرا وعن قريب نراه عقيرا مضمخا بدمائه فاغتاظ عامر من كلامه وسبق اليه معولا على جلاده وضربه وقد مل الناس وعجزوا عن الحرب فصادمه وجالده وعدو الله ينادى لا أزول ولا أحول حتى يطلبنا واياكم الصباح لا معدى ولا قرار ولا صبر لى ولا اصطبار دون الخلائل والظعائن وصاح عامر بن الطفيل وقد انبهر من القتال ومن النزال ياويلك ان قلقك يدل على قطع عمرك من الدنيا فان كنتم بغيتم علينا بكثرتكم وقلتنا فان الله قد نصرنا عليكم ووصلنا اليكم وقد قتلنا منكم أكثر مما قتلتموه منا أضعافا مضاعفة وان كنتم وصلتم الى صاحبنا فان الحرب دول وانا لنرجو أن الدائرة لنا عليكم وانما

خاطبه عامر بذلك يطلب الراحة مما تجلله (فلما) فرغ من خطابه حمل عليه وحمل عليه اللعين الضحاك فلما آل أمرهم تقهقر عدو الله الى ورائه يطلب الخلاص من عامر (فلما) رأى عامر ذلك مال الى قومه فرآهم ثابتين على ماهم عليه وقد قرب وقت العشاء الآخرة وهم على حالهم وقتالهم فخشى على أصحابه ان تؤخذ الغنائم من أيديهم ويؤول أمرهم الى خسران فتقهقر الى ورائه (فلما) وصل الى أصحابه قال لهم أقلوا الكلام فقد صبرتم صبر الكرام واستوجبتم من الله الكرامة والانعام وقد كاب عليكم عدوكم ووصل باذايته اليكم وقد ملكوا صاحبنا وهو عندهم أسير وقد عزمت أن أعمل عملا أرضى به الجليل فهل تطيقون صبرا على ما انتم عليه ولو ساعة فقد بانت الخيل وارجوا لكم الظفر قالوا وما هو فقد فنيت ارواحنا ومامنا الا من يتوقع ان يكون مصروعا باز ائه وقد احتفر كل واحد منا حفرة من ورائه فاذا تأخر هوى فيها (قال) عامر ذلك اكثر لثوابكم وان الذى ارجوه لكم فيه فرج قريب (قال) ان أصحابكم قد احتملوا الى رحالهم وصاحبهم مثخن بالجراح كما ذكرتم وقد عزمت ان نترك القوم يقاتلونكم واسرع أنا متحائدا عنهم الى أن أصل الى رحالهم فعسى ان أصل الى صاحبنا فاطلقه من وثاقه وان وصلت الى صاحبهم عدو الله عجلت بهلاكه فيكون ذلك فرحة لنا وترحة لعدونا ونرجوا أن يكون ذلك كسرة القوم وبوارهم فما أنتم قائلون (فقال) القوم افعل ما بدا لك فلعمرى ان تم ذلك رجونا أن يكون لنا فيه فرج مما حل بنا وما فينا من له طاقة بالمسير فيساعدك قال ما أريد منكم أحد وأنا الى معاونتكم أقرب من معاونتكم الى وما أريد غير الله اكتفى به ودعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (فودع) القوم وداع من لا يعود اليهم وقال ان حدث بى حادث ووصلتم الى رسول الله صلى الله عليه فاقرؤه منى السلام وقولوا له ان عامر بن الطفيل يوصيك بالوديعة أن تكون منك ببال وأنت الخلف عليها من بعدى فنسأل الله أن يجمع بيننا يوم المعاد (ثم قال) لعبده رواح والعبد باك حزين فلما رآه قام فاتما وقبله بين عينيه وقال له لولا ما أوصيتنى به من حفظ مالك ومطيتك لما صبرت عنك فجزاه عامر خيرا ثم قال له هل لك أن تواسينى الليلة بنفسك قال أنا لك وبين يديك قال عامر اشدد عليك درعك وخذ حسامك فانى أؤمل الليلة الاسعاد والرحمة من رب العباد (قال) العبد وما أصنع بالدرع وهو يثقل عن السعى ويوهن عن الذراع قال فتجرد العبد من أطماره حتى بقى فى سراويله وجعفته فى يده وقال سر بنا الى ما عزمت عليه فسر عامر بفعله وسار أمامه واتبعه العبد وقد اعتزلا ناحية اذ نظر عامر الى شخص يتبع أثرهما فى الظلام فوقف لينظر ما هو فوقف الشخص لوقوفه فانكر عامر ذلك أشد الانكار وقال هذا أمر مريب لا شك فيه (ثم) ترك العبد واسرع مهرولا اليه وقال من أنت ثكلتك أمك وعدمك قومك فسكت ولم يجبه شيأ فزاد انكاره فهز حسامه وهم أن يضربه وقال يا ويلك تكلم وانطق قبل أن تؤخذ هامتك (قال) أنا صاحبك أبو هريرة قال عامر والى أين أردت فى مثل هذا الوقت الذى تكل فيه الشجعان وتهلك فيه الأبطال قال أردت صاحبى قال ومن صاحبك (قال) مطرود وأنت تطلب عقالا تخلصه من الأسر وقد كنت رميته بنشابة فلم تكن قاتلة وانى أريد أن أجهز عليه لئلا انسب الى العجز والتقصير فتعجب عامر مما سمع ولم يكن يعرفه فى حاضره بالشجاعة وانما كان مستظرفا فقال له عامر سر بنا على بركة الله تعالى (ثم قال) اللهم كن لأهل دينك معينا ولا تخذلنا وانصرنا على القوم الكافرين ثم صار امجدين وعلى الله متوكلين قال وكان القوم لما ملكوا عقال بن نهال وأخذوه أسيرا أقبلوا به الى قومهم وساقوه الى صاحبهم مطرود وهو يضج من صياحه وصراخه من ألم النبلة التى أصابته فاقبلوا به اليه وقالوا ابشر فقد أخذنا بثارك هذا صاحب القوم والمشار اليه ورئيسهم عقال بن نهال وقد أتيناك به أسيرا فافعل به ما تريد (قال فلما) رآه قل من صياحه

وتجددت أفراحه فقال ومن أسره فقالوا ابن عمه العوام بن الاحوص قال لقد زف الى يدا لا أكافئه عليها أبدا وما أظن انى بناج بعد هذه النبلة ثم أوثقوه عقالا وساقوه أسيرا ذليلا وتركوه بازائه لتكون رؤيته عونا عما هو فيه وقوة لنفسه ثم انطلقوا عنه وتركوه وليس معهما الا رجل خلفوه فى رحالهم يحفظ ماهنالك ويحفظ مطرود (فلما) مضوا عنه وتركوه أقبل على عقال وقال له يابنى يشكر أكنتم تظنون انه يذهب دمى ضياعا ويغفل قومى عما صنعتم بى من غدركم وظلمكم أما أنا فقد كنت وصلت اليكم وقدرت عليكم لولا الشيطان الأفرق الذى حال بينى وبينكم وكان أبو هريرة أفرق الثنية وما كنت أظن الا ان الحق أولكم بآخركم فان يطل عمرى ويزل عنى ما تجللنى من الألم لم أقنع بمن رمانى ان أقتله ولا أطلب ثارى الا من صاحبكم (محمد) واما أنت فاذل وأهون وأحقر أسير ولا تظن انى أقتلك بما حل بى لأن الرجال بالاكفاء وانما عظم على ما ناله منى وأكبر شئ بليت به انى غضبت لقومه وهو الذى طلب قتلى وهلاكى فانهم بروحك باقى ليلتك الى أن يرجع قومى الى فقال له عقال فأين أنت ياعدو الله من دوائر الزمان تدور عليك ونقم الله تنزل بك حتى أراك هالكا قبلى مضمخا بدمائك واهى القوى كثير الأذى تظهر الجلد وتخفى الكمد (قال) فبينما هما فى العتاب ومطرود ينظر أصحابه أن يعودوا اليه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قرب منهما عامر بن الطفيل وصاحباه وهم يستمعون خطابهما فالصق عامر صدره الى الأرض كأنه من بعض أحجارها وهو امام صاحبه عقال وهو موثوق ومطرود بازائه جريح وجريج بن رافع صاحبه يعلله فسر بذلك ورجع الى صاحبيه فقال لهما ابشروا بالظفر والنصر ما فى رحال القوم الا صاحبنا معقولا وصاحبك جريحا وحارس لهما هنالك فيقصد كل واحد منا واحدا منهم (قال) أبو هريرة اما أنا فما أريد غير صاحبى ومدانى وأنت ياعامر لصاحبك واطلاقه من وثاقه وعبدك لمن هنالك (قال) فاجمعوا الآن مضاربكم فاذا قربتم من القوم فاسرعوا اليهم واياكم أن تمهلوهم الصرخة فيأتينا منهم ما لا طاقة لنا به فأجابوه الى ذلك ودنوا منهم فسمعوا صوت اللعين مطرود وهو يقول لقد صبر اللئام على مناضلة قومى (ثم) عطف على أطراف أنامله وقال ياليتنى مشاهدهم وأنا صحيح الجسم معافى من الأذى حتى أفلق الهام وأهشم العظام من كل بطل ضرغام (قال) فما استتم كلامه حتى دهمه القوم من كل جانب ومكان فلما رآهم قال ما كان من أمركم وهو يظن انهم من قومه لقد زادنى الحزن فيما أراه من صبرهؤلاء اللئام وأورثنى السقام فاعترضه القوم بالسيوف فقال من أنتم قال عامر ياعدو الله وعدو رسوله انا عامر بن الطفيل وهذا أبو هريرة ورامية بالأمس أتاك ليهجم عليك فقال عقال من موضعه الى ياعامر فقال أبشر اليك أتيت ولخلاصك سعيت (ثم) عطف نحوه ومال العبد الى جريج بن رافع ومال أبو هريرة الى مطرود فصاح يا ابن الطفيل سألتك بمعبودك الا ما توليت قتلى ثم علاه بالسيف على هامته فسمها نصفين وأطلق عامر صاحبه عقال بن نهال وضرب العبد جريج بن رافع ضربة هائلة فلق هامته وبلغهم الله آمالهم فاقبل عامر على أصحابه فقال اسرعوا بنا الى أصحابنا فانا تركناهم فى جهد جهيد وحرب عظيم وقد تزايدت عليهم الأمور من عدوهم فارجعوا بنا اليهم (قال) عقال أفلا نعمل عملا نرجو به اتمام الفرحة وزوال الترحة قال عامر وما هو قال نعطف فى أدبار القوم ثم نفترق يمنة ويسرة ونكبر من أماكننا ونرجو الله أن يلقى بأسهم بينهم ويفرق جمعهم فانه ظلام فاذا سمعوا التكبير يظنون أن جماكبهم أو عساكر امدادهم فيولون الادبار ونكشف عن اخواننا ما تجللهم من الاضرار فقالوا ان رأيك أفضل وقولك أجمل (ثم) عطف القوم على أدبارهم حتى اذا قرب القوم اعتزل عامر فى جانب وعقال فى جانب وتواعدوا اذا سمعوا تكبير عامر يكبرون جميعا من أماكنهم (قال) ففعل القوم ذلك والكفار فى تزايد القتال

وقد ضاقت عليهم المذاهب والمؤمنون تحت القلق والجهد وقد تطاولت أنفسهم الى ما يكون من عامر فهم يستمعون (قال) فبينما هم كذلك اذ كبر عامر بن الطفيل من مكانه وكبر عقال من مكانه وكبر أبو هريرة من مكانه وكبر العبد من مكانه فقال عامر الله أكبر احملوا يا معشر المؤمنين على المشركين فقد أتاكم النصر من عند رب العالمين وكبر القوم من أماكنهم (فلما) سمع القوم التكبير عن ايمانهم وعن شمائلهم ومن بين أيديهم ومن خلفهم فلم يشك القوم أن الذى وعدهم عامر من أهل الحرم قد هموهم فتفرق جمع القوم وتشتت جموعهم والقى الله بأسهم بينهم وكانت ليلة شديدة القتال فجعل القوم يقتل بعضهم بعضا ومضى المؤمنون الى أصحابهم فوجدوهم وقد أدركهم أمر عظيم من عدوهم غير أن الله قد فرج عنهم بعض ما كانوا فيه عند ما سمعوا التكبير والتهليل فعلموا انه من عند عامر وصاحبه فبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم عامر بن الطفيل وعقال وأبو هريرة ورواح وأبو هريرة يحمل رأس عدو الله مطرود فرمى بالرأس اليهم وقال هذه رأس عدو الله مطرود ونظر عقال الى أصحابه وقد مالوا اليهم والقوا أنفسهم أمامهم صرعى لما بهم وقد أمنوا بعد الهلاك (فقال) لله دركم من فتيان أكسبهم الجهاد ثوابا وأمنهم عقابا قال والمشركون فى الصياح والصراخ فما تسمع الا وقع السيوف على الجلف كوقع البرد على الصفا فلم يزل القوم كذلك الى أن مضى من الليل أكثره وبقى أيسره وقد أفنى القوم بعضهم وعدو الله الضحاك يسمع له صراخ وهو ينادى اقتلوا العداة الكفرة ولا يكبر عليكم أمرهم (قال فلما) مضى من الليل أكثره وبقى أيسره وقد أفنى القوم افترق بعضهم من بعض فكان القوم ألفا وأربعمائة فنظر الضحاك فاذا هم لم يبق منهم الا نحو الخمسين ومائة وهلك الباقون ولم يروا وقت تفرقهم بازائهم أحد فقال لهم ويلكم انما قتلتم أنفسكم بايديكم وأنتم فى ليلتكم تقتلون قومكم وان هذه لمعيرة عليكم ما بقيتم (ثم) رجع القوم الى رحالهم فنظروا الى صاحبهم مقتولا وقد أخذ رأسه وأفلت عقال فتداعوا بالويل والثبور فلم يزالوا فى أماكنهم الى الصباح فاذا الأرض مملوءة من قتلاهم وأصبح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الراحة والسلامة وقد استراحت أبدانهم وتجدد نشاطهم وأنعم الله بخلاص صاحبهم وهلاك أعدائهم وقد زادهم ذلك ايمانا ويقينا (فلما) أصبحوا أقبل عليهم عامر بن الطفيل وقال لهم يا قوم انكم أوليتمونا شكرا لم يولنا أحد غيركم مثله ولقد أسلمنا الحبائب والأقارب وبكم وصلنا الى ثارنا وكشف الله عارنا وان القوم بازائنا لم يرتحلوا ولم يزالوا وقد قتل الله أكثرهم وبقى أقلهم فهل ترون يا معشر الناس ان نباكر القوم ونستعين عليهم بالله سبحانه فالذى نصرنا على الكثير قادر أن ينصرنا على القليل فقالوا له نحن لك وبين يديك (قال) عقال لكم غضبنا ولما عند الله طلبنا فلا نزال نقاتل هؤلاء القوم أو يأذن الله بهلاكهم ثم نعود الى أبيك فلا شك انه فى تزايد الضر وكثرة الاذى مع صاحبنا جبل الشر مرهج بن وهاج وان هذا اللعين الضحاك هو الذى استصرخ بنا الى حرب أبيك فأحب الله لنا السعادة فبكى عامر عند ذلك وقال ما يكون من حال فارسين مع أربعة آلاف فارس والله انه لفى كرب عظيم وما تركته الا وحيدا فريدا ومعه خليله صفوان وقد أشرف عليهما صاحبكم وما أدرى ما كان منهما بعد فبادروا الى هؤلاء القوم لنعمل على حسب ما نراه فاخذ القوم فى أهبتهم وتقدم عامر أمامهم فعباهم تعبية الحرب وعزم على الحملة اذ خرج بين المشركين ناغل بن عكرمة الكلابى وكان شجاعا له منظر وهيبة وعقل (فلما) ان خرج اقبل يسير على مهل وهو متقلد سيفه لم يجرده الى أن وقف بازاء القوم ثم صاح باعلا صوته يا معشر القوم كفاكم من سفك الدماء ولو كان باغض أو شامت ما اراد من الفرحة والسرور اكثر مما بكم وما الزمتموه أنفسكم (ثم) قال أين عامر بن الطفيل فليخرج الى حتى اخاطبه بخطاب يكون فيه الصلاح فخرج

اليه عامر بن الطفيل (فلما) قرب منه وقف قريبا وقال له حبيب يا ابن الطفيل فانا لسنا من اعدائكم ولا من اوليائكم ولو رجعنا على اعقابنا وتركناكم وما انتم عليه ما سفكت الدما بيننا وبينكم وعاديتم بعضكم بعضا ولعمري ان عمر بن حمامة اخطأ في بداية الأمر فاخذ الأموال والنسوان وقد ذكرنا ان الخلق متكاثرة على ابيدٍ وهو وحيد ليس معه نصير وقد قتلتم من القوم من قتلتم ونسوان القوم في ايديكم ونسوانكم في ايديهم والناس في كثرة وعدد وابوك قليل الناس بما اختاره لنفسه من دين (محمد) واني ارى الصلح أصلح في الحالتين وأن يطلق القوم لكم نسوانكم وتطلقوا لهم أنتم أموالهم ونسوانهم ويقع الصلح بينكم وبينهم ويرفع السيف بينكم فان شئتم أن تكونوا للقوم مجاورين فكونوا وان أبيتم الا ان تكونوا ظاعنين فافعلوا ولكم دينكم الذي ارتضيتموه لأنفسكم وهذا رأيي ولكم رأيكم (قال) عامر ما كرهنا ذلك ولقد سعى في ذلك ضماد بن عنترة الأزدي وأصلح بيننا وبينهم فلما افترقا غدر بنا عدو الله وأخذ أموالنا ونسواننا فلما رأيناه فعل بنا ذلك فعلنا به كفعله بنا وأنا أرحل بنسوانه وأمواله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أطلق لنا نسواننا وأموالنا أطلقنا لهم نسوانهم وأموالهم (قال) ناغل يا عامر ان (محمدا) لا يرضى بذلك ولا يسلم من يده كافر ولا نسوانه أبدا فان دخلت النسوان الى مكة لم يطلقهم (محمد) أبدا لكن أدعوك الى أمر قريب (قال) وما هو قال نقيم مكاننا ونستند الى بعض الاودية أو الجبال ونضم اليه هذه الأموال ولك الأمان من قومنا ومن كل طارق يطرقنا في هذه الأرض وأسير أنا وقومي وقد هدرنا عنكم هذه الدماء التي سفكتموها لا تطالبون بها لأن قومي أعلم بما فعلوه وأعطف أنا الى عمر بن حمامة فاعقد منه العقد وآخذ معه العهد أنه لا يغدر ولا ينكث وان يطلق لكم نساءكم وأموالكم وتطلقوا له أنتم ما في أيديكم مما أخذتموه (قال) عامر قد أجبتك الى ذلك وما أخالفك فاجابه الى ذلك قال فرجع ناغل الى قومه وأعلمهم بما اتفق عليه مع عامر بن الطفيل فارتحل القوم راجعين نحو عمر بن حمامة وضم عامر بن الطفيل الأموال والغنائم وما حوته سيوفه من مال دوس فحصنه في وادي العلق وهو وادي ليس فيه منفذ الا من جانب واحد فأنزل الأموال والنسوان فيه ونزل برحاله من خارج الوادي ينظر ما يكون من أمر ناغل بن عكرمة وما وافقه عليه من الصلح وهو أشد الناس قلقا على أبيه (هذا ما كان حديث عامر) بن الطفيل حين خرج من عند أبيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما ما كان من أخبار الطفيل فانه لما فارقه ولده عامر كما تقدم في الحديث أولا اشتد قلقه ولما وصل عامر من عند أبيه اغتم غما شديدا وبكى لفراقه وقال الآن كبر همي وكثر غمي وذهب أهلي ومالي وولدي وقل ناصري فما نال أحد ما نالني اللهم الهمني الصبر على بلائك والتسليم لقضائك والشكر على نعمائك ثم قام يصلي طول ليلته راكعا وساجدا فتارة يصلي وتارة يدعو وتارة يبكي وصفوان يبكي لبكائه والمشركون في أماكنهم قد امتلأ عسكرهم من الفرح والسرور ربما كان من تزويج مرهج بن وهاج بابنة عمر بن حمامة وهم لا يعلمون ما كان وما قدر في الغيب وهم يتوهمون ان الأزد باتوا بازائهم وقد قال جبل الشر لعمر بن حمامة انه لا يسل سيفا للحرب حتى تأتيه رسله بان الجارية قد وصلت الى حيه (ثم) ان الطفيل وصفوان استندا الى مكان يسترهم من عدوهم وهم مشرفون على عدوهم وأصبح المشركون ولم ير والطفيل ولا لمن كان معه خبرا فسر القوم بذلك وسبقوا بالبشارة الى عمر بن حمامة والى مرهج بن وهاج (قال) لو ثبت القوم في أماكنهم ما مددت اليهم يدي ولا جعلتهم قصدي ولا أكترث بهم وأنا على ما ضمنت لك على اني ما أجعل مهر ابنتك الا (محمد) بن عبد الله وابن عمه عليا ولا حملت أموال الأزديين الا على أعناقهم يحملونها الى ابنتك ولا رجعت من طريقي حتى أسير الى الأزد (ثم) أعطف الى مكة فأتيك (بمحمد) وعلى

وحمزة وأبطال بنى هاشم وما أنا منتظرا الا الى رسلى ورسلك أن يعودوا الى قال عمر يا أبا المنايا أتأمرنا أن نبعث بهذه الأموال والغنائم الى حاضرنا قال مرهج ان العزم أولى ما يستعمله اللبيب العاقل لا تأمن على هؤلاء النسوان والغنائم من مغير يغير علينا فيأخذها واذا نظر اليها رئيس من العرب فلا يصبر عنها (قال) فما ترى من الرأى قال لست بزائل حتى تعود الرسل الينا فنعمل على حسب ما نراه وأقام القوم فى أماكنهم يومهم وليلتهم وكل ذلك بعين الطفيل وصاحبه صفوان فلما جنهم الليل أقبل صفوان على الطفيل وقال يا صاحب الخبر ان القوم بازائنا نزول ولا شك ان مرهج قد آلى على نفسه الا يحارب الا أن تحمل اليه ابنة عمر بن حمامة وهو منتظر لذلك وقد رأيت رأيا فما ترى فيه (قال) وما هو قال صفوان انى كنت أعرف قبائل العرب يعظمونك ويرفعون قدرك وهم منك قريب فهل تأذن لى أن أسير اليهم فى ظلام الليل فى ليلتى هذه واستنجدهم لنصرتك وأخبرهم بمنازلتك فيكونوا لك عونا على هؤلاء الأرذال قال له الطفيل انى أخشى أن لا يجيبوك فيكون ذلك أشد على منازلتى (قال) له صفوان ان الذى كنا نؤمله من الأزديين قد فات وقد رجعوا عنا ولدك قد مضى فى طلب زوجته ونسوانك معتقلات فى الأسر وأنت وحيد فان أراد الله بك خيرا رجوت أن ينصرك ناصر فدعنى أكون أنا السائر اليهم وألقى نفسى عليهم فان أجابونى والا عملنا على حسب ما نراه وأسير أنا الى عمر بن حمامة واذكر حقك وفضلك فلعله يرجع عما هو فيه أو أسير الى (محمد) بن عبد الله فاذكر له ما أنت فيه وما أصابك فلعله أن يدعو لك دعوة يكون لك فيها خير (قال) له الطفيل افعل ما بدا لك ولا تبعد عنى أخبارك فانى منتظر اليك فقال صفوان يا أخى انى مشغول القلب باحوالك ولن أعود اليك الا بما يسرك ان شاء الله تعالى (قال) فلما انسدل الظلام ركب صفوان جواده وسار وهو يقول

أسير ولا أدرى الى أين أقصد * أرجى فتى حامى الحقيقة ينجد
يغير نسوانا طرقن سفاهة * وغادرهم ريب الزمان يبدد
فياليت انى هالك لا أرى الذى * رأيت على قومى وبال مجدد
ترانى أعيش يوما أرى فيه صاحبى * طفيلا عزيزا قبل يوم يجدد

(قال) وصار صفوان يفكر أين يقصد من قبائل العرب ثم قال ما أقصد الا بنى مازن وبنى الأزد ودوسا من الازد (قال) فقصد الى حيهم فسأل عن حكيم بن مطيع فوجده جالسا وحوله جماعة من قومه ركبانا على خيلهم فلما نظروا الى صفوان ترجلوا له وقربوه وسألوه عن حاله ومقصده فقال يا بنى العم انكم تجدون الابعد فكيف الاقرب وهذا صاحبكم الطفيل بن عامر قد نزل به العدو عمر بن حمامة وقومه أخرجوه من دياره ونهبوا عياله وماله ونسوانه وتركوه شمانة للاعداء وقد بعثنى اليكم يستنجدكم ألا تراعون له الجوار والقرابة فلا تسلموه فى وقت الشدة لان الكريم يحفظ الكريم ولا ينسى له الفعل القديم (قال) فأمسك القوم عن جوابه وجعلوا ينظرون الى صاحبهم وسيدهم حكيم بن مطيع فقال له ان الطفيل عندنا بالمنزلة التى ذكرت وله فضل وحق لا تنكره الا انه صبا الى دين (محمد) وترك دينه ودين آبائه وأجداده فالذى به قليل ولقد خلط على نفسه فقال صفوان ان الطفيل رأى الحق فاتبعه ورفض الباطل وكرهه قال حكيم لعلك يا صفوان صبوت الى دين (محمد) قال له والله ما صبوت وما أنا بصابى وأشهد لمحمد انه ما كذب فى صغره ولا فى كبره وانما عانده قريش حسدا له وبغيا عليه ولئن ادعى (محمد) النبوة فانه أهل لذلك وبه تليق الرسالة لانه شرف كريم فى حرم كريم فقال له حكيم مالك وللطفيل عندنا معاونة ولو لا معيرة العرب لقتلناك وكفينا عمر بن حمامة أمركم فانصرف عنا ولا تعد علينا بمثل هذا المقال فرجع من عندهم القوم خائبا فقال والله لاحملن

فى خليلى كل أذى حتى أجد له ناصرا ومعينا ثم انه تركهم وعدل الى بنى عمرو بن الازد فذكر لهم ماذكر لبنى مازن ودعاهم الى نصرة الطفيل وأخبرهم بخبره فحثوا فى وجهه التراب ورموه بالاحجار وقالوا له اخرج عنا ولا تنطق لنا بمثل هذا الكلام والا قتلناك فانه قد وصل الينا ان الطفيل قد صبا الى دين (محمد) فخرج من عندهم وقد تزايد عليه الامر وغلب على عقله الهم وانصرف من عندهم وهو يقول

لهنى على سيف أضرب به * رقابكم طولا وعرضا

(قال) وأجمع على الرجعة (ثم) قال والله لارجعت خائبا ولاحتملن فى حق خليلى كل ضر وبأس ثم عدل الى بنى مالك الازدى فلما قرب منهم وأخبرهم بخبره ردوا عليه أقبح الرد وقالوا له ياويلك أتأمرنا أن ننصر رجلا صبا الى دين (محمد) وجردوا سيوفهم وهموا بقتله فخرج به جواده كالبرق وولى هاربا ونجا منهم ثم قال والله لا أبالى بهلاكى فى حق صاحبى الطفيل ولم يقدر له على شئ ثم عطف على أثره راجعا وقد اصفرت الشمس للغيب فنظر عن يمينه الى دخان كثير قد علا فى سفح الجبل فقال والله لأعدلن الى هؤلاء القوم فسار نحوهم فلما قرب منهم اذا بفرسان قد برزوا نحوه وأشرفوا عليه (فلما) قرب منهم حياهم بتحية الجاهلية وقال لهم أهلا وسهلا بالعالين فى الرتب فردوا عليه بالتحية وقربوه فقالوا له انزل بالرحب والخير فمن أى الناس أنت أيها الرجل (قال) صفوان فخشيت أن أكشف لهم أمرى فيلحقنى منهم ما لحقنى من غيرهم من الوثوب على فقلت لهم انى رجل مستجير ارتجى منكم نصيرا أو مجيرا قالوا ولمن أنت مستجير فقال ياقوم من أى الناس أنتم قالوا نحن من بنى سارية ونحن راحلون نبغى بلدا حصينا نسكنه كثير الماء كثير الكلأ نجاور به قوما كراما فمن الذى أنت له مستجير تطلب له نصيرا (قال) صفوان ان بحتهم سرى خفت منهم فقلت لهم ياقوم انى رجل مطلوب فهل لى منكم الذمام فقال قائلهم لك الأمان والذمام فقال ياقوم انى رجل لى خليل على حق أوجبه وعهد لا نكذبه غاب عنى أياما ثم أتانى فذكر انه وفد على خير الأنام من بنى هاشم العظام يقول انه رسول من الملك العلام بعثه الى العرب فدعاه الى ربه فأجابه الى ما دعاه اليه وأرسله الى قومه يدعوهم الى هذا الدين الذى دخل فيه فلما ورد عليهم هموا بقتله فخرج من بينهم فاتبعوه ليقتلوه واستجاشوا عليه وأخذوا حريمه وماله وهتكوا اسجافه ولم يعرفوا له حق القرابة ولا حق النسب وقد تركته فى حرب السيل وحيدا فريدا يطالع أهله وحريمه من بعيد لا يجسر أن يدنو منهم ولا يخاطبهم بل يخفى نفسه فى الكهوف والاوعار ينتظر معينا أو مغيثا أو مجيرا يخلص أهله وماله قالوا ومن هذا الرجل الذى ذكرت انه لك خليل ومن أى الناس هو قال هو الطفيل بن عامر الدوسى سيد دوس وشريفها قالوا له هو الصابى الى دين (محمد) الداعى قومه الى هذا الدين الذى يفرق الشمل ويقتل العشيرة والأهل قلت نعم قالوا فهل أجبت أنت الى ما دخل فيه (قال) صفوان قد أجبت وأنا باذل روحى دونه أو أصل الى خلاصه مما عرض له قال فأقبل عليه رجل من القوم وقال له اعدل معنا الى الحى نعطيك فوق مأمولك وننصرك ونصر خليلك فقال لهم ياقوم قولكم هذا حقيق العهد أم مفسوخ العقد لا ذمام فيه ولا أمان قالوا له ياويلك وأى ذمام لك ولصاحبك عندنا وأنت كصاحبك مائلان الى هذا الذى ملأ الاودية والاقطار امض لأمرك فلولا أنك عابر سبيل لقتلناك فعطفت عنهم وانا محاذر منهم (فلما) بعدت منهم وامنت من شرهم جعلت أسير وأنا لا أصدق بنجاتى فقلت ارجع الى صاحبى ومالى معين ولا ناصر فيا ليت شعرى أى ركن أستند اليه فكيف أمنع عنه بجهدى ومالى ونفسى فعز يز على أن خليلى لا ناصر له (قال) ثم سرت فبينما أنا كذلك واذا بفارس عارضنى شاك فى سلاحه على جواد كريم فلما نظر الى رفع لثامه ودنا منى فسلم على فرددت

عليه

عليه السلام فقال من أين أقبلت فقلت من عند اخواني وهم نازلون دون هذه العوام وهم منتقلون الى بلد يشتون فيه (قال) ومن أى الناس أنت ومن هؤلاء القوم قلت من بنى سارية قال انى أظنك لست منهم وانك من قوم غيرهم فلما استخبرتك أشرت اليهم لئلا تظهر لى أمرك لست من دوس خرجت تطلب بحيرا وناصرا على عمرو بن حمامة لأجل الطفيل بن عامر أمالوانى لقد لحقتك عند القوم لأمرتهم باهراق دمك وقلع أضراسك (قال) فقلت له أيها الرجل ومن أين لك انى من دوس وما رأيتنى قبل اليوم ولا رأيتك فما أظنك الا كاهنا شديدا أو شيطانا مريدا فان كنت من الكهان أو من مردة الشياطين العاصين للرحمن فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم وعليك الخزى واللعنة من (محمد) صاحب القرآن فاذهب يا رجيم الى عذاب الجحيم (قال) صفوان فما أتيت على آخر كلامى حتى غاب اللعين عنى فتعجبت من ذلك فقلت لقد عادانا الانس والجان لمحبتنا (لمحمد) صلى الله عليه وسلم اللهم أرنى برهانه ومن على برؤيته وارزقنى الدخول فى دينه واحشرنى فى زمرته مع أهل محبته (قال) ثم سرت لا أدرى أين آخذ وقد ضاقت على الأرض بما رحبت وغابت الشمس واظلم الليل (قال) فبينما أنا سائر سمعت وثبة الأسد فقلت أحيد عنه لئلا يعوقنى عن طريق فجعلت أتحايد عنه وأتباعد منه واذا به بين يدى وقد قعد على ذنبه فلاح لى لمعان عينيه فى الظلام كانهما جمرتان فوقفت عن المسير وحس الجواد به واذا هو أسد هائل كانه بعير نازل بمخالف فصحت به تنح يا خبيث ان كنت من الوحش فانى سالك طريق وعابر سبيل ومالك الى من سبيل لأنى مستجير برب عظيم ورسول كريم يمنعنى من كرب وسقام ويطرد عنى كل وحش وهوام وهو رب الأنام الواحد العلام (قال) صفوان والله ما عبأ بكلامى ولا تنحى عن طريق بل أجم للوثبة فجردت حسامى وجعلت جفنى امامى وتوقيت وثبته فأنا كذلك اذ وثب الى وقد الويت عنان جوادى واذا هو قد انقض على كالجبل العظيم فلقيت وثبته وقد أدركته فضربته بالحسام فوقعت الضربة على ذراعيه فبريته بالحسام كبرى القلم فسقط الى الأرض وزعق وزأر فوثبت عن جوادى وضربته ضربة هائلة على هامته فسمته نصفين وحمدت الله الذى نجانى منه ورجعت الى جوادى وأنا مفكر فيما ورد على من المحن وما لقيت من سفهاء العرب وما بليت به من الانس والجن والوحش وعمى على صاحبى الطفيل أعظم مما لحقنى فقلت يا ليتنى أجد له بحيرا ولا أبالى بما نزل بى (ثم) عمدت الى جوادى واستويت عليه وأنا لا أدرى أى طريق أقصد فقلت أعود الى هذا الطود فاستقى جوادى أبيت فيه الى غداة غد وأسير الى صاحبى أو يقع لى فرج من ربى فعدلت الى غدير ماء كان عن يمين الطريق فسقيت جوادى وغمت فما انتهى الا حر الشمس فركبت جوادى وسرت فاشرفت على أحياء مفترقة وقبائل مجتمعة وأموال عظيمة وبيوت كثيرة فتعجبت من كثرتهم وأطلت النظر فيهم وأردت أن اخترقه فخشيت أن ينزل بى منهم ما نزل بى من غيرهم فبينما أنا كذلك اذ نظرت الى فارس من القوم وقصد نحوى بالطلب وقد أطلق عنانه وهو يقول

رحبا وقربا بفتى لا ننكره ● لعله ضل عن الطريق فنخبره
أو طالب معونة فننصره ● أو معدم من ماله فنخبره

(فأجابه) صفوان بقوله

أتيت من عند فتى لا تنكره ● قد شاع فى الناس جميعا خبره
عاداه أهله وأحموا أثره ● ما ان له فى الناس خل ينصره

فقال له الفارس وقد كشف عن لثامه اكشف لنا عن حقيقة الأمر فقال له صفوان أخشى أن أطرق من جنبتكم بسوء فلى الأمان (قال) نعم منا الأمان ومن كل ما تراه فى هذه الأحياء الذمام

فانهم طوع لأمرى فقال صفوان ياسيد العرب انى رجل من دوس وكان لى صاحب عظيم المقدار وانه خرج فى بعض أسفاره الى مكة فاخبرنى انه لقى بمكة رجلا يزعم انه نبى واسمه (محمد) بن عبد الله سيد بنى هاشم أرباب المواسم فأجابه صاحبى ودخل معه فى دينه فلما رجع الى دوس واتصل بهم خبره وعلم بذلك سيدهم عمر بن حمامة عاندوه وأخرجوه من حيه وطردوه عن وطنه (ثم) سار وا فى أثره فأخذوا الأموال والأولاد وتركوه فقيرا لا مال له وانى أتيت الى قوم استنصرهم ففاتنى منهم كل ما أملته وأتانى منهم كل مكروه فقصدتكم أرجو نصرتكم ومعاونتكم فان فعلتم فأنتم أهل لذلك وان أبيتم فلا جناح عليكم (قال فلما) سمع الفارس ذلك من مقالته قال له أبشر بلغت أملك ولك الاجابة الى ماذكرت نساعدك فى أنفسنا وقومنا فقال صفوان أيها السيد الفاضل فامنن على وأخبرنى من أى الناس أنتم قالوا نحن قضاعة بن حمير أرباب الأكاليل والتيجان وملوك الزمان وهذا موضع صيفنا فاذا أدبر الصيف وهجم الشتاء انتقلنا الى مكاننا وأنا القائم بأمر هؤلاء الذين تراهم هنا من القبائل والمتولى حمايتها ورعايتها وأنا مسعود بن جماهر العلمى (فقال) له صفوان حييت ومن المكاره وقيت ثم سار معه فلما نظر القوم الى سيدهم أقبل يسائل صفوان ويسايره خفى عليهم مكانه فقال لهم سيدهم يامعشر العرب من كان قويا فليأتنا بما حضره من الطعام (ثم) أمر بعقر بعيره وأخذ من أزواده وحمل كل واحد منهم ما خصه من الطعام وجلس القوم يأكلون معه (فلما) فرغوا من الطعام قال لهم مسعود بن جماهر يامعشر قومى وعشيرتى أليس تعلمون أن لهذا الطعام حرمة وذماما ان هذا الرجل أكل طعامكم وتذمم بذمامكم وقصدكم دون غيركم وطلب مساعدتكم على رجل عدا عليه أهله وأقاربه فأخذوا ماله ولم يغنهم ذلك حتى مدوا أيديهم الى نسوانه وبناته وأخذوهن سبايا وقد أجرته ونصرته فأصلحوا شأنكم واعزموا على المسير فانى راحل بكم عند نزول الهجمة (قال) فتفرق القوم فى اصلاح شأنهم حتى اذا كان الوقت الذى رسمه لهم صاح مناديه بالرحيل فتبادر القوم وركبوا خيلهم بالسلاح الشاكية وركب سيدهم وجعل يتأملهم ويقول يافلان تقدم ويافلان تأخر الى أن جرد من القوم ألفى فارس صناديد أبطالا وأمر الباقين بحفظ الحى وأوصاهم باليقظة وسار صفوان بين يديه وجعل مسعود يقول

لنا الفخر القديم اذا ثمينا ● له الملك الصميم على الدوام
ملكنا الأرض شرقا ثم غربا ● ونحن أعز من عرب كرام
نجير الخائف المرعوب حتى ● يعود مكانه بين الأنام
وان سألتم عنا يوم حرب ● فنحن الصائلون لدى الزحام
ونحن الضاربون بكل عضب ● ونبدى الهام ببيض الحسام

(قال) وسار يجد السير الى أن قربوا من الموضع الذى فيه الطفيل فقال له صفوان ياسيدى انى تركت خليلى قد أخفى مكانه حذرا من أعدائه أفتأذن لى أن أسير اليه وأبشره بقدومكم ومعاونتكم قال مسعود بن جماهر افعل ما بدا لك قال فاقبل صفوان الى الطفيل فوجده ساجدا راكعا متضرعا وباكيا وداعيا فناداه ياخليلى أوجز فى صلاتك فقد أجاب الله دعاءك وهذه قضاعة قد أتتك وسيدها مسعود بن جماهر العلمى وأرجو الفرج من الله قال فأوجز فى صلاته وركب جواده وأقبل مع صفوان (فلما) وصل اليهم قال يامعشر القوم المستعان بالله ثم بكم وصار يبكى ويشكو الى عشيرته قال مسعود بن جماهر حسبك من البكاء والشكوى فأنا آخذ لك بثارك ممن ظلمك فجعل صفوان يشكو اليه ويصف أمر الطفيل حتى اذا قرب الصباح أمر مسعود بن جماهر أصحابه بالتأهب للقاء العدو ففعلوا ذلك وعزموا على الحملة فقال له صفوان يا أبا الصباح انى رأيت رأيا

أرجو أن يكون لنا فيه فرج قال وما هو اكشف لى عنه فقال ان هذا اللئيم عمر بن حمامة كان قد أرسل الى حاضره خمسين فارسا يسلمون ابنته الى رجل قد أجابه يقال له مرهج بن وهاج البشكرى ولعلك عارف به وقد أرسل هو أيضا خمسين فارسا أخرى من بنى بشكر يستلمونها منهم وقد وصلوا بهم الى حيهم وقد ابطؤا بالرجعة الى صاحبهم فان رأيت أن تضم الى مائة فارس من قومك ونتقدم بهم فعسى أن يمكننا الله منهم ويتوهموا انا رسلهم فيكونوا مطمئنين الينا ومن جنيبتنا وأنتم على اهبة ويقظة من ورائنا فان قدرنا على عمر بن حمامة أو مرهج بن وهاج فهو المراد وان تكن الاخرى فنرجو ان لا نخيب من أحدهما أو ممن يقوم مقامهما وصرخنا بكم فدرنا بهم من كل جانب ومكان (قال) مسعود بن جاهر افعل ما بدا لك مع انك ذكرت رجلا هو عنده اسمه جبل الشر وهو لا يطاق فى الحرب وقد ملا احياء العرب صياحا فى عرصاتها ونرجو ان تصل اليه ثم افرد من قومه مائة من صناديدهم (فقال) اصفوان خذ حذرك واحترز لنفسك وانظر اما مك ونحن ننتظرك فاذا سمعنا النداء أقبلنا اليكم فان انكسرت هذه الكتيبة التى معك لم آمن ان ينكسر الجيش كله (قال) ارجو أن لا تؤتوا من قبلى ان شاء الله (ثم) قال للطفيل هل لك طاقة بالقتال قال انى قد قوى قلبى بهؤلاء الكرام الذين معك قال فلما لاح ضوء الصبح ساروا وتقدم صفوان والطفيل فى أوائلهم واتبعهم المائة فارس قال وكان عمر بن حمامة ومرهج بن وهاج وأصحابهم جلوسا عند الصباح وهما يتحدثان ويتشاوران فى المسير ومرهج يقول لابد لى من المسير الى (محمد) فاطفئ جمرته أو اقتاده أسيرا وعمر بن حمامة فرح بذلك مسرور وهو يسأله السرعة ويقول له انجز وعدك فيقول حتى تأتينى رسلى وبينما هم كذلك اذ اشرفت عليهم الخيل وهم يسيرون على مهل فقال هذه خيل أشرفت ولا شك انهم قومنا (ثم قال) لعمر بن حمامة ان كانت رغلة قد وصلت الى منازلنا فقد بلغت كل سرور وتحوت من كل محذور وان كانت لم تصل لم يتم لك أمر وقد بلغنى انها تهوى عامر بن الطفيل وهو يهواها (قال) عمر بن حمامة قد تعلم انهما نشآ فى مكان واحد متآلفين على طول الايام وكل واحد منهما قد ألف صاحبه والآن اذا فرق بينهما مضى مكانه لما اتصل انه قد صبا الى دين (محمد) ومال على دينه فبغضته ولو مالت اليه لعجلت هلاكها قال فتبجحت مرهج من قوله وسره ذلك وقال سيأتيك الخبر على يقين من هؤلاء القوم هذا صاحبى وصاحبك قد أشرف علينا وقصدنا وما جرد أحد منهم سيفا ولا مد رمحا وكذلك أصحابهما اقبلوا الى عمر بن حمامة بغير سلاح ليسمعوا ما أتت به الرسل فقال عمر ابن حمامة انحروا اثنى عشر من الابل وعشرة من الضأن ومثلها من المعز من مال الطفيل على رغم أنفه فهذا يوم فرح وسرور وفيه تتم الأمور فتبادر العبيد الى الابل بالخناجر ينحرون ويطعنون اللحم (و) الخيل مقبلة اليهم وصفوان والطفيل فى أوائلهم فاخترقوا القوم غير هلعين ولا جزعين (فلما) رأوهم قالوا ليس هؤلاء قومنا ولا شك انهم من عشيرة عمر بن حمامة فتسابقوا اليهم انكارا لما ظهر لهم فتطاول عمر بن حمامة ومرهج بن وهاج اليهم فلما وقعت العين على العين اختر طوا السيوف وحملوا فيهم طعنا وضربا ووثب عمر بن حمامة ومرهج قائمين فقالا يا ويلكم ما وراءكم ان كنتم تتسابقون بالبشارة بوصول رغلة الى الحى فقد وجبت لكم الجائزات وان كان أصابكم شر أو عرض لكم عدو فاكشفوا الناعن الأمر (قال) فوثب الطفيل وقال ثكلتك أمك وعدمتك قومك ما أتينا الا لقتالك وقتل عمر بن حمامة معك (ثم) أسفر عن لثامه واسفر صفوان عن لثامه وصمصم بالطعنة على مرهج بن وهاج وصاح الطفيل وحمل القوم بأسرهم وصفوان ينادى احملوا يا معشر الكرام على جميع اللئام فحملوا عليهم ونظرت دوس الى الطفيل وقد ضرب عمر بن حمامة فى مرجع الكتف فاوهنه بها فوقاه رجل بنفسه فضرب صفوان الرجل على ظهره فافناه وثار مرهج فاخذ سيفا من

بعض أصحابه وما نع به عن نفسه وحمل القوم عليهم وبذلوا فيهم السيف فقتل منهم فى تلك المعركة نحو الثلاثمائة فارس واستيقظ القوم ولبسوا اسلحتهم وركبوا خيولهم ورشق أصحاب النبال بنبالهم وتوا ثبوا وتصارخوا واقبلت الكتائب من كل جانب وخرج مسعود بن جماهر من الكمين بقومه وشدوا على المشركين ونظر المشركون الى الخيل قد اقبلت من كل جانب كالعقبان فعلموا انها خديعة من الطفيل وصفوان فاشتبكوا بالقتال ودعامر هيج بفرس فركب عليه ولم يقدر عمر على الركوب من ألم الضربة التى فى كتفه فتأخر الى ورائه وقال لقد أشرت فلم تقبل مشورتى وكنت بهذا الأمر ابصر من غيرى ماذهب عنى ان الطفيل يطرح نفسه على قبائل العرب ويستجير باهل الأرض ويطلب ماله وأهله وولده أو يصل اليهم فسمعه مرهج فقال مالذى قلت يا عمر فقال لم تدع أحمل النسوان فاجعلهم فى الحاضر (فقال) يالكع ومايغنى الحاضر وقد سبى قبيلك هو وأهله وغنم وأنت لاتدرى قال وتلاحمت وتصادمت الفئتان وتضاربوا بالسيوف وصبر المؤمنون صبر الكرام والمشركون اضعافهم وقاتل صفوان فى ذلك اليوم قتالا شديدا وكذلك الطفيل وجعلوا يتصادمون ويفترقون (ثم) يعودون الى أن جاء وقت العصر وقد انبهرت الخيل وكلت السواعد واحضرت المناكب وقد ظهر الطفيل على أعدائه وقتل منهم مقتلة عظيمة وقاتل مسعود بن جماهر قتالا شديدا (فلما) افترقوا اقبل الطفيل على صفوان وقال ان رزقنا الله الظفر عليهم فى غداة غد كيومنا رجونا ان نهزمهم ان شاء الله (قال الطفيل) لايجزكم طول الاقامة قال مسعود بن جماهر لو اقتحمولا كاملا ان نبرح الا باهلك ومالك فسر الطفيل بقوله قال وان القوم لما افترقوا ورجعوا الى أماكنهم وهم حاسرون اجتمعوا فى ظلام الليل يتشاورون فى أمرهم فقال عمر ان الطفيل رجل عود نفسه الحروب وذاقها ولو وجد غيرهؤلاء لاستنجدهم فاصبروا على حربهم (قال) مرهج هذا رجل أخذنا ماله وأهله وقد استقتلكم ومارأى الا ان نبعث بالاموال والعيال الى موضع حصين فان أيس منهم انكسرت بيضته وزال طمعه وانكسر عن القتال (قال) فدعا عمر بن حمامة برجل من أقاربه وعشيرته يقال له ثابق بن غليل الدوسى وكان فارسا بطلا وقال له عمر هل لك ان تكون المتولى بحمل هذه الأموال والغنائم التى غنمناها من الطفيل وتمضى بها الى الحاضر مع رجال من قومك وابطال من عشيرتك فقال انى أخشى من الطفيل وصفوان أن يعلما بذلك فيتبعانى (قال) عمر نحن نشغلهما عنك بالقتال فى ظلمة الليل ثم صاح أين جبير بن سعدة بن مطاع أين خليل أين فلان حتى دعا بخمسين رجلا وأمرهم بالركوب ثم اقبل على مرهج فقال له يا أبا المنايا هل لك ان تضيف الى هؤلاء الخمسين عددهم من قومك ويسيرون معهم حتى يوصلوا الغنائم الى الحاضر (ثم) يعودون قال يا عمر قد أرسلت مائة فارس من أصحابى مع ابن عمى عقال بن نهال فارجعوا الى ولا علمت ما كان منهم أفأبعث بغيرهم ماهذا برأى وانى بهم لظان السوء ولولا انى قد بليت بقتال هؤلاء القوم لوليت وتركتك مع القوم تفصل معهم أمرك كيف شئت فقال عمر يا أبا المنايا ما الذى أوجب هذه الوحشة بينى وبينك (قال) لمخالفتك لأمرى ومعصيتك لامرى وما أشير عليك بارسال الغنائم الا أن تسير بها بنفسك أو أسير أنا بها عندفراغنا من هؤلاء القوم وفراغنا من (محمد) وعلى وعمومتهما وأصحابه وأقاربه فقال عمر هذا أمر بعيد فان يكن لك فى الغنيمة أرب أو تحب ان أخصك بشئ منها مما أحببت فانى لا أمنعك مما أردته (قال) كانك ذهب وهمك انى أراك أشرت لطلب هذه الغنائم وعندى من الأموال مال تضيق به الأرض ولا حاجة لى فى ذلك ولكن افعل مابدا لك قال فامر عمر بن حمامة ثابق بن غليل بالمبادرة الى ما أمره وقال له احتفظ بما معك واياك والغفلة عن هذه الاموال وليكن كل رجل منكم بازاء امرأة من نساء الطفيل وبيده سيف مشهور فاذا هممت بالصراخ فلا يردسيفه عنها فيكون

أرعب لقلبها وأمدّ لصراخها فاذا وصلتم الى الحاضر فسوقوا الاسارى الى ذى الكفين فما أمركم فافعلوه ولا تخالفوه وان أمركم بالقتل فاقتلوا وان أمركم بالحرق فاحرقوا (فقالوا) سمعنا وأطعنا قال سيروا من وقتكم عند أول هجمة من الليل فان ذلك وقت طيب قال فخرج من القوم مائة فارس قد أشهروا سيوفهم قال وأقبل عمر بن حمامة الى زوجة الطفيل وقال لها انهضى قالت الى أين آنت سائر بنا قال لها الى الحاضر قالت له ويحك ان الطفيل فى كل مكان يسير يسير بسيرك ومايتركنا قال لها عمر بن حمامة انى قد ندمت على ما كان منى اليكم ولعمرى ماكان سبيلى ان أعرض لكن معشر النسوان فارجعن الى أوطانكن وخدوركن فانى أؤمل صلح رجالكن وأرجو أن يؤل الأمر الى سداد وانما تكلم لهن بهذا الكلام خوفا من صراخهن قالت له يا ابن حمامة والله لتعاقبن فى حريمنا وبناتنا بمثلنا (ثم) نهضت وقدمت لهن الأباعر والهوادج فبكوا والطفيل وصفوان لا يعلمان بشئ من ذلك وساروا وقد أمسكن عن الصراخ والصياح لكلام عمر بن حمامة وأوصى لتابط ابن غليل وقال له سر بهن فاذا وصلت الى الحاضر فانظر ماكان من ابنتى رغلة وهل حملت الى حى مرهج بن وهاج أم لا وعد على أثرك فانى أؤمل أن تلقى الرسل فى طريقك فأمرهم بالمسير فسار القوم بالغنائم يريدون الحاضر وهم مائة فارس يسوقون الأموال وتابط ينشد ويقول

ليل بهيم وظلام سادل * كانه وابل هطل نازل
يخوضه ضراغم حلاحل * مكابد محامل مناضل
نرد من قضى الزلازل * خاب هناك من لنا مقاتل

(قال وسار) القوم يجدون السير بقية ليلتهم وقد وكل الرجال بالنسوان فقالت زوجة الطفيل أليس زعمتم يا أيها اللئام ان صاحبكم قد داخلته فينا حمية القريب وانه ندم على مافعل فردنا الى حاضرنا مكرمين وما أراكم الا معذبين لنا كانكم على قتالنا عازمون (قال) لها تابط بن غليل وقد بعدوا عن أماكنهم وأمنوا من عدوهم يا ويلك انظنين أن عمر بن حمامة يهب لكم مافعلتم وماسفكتم من الدماء وما أظهرتم لنا من العناد وقد قتلتم رجاله وأفنيتم أبطاله ولو عزم على ذلك لم يدعه ذو الكفين وانما أمرنا أن نسير بكم الى الحاضر ونسوقكم الى ذى الكفين وننظر مايأمر به فنفعله من قتل أو حرق أو غير ذلك وانى أؤمل أن يأمرنا باحراقكم ولا يبقى فى الحاضر أرملة قتلتم بعلها ولا يتيم قتلتكم أباه الا ويحمل الحطب لحرقكن فاذا أضرمت النار ألقيناكم فيها جزاء بما فعله الطفيل وولده وخليله صفوان ونرجو أن يقعوا فى أيدينا فنفعل بهم مافعلناه بكم فقالت له يا ابن العاهرة وأين أنتم عن قدرة الجبار أن يرميكم بالبوار وما أملتموه فينا من قتل أو حرق فأنتم أولى به لانكم كفار ونحن قد رضينا بالله وصبرنا على قضاء الله وأما الطفيل بن عامر فان الله لا يخذله والله شهيد على ما تعملون فزجرها على قولها وقال لها انى قد أمرت ان أنت أكثرت الكلام ان أعلوك بالحسام قالت الأمر لله عز وجل يفعل مايشاء فأعرض اللعين عن قولها وعلم أنها لا ترجع عن جوابه ولا تقصر عن خطابه وأصبحوا على ماء يقال له الدهسة وهو مصبوب الى غدير ينزل هناك وعرس وأراحوا وأكلوا وشربوا ولم يكن فيهم من عرض الطعام على النسوان والولدان ولا الشراب فصبرن على مانزل بهن من الجوع والظمأ وارتحلوا من الدهسة عند العصر وساروا الى أن اختلط الظلام فنزلوا فى طرف أرض فاضرموا نيرانهم وعقروا جزورا وطرحوا جوانح الشجر على النار وجعلوا يشربون ويأكلون (فقالت) لهم زوجة الطفيل يا بنى اللئام اما ترون هذه الاطفال وقد اشتد بهم الضر من الجوع وقلة الغذاء فاعطوهم ما تيسر من كسر خبز وقطع لحم وما يسد به أرماقهم من شربة سويق أو قعب من لبن (ثم قال) لها اللعين ولو قدرنا ان نزيدكم شيأ من العذاب لفعلنا فكيف تسئلون أن نطعمكم

أونسقيكم ونحن الى أعدائكم أقرب وفيهم أرغب فلما سمعت ذلك قالت اللهم انك تسمع وترى أنت بالمنظر الأعلى وجعلت تقول

يارب يارب اليدُ المشتكى • قد دميت عيناى من طول البكا
الضر والضيم الينا سلكا • والطفيل ممن قد عاداه اشتكى
أنت ترى الأمر الذى قد مسنا • جازهم بهلك مدركا

(قال فلم) يصغوا لقولها بل جعلوا يتناهشون اللحم كالكلاب وهم يتضاحكون هزأ والأطفال ينظرون اليهم وربما احدهم يده الى الطعام ليأخذ شيأ فيمنعوه منه ويحجبوه عنه وهو يتقطع غيظا وحنقا (قال) وبينما هم كذلك يفعلون ويهزؤن بهم وهم محدقون من حول النار والصبيان يبكون من الجوع والنار يضرم بعضها بعضا (قال) فبينما هم كذلك اذ أحدقت بهم رجال كانهم الأسود بأيديهم السيوف مصلتة وهم قيام على رؤسهم قد رفعوا أيديهم وهزوا مضاربهم فذهلوا بذلك وتأملوهم فاذا هم أربعون رجلا فى أوائلهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عن جميعهم فلما تأملهم القوم لم تخف عليهم أماكنهم فحمدوا بعد الصياح فقال لهم تابق بن غليل يامعشر الناس ما الذى تريدون (فقال) لهم العباس ياويلكم وأنتم أين تريدون فقد رأينا فعلكم وسمعنا خطابكم وكيدكم لهؤلاء النسوان والولدان فتعجبت من ذلك فاقفونا على أمركم قالوا وماعسى أن نوقفكم على أمرنا ونحن سالكو طريق وعابرو سبيل والنسوان نسواننا والأولاد أولادنا والأموال أموالنا (فقال) لهم العباس ياويلكم لو كان الأمر كما ذكرتم لما منعتم الطعام والشراب عن أولادكم وهم بين أيديكم يبكون من الجوع ويطلبون ما يمسكون به أرماقهم ولو كانوا أبناءكم ونسوانكم لم تفعلوا بهم هذا العذاب الأليم وما هذا الا فعل العدو بعدوه وليس هذا فعل الوالد بولده (قال) فصاحت به زوجة الطفيل ياذا الوجه الجميل لقد صدقت فى مقالك اننا لاعدى الناس لهؤلاء القوم من غير جرم أجرمناه اليهم فيطالبونا به وقد عدوا علينا فسبونا كسبى الترك والسودان وأخذوا أموالنا وقتلوا رجالنا وطردونا من الاوطان ورأينا منهم مارأينا فان كنت قد رحمتنا وغضبت لنا فأنقذنا من أيدى هؤلاء القوم الظالمين وارحم الاطفال الصغار المعذبين (قال فلما) سمع العباس ذلك من قولها قال لها العلكن نسوان الطفيل بن عامر الدوسى المطروق بالمحن قالت له اى والله نحن أولئك البائسات الثاكلات قد بدلنا من الرخا بالذل والشنار وصرنا تحت رحمة لمن يرى ولا يرى (فقال) لها العباس ابشرى وابالفرج فقد فرج الله عليكم قالت يافتى شكر لك الله بخير فهل لك علم بعامر بن الطفيل قال لها قد وصل الى زوجته رغلة وقد ارتحل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أوصله الله اليها الا بسببنا قالت له ومن أنت يامولاى قال لها أنا العباس عم (محمد) صلى الله عليه وسلم فلما سمعت بذكر (محمد) صلى الله عليه وسلم بكت وبكى النسوان وانتحب الولدان وأسبلن العبرات (قال صاحب الحديث) فلما سمع القوم بذكر العباس خمدوا ولبدوا وخافوا وفزعوا فقال العباس لمن معه من قريش ياآل غالب مايوقفكم عن هؤلاء اللئام مكنوا منهم الحسام وفلقوا منهم الهام فهؤلاء أعداء (محمد) عليه السلام فقال له تابق ابن غليل يابن عبد المطلب أريد أن تأخذ فديتى وتعفو عنى وترحمنى قال له العباس ياعدو الله وعدو رسوله انت لم ترحم هؤلاء الاطفال والنسوان وأنت وأصحابك تأكلون وتضحكون منهم وهم جياع ينظرون اليكم ويتضرعون فقال ياسيد بنى هاشم انى أخطأت فهب لى ذنبى قال له العباس هيهات ياعدو الله نحن قوم شرفنا الله بجدنا هاشم لانه هشم الثريد لقومه وأطعم الطعام وحتم عزنا ورفع ذكرنا بأن جعل (محمدا) منا وما أنت من العرب الكرام بل أنت من العرب البخلا اللئام

(ثم) ضربه على عاتقه الايسر فوقع نصفين و وقعت فيهم أسياف الهاشميين فقتلوهم عن آخرهم ولم يفلت منهم أحد ثم قال العباس يا بنى هاشم ما كان من مال الطفيل فهو له لا يتعرض له أحد وما كان من قبل هؤلاء اللئام واسلابهم فهو لكم فقالت له زوجة الطفيل بأبى أنت وأمى نحن وأموالنا وما ملكت أيدينا لكم (فقال) لها العباس خذوا الآن هذا اللعم فكلوه وأنتم أحق به فابشروا بالخلاص والفرج ان شاء الله تعالى ثم انهم حازوا أسلاب القتلى وسلاحهم وخيلهم فاعتزل العباس بمن كان معه من قريش ناحية عن النسوان فأكلوا مما كان معهم من الطعام وحمدوا ربهم على السلامة (قال) وكان من خبر العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قبل وصوله كما تقدم انه لما أوصل عامر بن الطفيل الى زوجته وفصل بها من عند العباس وسار بها قاصدا الى مكة وسار العباس يريد الطفيل بن عامر لينصره على أعدائه ولم يخطر بباله انه يعترب أولئك فسار يجد السير (فلما) كان فى تلك الليلة ابصر نيرانا فى أرض بعيدة فقصدها فوجد تابق بن غليل وأصحابه يحملون نسوان الطفيل الى الحاضر وأمواله كما تقدم فكان من خبرهم ما قدمنا ذكره من قتلهم عن آخرهم (قال فلما) فرغوا منهم ونزلوا واطمأنوا قامت زوجة الطفيل الى العباس وقالت له ياسيدى لقد كشفت عنا الكربات وأزلت عنا الترحات وتوالت علينا منك البركات فأخبرنى ما أنت عازم أن تصنع فى أمرنا فكل شئ يحسن عند مقامه وان أخليتنا من يديك نهبنا وطمع فينا الطامع وما كنا نرجوا أن نملك أنفسنا أبدا فامنن علينا أنت وأصحابك وأمن خوفنا واجمع شملنا وامنن علينا يا عم نبينا بما أنت له أهل يا معدن البركات وملجأ المسرات (فقال) لها العباس أيهما أحب اليكم الرجوع الى حاضركم أو أسير بكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له بأبى أنت وأمى ان كان ولد عامر قد حصل فى قربه وجواره فأنا فى قربه أرغب وله أطلب وامتع عينى بالنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مساء وصباحا فأما الحاضر ففيه الاكل عدو ومعاند فالذى يسرنى فيه وكفى بالنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمة وسرورا فقال لها سعدت ووقيت ان شاء الله (ثم) أقبل العباس على أصحابه وقال يا معشر قريش قد كتبتم فى سفركم هذا ثلاث فوائد وحمدا عند العرب والحاضرة والبادية بما صنعتم بعامر بن الطفيل حين خلصتم له زوجته من يد أعدائه وهذه ثانية بخلاصكم للطفيل نسوانه وأمواله بعد أن حصلوا فى يد أعدائه ولو حصلوا فى حاضرهم لقتلوهم وأهلكوهم وقد انجيتموهم من القتل و رددتم على الطفيل ماله بعد ان افترق وخرتم غنائم وخيلا وسلاحا فعليكم بالتمام والافضال والانعام فاحملوا هؤلاء النسوان والأموال وأوصلوهم الى مكة ويسير بالجميع ناس منكم ونسير نحن بأجمعنا الى الطفيل ونعمل فى خلاصه وتكون الكرامة كاملة يجريها الله على أيدينا وبالله التوفيق ثم سأل العباس زوجة الطفيل أين هو قالت بأبى أنت وأمى هو فى موضع كذا و وصفت له المكان وقد استنجد عمر بن حمامة ومن معه بقوم من العرب وهو منازل لهم فى حرب وقتال ووقائع ونزال وفتن وأهوال تشيب منها مرارؤس الولدان فقال لها وكم بيننا وبين هذا الأرض قالت يومان وليلتان من موضعنا هذا فتفضل وتمم علينا ما أوليتنا من الافضال بانقاذ الرجال مما حل بهم وما هم فيه من الكرب العظيم والجهاد المقيم وان الطفيل لم يعلم بمسيرنا مع هؤلاء القوم اللئام وانما سار وابنا فى ظلام الليل حتى جمعنا الله بكم فى هذه الأرض لاسعادنا وانقاذنا وجمع شملنا ومالنا فتمموا احسانكم أكمل الله لكم الأجر والثواب فقال لها العباس ابشرى يا أم عامر بالخير والفرج فانه عند الله قريب (قال) ثم أقبل العباس على حكيم بن مطيع فقال له يا حكيم هل لك أن تسير بهذه الأموال والنسوان الى مكة فى رجال من قومك فانك ثقة مأمون وأنا أشهدك انك فى قريش عفيف الطرف كامل الحسب

وفيك مكارم أخلاق فسر بهم فانى لا آمن الابدّ فى مثل هذا الأمر وكان هذا حكيم بن حزام عم الزبير بن العوام (قال) حكيم أنا كاره لما ذكرت من محبة النسوان وحملهن لكن اذا أمرتنى فانا فاعل ذلك ولا أخالفك فشكر له العباس ذلك (ثم) قال يا آل غالب من يمشى منكم مع حكيم بن حزام قالوا نحن لك وبين يديك نفعل ما أمرتنا ولا نعصى لك أمرا قال فضم العباس اليه عشرة رجال من صناديد قريش أبطال وسلم الى حكيم النسوان والغنائم والأموال وأوصاه بحفظ الجميع وقال سر على بركة الله وها أنا أعدل الى الطفيل ببقية أصحابى وأرجو أن أكون سببا لانقاذه من يد أعدائه ان شاء الله (قال) حكيم سمعت وأطعت ثم سار بالقوم الى مكة ومعه النسوان والأموال وهو لا يعلم أن عامر بن الطفيل فى طريقه الذى سار عليه وكذلك الطفيل وصفوان والعسكر الذى أنجدهم من العرب فى الطريق الآخر بلا علم عندهم بما كان غيرانهم فى قتال ونزال قال وسار حكيم بن حزام وقد تدرع هو وأصحابه وهم على أهبة يسيرون بالأموال والغنائم يسوقونها سوقا الى مكة وكان قد أوصاه العباس أن يلزم الطريق الوسطى ولا يخرج منها الى غيرها فسار حكيم بن حزام فبينما هو سائر اذ نظر الى خيل وسيوف ورماح فقال لأصحابه انى أرى خيلا ورجالا ولا شك انهم أعداؤنا فأطلقوا اليهم الأعنة وفوقوا نحوهم الأسنة واد هموهم ولا تبدؤهم بخطاب ولا عتاب وبادروهم بالحملة والهجمة لتكون لكم فى قلوبهم الهيبة (قال) فبادر القوم اليهم وهمزوا الخيل بالاعقاب وأسرعوا الى القوم جريا (قال صاحب الحديث) وكان القوم الذى وقع بهم حكيم بن حزام ناغل بن عكرمة الذى تقدم ذكره انه سار من عند عامر بن الطفيل فلقى حكيم بن حزام كما ذكرنا فلما نظر الى ذلك من حملتهم وسرعتهم رآهم رجالا كالأطواد على خيول مضمرة كالعقبان وقد صمموا بالحملة عليهم وعزموا على الهجمة غير مكترثين بهم فعلم انهم انجاد وليوث شداد فصاح بهم وقد كادوا أن يصلوا اليهم وقال على رسلكم يا معشر العرب فلسنا نريد سوأ ولا طالبين مكرا ولا يدا خلكم منا أمر واعلموا انا قد سعينا فى أمر نرجو فيه حقن الدماء وقلة الاذى فصاح حكيم بن حزام على قومه تمهلوا فوقفوا من حوله وخرج حكيم بن حزام لناغل بن عكرمة فقال من أنت أيها الرجل وفيم سعيت وطلبت فاصرف عن قلبك الشبهات ان داخلك فيما معنا من الأموال والغنائم والنسوان طمع فانا ناس لا تقاوم نارنا ولا يخفى مكاننا نحن أبطال قريش وتاج الحرم فقال ناغل بن عكرمة ما أردناكم ولا طلبناكم وانما سرنا بحقن الدماء بين عمر بن حمامة وبين الطفيل بن عامر وأردنا اصلاح بين الفئتين لأن عمر بن حمامة مد يده الى نسوان الطفيل وأمواله وما تملك يده ولعمرى انه كان بالغدر بادئا ولما أتى به مسيئا (فلما) علم القوم ذلك منه خالفوه فى حاضره وفعلوا به مثل ما فعل بهم وأخذوا ماله ونسوانه وسرحه وما قدروا عليه من أهل الحاضر فحازوا جميع ذلك بأسره وساروا به قاصدين الى مكة طالبين لصاحبهم (محمد) بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فعارضهم الضحاك بن علقمة وقد استنجد بنا ولم نعلم ما كان من بدء أمرهم وسفكت بيننا وبينهم الدماء (فلما) نظرت الى ذلك وقد تفانى القوم أشفقت عليهم وعلى عشيرتى وقومى وتوليت أمرهم وقطعت شرهم على أن يطلق عمر بن حمامة للطفيل ما فى يده ويطلق له أيضا عامر بن الطفيل ما فى يده مما أخذ من الحاضر من الغنائم والنسوان فانا ماض أنجز بينهم هذا الأمر (قال) له حكيم بن حزام قد قرب علينا ما بعد هذه أموال الطفيل بن عامر ونسوانه وأهله قد أنقذناهم من يد عدوهم (قال) فلما سمع ذلك ناغل بن عكرمة حار من قوله ودهش ثم قال عناد باطل وان الغلبة للمظلوم لا محالة ثم أقبل على حكيم بن حزام فقال له هل لك أن تجود لنا بالا كرام فانه من شيم العرب الكرام قال فماذا نفعل قال اذا أنتم وصلتم الى أموال صاحبكم تطلقوا لعمر بن

حمامة أمواله ونسوانه فهو أليق بكم قال له حكيم وهل أملك من هذا الامر شيأ ان لنا صاحبا نسمع قوله ونطيع أمره وصاحبنا الطفيل هو مرهون مع قومه لم يخلص منهم وانما بعث ابن حمامة بهذه الاموال والغنائم والنسوان فأخذناها واحتوينا ها بعد أن قتلنا كل من كان معها حماية عنها (قال) ناغل بن عكرمة انى أرى القوم فى بادية الامر ونهاية الشر قال هو ذلك وان عمر بن حمامة استنصر على الطفيل والحرب على ساق ثم قال له حكيم بن حزام أين الاموال والنسوان التى ذكرت قال ناغل هى فى وادى العلق وعامر بن الطفيل موكل عليها هو وعقال بن نهال وأناس من بشكر (قال) فلما سمع حكيم ذلك سر به سرورا شديدا قال ارجع يا شيخ فى حال سبيلك فان الذى سعيت فيه باب قد انسد فلاحه وغاب نجاحه فلما سمع ذلك ناغل من مقالة حكيم قال يا فتى من أنجده من أهل مكة قال حكيم وصل اليه العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب وجبير بن مطعم ومعهم أبطال الحرم وأقيال مكة فلما سمع ناغل ذلك من مقالته قال لقومه ان السلامة أولى من الندامة وقد وصف أقواما لا يطاقون فى الحرب ولا يهابون الضرب يخافهم أهل الارض جميعا سباع المجال وأسد النزال والرجعة أصلح لنا وارفق وكفانا من قتل منا فلا تعرضوا أنفسكم للقتل والفنا فهذه أبطال بنى هاشم وأقيال الحرم قد لقيتكم (ثم) عطف بقومه راجعا وترك ما قد عزم عليه وسار حكيم بن حزام بالاموال وقد سره ما سمعه من ناغل من أخذ أموال عمر بن حمامة وسار مجدا لاصحابه طالبا لوادى العلق وهو يقول

جدوا سريعا واطلبوا وادى العلق ٭ ان كان شيخ القوم فى القول صدق
أو كان عامر بالنساء قد سبق ٭ وخالف القوم وفى الحى طرق
وقد أصاب الرشد والخير اتسق ٭ سقى فؤادى باللهيب محترق

(قال ثم سار) مجدا يطلب الوادى فلما قرب منه وأشرف على الوادى نظر الى الخيل كالثة والرجال جاثمة كالاسود فسر بذلك سرورا شديدا وقصدا اليهم قال ونظر عامر بن الطفيل الى الاموال والاباعر والهوادج قد أقبلت وقال ما آن لصاحبنا ناغل أن يبلغ فكيف يرجع الينا ثم أمر قومه ومن معه باليقظة وضموا الاموال وتركوها من ورائهم وجردوا أسيافهم واجتمعوا فى فم الوادى وأقرنوا المناكب وهزوا المضارب وعزموا على الموت قال عامر اياكم والبراح فيصولون علينا لاجاوزنا من القوم أحد وفينا عين تطرف وبينما القوم كذلك اذ وصل حكيم بن حزام ونظر فاذا عامر بن الطفيل وأصحابه جثم كانهم أسود (فلما) دنا منه وقاربه خاطب عامر بن الطفيل وقال كرمت طلعتك ونجحت طلبتك ياعامر أبشر بما يسرك ولا يغمك أنت من ورقة أبيك قم يا عامر فتلق والدتك واخواتك وعماتك وسائر أهلك وأموالك (قال) فبهت عامر بن الطفيل وجعل يتأمل الهوادج فلما أثبتها جعل يعرك عينيه ويقول أترى الذى أراه حقا أم مناما ولم يتحقق ذلك من تزايد الفرح ونظر الى عبيده وأموال أبيه فعرفهم ونظر الى الهوادج والنسوان فبكى برفيع صوته وكبر عقال وكبر القوم باجمعهم وسبق عامر الى الاباعر فاناخها وصار النسوان والصبيان يتصارخون فى وجهه بالبكاء والنحيب فقال وما يكفيكم وقد خلصكم الله عز وجل من أيدى اللئام ثم اقبل الى والدته وضمها الى صدره وقبل ما بين عينيها وقال عز يز على ما نزل بكن فقالت له والدته يا بنى والذى نزل بنا أعظم وأرجو الله أن يخلصنا من يد أعدائك كما خلصتنا من أعدائنا ثم قالت يا بنى لولا هؤلاء القوم وما أولونا من الجميل والاحسان لقد كدنا أن نهلك الا أن الله من علينا برد الاموال فلله الحمد على ذلك وهذا كله من بركة (محمد) بن عبد الله صلى الله عليه وسلم (قال المخبر للحديث) ولنرجع الى حديث عمر بن حمامة مع جبل الشمر

قال عمر بن حمامة الآن زال عنى الشغل والاشتغال وزال عنا الثقال ولم يبق غير اللقاء والجلاد والفناء لهؤلاء الصباة والانكاد (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله قال عمر بن حمامة لمرهج بن وهاج ماترى ان نفعل قال انك عصيتنى بالامس وخالفت أمرى واعلم أن اللبيب الحازم من حذر عواقب الأمور وقد سترك الظلام بسلامة الأموال ولم يبق لنا غير القتال والمصادمة والنزال فما الذى تشاء (قال) قد شئت أن تتم على انعامك واحسانك باخذ الطفيل بن عامر تاتينى به أسيرا فهو غاية أمرى ومسرة فؤادى قال مرهج لقد ضربتنى بسيف لاحد له أنا أخرج الى الطفيل لاساويه واناويه فى الحرب انما تقارننى باشكالى وتساوينى بامثالى والقوم بازائك فاخرج اليهم بنفسك وان شئت بقومى فاقبضهم الأول فالاول (قال) عمر بن حمامه انما الاعتماد عليك والاشارة اليك قال فاذا كان كذلك فان فى بعض قومى كفاية لهؤلاء الارذال ثم صاح بابن عم له يقال له فضالة ابن القطام فقال اخرج بقومى فابلغ عمر ارادته وأوصله الى أمنيته وأنه بهذين الرجلين الطفيل وصفوان ولا تعجل بالقتل عليهما (قال) فاخذ فضالة من قومه ألف فارس من صناديد القوم وابطالهم وبينما الطفيل مع قومه، فكرا فيما هو فيه اذ نظرا الى الخيل مقبلة اليهم فقال يا أهل الكرم ان القوم قد قصدوكم وباكروكم فقال مسعود بن جماهر ان باكرونا فانا اليهم مباكرون غير عاجزين ولا هلعين وتبادروا اليهم مثل الاسود الزائرة وكان صفوان أول من ظهر بين الصفين وفرق بين الفريقين لشدة حرقته لما ظهر وقلقه على نسائه وكثرة بكائه (فلما) برز هتف باعلى صوته ونادى وقال أنا صفوان بن عنبسة أنا الذى رفضت أهلى وأقاربى فى مرضات خليلى فهل من مبارز أو مناضل فمن شاء منكم الموت فليخرج الى فلما نظر فضالة الى ذلك (قال) لاصحابه من له منكم قال قاسط بن عمر البشكرى انا له ثم أسرع اليه فلم يكن الا جولة الجائل حتى وصل اليه صفوان فضربه بضربة هائلة سقط الى الأرض قتيلا ثم طلب البراز فجعل يبرز اليه فارس بعد فارس حتى قتل منهم اثنى عشر فارسا فهابه القوم وتأخروا عن نزاله لما ظهر لهم من فعله (فلما) نظر فضالة الى ذلك خشى من ابن عمه ان يعجزه ويقبح فعله ويلومه على فعله لانه كان مشيرا عليه (فلما) تاخر القوم عنه غضب لذلك وخرج بنفسه وباشر الحرب بروحه وكان لم يكبر على صفوان أمره بل أسرع اليه وهجم اليه فصاح به فضالة ياويلك ان أمرك لعجيب وفيمن تفكر فيه لك ولامك الثكل بما أوجبته لنفسك لقد تركت أهلك تحب الذل والارتبالك فى هوى رجل ما أنت له بمثال فما حملك على ذلك ولست على دينه ولا على مذهبه اما والاهى ما سمعت بمثلها (قال) صفوان خليلى أحب الى من أهلى ومالى وقد نصرته ولست بحائد عنه ولا ضنين بنفسى بل أبذلها دونه مادامت يدى تقبض على قائم سيفى (فلما) سمع فضالة ذلك منه قال تبا لك ولما أتاك فانت اخمل الناس ثم حمل عليه مغضبا فاستقبله صفوان والتغيا وتطاعنا طعنا منكرا مبتدعا وما وظهر للناس من أمرهما ما أعجب منه الفئتان وتطاول نحوهما الجمعان وفضالة مع ذلك يؤمل أمر صفوان ليأتى به الى عمر بن حمامة (فلما) طال بينهما ذلك صمم عليه فضالة بالطعنة حتى كاد ان يصل اليه ومد صفوان يداه الى الرمح وجبذه جبذة من يد فضالة كاد أن يقلعه من سرجه بها فلما أحس فضالة بذلك أطلق الرمح من يديه وأسله فاغتنم صفوان دهشته فعاجله قبل أن يسل حسامه وأدخله بهجمته فاقتلعه من سرجه ثم جلد به الارض وأسرع به الى خليله الطفيل وقال خذا ليك أحد دهاة القوم ورجع الى مقامه فعرض للنزال وسأل القتال وسبق قوم الى صاحبهم جبل الشر فاخبروه بما نزل من فضالة فقال اعجز رأيه لم يكن فيه كفاية لقرينه ثم التفت الى ثعلبة بن الاخطل وكان من أشرار القوم وقال الا ترى الى هذا العاجز وما فعله اليوم بنفسه من الذلة والهوان ثم قال له اخرج الى هذا المدل بنفسه المكثرث من كلامه وارهابه فاتنى به أسيرا ثم ائتنى بالقوم وما تأتينى

الابرؤسهم وماغنمت من أسلابهم وسلاحهم فهولك لايشاركك فيه أحد ولايعارضك فيه معارض قال فخرج ثعلبة بن الاخطل وقد أعجبته نفسه واتبعه بنوعمه وأقاربه وأهله وادانيه زهاء أربعمائة فارس فلماوصلوا اليه قال كونوامع قومنا واتركوني مع هذا الرجل الذى قدزاد فى مرامه واكثر من تعاظمه ثم أسرع الى صفوان فلمارآه صفوان استقبله فتهاجما واقتتلا قتالا منكرا من غير خطاب ولاكلام (فلما) اخبره ثعلبة وجده فارسا مجدا ليس له به طاقة ولابقتاله استطاعة وخشى ان ينزل به مانزل بصاحبه من القتل فاشار الى قومه أن احملوا فحمل القوم باجمعهم ونفضوا أعنة خيلهم وقوموا الاسنة نحو صفوان فلم يجد الطفيل صبرا دون ان خرج وصرخ صرخة منكرة ونادى واخليلاه (ثم) قبض على عنانه وقوم سنانه وخرج وهو يقول

اذا أنا لم أنجد خليلى وصاحبى • فلقيت حتفا عاجلا غير آجل
وان أنا لم أغضب وكنت بهجتى • ضنينا فلاقيت الردا والتنائل
بروحى ونفسى من أتانى مساعدا • وقد خلف الاهلين بين الشوائل

(قال ثم) حمل وكان أول من وصل الى صاحبه صفوان وقد هدته الاحزان وضعفت قوته فنادى الطفيل خليلك وصفيك ياصاحب الخير ووصلت أوائل الخيل اليهم فاقرنا عنانيهما ودافعا عن أنفسهما فلمانظر مسعود بن جماهر الى ذلك أشار الى قومه أن احملوا على القوم اللئام فقد غدرونا وهم أهل لذلك فاطلق القوم الاعنة وفوقوا الاسنة فالتقى الجمعان وتلاحم الفريقان واشتبكت الرماح وعملت الصفاح وفلقت الهام وهشمت العظام وصبرت الكرام وجال اللئام ورجزت الابطال بالاشعار والتقت الابطال بالابطال وقاتل صفوان فى ذلك اليوم قتالا شديدا وكذلك الطفيل (قال) فبينما صفوان فى بعض حملاته وجولاته اذ نظر الى عدو الله ثعلبة بن الاخطل فى معمعة الحرب وقد ملا العراص بالقتلى وهو يكردس الاقران ويضمخ الأبطال فلمانظر اليه صفوان قصده وصرخ به ودهمه فى أثر صرخته واستقبله عدو الله ثعلبة والتقيا وتصادما واعتركا فهاجه صفوان وداخله وقبض على مجامع أطواقه واقتلعه من سرجه فاضطرب عدو الله واستصعب عليه بشدته فصرخ صفوان بخليله الطفيل وكان مقاربه أين ماحل فلماسمع نداءه أسرع اليه وقال ماورائك ياصاحب الخير فقال صفوان هذا صاحب القوم وقائدهم وقد أمكننى الله منه فدونك اياه (قال) فضربه الطفيل على هامته وهو امام صفوان فلق هامته نصفين فخر صريعا ونادى قد قتل الله ثعلبة ابن الاخطل فابشروا بنصر الله لاوليائه (قال) فلماسمع القوم ذلك وهنوا وفشلوا وطمع فيهم الطفيل وأصحابه واستخذل اللئام وأخذهم السيف من كل جانب فولى بقيتهم الادبار وركنوا الى الفرار وطلبوا جنبة صاحبهم جبل الشر فلمانظر اليهم وقد عطفوا هاربين عارضهم واخترط سيفه وجعل كلماوصل اليه رجل منهم ضربه بسيفه فابادهم فقتل منهم رجالا وجدل ابطالا وهرب الباقون متناثرين عنه يمينا وشمالا وقد نار سخطه وفار غضبه وخرج الأمر من يديه لشدة غضبه لما رآه من قومه وأتاه عمر بن حمامة فقال له أقسمت علينا لاما أغمدت سيفك عن قومك ولاتعرض بقيتهم للفناء لقد علمت أن القوم دهاة لايطاقون ولم يزل يمسح أعطافه الى أن سكن مابه وقال له لقد تحرش القوم بالحنش الاسود والليث الاربد والجبل الاصلد (ثم قال) لقد كنت أتكبر عن قتال القوم تكبرا وتعاظما وانه قد ظهر منهم ماظهر فلابد لى من القتال فالحقنى منهم كان عارا وشنارا وأنالهم ولقتالهم دون غيرى فتجرد عدو الله من أطماره وبرز الى عرصة الحرب وقد حسر عن رأسه ليعرف القوم بشأنه ويعرف مكانه واتبعه قومه بأجمعهم وانحفلوا من ورائه واتبعه عمر بن حمامة يريد ان يباشر الحرب بنفسه فقال له مرهج مابلغ بناهذا الأمر ولا على

هذا وقع الشرط بيني وبينك وانى على ماضمنته لك أن أجعل مهرا بنتك (محمدا) وعمومته وأصحابه ومن اتبعه ومال الى دينه وملته ولايخامرك انى حائد عما ضمنته لك بل أنا عليه لا أحول فما مرادك من الطفيل أتريد أن آتيك به أسيرا أو عقيرا وماشهوتك أيضا من صفوان ومن رضى لنفسه بالذل والهوان والمعيرة فى الاوطان (قال) عمر أما صفوان فلا تبقى عليه واسفك دمه ليعلم ان الطفيل لم يغن عنه شيأ وأما الطفيل فأتنى به أسيرا لأعرفه بما صنع وأوقفه على ذنبه ليعلم أن الموت أجل به مما طرقه (قال) اللعين مرهج ها أنا آتيك بهم الأول فالأول ومن استأسر أبقيته ومن أبى أفنيته (ثم) خرج عدو الله فلما ظهر ماجت الصفوف وتصارخت الابطال ونظر الطفيل الى العلمين وقد نظروا الى صاحبهم مسعود بن جماهر فقال الطفيل ما الخبر فقال له صفوان ياصاحب الخير هذا مرهج بن وهاج قد خرج برعد وبرق وقد أعلى بمكانه وعرف بمرامه وشانه فقال اما وحق مكانك من قلبى لأهجمن اليه ولأطرحن بنفسى عليه لعلى أتعلق به تعلق الخطاطيف بالأرسية ولا يفرق بينى وبينه الا أحد أمرين اما أن أقتله واما يقتلنى فبكى الطفيل وقال له اياك ياخليلى أن تزيد على الجريح وتدمى القلب القريح وقد علمت انه قد ذهب مالى وأهلى وولدى ولم يبق لى سبد ولا لبد ولا ما أتسلى به عن الجميع غيرك فان بليت بفرقتك هلكت لامحالة (قال) صفوان انى أؤمل أن أظفر بحاجتك ان شاء الله وأعجل فرحتك وأبلغ مسرتك ولعل الفرج قريب قال الطفيل ياصاحب الخير ان عدو الله قد جال فى الأندية ذكره وكثر فى القبائل شره وشاع فى العشائر أمره وهو داهية لا يطاق ولا يدرك فى السباق فقال صفوان انى أؤمل أن أسرك اليوم (قال) وبينما هو يخاطبه اذ نظر الى عدو الله مرهج قد حمل كانه عقاب انقض فى الهوى وهو ينادى أنا كم جبل الشر وصاحب الأمر ثم انغمس فى القوم وغاب فى وسطهم وأوقع الزلزال وضرب بصمصامته يمينا وشمالا فانحفلت الأبطال بين يديه (قال) فنظر مسعود بن جماهر الى قومه يتحايدون بين يديه فبرز اليه مسعود فلما نظر عدو الله الى مسعود بن جماهر وقد قصده علم انه فارس فحل وقد أقبل لمقاتلته فغضب اللعين غضبا شديدا ولم يخاطبه دون أن هجم عليه كانه البرق الخاطف وضربه على هامته فانجدل صريعا الى الأرض فكبر ذلك على الطفيل وصفوان وعلى العلميين فهابوه واستعاذوا بالله من شره وفاضت العبرات على صاحبهم مسعود بن جماهر وتحايدت الابطال من عدو الله يمينا وشمالا فحمل اللعين كانه جمل هائج له هدير وزفير فلا يمر بفارس الا قتله وهو يترجز ويقول

جبل الشر دعانى ٭ كل من يعرف شانى أنا خواض المنايا ٭ عرف القوم مكانى
ليس جمع القوم قصدى ٭ ومرادى والامانى ما لهم حتى نريهم ٭ وسواهم من حسامى

(ثم) دخل اللعين المعمعة كانه ريح عظيمة (فلما) نظر صفوان الى ذلك قال للطفيل ألا ترى ما أوقع عدو الله بمسعود بن جماهر ومن قتل من أصحابه والناس يتحايدون عنه يمينا وشمالا وانى أوصيك بنفسك خيرا وبالصبية ومن هناك من الاهل فلا صبر لى على ما أرى من هذا اللئيم فان زاد أمره علينا لم تمض ساعة الا وقد انكشف كل ما تراه حولك فزعا وجزعا ويصل هذا اللئيم بمن معه اليك فهناك تعظم محنتى فيك وتكبر مصيبتى فدعنى أكايد الأمر بنفسى فان وصلت فهو الذى نريد وان تكن الاخرى فهنى أهلك ولا أرى مصرعك فهو أشد على من هلاكى فبكى الطفيل وقال بليت بانقلاب الزمان وتغير الحدثان وتنغص العيش وفقدك أكبر على مما فقدته من أهلى ومالى فان يكن قدرنا الفراق وقد أحببت لنفسك ما أحببت فان هلكت فيه فلا أزال بعدك حزينا الى أن الحق بك وادعك مع مرادك لكن يعظم على فراقك وان لا يكون بعد ذلك اجتماع اذا استقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار أخشى أن يؤمر بى ذات اليمين ويؤمر بك ذات الشمال فلا شك

انى

انى اذا رأيتك هناك انما أتعلق بك وأقول يارب أما أن تهبه لى فيدخل الجنة معى واما أن تدخلنى معه النار فالى على فقدك اصطبارفا كون أنا وأنت من الأخسرين فلوشئت أن تسر نفسى وتقر عينى بالتوحيد وتقر برساله (محمد) صلى الله عليه وسلم والتصديق به ولا أبالى كيف قتلت (قال) صفوان ياصاحب الخير ما اخترت هذا الأمر الا أن يكون امامى (محمدا) صلى الله عليه وسلم فاشرب الماء من منهله وأما اذا كان هذا مرادك منى وشهوتك عنى فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن (محمدا) رسول الله امام الامة وكاشف الغمة وانى ان عشت فعلى محبته وان مت فعلى ملته قال فهرول الطفيل نحوه وضمه الى صدره وقبل ما بين عينيه وقال أزلت حسرتى وسررت فؤادى ولا أبالى بعد هذا ما نزل بى وقد جلب على اسلامك كل فرح وأزال عنى كل غم وترح فانا أستودعك الله والنبى الذى آمنت به (محمدا) صلى الله عليه وسلم قال فسر صفوان بذلك وفصل صفوان من عنده وقصد الى ناحية اللعين مرهج وقد ملأ عرصة الحرب بالقتلى وقد تضمخت أثوابه بالدماء وهابته الاقران وبينما هو كذلك فى ارعاده وابراقه اذ قصد اليه صفوان وقال له أقلل من هدراتك واخمد من زفراتك فما من طامة الا وفوقها طامة هى أعظم منها ومن زعم انه أعظم الناس فى الشجاعة فقد كذب ومن تهاون بقرينه فقد حل به العطب ولكل عامل جزاء ولكل غاية منتهى وأرجو أن أكون سببا لهلاكك وفقد أجلك (قال فلما) سمع اللعين ذلك من مقالته قال ياويلك ومن أنت من القوم حتى تخاطبنى بمثل هذا الكلام فقال صفوان أنا من يرجو أخذ ما بين كتفيك بحول الله وقوته أنا صفوان بن عنبسة قال فلما سمع اللعين ذلك عدل اليه وصرخ به من شدة الغضب صرخة أرعب بها كل من كان حوله وعطف نحوه وحمل عليه حملة منكرة فثبت صفوان وأظهر من نفسه التجلد والثبات وتقاتلا وتلاحما واللعين قد زاد غضبه لما ظهر من ثبات صفوان له وكان يظن انه لا يثبت لحمله فأجمع اللعين أن يحمل عليه حملة الغضب وقد يئس الطفيل من صاحبه وهو متضرع بالله يسأل الله خلاص صاحبه من يد اللعين (قال المخبر للحديث) فبينما صفوان مع اللعين والقوم ينظرون وكل سر من صفوان اذ سمعوا صراخا فالتفت اللعين فاذا هو بغبرة قد انكشفت عن خيل كالعقبان قد أشرفت على الجمعين وقد أقبلوا اليهم متدرعين كانهم على الحرب عازمون وهم كانهم الاطواد أو الليوث الشداد (قال) فشخص القوم نحوهم مؤمنهم وكافرهم كل قد ذهل عند رؤيتهم فلما كادوا أن يصلوا اليهم والقوم قد وقفوا على الحرب واللعين مرهج قد اشتغل بالنظر اليهم الا أنه لا يخامر فؤاده جزع لما يجده فى نفسه (قال) فتأملهم الطفيل وشخص نحوهم وحقق نظره واذا فى أوائلهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب وجملة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) فصاح الطفيل الله أكبر فتح الله ونصر هذا ورب الكعبة عم سيد البشر منقذى ومجيرى من العذاب الاكبر هذا سيد الحرم المشهور فى العرب والعجم هذا العباس ابن عبد المطلب وهذا عقيل بن أبى طالب فأين ملجؤكم يامعشر العرب (قال) فاغتنم صفوان الفرصة والدهشة من عدو الله وألقى بنفسه عليه وحمل الطفيل خشية على صفوان من عدو الله وهو ينادى هذا سيد بنى هاشم ياخليلى احتفظ من صاحبك فقد أتاك النصر من عند الله بعصبة أبطال حرم الله هذا سيد بنى هاشم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سادات مكة وأبطالها (ثم) أسرع اليه وأطلق العباس عنانه وأصحابه من ورائه وامشقوا السيوف من اغمادها فبرق لمعانها فكان أول من وصل اليهم واخترق المعمعة العباس وعقيل رضى الله عنهما فافرج لهما الناس فأدرك عدو الله وقد أفلت من يد صفوان بشدته وحيلته وجلده وقد انطرح عليه وعزم أن يحوزه اليه فتداركته أسياف الهاشميين وأقيال المطلبيين

وغشيته السيوف من كل مكان (فلما) نظر اللعين الى ذلك حار ودهش وتلبد وبقى حائر المادهمه فاطلق يده من صفوان وأدلع لسانه وقال يابنى عبد المطلب زعم الزاعم أنكم أبقى الناس على من استسلم اليكم وا كرم العرب على من استأر اليكم فابقوا على من خضع واستسلم وارحموا فقيركم ثم ألقى صمصامته من يديه فأخذها العباس (ثم) سبق اليه عقيل بن أبى طالب فداخله فى سرجه ثم ضرب الى مجامع أطواقه باحدى يديه فكان عدو الله كالطود فهزه عقيل بقوته اليه واقتلعه من سرجه فكانت يد عقيل جمعت أطواقه مع لحيته ثم أداره واحتمله على ظهره بعظمه وحوله وعطف به خارجا من المعمعة الى ناحية الطفيل وأصحابه فاعرض له أحدوهو حامل لعدو الله والملعون صارخ قد آلمته لحيته والقوم قد تنافروا من صراخه ودهشوا من صياحه ولا يعلمون مانزل به وعقيل حامله الى أن أبعده من قومه (ثم قال) للطفيل خذ اليك صاحبك فاوثق كتافه قال الطفيل فلم أسمع كلمة كان أسر منها الى قلبى بعد اسلام صاحبى ثم انتزعت عمامتى من رأسى وكان عدو الله حاسر الرأس فاوثقته كتافا فقلت ياعدو الله كيف رأيت صنع الله بك وكيف قلل الله رأيك وهون قدرك وأزال عزك واوهن أمرك وعن قليل يقتل جمعك ويهلك أصحابك فقال حسبك ياطفيل فلولا أن أغاثك هؤلاء وأنجدوك لكنت أول هالك وتوكل به الطفيل حذرا من افلاته ووقف على رأسه والسيف بيده وحمل العباس بمن معه من أبطال الحرم وقاتل عقيل فى ذلك اليوم قتالا شديدا فقال صفوان لقد رأيت عقيلا قتل قتلا عظيما ولقد كان يضرب الرجل على هامته فيقده الى سرجه وربما ضربه عرضا فقده شطرين فشاهد الناس فى ذلك اليوم مشهدا عظيما وقاتل العباس قتالا ذهل منه الجمعان وله هدرات ترعد الابطال وتدهش الأقيال وكان فيما ذكران أول حرب وقع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير بعث بعثه ولم يبعث لقتال ولا لحرب الا بعد الهجرة وانما كان قتال العباس هذا فى متجرهم الى اليمامة فصادفوا فى طريقهم ماحل بالطفيل وولده فانقذوهم من يد أعدائهم وخلصوهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) صفوان لقد رأيت العباس فى ذلك اليوم وهو يقاتل قتالا منكرا وبضرب ضربا شافيا ويقول من شاء منكم فلينتدب فلقد أحصيت انه قتل فى حملته تلك أربعين فارسا فلما تزايد الأمر على القوم تقهقروا وانضموا الى حومة عمر بن حمامة (فلما) رآهم يتراجعون قال ياويلكم أخبرونى ما الذى نزل بكم قالوا له وكيف كان ماعلمت مانزل بنا من المشقة العظمى الا ترى الى البطحا استنفرت ليوث الصفا وقد أتوك كانهم اسود جائعة تلتمس فرائسها وقد لاحت لهم فقصدوها هذا العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب وأبطال بنى هاشم وأقيال قريش قد وصلوا الى صاحبك وملكوه أسيرا الذى لم يرض أن لا يجعل صداق ابنتك الا (محمدا) وعمومته وكل من تابعه وقال بقوله وهذا أحد عمومته وابن عمه عقيل قد اقتلعه من سرجه وقد اختطفه فانظر لنفسك فلاشك انه قد دنا منك مابعد (قال فلما) سمع ذلك من مقالتهم تغير لونه واصفر وجهه وارتعدت فرائصه وجعل القوم يتراجعون واحدا بعد واحد وكلما وصل اليه أحد منهم ملأ قلبه رعبا وفزعا مما ظهر له من العباس ومن معه من أهل مكة فلم يبق فى المعركة أحد الا جاء وعدو الله لايدرى مايصنع ورجع العباس حين ولى القوم الى ناحية الطفيل فرمى الطفيل بنفسه على جواده وأقبل اليه يقبل يديه ورجليه فنهاه عن ذلك وقال ليس هذا من شيمتنا ولا من شأننا وانما ذلك للمجبرين والمتكبرين وجعل الطفيل يسلم على القوم رجلا رجلا (ثم) قال له العباس ماكان من خليلك صفوان الذى لم يزل لك ناصرا فقال له الطفيل ماكان اسوأ حالى لولا مابلغنى الله تعالى منه منناى قال العباس وماذلك قال أجاب وأناب وصار من جملة الأحباب (قال) العباس لقد أفلح وسعد ثم قال الطفيل يا أبا الفضل اما أنا فقد

أيقنت بالسلامة وذلك ببركتك وعلى يديك وأرجو تمام الفرحة وزوال الترحة برؤية ولدى فقد غاب عنى فى طلب زوجته منذ أيام ولم أدر ما كان منه والقلب منه هائم ولا أعلم أحى هو فارتجيه أو ميت فاحتسبه عند الله تعالى (قال) العباس طب نفسا وقر عينا فان ولدك تحت السلامة وسوابغ الكرامة وقد وصل الى عروسه واحتوى على زوجته وقصدها الى مكة (لمحمد) بن أخى وما جئتك حتى خلصت له زوجته ثم اعلمه بما كان من الأمر قال فخر الطفيل ساجدا لله عز وجل وقال اللهم لك الحمد الذى جمعت شمل ولدى وأعطيته أمنيته وجمعته بزوجته ومنك أرجو أن توصلنى الى نسائى وأهلى ومالى قال له العباس لقد خلص الله أهلك ومالك وأعطاك منالك وأنا كنت الطريق لنجاتهن وقتل من سار بهن وقد بعثت بهن مع رجال من قومى الى ابن أخى (قال) فاستقر بالطفيل الفرح حتى بكى وقال سألتك بأبيك يا أبا الفضل هذا شئ قصدت به فرحتى وكشف مابى أم كان حقا (قال) العباس يا طفيل أمثالنا لا يقولون كذبا أما والله ما جئت اليك حتى أنفذت ولدك بزوجته الى مكة وخلصت نسوانك وأهلك فى طريقى وأرسلتهم مع حكيم بن حزام ورجال كرام من قومى وقتلت كل من كان معهم من اللئام وأنا أعلم انهم الآن قريب من مكة فكن مطمئن القلب (ثم) جعل يحدثه عن ولده ونسوانه (قال) ياعم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى تمم على نعمته ببركتك وجمع شملنا بعد الفرقة ونصرنا بعد الوحدة ثم قال الطفيل ياسيدى ألا تسر قلبى بقتل هذا اللعين جبل الشر فانى أخشى عائقته قال العباس ائتنا به فاقتاده القوم اليه الى أن مثل بين يديه فقال الطفيل ياعدو الله هذا الذى كنت تزعم انك تملكه وتصل اليه والى اخوانه وذويه قال العباس يا ابن وهاج قد اتصلت بنا عداوتك لنا وتحريضك علينا فلم ذلك هل غارت لنا عليكم خيل أم قطعنا لكم رفقة أم نهبنا لكم مالا أم قتلنا لكم رجالا فما هذا الا العناد والكياد والمطاعنة التى بيننا وبينكم (قال) يا ابن عبد المطلب جد بالعفو والكرم وان أكرم الناس من غفر وصفح اذا قدر قال العباس انى جعلت أمرك الى الطفيل وهو أولى بك منى يفعل بك ما يشاء قال الطفيل اما اذا قد جعلت أمره الى فقد اخترت له هذا (ثم) اخترط سيفه وخطا اليه فقال مرهيج يا ابن عبد المطلب سألتك بأبيك وذويك الا ما أبقيت على بحرمة ابن أخيك حتى ينفصل أمرك مع هذا الرجل عمير بن حمامة ثم أنا لك وبين يديك فقال له العباس ابق عليه ياطفيل والأمر قريب ولم يبق الا القليل وتنفرج عنك الكربات قال فرجع عنه الطفيل وقد عادت أفراحه وزالت أتراحه وكانت طلعة العباس عليه أيمن طلعة ثم تهيأ القوم للحرب وعزم عمير بن حمامة أن يلقى الحرب بنفسه ولم يبق من يحامى عنه (وقال) لا بد من المنع عن نفسى وقد جد الجد وغاب الهزل وأرانى كلما دبرت أمرا تولى وباله على (قال) وبينما هو كذلك جيئ أصحابه اذ أقبل مطرف بن منصور الدوسى وكان رجلا عاقلا فقال على ماذا عزمت قال على هؤلاء القوم قال مطرف فاحذر أن تبلى نفسك بما لا طاقة لك به واعلم أن القوم لا يقاومهم أحد ولا يصطلى بنارهم قال فما تراه قال أرى أن تسأل القوم الصلح على انك تدفع للطفيل أمواله وما أخذته منه وتصرف القوم عنك فقال عمير لا وحق ذى الكفين لا كان ذلك أبدا ولا تطيب به نفسى ولا تسمح به روحى قال مطرف فهل أنت راض بالقتل ثم ترجع أموال الطفيل وأموالك اليه قال وهذه أشد وأعظم قال فابق عليك أهلك ونفسك وعزك وادفع للقوم ما أخذته منهم وامض لحال سبيلك (قال) فاخرج أنت الى القوم فاسألهم ذلك فانى قد سمحت لهم به وأنا بعد انصراف المطلبيين راجع الى الطفيل (قال) مطرف هذا لا يكون واطلب الحق تفلح وتنجو وباعد عنك الغدر ثم خرج مطرف بن منصور حتى قرب من العباس ثم نادى فاستتم كلامه حتى خرج اليه العباس قال ما تشاء أطالب نزال أم حامل رسالة قال بل أخاطب وأسمع الجواب

(قال) العباس قل ما أتيت به قال ان اردت ان تكون سببا للصلح بين هذين الرجلين فافعل قال العباس بماذا قال مطرف على ان يطلق عمر بن حمامة للطفيل نسوانه واموالهم وجميع ما اخذه منه ويعود الى اهله سالما وتكفوه مؤنة حربكم وانا الضامن بالزيادة على هذا وان كان هو البادى به (قال) العباس وماهو قال يسلم الى عامر بن الطفيل زوجته وما ملكت يداها من مال وعبيد (قال) فتبسم العباس من قوله قال مطرف يا ابن عبد المطلب ذكرلنا الأكابر عنكم انكم قضاة العرب وحكام الحاضر والخاطبد بخطاب وانت تضحك منه هزأ قال العباس ماهو هزأ بل انما هو أعجاب قال وماهو هذا الأعجاب قال العباس اما عامر فقد وصل الى زوجته رغلة وقصدها الى (محمد) بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وأما الأموال والأولاد والنسوان الذين ارسلهم عمر بن حمامة مع ثابق بن غليل فقد خلصناهم من يده وقتلناه هو ومن كان معه وقد بعثنا بالكل الى مكة ثم قال له ولكن عندى ماهو أعظم من ذلك قال وماهو قال انى تركت عقال البشكرى بعد أن هداه الله الى الاسلام قد صار الى حاضركم ولا شك انه قد احتوى على أموالكم وأموال صاحبكم وكل من كان فى الحاضر من نسوانكم ولا شك انه صار بها الى مكة وأنتم غافلون عما حل بكم (قال) مطرف يا عباس تمنيت فرأيت ذلك فى منامك فضمنته فى يقظتك حقا قال العباس وما أنكرت ذلك ان الحرب لها دواء فوحق الكعبة والصفا وأبى قبيس وحرا ماذكرت لك الا ما عاينته وشاهدته قال فلما سمع مطرف ذلك أطرق الى سرجه وقال هذا أمر قد تزايد (ثم) عطف على أثره حتى وصل الى عمر بن حمامة وقال له قم الآن فاحتفر لنفسك لحدا وغيب شخصك فيه فهو أولى بك لانك زعمت انك لا تسمح نفسك باطلاق أموال الطفيل ونسوانه فقد وصل الى أمواله ونسوانه وقد وصل عامر الى ابنتك رغلة بجميع ما ملكت وجعل يحدثه بالحديث من أوله الى آخره كما ذكره العباس فلما أتى على آخر حديثه وعمر يسمعه خر مغشيا عليه وسقط الى الأرض منهمكا فى غشيته مقدار ساعة ثم أفاق وجعل يمسح عينيه ويقول يا مطرف حدثنى الآن حديثا كأنى كنت نائما فسمعته فى منامى قال بل كل ما سمعته حقا وصدقا (قال) عمر رجعت علة الطفيل علينا وكلما أنزلناه به وصل الينا والحرب لها دوائر وما كذب الزاجر الآن طاب الموت ولا بد أن ألقى نفسى على القوم فالموت أجمل بى مما غشينى ودهمنى (قال) وبينما هم كذلك اذ أشرفت على القوم غبرة وقد أحدقت بأقطار الأرض وقد سدت الطرق وملأت الافق وعلاقتامها واحولك ظلامها ظلمة مدلهمة فلما رآها الفريقان تطاولوا نحوها فكلهم أملوها ورجعوها فقلق عمر بن حمامة قلقا شديدا وقال انى أرى غبرة وأظنه صاحبى الضحاك بن علقمة قد أتانا بقبائل العرب وجمع لى هذه الجموع (قال) العباس ما منا من جهاب الكثير ويطمع فى القليل (قال) والفريقان قد اشتغلوا بالنظر نحو الغبرة وهى تدنو منهم وتقرب اذا نكشفت عن خيل تترامى كالعقبان وكتائب ومواكب زهاء ثلاثة آلاف فارس ليس فيهم راجل فلما قربوا من القوم مالوا الى جهة الطفيل (قال) فكبر ذلك على عمر بن حمامة فلما وصلوا كبروا بأجمعهم ونادوا لا اله الا الله (محمد) رسول الله فتأملهم الطفيل فاذا هم ازد شنوءة بكتائبها وفى أوائلهم ضماد بن عنترة وابنه قسورة وقومهما (قال) وكان من خبر الازد لما سار قسورة بن ضماد الى أبيه وفارق الطفيل كما تقدم فى الحديث ووصل الى أبيه وقد أفاق من علته فذكر له قسورة ما أوقعه عمر بن حمامة بالطفيل وكيف غدر به وأخذ أمواله ونسوانه وهو منازل له قال فلما سمع ذلك ضماد من قوله لامه وعنفه وقال له يا ويلك أرسلت مع رجل تنصره فخذلته وتركته وأفردته ما سبقك الى مثلها أحد (قال) يا أبت جاءنا ما لا طاقة لنا به وأحدقت بنا الأعداء وأكبر كل شئ كان عندنا مرضك ولقد علمت انى بئس ما فعلت ولقد أسأت فيما صنعت

وكان

وكان الاولى أن أقاتل أمامه أو أقتل دونه ولكن ماشاء الله كان قال فنهض ضماد من وقته وساعته وجمع قومه من الأزد بأسرهم فلما تكاملوا من حوله أخذ منهم ثلاثة آلاف فارس وخلف بقية القوم فى الحى مع بسطام بن هطام وهو الذى خلفه فى بادئ أمره (ثم) سار يقطع المناهل ويطوى المنازل الى أن وصل الى الطفيل كما ذكرنا قال ونرجع الى الحديث الاول فلما وصل ضماد وكبر كما تقدم وسمع القوم تكبيره سبق اليه الطفيل والعباس فى أوائلهم فسلموا عليه وعانقه الطفيل وبكى فى وجهه وقال له ما أغفلك عما نزل بى بعدك (قال) ضماد عز على ما أصابك وما عاقنى عنك الا المرض وماشق على الا عدو الله فى نكثه عهدى وخفر ذمتى وغدر أمانى قصدا بالمكر والهوان لانى كنت أنا المتولى أمركم وصلحكم وأنا أول من يأخذ بثاره منه ثم انضم الى القوم بمن معه فكثر جمعهم واشتدت شوكتهم وسلم على العباس ومن معه وسلموا عليه (فلما) رأى عمر بن حمامة ذلك قال زاد على الامر والآن كبر على البلاء وهؤلاء أشد علينا من الحرميين وكفى بهذا الهول المنتظر ضماد بن عنترة وهذه أبطال شنوءة قد وصلت اليكم ولابد من اللقاء ولو كانوا ملء الارض فعجب القوم من كلامه قال له مطرف بن منصور عزمت أن تقتل الناس وتفنيهم الى آخر الابد وتقتل نفسك فانك لا تطيق القوم (قال عمر) ان لم أطقهم سأهجم عليهم تحت الدجا وأفرق أصحابى من أربع جنبات فاعطى جنبة لابن عمى طراح بن جابر وفرقة لعمر بن حارم بن ربيعة وفرقة لفتاك بن وهيب وأنا للفرقة الأخرى وأكون أنا أقربهم الى الهبطة التى أمامهم (قال) فلما سمع ذلك مطرف بن منصور من كلامه قال فى نفسه ان هذا رجل أهوج ثم قال فاذا عزمت على ذلك فسبيلك أن تسأل القوم أن يمسكوا عنك وعن حربك بقية يومك الى غداة غد ولا يؤمنك أن يحملوا بجمعهم فى وقتهم هذا عليك ولا يبقى من جمعك باق قال عمر فأنتم أيادينا وارجع الى القوم بحسن كلامك فقل لهم انا نشاور قومنا فى هذا اليوم فى اتباعكم قال سأفعل (ثم) عطف مطرف بن منصور ونادى يا ابن عبد المطلب (قال) العباس هذا الرجل يأتينا بتخليط كلامه ثم أسرع اليه وقال ماتشاء قال قد جئتك ناصحا على انك تؤمننى من سفك دمى ثم أخبره بما أجمع القوم من الغدر عليه قال العباس ذلك أقرب لهلاكهم وأيسر لفنائهم ثم قال له امض لحال سبيلك (ثم) عاد الى عمر فقال ان القوم قد أجابوك الى ماطلبت فدبر أمرك وابرم حزمك وقوعزمك وانظر أمامك قال فدعا عمر بابن عمه طراح وحارم بن ربيعة وفتاك بن وهيب فأخبرهم بما عزم عليه من غدر القوم وقال لهم ان القوم قد أحدقوا بنا ومالنا أصلح من الهجمة عليهم فعسى أن نصل اليهم فنكتفى مؤنتهم فأجابوه الى ذلك فافرد لكل واحد منهم فرقة من الجيش وأفرد لنفسه فرقة وعزموا عند اختلاط الظلام وهجمت النوام بالهجمة على القوم (قال) ثم ان العباس رجع الى أصحابه وهو متبسم فقال له الطفيل أى شئ أضحكك ياعم رسول الله صلى الله عليه وسلم أضحك الله سنك لازلت مسرورا فحدثهم بما عزم عليه القوم فقال الطفيل لم يبق للقوم من يعتصم به غير عمر بن حمامة فمن ينتدب له فهو يمسك القوم فمن ظفر به فهو الظافر اليوم (فقال) ضماد بن عنترة أنا قطعت المهمات والربوات وخضت بقومى الدجا والظلمة طالبا الوصول الى عدو الله ولم يبق الا الليلة وأناله وحدى بحول الله وقوته (قال) العباس ومافينا الا من هو طالبه وان شئت أن تكون لهذه الهجمة فأنا معك قال الطفيل أنا فرحتى وامنيتى الوصول الى عدو الله بما صنع بى قال صفوان ما منكم أحق بهذا الامر منى لانه طالما اغوانى بصنمه واليوم عرفت ربى فأنا أريد أن أتقرب بقتله الى خالقى قال عقيل ما كنت بالذى أتخلى عن قتله وصرعته فانتدب العباس وضماد والطفيل وصفوان وعقيل هؤلاء الخمسة لعمر

ابن حمامة (قال) العباس هل أدلكم على أمر قريب قال الطفيل نعم ما تشير به علينا يا عم رسول صلى الله عليه وسلم دبرنا برأيك وأمرنا بما تهواه فنحن مبدؤه واليك منتهاه قال العباس تمهلوا الى أن ينسدل الظلام قال فلما جاء الليل دعا العباس بقسورة بن ضماد وضم اليه جيشا وقال له كن فى مجنتنا وكن مستيقظا حذرا فاذا وصل القوم اليك فبادرهم بالوثبة وفاجئهم بالحملة قال سمعت واطعت ثم دعا بجبير بن مطعم وأفرد له فرقة ثانية وقال له كن أنت فى الميسرة واحمل قبل وصول القوم اليكم قال سمعت واطعت وضم بقية الناس الى سهيل بن عمر وقال له كن أنت ومن معك على يقظة مجردين سيوفكم واكمنوا فى أماكنكم فاذا سمعتم الصوت فاحملوا على القوم قال سمعا وطاعة (ثم) دعا العباس ومعه أصحابه الأربعة فترجلوا وتحزموا وسار وا منفردين ليس معهم فارس خلافهم وبأيديهم السيوف والجف حتى أتوا مهبط الغدير فكمنوا هنالك وجثوا مثل الأسود (فلما) مضى من الليل هجعة سمعوا صهيل الخيل وقعقعة الأجم وتصافق الرماح قال العباس قد أتى القوم الى ما عزموا عليه فتوا ثبوا قياما وجردوا سيوفهم وأشرف القوم عليهم وهم قد ترجلوا يقودون خيلهم من ورائهم قودا رفيقا لئلا يسمع لهم جلبة وعمر بن حمامة فى أوائلهم حتى اذا انحطوا هاويا الى مكان الغدير يطلب غفلة القوم اذ نظر الى خيل العباس أمامه هو وأصحابه وتبين أشخاصهم فوقف عن المسير فتبادر القوم نحوهم وهو واقف لا يتحرك فهرول ضماد بن عنترة فوصل بسرعة خطوته اليه (قال) عمر ومن أنت قال أنا ضماد الذى نقضت عهده وهونت قدره فأنا مشتاق الى سفك دمك وتابعه العباس وتداركه القوم وغشوه بالسيوف كل يطلب السبق اليه والى قتله فلما رأى عمر ما حل به ونظر ضماد اقدد همه وغشيه أيقن بالهلاك وصاح بالعباس يا ابن عبد المطلب أنا بك مستجيرا فأجرنى وها أنا بين يديك فأسرنى قال الطفيل وقد أخذته الرأفة وداخلته الشفقة والحمية فقال يا أبناء الكرام ابقوا على الأسير وارفعوا أسيافكم عن الفقير فسلموه الى الطفيل وقالوا له اشدد وثاقه اذ قد أبيت الا الاكرام فاستوثق منه الطفيل وعاد به أسيرا فسمع أصحابه الكلام ونظروا سيدهم وقد ألقى نفسه الى الأسر فانكسرت أفئدتهم وصرخ بهم العباس استأسروا نبق عليكم ونحسن اليكم وكبر ضماد وعقيل ووقع الصوت وكبر الازديون والعليون وحمل الحرميون وتكاثبت الكتائب وازدحمت المواكب ونظر القوم الى مادهمهم فعلموا انهم قد سيقوا الى ما عزموا عليه وجاءوهم مالا طاقة لهم به فبقوا كالاغنام اذا غاب عنها راعيها وغاب حاميها فاستأسرت دوس بأجمعها وألقوا اسلحتهم فصاح الطفيل معاشر الناس ابقوا على الأسارى ولا تسفكوا الدماء فسلمت الدوسيون واما الشكريون فأبوا أن يستسلموا وأملوا أن يصلوا الى صاحبهم جبل الشر فصبروا وقاتلوا وقتل صاحبهم حازم بن ربيعة وهو حال جبل الشر قصده ضماد ابن عنترة فى بعض حملاته فعارضه بسيفه على صدره طلع السيف من وراء ظهره فكبر عند قتله واستخذل أصحابه وأحدقت بهم السيوف من كل جانب (فما) مضى من الليل شطره الا والقوم صرعى لم يبق منهم باق ولم يفلت منهم أحد قال وكشف الله عن الطفيل ما كان فيه وأقام القوم فى أماكنهم الى الصباح فنظروا والأرض قد امتلأت من القتلى فأخذوا أسلابهم الى ما يوارى سوآتهم وجمعوا الخيل الشاردة يمينا وشمالا فلم يبق لهم هنالك عائق فدعا العباس بعمر بن حمامة ومرهج بن وهاج وكان أول من قدم اليه مرهج فقال له العباس وما نفعتد عداوتك لنا وماضرنا كثرة أصحابك علينا اذا كان الله معنا وتدشرفنا بنبينا (محمد) صلى الله عليه وسلم فما ترى أن أفعل بك (قال) أرى ان تعفو عنى أنت والطفيل قال فما استتم كلامه حتى ضربه ضماد طير رأسه عن جسده قال كيف نعفو عنك يا عدو الله (قال) فلما رأى عمر بن حمامة ذلك من فعل ضماد بمرهج التفت الى الطفيل

وقال

وقال له يا ابن العم ان كنت أنا لم أبق عليك ولا أحسنت اليك فابق أنت على ولا تساوني في فعلي فخير الناس من عفا عند قدرته فعند ذلك قال الطفيل اذا رأيتم أن تهبوا لي دمه فهو معي معتقلا الى أن أسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر فيه بأمره ويحكم فيه بحكمه فقال العباس أبيت الا الاكرام اما اذ لا تأمن من جنبته ثم أمر أن تحمل الغنائم والأموال والاسلاب وأن يسيروا بالطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) ضماد ما كنت بالذي أتخلى عنه حتى يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجمع مع أهله وماله فلما أصبحوا حملوا الاسلاب على الخيل التي قتل أصحابها وسار القوم بأجمعهم نحو مكة وهم لا يعلمون ان عامر بن الطفيل امامهم في وادي العلق ولا يعلمون ما كان من عقال بن نهال ولا ما احتوى عليه من مال عمر بن حمامة (فلما) أشرفوا على وادي العلق ونظر عامر بن الطفيل الى الخيل مقبلة اليه قال لأصحابه خذوا على أنفسكم فهذه خيل كثيرة قد قصدت نحوكم (قال) فاستعد القوم للقاء وتقدم عامر بن الطفيل في أوائلهم وخرج من الوادي حين قربت منهم الغبرة قال فلما خرجوا من الوادي ووقعت العين على العين تأمل عامر في أوائل الخيل فرأى أباه الطفيل في أوائلهم والعباس وضماد فكبر عند رؤيتهم وكبر أصحابه فأجابه المسلمون بالتكبير وأقبل عامر الى أبيه راجلا فضمه الى صدره وقبل ما بين عينيه وقال له يا بني اما أنا فقد من الله علي بأهلي ومالي وخلصني بعد هلاكي ونصرني بعد ضعفي وأظفرني بصاحبي وها هو أسير معي هو وقومه أسارى فما كان منك يا بني قال يا أبت وأنا قد نصرت وظفرت ووصلت الى زوجتي وزادني أفراحا بخلاص مالك وأهلك وأوصلنا الله الى نساء عدو الله وأمواله وبناته وأموال قومه (ثم) حدث القوم بما فعل عقال بن نهال وما جرى له قال فمالوا بالكتائب والأسارى الى الوادي فلما نظرت دوس أزواجهن أسارى أعلن بالبكاء والنحيب وأقبل الصبيان الى آبائهن فتعلقوا بهم وتضرعوا الى الطفيل في اطلاقهم فبكى الطفيل عند ما رأى ذلك بكاء شديدا فقال له العباس مم بكاؤك فقال رحمة لهؤلاء النسوان والاطفال وقد وجدت ما يجد ذوي القرب بعضهم على بعض وقد أحببت أن أهب لهم جنبتهم وأغفر لهم زلتهم وأعفو عن كل ما كان منهم الى ولا أؤاخذهم ببسط أيديهم وأسلم اليهم أموالهم ورحالهم (قال) ما كنت لافعل شيأ من هذا حتى آتي ابن أخي (محمدا) صلى الله عليه وسلم أو اكتب له كتابا في وقتنا هذا فقال العباس للطفيل اكتب أنت كتابا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم الى رسول الأمة وكاشف الغمة (محمد) بن عبد الله المجير لمن أتاه من الطفيل بن عامر الدوسي أما بعد يا رسول الله فان الذي قد وعدتني رأيته عيانا وقد جرى الزمان الماضي حتى بلغ مني وبقيت وحدي ووصل الضر الى أهلي ونسواني وأموالي حتى واساني الابعد ورحمني الاقرب (ثم) ان الله تعالى بمنه وبركته رد علي نعمتي ومالي وأهلي وأظفرني بأعدائي وبلغني منهم مناي وأوصلني الى غريمي وأهلهم وأموالهم ونسوانهم وقد أحببت يا رسول الله أن لا أجازي المسيء بفعله وداخلتني الرحمة للنسوان والولدان فرعيت لهم مالم يرعوه لي وفيهم أهلي وأقاربي وقد أحببت ان أعفو عنهم واهب لهم أنفسهم وأموالهم وما اردت ان افعل شيأ الا عن اذنك وامرك فان اذنت لي في اطلاق قوم كدحهم الزمان ودارت عليهم نوائب الحدثان فان منت فلطال ما منت وانا طوع امرك فيما امرت ثم طوى الكتاب وختمه وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما) وصل الكتاب الى رسول الله وقرئ عليه سر بذلك وازداد المؤمنون ايمانا مما رأوا برهانه وعجائب امره صلى الله عليه وسلم وما وعد به الطفيل من فكره وزواله عنه واقبال النصر بعد ذلك وبعث اليه جواب الكتاب بخط ابي بكر الصديق يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد يا طفيل فأنت جئت على الكرام وقد

وصلت وملكت وقد جعلت امرهم بيدك وتحت قبضتك وما أنت بملوم فى عشيرتك فاذا شاورتنى فى أمر النسوان والولدان فانا أرحم خلق الله بهم وان عفوت أنت عنهم فقد عفوت أنا مثلك فانت وماتراه والسلام (قال فلما) ورد الكتاب على الطفيل سر بذلك سرورا شديدا وشاور القوم وضمادا فى ذلك فقالوا شأنك وماتريد (قال ثم) دعا بعمر بن حمامة وقال له قد عزمت ان اعفو عنك وأطلق لك نسوانك وأموالك على أن ترتدع عما أنت عليه من كفرك وترجع الى الله عز وجل وتزول عن هذا الصنم الذميم فعن قريب تراه هشيما فما أنت قائل فبكى عمر بن حمامة وقال لاعدت الى عنادك مابقيت وعسى أن أكون لك مخلصا ماحييت (قال) وبكى النسوان والولدان فاطلق الطفيل لهم سبيلهم ووهب لهم أموالهم ورحالهم ومامكنت أيديهم فقال له العباس اما وأبى ياطفيل لاغابوا عنك حتى تجد دلك دعوتهم وعداوتهم ويشتد عليك حنقهم ويطلبوك طلب الجارح للطير ولا يغفلوا عنك قال الطفيل ياسيدى ربى ناصرى قال وسار عمر بن حمامة هو وقومه حين أطلق لهم الطفيل السبيل نحو حاضرهم فلما بعدوا دخلتهم الحمية مما نزل بهم من الاسر فقال اللعين عمر بن حمامة اماوذى الكفين لاغفلت عن ثارى من الطفيل ولارسلن الى العرب والعجم والحاضرة والبادية ولأبذلن الاموال الى كل من اعلم انه ينصرنى حتى أصل الى الطفيل وكل من معه ولا أترك على الأرض من بنى هاشم أحدا ولا (محمدا) ولا من يقول بقوله ولاجازينهم بمثل الذى جازونى به قال ثم ارتحل الى ديار وقد أضمر الشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبنى هاشم وللطفيل وضماد قال ثم ان ضمادا سلم على العباس وعلى الطفيل وعلى ولده ومن معه وسار الى حيه راجعا وسار العباس والطفيل ومن معهما طالبين الى مكة (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله انه لما أطلق الطفيل لعمر بن حمامة وقومه سبيلهم ووهب لهم أموالهم ودماءهم وسار واراجعين الى حيهم وأوطانهم فلما غابوا عنه نسوا ما أولاهم الطفيل من الجميل والاحسان وأضمروا له بعد ذلك شرا وامتلأت قلوبهم غيظا عليه ومكرا وبدلوا احسانه غدرا وارتحل الطفيل بمن معه نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العباس أيضا ومن معه متطاولين الى أموالهم التى بعثوا بها مع عبيدهم الى اليمامة فاراد والرجعة اليها فقال الطفيل ياعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل شئ يحسن عند تمامه وقد أوليتمونى جميلا لازلت ذاكره عند العرب والبدو والحضر وانى وأهلى ومالى من عتقائك وقد علمت ان لى فى حرمكم أعداء وأخشى أن يكونوا قد علموا بمسيرى فيقطعوا على طريقى طمعا فيما معى من الأموال والنسوان وان رأيت أن توصلنى الى ابن أخيك فافعل وأنت مشكور على مافعلت فقال العباس حبا وكرامة (ثم) ارتحل وارتحل القوم جميعا الى أن قربوا من مكة وأشرفوا عليها فقال العباس قد وصلت وبلغت فلم يبق لك معاند هنا وان شئت فانزل مكانك هنا باهلك واضرب خيامك وان شئت أن تدخل الى مكة فادخل (قال) الطفيل لعمرى ان هذا موضع واسع المرعى فمن هو مشاركنا فيه من أهل مكة قال العباس أنت مشاركنا وأنت معنا ومن نازعك أرغمنا أنفه وعجلنا حتفه فعند ذلك أمر الطفيل قومه بالنزول وكان نزول القوم عند الغروب وضربت الاخبية ونصبت الخيام وضمت الخيل والانعام والنساء وأحدقت بها العبيد ونزل صفوان بنسائه وماله مع نساء الطفيل وأموالهما مختلطة وكذلك ولده ونزل العامريون ونزل عقال بن نهال وأصحابه فادرك القوم المساء وأضرمت النيران ونحر الطفيل أباعر وضانا لجميع القوم فاكلوا من الطعام وهم تحت المسرة والسلامة وقد جمع الله شملهم وأصلح حالهم ونجاهم من ضنك البلاء (قال) الطفيل لخليله صفوان ياخليلى خذ الليلة أهبتك للدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنظر اليه وتشكر ما أولانا وما صنع معنا عمه العباس وابن عمه عقيل وقومه قال صفوان انها الاطول ليلة على من الليالى شوقا الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الطفيل بقوله ووعد أصحابه وعقال بن نهال ووجوه العلميين وأمرهم باظهار الزينه وقال لهم انكم ستدخلون فى غداة غد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأهب القوم لذلك وباتوا ليلتهم فرحين فلما جاء الصباح وأضاء الفجر ولاح اشتهروا باثوابهم وقدموا مطاياهم وخيلهم وعزموا على الركوب (قال الراوى) رحمه الله فبينما هم كذلك اذ نظروا الى مطايا قد أشرفت عليهم واذا نور قد تلألأ من القوم فقال الطفيل الله أكبر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أتانا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من مكة باكرا ومعه جماعة من أصحابه منهم أبو بكر وعمر وزيد بن حارثة وسائر أصحابه وفتية من بنى هاشم ورجال من بنى عبد المطلب ورسول الله صلى الله عليه وسلم راكب على بغلة وقد أحدقت به عمومته وعشيرته وبنو عمه وأصحابه وهو بينهم كانه بدر ظهر من غمام قد علته السكينة والوقار وكان لما أصبح استصرخ أصحابه وقال قد وفد على قوم لم ازل لهم مكرما ولصاحبهم راحما فمن أراد منكم الخروج معى فليخرج (قال) فلم يتخلف عنه أحد من أصحابه الا لحق به وساعده رجال من بنى هاشم ورجال من بنى عبد المطلب وركبوا خيولهم ومطاياهم واخترقوا الابطح وقريش فيه حلق حلق فانكر اللعين أبو جهل ذلك أشد الانكار وانقضت الجموع وقام الناس على أقدامهم قال اللعين أبو جهل اتراه عزم على سفر فقال ابو لهب عبد العزى بن عبد المطلب انا آتيك بالأمر على حقيقته ثم قارب القوم فى مسيرهم وقال يا بنى ابينا وجيراننا وعشيرتنا الى اين عزمتم ان كان دهمكم امر سرنا معكم وعاندنا معاندكم وارغمنا انف حاسدكم (قال) فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة مغضب فبادره الامام على رضى الله عنه وقال ماسؤالك ياعديم العقل عن قوم لست منهم ولا هم منك عليك باهل ملتك ولا تخبر بما ليس لك به خبر ولا تعطى له اثرا فلقد اسأت عشيرتك واركنت قبيلتك والشين عليك راجع وعنهم زائل (قال) فرجع ابو لهب خاسئا ممتلئا غيظا وحنقا ولم يعد قولا حياء من قريش وهم كذلك من السادات والأشراف وجعلوا يتبعونهم بالابصار الى ان غابوا عنهم قال وسبق البشير بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح وقال يا آل الرجال ما اقلت الغبرا ولا اظلت الخضرا اكرم على من (محمد) صلى الله عليه وسلم اذ خرج الينا بنفسه ونحن أقل واذل وهو اكبر واجل فانهضوا بنا لاستقباله فتبادر الرجال والنساء والصبيان وخرجت المخدرات من البنات لينظروا اليه ومال القوم باجمعهم نحوه (قال) فلما نظروا اليه والى اشراقه وجماله ونوره وكماله وبهائه قال فتذكر النسوان ما لحقهن من الاسر والذل فاسبلن العبرات واظهرن الحرقات وبكى الطفيل وولده وكان عليه السلام يؤلمه بكاء الصبيان والولدان قال فتقدم اليه الطفيل وسلم عليه وجعل النساء يمسحن باطماره الى ان وصل البيوت وقد ضرب الطفيل خيمته العالية التى كان قد نصبها للضيفان والوفود وبسط فيها المسوح وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وعلى رضى الله عنه الى جانبه فلما استقر به الجلوس اقبل العباس وعقيل ومن معهما واقبل الطفيل ونادى الصلاة والسلام عليك يا رسول الله أنت مصباح الهدى والسراج الانور انى رأيت كلما نعت لى عيانا والذى قلت لى برهانا ثم عيى صبرى وضاق صدرى فلم يعقب الصبر الا خيرا فدفع الله ببركتك البلا وكشف عنا الأذى وكنت سببا لفرحتنا صلى الله عليك وبادية الخير وغايته الا انى يا رسول الله شاكر لهذا الرجل الكريم الذى أصله من أصلك وفرعه من فرعك المتفرع من شجرة عبد المطلب عمك العباس وابن عمك عقيل وقومهم بذلوا أنفسهم وضربوا بسيوفهم وأظهر والعدو ناحنقهم ودفعوا عنا الاذى وكفونا مؤنة العداو أوصلوا ولدى الى زوجته وأظفروه بأمنيته والمنة لله (ثم) لكم علينا وأنتم مصابيح الحرم وسادات الأمم وأرباب الرياسة فى القدم وانى شاكر لربى ثم لك بعده صلى الله عليك

يارسول الله يا خير مبعوث ثم جعل يقول

وانى لربى شاكر ثم بعده ٭ لك اليوم يامن قوله هو أصدق
ذكرت أمورا حققت ورأيتها ٭ عيانا فكان الصبر منى موافق
وانى لهذا اليوم مادمت شاكرا ٭ ولليل صفوان الصديق المصدق

(قال) فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم الخليل خليلك ونعم الصاحب صاحبك وصديق لقد واساك بنفسه و بذل مهجته فى مرضات غيره فما ترك شيئا من الجميل الا وعامله به فافعل بعدك خليلك صفوان فوثب صفوان قائما وقال لبيك وسعديك يارسول الله معدن البركات وغاية الآيات يا ابن الأكابر والسادات ومصباح الأقطار والجهات انه لن يخجل الطفيل بشجاعتى ولا بقوتى ولكن ببركتك يارسول الله وبعدك لقد لجأ الى ركن وثيق وخلص من بحر عميق فالمنة لله والحمد لمن رزقه وأرجو أن لا يحرمنى فقال صلى الله عليه وسلم انك على الحق وان طريقك طريق عاقل وطريق العاقل أفضل من طريق الجاهل فما الذى يحبسك فى غيك ويمنعك عن طريق رشدك ولقد رأيت خليلك الطفيل وما أظهر الله له من البيان فالحق كلمتك بكلمته تكن من الفائزين لأن أفعالك أفعال الكرام أهل العقل والاعظام لحفظك للحبة والعهد والذمام فقال صفوان (يا محمد) انزل على من هذا الكلام الذى أنزل عليك فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ثم تمادى قال فلما سمع صفوان كلام رب العالمين خشع قلبه وأطرق برأسه اطراق الحياء (ثم) رفع رأسه والدمع يتحدر على خديه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كانت دموعك من خشية الله فلقد استوجبت الرحمة فان الله تعالى يستحيى أن يعذب عينا بكت من خشية الله فقال صفوان يارسول الله ان أوزارى لكبار وخطاى على نفسى زمانا فهل تضمن لى قباعتى أن تغفر لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا الضامن لك ذلك ان أقررت فى وقتك هذا بالله وبرسوله ما قدمته قبل هذا والتجاوز عنك الا ما اكتسبته بعد ان عملت خيرا فلك وان عملت شرا فعليك فقال صفوان بأبى أنت وأمى يارسول الله فاذا كان كذلك فامدد يدك فانا أقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك (محمد) عبده ورسوله فسر عليه السلام باسلامه وصافحه وعانقه ودعا له بخير وابتهج الطفيل باسلامه وأسرع اليه وقبل ما بين عينيه وقال هذا تمام النعمة وتزايد البركة وازالة الهموم ثم جرد الطفيل سيفه وعقر بعيرا وذهب ليعقر آخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك فيما عقرت كفاية فقال الطفيل وما يصنع ببعير واحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت عن بركة نبيك يا طفيل (قال) فكيف ثم أمر بصنع الطعام فلما انتهى قربت الجفان من رسول صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح يديه على كل جفنة حتى مسح على الجميع (ثم) قال كلوا من الطعام فسموا ببسم الله فأكل القوم بأسرهم فما نقص من ذلك الطعام الا اليسير ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهوا من الطعام (قال) لصفوان اعرض على نسائك وأهلك الاسلام فعرض عليهم صفوان الاسلام فما تأخر منهم أحد فسر بذلك وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال الطفيل ان موضعك فسيح يصلح للنزول لأنه خصب وأنت فى جوارنا فسرح أموالك مع أموالنا وسرحك مع سراحنا ورعاتك مع رعاتنا ومع ذلك فلا تتركنا من أخبارك فقال الطفيل وهل عندك صبر يارسول الله وعن النظر اليك فودعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وودعهم القوم وقسم بين العباس وأصحابه ما غنموه ولم يحبس منه وبرة ولا شعرة ورجع الى مكة وبقى الطفيل ومن معه فى أماكنهم فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهله وأصحابه الى مكة وكانت قريش فى حيرة متفكرين فيما خرج اليه فلما

أشرف بين عمومته وأقاربه وعشيرته سكنت الأصوات وخمدت الحركات هيبة لبني هاشم وبني عبد المطلب وخرج أبو جهل الملعون معارضا لهم ليفتش عن أمرهم فقال غبتم فأوحشتم وأقمتم فأبهجتم والحرم بنوركم أشرق وان كان قد دهمكم أمر كانت أيدينا وأيديكم عليه أو معاند عاندكم فسيروا بنا اليه فقال عمر بن الخطاب ان عارضنا أحد أو كادنا مكائد فلقناها مامته وعجلنا ارغامه فاشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمر ان اسكت عنه وتفرق الناس الى منازلهم وجل الخطب وشاع الخبر والحديث بنزول الطفيل فماجت مكة أعلاها وأسفلها وتجددت الحسرات على من قتل منهم في بادية الأمر وجعل كل واحد يحدث أصحابه بذلك الى أن امتلأت به مكة وتحدث به الرجال والنساء والعبيد والاماء فظلوا في حيرة مما نزل بهم (فلما) كان في غداة غدهم سرحت رعاتهم وأموالهم فأصابوا عبيد الطفيل باموالهم قد سبقوهم الى المرعى الكثير الخصب والعشب والماء الصافي فعظم ذلك عليهم قال وأقبل راع لبني عامر وعبد لعمرو بن عبدود العامري باغنام له الى الماء وكان الراعي اسود عظيم الخلقة يقال له وثاق فصادف على الماء راعي الطفيل وكان عبدا اسود وقاح الا انه ذميم ذو حرج يقال له سراق فلما رآه عبد بني عامر على الماء قال له أبعد سرحك عن الماء لا كنت عبدا من أنت فقال سراق الماء لمن سبق اليه فمن نزعناه عنه أرغمناه على أنفه (فلما) سمع وثاق ذلك من مقالته غضب ووثب الى عبد الطفيل فلوح بعصاه يريد هامته فتروغ سراق عن العصاة فجازته فقال له يا ابن الذمية اقصر عما أنت عليه (ثم) عطف عليه بقوس كان بيده فضربه على هامته فشجها شجة موضحة فولى العبد وثاق هاربا على وجهه وترك أغنامه هنالك ولم يزل يهرول في مشيه ويسرع في خطاه الى أن دخل مكة فأقبل الى الأبطح وهو أحفل ما كان بالناس وقد اجتمعوا يتشاورون في أمر الطفيل ومجاورته لهم وبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم وثاق مضمخا بدمائه فلما رأوه تبادروا نحوه وأنكروا أمره غاية الانكار وسألوه عن أمره فلم يبد لهم قولا الى أن توسط الأبطح ونادى برفيع صوته الا أن العز قد فارقكم والسؤدد قد ذهب عنكم والذل قد أناخ بفنائكم والشماتة قد وصلت اليكم وجميع ما كانت تعظمكم به الملوك والاكابر من المفاخر فقد تبدل احقارا وتوليتم بعدها شنارا فقد جاءها اليها صعاليك أشرار لقد هاب أرضكم الا كاسرة والعمالقة وخرجوا منها طردا والآن وقد جاءكم فيها مشارك ومعاند فلا ماء ولا مرعى فالموت أجل بكم من الهوان فما هذا عار عليكم وأنتم في داركم أن تستضاموا اقلالا وتسمعوا اذلالا أتتكم عصابة الغدر مضمرة فتورثكم هوانا فلا كلا ولا ماء لسرحكم قد ورد عليكم عبيد القوم مياهكم وهم يخرجونكم عن دار عزكم ليسكنوا بعدكم الفقر اذلالا وهم كالنار أولها سهل وآخرها هلك فدونكم وانظر والأنفسكم (قال فلما) سمع القوم ذلك من مقالة العبد ماج الأبطح بسكانه والصفا بقطانه وأقبل عمر العامري وأبو جهل وعقبة بن أبي معيط وشيبة بن أبي ربيعة وأمثالهم من السادات لعنة الله عليهم الى يوم الدين فقالوا للعبد اخبرنا بامرك فأخبرهم بالأمر على حقيقته فلما سمعوا ذلك من مقالته ماجوا واضطربوا وهاجت بهجاتهم قال وهم عمرو بن عبدود بالسبق الى الطفيل فصاح به اللعين أبو جهل مهلا يا عمرو فما العجلة من شأنك ولا الطفيل من أقرانك وهذا أمر تجب فيه المهلة والنظر في عواقبه ونخشى أن تعمل السيوف في الجماجم وتجز القلاصم والامهال أصلح وهذه الليلة اذا انسدل الظلام وهجم النوام أناسائر الى شعبك وننزل في رهط من بني عمي وأبطال من عشيرتي فندبر هذا الأمر على جهته والتي تركناه هذا الرجل يجاورنا على ما نزل بنا منه انا اذا العاجزون وهيهات أن يكون منا عجز ثم أقبل على العبد وقال له عد الى أغنامك وسرحك وترحزح به عن الماء ولا تظهر لهم شرا فانا ناخذ لك بثارك منهم الليلة ثم لا

نرضى عن مد يديه اليك دون أن نبسط أيدينا الى مولاه ومن معه وان تناهى الأمر فنكشف الغطاء ونسفك الدماء فرجع العبد وعصب رأسه وبقى مرتقبا لما وعده اللعين أبو جهل وأبو جهل يهدن الناس ويسكنهم عن الصرخة والضجة خديعة منه ومكرا وجعل يقول ان القوم منا ولينا وأعز الناس علينا ويجب علينا أن نحفظهم والجار يحفظ جاره ويبلغه من الأمور مراده فواحدة لمحبته لبنى هاشم وصداقته اليهم فان مددنا اليهم يدا غضبت بنو هاشم لهم وارتفع الخطب ويكون ذلك مؤديا الى الشر ونحن نخشى مساءتهم ونتوقى شرهم والتجاوز عن هذا الأمر أبلغ والمسامحة أفضل وانما تكلم اللعين مخادعة منه ومكرا ليصل ذلك لبنى هاشم فيشكروه على قوله وكان بحضرتهم زيد بن حارثة فسمع كلامهم من أوله الى آخره فأقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند الكعبة وعنده جماعة من أصحابه وعشيرته مثل حمزة وعلى وأبى بكر وعمر وأمثالهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين (فلما) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة قد أقبل أنكر أمره وقال ما وراءك يا زيد قال بأبى أنت وأمى ان هذا اللعين العاق الظالم لنفسه أبو جهل قد زاد علينا فى كلامه وتعاظم فى مرامه يظهر لنا الوداد ويخفى الكياد وانه قد أظهر لجماعتنا الغدر وانى تركت الابطح يفور كفور المرجل ولا بد أن تقع الليلة أو غدا بيننا صرخة وفتنة يسمع ذكرها ويرتفع خبرها وانى لخائف أن تسفك فيها دماء ويقتل فيها رجال فعظم ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا زيد ما هذا الامر الذى ذكرت وما دليله فقال انى كنت بالابطح اذ رأيت عبد العمر بن عبد ود العامرى وقد أقبل مضمخا بدمائه فلا الابطح صراخا وارهابا وصراخا وصياحا وبسط لسانه بالمعيرة لقريش وعجز رأيهم وعرض بالمهانة لكبرائهم ووبخهم وعنفهم على الكلام ثم ذكر ان عبدا من عبيد الطفيل صنع به ما صنع فلم يبق فى الابطح الا من أظهر الغضب وأبدى الصخب وتكلموا الارعاف وكل يقول قولا الا ان اللعين قد قال كيت وكيت وأعاد عليه جميع ما قالوا وذلك منه خديعة ومكرا فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم مليا مفكرا فى كلام زيد ثم رفع راسه وقال اللهم اكفنا مؤنة الاعداء واصرف عنا طوارق البلاء فانك الفعال لما تشاء فقال حمزة رضى الله عنه وقد فار غضبه ما فكرت يا ابن الاخ فى هذا الامر اما ان البقرة بحثت على المدية بظلفها ولو علمت ان فيها حتفها ما عبثت بها والنملة تهب على الثرى فاذا اراد الله هلاكها كان حتفها فى جناحها وسيعلم ابو جهل اى مورد يرده واى بلاء يتجلله لتعرضه لما لا طاقة له به وتحرشه لما يستطيع دفعه فمن تحرش للاسد قسمه نصفين ومن لا عقل له لم يخش من الرزايا ان تتجلله فكم أمهلنا هم مرة ومرارا فلا يكبر عليك يا ابن أخى كلامه ولا يعظم عليك قوله وايم الله ما هو بالشوق منا سل الحسام والمبادرة والانهجام وأرجو أن البلاء قد دنا منه فدعه وما تعرض له فانه يعرض نفسه للهلاك ويوقعها فى الارتباك هو ومن كان من حزبه (ثم) ان حمزة رضى الله تعالى عنه جعل يقول

خل البليد وما أتى من قوله * فالقول يورثه الهلاك بجهله
كم باسط بين الأنام لسانه * ساق اللسان الى الحسام بفعله
لا مرحبا بالطالبين عنادهم * كفاه ظلتها السحاب يؤمله
انا لنضرب من أراد عنادنا * بالمرهفات نرده فى نصله

(قال فتبسم) رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وشكره ودعا له بخير وقال على رضى الله تعالى عنه فداك أبى وأمى لا يكبر عليك قول المارد الظالم فان أظهر لك العناد فالله من ورائهم بالمرصاد ودهمته منا الابطال وأسد الرجال ولا نثنى عنه عنانا ولا نرد عنه سنانا فوالذى خصك بالرسالة وتوجك بالنور والكرامة وهداك بالقرآن والدلالة لئن أطلقت لى السبيل لاهجمن عليه فى

داره ولا يجلن دماره ولا قطعن من الحرم آثاره وما بلغ هذا اللئيم الذميم أن يخامرك الهم بذكره وهو دون ذلك وما بلغ منك من أمره وهو أقل وأهون فضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صدره وقبل ما بين عينيه وتواثبت بنو هاشم وشجعان بني عبد المطلب وتكلموا بمثل هذا الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما العجلة من شأن الحليم ولا من أخلاق الرجل الكريم فصبر قليل الى أن ينكشف من القوم أمرهم حتى يستوجبوا الاساءة فامسك القوم على ما هم عليه وجعل اللعين أبو جهل يعيد كلامه بالابطح وتفرق الناس ومشوا الى السادات وكبراء السادات من قريش وسفهاء مكة فوعدهم اللعين الى شعب بني عامر ومنزل عمر بن عبد ود العامري عند انسدال الظلام وهجوم النوام فانصرف القوم على ذلك ولم يتخلف منهم أحد (قال فلما) كان بين المغرب والعشاء الآخرة والنبي صلى الله عليه وسلم يأكل افطاره ومعه ابن عمه علي رضي الله تعالى عنه يأكل معه واذا بقارع يقرع الباب فوثب علي رضي الله تعالى عنه وقال أقسمت عليك بنورك لا قام أحد غيري لاني أخشى أن يكون من بعض أعدائك طالب اغتيالك ثم اخترط سيفه وفتح الباب مبادرا واذا هو بشخص متلثم متنكر فهناك ماشك في انه من الأعداء فهز سيفه وهم أن يعلوه به فصاح الرجل مهلا ما هذا فما أتيت لطلب شر ولا مضمر الغدر وانما أنا رسول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الامام ومن أنت ومن أين أتيت ومن أرسلك قال من عند الطفيل بن عامر (فلما) سمع علي ذلك قبض على زنده فقال له العبد قد آلمتني ورضضت زندي فأوصلني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو دعني أعود من حيث جئت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغت يا غلام قل ما شئت فقال بأبي أنت وأمي شغلني الألم عن الخطاب والجواب فهر هذا الغلام أن يخلي عني فما أظنه الا ابن عمك عليا (قال) نعم هو كذلك فقال خل عنه يا أبا الحسن شكر الله فعلك فاطلقه الامام وقربه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأمله فاذا هو سواق عبد الطفيل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قل ما جئت به فقال يا (محمد) جمالك واشراقك يشهد لك بالتحقيق والرسالة والتصديق فأنت نور الأنوار ومصباح الأقطار ورسول الملك الجبار يا رسول الله اني دخلت مكة وأنا جاهل بمكانك غير خبير بمنزلك ولا أدري حيث آخذ يمينا وشمالا اذ خيل لي كان قائدا يقودني أو سائقا يسوقني الى أن وقفت ببابك (ثم) تخلى عني فعلمت اني قد وصلت وبلغت وكنت محققا انك رسول الله وان مولاي أرسلني اليك لأعرفك أنا لم نبد أقوما بشرا واني كنت على الماء بالأموال اذ أقبل راع من رعاة القوم فطلب أن يطردني عن الماء فلما أبيت ذلك أهوى الى بعصا كانت بيده فرغت عنها ثم عطفت عليه فضربته فسال دمه فترك أغنامه وولى صارخا فغاب عني طويلا ثم أتاني مهددا وأرعد وأبرق بالكلام فأمرني مولاي بالمسير اليك لاخبرك بذلك صلى الله عليك (قال) فجزاه خيرا وقال عد الى مولاك واقرئه مني السلام وقل له كن على حذر في ليلتك واحذر المنام في رقدتك وباعد عنك المنام وليكن لك حرس من حولك وحول أموالك وأمر قومك بالاهبة واليقظة ولتكن الخيل مسرجة والسيوف مصلتة والقسي موترة وأضرموا النيران للرصاد وادع الحرس من ورائك واياكم والغفلة ولتكن الدروع على الأبدان ونول أنت وصفوان حرس قومك فان طرقكم طارق أو عاقكم عائق فارسلوا منذرا ينذرنا لنسرع اليكم وأرجو أن يكفينا الله ما نخشاه من أمر عدونا ولا قوة الا بالله فاسرع لما أمرت به يا غلام قال فخرج الغلام من وقته من مكة سالما ووصل الى الطفيل فاخبره بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام الطفيل من وقته وضم البيوت بعضها الى بعض وجعل من حولها الأباعر والخيل وقال لأصحابه معاشر الناس قد سمعتم ما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فافرغ القوم عليهم أدراعهم واسرجوا خيولهم وأضرموا نيرانهم

وقاموا حول الأموال مستيقظين وتحت الحذر جاثمين (قال الراوى) رحمه الله وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج العبد من عنده قال لعلى رضى الله تعالى عنه امض الى عمك العباس وعمك حمزة فأتنى بهما فكانت الا هنيهة اذ جاء بهما فقال صلى الله عليه وسلم امض ياعم الى منزل أبى جهل وشعب بنى مخزوم وانظر هل ترى هنالك من القوم أحدا أو تسمع لهم خبرا وانى أظن القوم فى تدبير وأرجو أن يؤل أمرهم الى تدمير فخرج حمزة فغاب الى أن مضى من الليل هجعة فعاد وهو يزأر ويهدر وكان ذلك من علامته اذا غضب (فقال) صلى الله عليه وسلم ما الذى ظهر لك ياعم فانى أرى شواهد الغضب فى وجهك بادية فقال يا ابن أخى انها الليلة لابد أن تعمل فيها الصوارم وتفلق فيها الجماجم فقال صلى الله عليه وسلم ياعم اكشف من حقيقة الأمر قال كبت معاديك وخاب مناويك انك لم يبق بمكة فارس مذكور ولا بطل مشهور من بنى زهرة وبنى مخزوم وبنى عبد شمس الا وقد حضر فى شعب بنى عامر والشعب يسير بالرجال ويرمى بالابطال كانهم الجراد المنتشر رجال يخفون السلاح تحت أطمارهم وقد ظاهروا على أدراعهم وجواسقهم وعمائمهم ولا شك ان القوم الى صاحبنا الطفيل قد عزموا أن يخرجوا تحت الدجى والله لا صبرنا لهم أكثر مما صبرنا وقد طمع فينا طامعهم فقال عليه السلام امض ياعم فادع لى قومى وعشيرتى وقال لعلى انطلق الى أصحابى ومن آمن بى وأمرهم أن يدعو بعضهم بعضا وان يأتوا بأسلحتهم مستعدين (قال) فاسرع فما كان الا حلبة حالب حتى أقبلت بنو هاشم وشجعان بنى عبد المطلب وأفيال بنى عبد مناف وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتراسلون سراعا حتى امتلأت بهم الدار وكل واحد متدرع متكامل بلامته (ثم) قام صلى الله عليه وسلم فافرغ عليه ادراع جده عبد المطلب وتعمم بعمامته وتمنطق بمنطقة اسماعيل وتقلد بسيفه وانتعل بنعل شيث وأخذ قوس ادريس وتوشح ببردة لؤى وخرج من منزله وقد فشا نوره الظلام وحف به أقاربه وعشيرته وأصحابه وهو بينهم كانه بدر أحدقت به النجوم صلى الله عليه وسلم وتقدم امامه حمزة وعلى وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم أجمعين بالسيوف مشهرة حتى أتوا شعب بنى عامر فوقف صلى الله عليه وسلم هناك فقال له عمر بن الخطاب يارسول الله ما يمنعنا أن نهجم على القوم فى أماكنهم ونبذل السيف فى أعراضهم ونفرق جمعهم ونشتت شملهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يرحمكم الله فسترون عجبا من أمركم وكونوا فى أماكنكم فجلس القوم فى أماكنهم وتطاولوا الى مقدم القوم وزادهم القلق (قال صاحب الحديث) هذا ما كان من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما ما كان من خبر قريش فانهم تكاملوا فى تلك الليلة فى شعب بنى عامر فى أربعمائة رجل وهم ابطال مكة غضبا لعمر بن عبد ود العامرى وطاعة لأبى جهل الملعون فلما تكاملوا قام أبو جهل وقال ياأهل مكة واصفا قد علمتم ما وصل اليكم من (محمد) من الأذى على طول الأيام ونحن نحمل ذلك اكراما منا لذويه واهله وحياء من ابى عتبة وقد زاد الأمر وكثر الشر وقد جاءكم (محمد) بمن يغصبكم فى مياهكم ومراعيكم ويشركم فى ارضكم وكلائكم وما استقرت بالقوم الارض حتى مدوا ايديهم الى عبد سيد من ساداتكم وكبرائكم ممن لا تنكر اهل الأرض جميعا حقه ولا يخمل عند الملوك قدره فعدوا عليه فقلقوا هامته وضمخوه بدمائه ومن العبيد يترقى امركم الهى سيد العبيد فهل تصبرون على هذا يامعشر قريش (قال) فضج القوم عن آخرهم وقالوا لا كان ذلك ابدا أو نقتل عن آخرنا ولا يشاركنا مشارك فى ارضنا فقال اللعين ابو جهل اذا فثوروا الى القوم فى ليلتكم واطردوهم عن ارضكم وجواركم فان منعكم مانع فانهلوه لعق الدماء وجرعوه غصص الفناء فان ظاهركم بنو هاشم فظاهروهم فان حاكموكم فحاكموهم فالعرب تشهد لكم بظلامتهم لكم بحلولهم فى ارضكم فان ناوونا وعارضونا رجونا ان يكون ذلك طريقا الى (محمد)

وقتله

وقتله وفناء عصبته فهاج القوم من قوله وتواثبوا قياما وقالوا له لاجزنا عن هذا الامر الاعجزا فبادر واسراعا وخرج عمرو بن عبدود العامرى واخوه معه وتبادر أبطال قريش ورجال بنى زهرة واقيال بنى مخزوم وثاروا مبادرين وخرجوا مسرعين وتقدم ابو جهل الملعون فى اوائلهم وعمرو بن عبدود والقوم من ورائهم وهرول عدو الله فى اوائلهم مسرعا يطلب الفرصة قبل ان يقع الصوت حتى اذا وصل فم الشعب وجده محشوا بالرجال ابطال بنى هاشم وأقيال بنى عبد المطلب ورأى النور فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الى حمزة وعلى وعمر بن الخطاب واجتماعهم للوثبة (فلما) عاين ذلك ذهل وعطف على أثره موليا طائشا فقال له عمرو بن عبدود ماوراءك يا أبا الحكم قال رأيت بباب شعبك قوما لا أعلم ماهم فتقدم أنت فعساك أن تكون أخبرهم منى (قال) عمرو من يتعرض لشعبنا ثم تقدم فلما نظر اليهم قال عجبت ما أرعب أبا الحكم وراعه ثم عطف على قومه فقال يامعشر قريش ان بنى هاشم قد وقع اليهم ماعزمتم عليه الليلة وأشرتم اليه وقد جاؤا على كشف القناع وبسط الباع وأن يمنعوكم عما عزمتم وانى قد رأيت قوما عزموا على الفناء وسفك الدماء وانى قد رأيت ليث بنى هاشم وكبشهم النطاح حمزة تقدم وجثم وصمصم كانه ضيغم وقد عاينت ليث الكتائب فتى بنى غالب على بن أبى طالب وقد اجتمع اجتماع القشعم وقد تغيرت محاسنه والغضب يلوح فى حمالق عينيه كانه صرصر عقيم تزعد من نظره الفرائص وتعترى الأبطال منه الوساوس كانه ليث جالس ورأيت ليث بنى عدى عمر بن الخطاب له صلصلة وهدير فما أنتم قائلون وعلى م عزمتم وما أنتم عليه مجمعون (قال) فخرس القوم عن الخطاب وصمتوا عن الجواب وانكسرت حميتهم عما عزموا عليه وطال بهم المقام ولزمتهم السكينة وشملتهم الحيرة فقال اللعين أبو جهل معاشر الناس ماوقوفكم فى أماكنكم والقوم فى أماكنهم لا يزالون وكلما تطاول أمركم تطاول طمعهم فيكم فاما أن تفاجئوا القوم بالحملة واما أن تعملوا الحيلة فى الخلاص لهذا الشعب الى أن نساور الأرض ثم أنتم على خير ماترون وقد وقعتم فى شبك الارتباك ولا يخلصكم منها الا القراع أو الحملة والفراغ والخداع فما أنتم قائلون فقالوا يا أبا الحكم دعوتنا وأنت أولى بأمرنا فانظر لنا بحسب ماتراه فقال اللعين انى أستحيى من القوم أن أكاشفهم بالعداوة بعد ما أظهرت لهم المودة ولهم حقوق لا ننكرها فانظروا لهذا الأمر غيرى فقال عمرو عهدتك يا أبا الحكم منذ قليل تحرضنا عليهم وتأمرنا بالثورة اليهم فمن غير حالك بهذه السرعة وما الذى أوهنك وأرعبك وأزال عنك ما أضمرت لهم من العناد والضغن والكياد وانما عاينتهم نظرا فكيف بك لو بليت بحربهم وقتالهم فما أظنك الا تلقى بيدك اليهم كالقاء الجزار اللحم على ظهر العظم لقد انتكس أمرك وهان قدرك وانحل ذكرك (فلما) سمع أبو جهل ذلك من مقالة عمرو عظم عليه ذلك وكبر لديه ولم يجد لخطابه جوابا وألزمه بقوله أن يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وأن يعمل الحيلة فى دفعهم فأقبل منفردا بنفسه الى أن قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم) قال نعمتم مساء وطبتم بقاء ما الذى أتى بكم يا بنى هاشم تحت الدجا وجمعكم فى هذا الفناء فقال حمزة رضى الله عنه غدر الغادر ومكر الماكر ورأى الركيك العاجز بلغنا عنكم أمور لاح لنا تصديقها وظهر تحقيقها قيل لنا انكم قد اجمعتم على أمر فأتينا كم لنجازيكم عليه ان كان خيرا فخيرا وان كان شرا فشرا ولذلك خرجنا ولذلك قصدنا وتعاظم الصبر فى صميم الصدر لم يجد مكانا وانا لأشوق الناس الى كشف القناع وبسط الباع والتلاحم والقراع وانما أمسكنا عن ذلك توقيرا لهذا الحرم المحرم والبيت المعظم وبادر اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال يامسفرا جاوزنا مجاوزا لاهشمنا رأسه وقطعنا أنفاسه وأنت يا ابن الذميمة المؤلب على رسول الله صلى الله

عليه وسلم لئن دنوت منى لأقطعن الليلة أنامك ولأعجلن ثواكلك وتكلم له الامام على رضى الله عنه وقال انا لنعلم أنه ماجمع هؤلاء القوم غيرك ولاحرضهم سواك تظن ظنونا كاذبة وتمنى أمانى خائبة وأنت شيطان وأخذته الألسن فصاح يا (محمد) اكفنا مؤنة أصحابك فانا نعلم أنك كاره لسفك الدماء من قومك وعشيرتك فاكفنا مؤنتهم واصرف عنا شرهم فوحق الكعبة والصفا وأبى قبيس وحرا ما اجتمع القوم يريدون شرا ولا مكرا ولا غدرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما الذى اجتمعوا عليه ان كنت صادقا (قال) انى أخبرك بالحق فالحق أوفى وسبيله أعفى انه لم يبق بالحرم واحد من العرب الا وقد ساء نزول هؤلاء القوم بازائنا ومقامهم بجوارنا لأنهم ضيقوا علينا مراعينا وكدر وا مياهنا وأخشى أن يتزايد الأمر ويكبر الشر وما استقر بهم المكان حتى بسطوا أيديهم الى عبد بنى عامر ففلقوا هامته وضمخوه بدمائه ولا شك انه هالك فى ليلته ولم يبق أحد من سكان الأبطح الا وقد رآه وعاينه واجتمعوا فى هذه الليلة وهموا بالوثبة والغضب لعمرو بن عبدود لأنه قد عظم عليه ما نزل بعبده وهو من قد عرفت فضله ومكانه فى الأندية والمحافل ولقد عزموا على الفناء فزجرتهم وقلت لهم سيروا الى بنى هاشم فهم بنى أبينا وجيراننا فنسألهم أن يكفوكم ما كرهتموه من مجاورة هؤلاء القوم فكسرت القوم عما عزموا عليه وما خرجوا الا لذلك وهم أهلك وعشيرتك والذى يسئلونك أن تبعث الى هؤلاء القوم وتأمرهم بالمباكرة الى الكعبة والاجتماع (ثم) نحاكم القوم ويحاكمونا وأنت وقومك حاضرون فاما أن نقطع لهم أرضا لا يشاركهم فيها مشارك ولا يعارضهم فيها معارض فنكفى مؤنتهم فان رضوا بذلك ورضيتم والاحكم بيننا وبينهم من ترضون بحكمه فما أمرتنا به انتهينا الى فعله فهل دعونا كم الى النصفة يا (محمد) قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وجودة خديعته ودفع الشر عنه وعن أصحابه وقال انى راض بذلك الا أن تغيره بسوء فعلك وتضمر خلافه فى قلبك فارجع الى قومك وأخبرهم بذلك فقال له على رضى الله عنه على ان من ظهر منكم الليلة خارج الجدران أرغمنا أنفه كائنا من كان فان كنت تريد أن تصرفنا عنك الى أن نغيب عنكم ثم تخرجوا الى قومنا فتنالوا منهم ما أملتموه قال أبو جهل الملعون لا ورب الكعبة ما خطر لنا هذا ببال (ثم) رجع الى أصحابه رافعا صوته خديعة منه ومكرا وهو يقول

رب منى والمشعرين والحرم ٭ ورب أرباب عدن فى القدم
ومن مضى من قبلنا من الامم ٭ اصرف عن الجميع أسباب النقم
فهم بنوا أب ونسل وابن عم ٭ فلا ترين السيف يهوى فى الهم

(قال) فلعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا من دواهيه وخدعه وأقبل اللعين الى قومه وهم متطاولون الى ما يكون من أمره فقال عمرو بن عبدود ما وراءك قال ان القوم قد أجمعوا على القتال وفناء الأجال ولم يبق من بنى هاشم ممن أجاب (محمدا) الا وقد أتوكم مضمرين لكل البوار خالعين العذار وقد حاولت القوم محاولة عظيمة حتى صرفتهم عنكم وأنا أعلم انهم لكم أكفاء فاتركوا القوم ينصرفون بقية ليلتهم الى الصباح فنرى رأينا ونديرأمرنا وقد سألت (محمدا) أن يبعث الى الطفيل ومن معه فيكون اجتماعنا عند الكعبة وفى فضاء الأبطح ونجعل بيننا وبينهم حكما فكل استجود رأيه فقال عمرو بن عبدود فما هذه الحيلة التى دبرتها لنا على القوم (قال) ستظهر لك وتكون أحدوثة فى العرب قال عمرو لأبى جهل فاصرف القوم عنا كما ذكرت ولعنه فعطف اللعين على أثره نحو بنى هاشم ونادى يا بنى أبينا قد أجاب القوم الى ما ذكرت لهم فانصرفوا مصاحبين فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معه من أصحابه وقال ان عدو الله قد عزم على أمر سيظهر لكم برهانه

وبلية ستلحقه ان شاء الله ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فى نفر من أصحابه وقال لهم كونوا خارج الاوطان مما يلى الثنية وابعث رجلا من قومك الى الطفيل بأمره أن يكون على أهبة ولا تزل مكانك الى الصباح (قال) سمعت وأطعت ثم أسرع عمر الى ذلك حتى أتى الثنية فجلس هناك برجاله وبعث خباب بن الارت الى الطفيل كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى خباب حتى أشرف على الطفيل فوجدهم على أهبة ونيرانهم تضرم من حولهم كالسرادق المضروب والرجال جثم تحت اليقظة والفرسان يحومون يمينا وشمالا لا يقربهم قرار والطفيل وولده حول الأموال وصفوان وعقال بن نهال على ظهور خيولهم ولهم ضجيج بالثناء والتكبير لرب العالمين فاعجب خباب ما ظهر له منهم (ثم) دنا من القوم فما هو الا أن أحسوا به واذا بالخيل قد كرت عليه وتصارخت اليه الابطال ومدوا اليه الاسنة وهزوا القواضب وأخذته الزعقات من كل جانب فلولا أنه أعلن بالتكبير لاختطفه القوم على أطراف الاسنة فامسك القوم عنه وصاح به صفوان من السائق الى نفسه العطب والجالب لرحه الحرب قد عزمت نفسك الهلاك (فقال) خباب مهلا فانا رسول من (محمد) صلى الله عليه وسلم فامسك القوم عنه وتقدموا اليه يعتذرون له وسألوه عن مقصده فأخبرهم بما كان من المشركين فى تلك الليلة ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم هو وأصحابه وما عزموا عليه من الهجمة عليهم وأخبرهم أن عمر بن الخطاب هو الذى أرسلنى اليكم أن تكونوا على يقظة وأن يسمعوا الصوت (قال) صفوان انا تحت اليقظة غير غافلين فجزاه الله أفضل الجزاء فرجع عنهم خباب وقد أعجبه ما رأى منهم ومن جهدهم وجودة حرسهم فرجع الى عمر فأخبره بذلك فسر عمر بما سمع منه قال ثم ان خبابا لما رجع من عند الطفيل وقد حدثهم بما كان من المشركين فى تلك الليلة شغل ذلك قلبه وأمر أصحابه بالحذر وأوصى عبيده بقلة النوم واليقظة حول الاموال وقال لابد لنا أن تكون مع القوم وقعة يشيب لها الوليد ولم يزل القوم كذلك الى أن انبلج الصباح وهم تحت السلامة (فلما) أصبحوا تساقطوا الى الارض من شدة السهر ومارجهم فى ليلتهم (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله ثم رجعنا الى الحديث الاول وذلك أنه لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من شعب بنى عامر راجعا وقد بعث عمر بن الخطاب الى الثنية كما ذكرنا وأمر أصحابه بالتفرق الى منازلهم والمباكرة الى الكعبة فى غداة غدهم وقال ليكونن غدا مشهد عظيم يكون فيه عبرة للعالمين فانصرف القوم تحت التشوف والتطاول الى غداة غد ولم يسر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير عمه حمزة وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما وجعل حمزة يقول

اذا بدا الصباح قلت مرحبا ● تكشف عنى يا خليلى كربا
يا أيها الصبح الينا قربا ● من الذى قد قاله المهذبا
حاشا رسول الله أن يكذبا ● بل مصدق فى قوله مهذبا

(قال) فلم يرد عليه السلام جوابا وانصرف الى منزله ثم قال ان اللعين أبو جهل لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من شعب بنى عامر ورجع المشركون أمسك اللعين عشرة من رؤسائهم كعقبة بن أبى معيط وهشام بن المغيرة وشيبة وعقبة ابنى ربيعة والنضر بن الحارث وأمثالهم وأمر بقيتهم بالانصراف وقال لا يتأخر منكم أحد عن المباكرة الى الأبطح ومعكم أسلحتكم تحت أطماركم قالوا سمعنا وأطعنا فلما تفرقوا أقبل اللعين أبو جهل على عمرو بن عبدود العامرى وقال له اعلم أنا لا نجد الى القوم طريقا الا بحجة يستجودوها منا وقد دهمنا بأمر فسبقنا القوم الى ما عزمنا عليه وأخذوا علينا الشعب ورأينا الأمر قد صعب ولم يصل أمرنا الى

أملنا دون أن نبذل مهجتنا ولقد رأيت لك رأيا تصل به الى عدوك ونبسط أيدينا الى (محمد) وأصحابه والى هؤلاء اللئام قال عمرو ما هذا الرأى وكيف لى ولو خرجت عن مالى وما تملك يدى (قال) نعمد الى هذا العبد الذى ناله من القوم ما ناله فنهلكه ونتم عليه فى هذه الليلة فاذا كان فى غداة غد وغدونا الى الأبطح وتكامل الناس أمرت عبيدك وموالىك وذويك أن يحملوه قتيلا والنسوان يصرخن من ورائه ونطلب القوم بقتله ويكون لنا طريق الى كشف القناع وبسط الباع (قال) عمر بن عبدود ويحك يا أبا الحكم أخشى ان يهلك عبدى ضياعا بقتله فلا العبد يبقى ولا ما رجوته نصل اليه فقال له اللعين أنا الضامن لك ذلك وكيف يذهب ضياعا ولم يبق فى الحرم الا من علم بعبدك انه مضمخ بدمائه وقد اتصل (بمحمد) ذلك فاذا تقول له انه قد تزف دمه فمات وخمد قال عمرو فكيف نفعل به فانه انتهى الى أمرك ورأيك قال أبو جهل أمره أن يدرج فى مسوح الشعر (ثم) نجلس من فوقه وتضيقوا منافسه فيهلك من وقته ففعلوا ذلك قال عمرو بن عبدود انا استعجلنا هلاك عبدنا ولا ندرى ما يكون منا بعده ومنهم قال فتركوه على حالته وكان الذى تولى قتله أبا جهل الملعون وعقبة وشيبة بن الوليد وعقبة بن أبى معيط فلما فرغوا منه تفرقوا الى منازلهم وأخذ عليهم أبو جهل الملعون العهود والمواثيق لا يبدون ما فعلوه لأحد من عشيرتهم وأهاليهم ولا لنسائهم وأقاربهم وأن يجمعوا كلمتهم فتفرقوا على ذلك وكتم عمرو ما نزل به وخرج النسوان لما نظرن ما نزل بالعبد ينتصارخن بالبكاء والعويل (قال) وهبط الأمين جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل أبو جهل فى تلك الليلة وما اتفق عليه مع الذين تولوا قتل العبد وقال اعدوا واستعدوا فان القوم مستعدون لقتالك واخمالك والله من ورائهم بالمرصاد (ثم) عرج جبريل الى السماء فقلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قلقا شديدا واقبل الى عمه حمزة رضى الله تعالى عنه وعلى رضى الله تعالى عنه فاخبرهما وكانا لا يفارقانه خشية عليه من غائلة المشركين فقال حمزة لما سمع بعدا وسحقا للعبد وهوانا وذلة لمولاه الرجس النجس (ثم) قال يا ابن أخى ان هذا الأمر قد تعاظم وقد برا اللعين فأجاد الحيلة وأبلغ ولا بد أن يحرض القوم علينا فأذن لى ان امضى الى عشيرتى وقومى وأمرهم الا يتخلف منهم عند أحد وان يكونوا متأهبين وللحرب مستعدين وبالسلاح متدرعين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم افعل ما بدا لك يا عم مع ان الله سبحانه وتعالى فى غنى عن كل أحد والعبيد عبيده ونواصيهم بيده ولا بد أن يشاهد الجمعان ما يكون بينى وبين القوم من العجائب فاسرع حمزة الى بنى هاشم وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن يأتيه عند الصباح ويدخل بمن معه من قومه وعشيرته وأقاربه ولا يدخلون الا وهم فى أهبتهم وأسلحتهم فمضى الرسول الى ما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وباتت مكة تموج بأهلها والمشركون فى انهماكهم وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوصى صاحبه بالمبادرة فلما لمع ضياء الفجر دب المشركون الى الأبطح وأرسل أبو جهل عبيده الى قومه يستنهضون له الأكابر والسادات من منازلهم الى الأبطح فاقبلت الشعاب تسير بالرجال وأقبل عمرو بن عبدود فى بنى أبيه وقرابته وذويه وكان أبو جهل قد أمره الا يذيع أمر عبده ولا يخبر به أحدا من أهله وقال له ان فى ذلك رأيا وتدبيرا فأجابه الى ذلك وأقبل الى الأبطح وصح القوم وجلسوا وأقبل القوم يتخالفون الى أن حفل الأبطح بالناس كل من بمكة الا أقلهم ممن يعتقد دين الاسلام (قال) وخرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرعون الى الكعبة ارسالا وأقبلت بنو هاشم وشجعان بنى عبد المطلب وقد تكنفوا بالدروع وتعمموا بالبيض ونوشحوا بالسيوف وخرج رسول الله وقد تدرع بالبياض وعليه السكينة والوقار وقد حفت به عمومته وأقاربه وعمه حمزة عن يمينه وعلى عن يساره وأصحابه من ورائه وامامه أصدق أقاربه

وأدانيه وقد تكاملوا فسر بذلك (ثم) صلى صلاة الفجر وأسند ظهره الى الكعبة وأحدق الناس به ينظرون مايأمرهم به وقد تجمع المشركون فى الأبطح وكل منتظر مقدم صاحبه (فلما) تكاملوا بعث اللعين أبو جهل بعبد من عبيده وقال له أشرف على الحرم وانظر ماذا ترى وأتنا بالخبر فمضى العبد ثم عاد على أثره مسرعا وقد ذهل ودهش فقال له أبو جهل ما الذى رأيت قال رأيت عصبة ملمة زاهية وقوم أجمعوا على اشهار السيوف وكشف الغطا ورأيت (محمدا) فى وسطهم وقد سطع نوره وعلا فارتقبوا قارعة جدعا تطحنكم طحن الحصيد وماهى منكم ببعيد فوثب اليه اللعين وقد امتلأ غيظا وضربه بسوط كان بيده فاوهنه فهرب العبد بين يديه وقد أشغل بقوله قلوب القوم وامتلؤا رعبا مما سمعوا من العبد فاقبل عليهم اللعين أبو جهل وقال يامعشر قومى ان يومكم هذا قد أذن بذهاب ذلكم واشهار عزكم (قال) وبينما القوم على ذلك اذ أقبل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من الثنية مع أصحابه وهم كالاسود الزائرة متأهبين متحزمين فاخترقوا الأبطح ولم يعبؤا بالقوم ولم يلتفتوا غير ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عرض بهم وقال برفيع صوته اليوم تكشف الضغائن والاحقاد وتخمد نار أضرمت فى الفؤاد ونشفى القلوب من الأعداء ونزيل من الأصنام ونرين الحسام من كل أسد ضرغام ياحزب الشيطان وعباد الأوثان قد بان الغضب لدين الرحمن حتى تعترفوا بخسر الأديان وتعرفوا حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جعل يقول

اليوم نكشف مافى القلب من غصص * فلا اصطبار على هذا ولا جلد
كم نستضام ولم هذا المقام على * الذل ونار الحشى فى القلب تتقد
لاصبر لنا اليوم ان لنا * شفا الصدور فقد اودى بها الكمد
فنطمس بذباب السيف أعينكم * فأين ملجؤكم ان زاحف الأسد

(قال) فلم يرد عليه أحد قولا وانما أمل بقلبه أن يعارضه أحد أو يدانيه فيكون أول فاتح للحرب وأول من ضرب بسيفه فى الحرم فى سبيل الله على دين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مابك ياابن الخطاب شكر الله فعالك فقال يارسول الله ماحال الأسد اذا أبصرت فرائسها فلم تجد اليها سبيلا فكنها يارسول الله من أعدائها وأطلق لها السبيل تمزق كل ممزق فقال عليه السلام مهلا ياابن الخطاب فلابد أن تصل الى ماتريد ان شاء الله فوقف وهو يغور بالغضب (قال) وبينما القوم كذلك اذ شخصت الابصار وتطاولت الاعناق وتشوف أهل الأبطح جميعا ينظرون ما الخبر واذا بالطفيل قد أقبل وولده عامر وصفوان وعصابة الدوسيين وكتيبة اليشكريين وجمع العلميين على الخيل والمطايا وتكاملوا مجتمعين على الحملة عازمين فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالنا موضع يجمعنا واياهم أوسع من الأبطح فانهضوا بنا اليه يرحمكم الله لنحاكم القوم فنهض ونهض القوم خلفه جميعا وجاء الطفيل ومن معه وسلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم) عطف بهم واعتزل عن المشركين فجلس بنو هاشم وكانت لهم مجالس لايجاوزونها فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجلوس بعث اليه اللعين أبو جهل يقول (يامحمد) انا لم نجتمع على حرب وانما اجتمعنا لما تواعدنا عليه من المحاكمة وانفصال الأمر وان شئت سرت الينا وان شئت سرنا اليك فبعث اليه عليه السلام بل أنت تسير الينا وقومك فلما أتاهم الرسول بذلك انحفل القوم بأجمعهم وتقدم السادات والأكابر امامهم (فلما) وصلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم اللعين أبو جهل وعمرو بن عبد ود وأمثالهم من سادات القوم وانحفل بقية القوم من ورائهم فاستفتح اللعين أبو جهل وقال يابنى هاشم ان الحرم يجمعنا والنسب يلزمنا ونحن بنو أب وعشيرة وأقارب وهيبتنا فى

قلوب الملوك تتوقد وفى صدورهم تتردد فان تجاد لنا واختلفنا سقطت هيبتنا وزال عزنا وانهدم ركننا وارتكس فعلنا وطمع فينا عدونا ولقد علمتم يا بنى هاشم انه ما جاورنا مجاور فى هذا الحرم ولا طارقنا ولا كايدنا مكايد فربح معنا وقد جاورنا هذا القوم فما استقر بهم القرار حتى مدوا أيديهم الى عبيدنا وهو فى آخر رمق ولا شك انه هالك فى يومه هذا أو فى ليلته وقد هم بنو عامر ان يكشفوا معكم القناع ويبسطوا اليكم الباع فمنعناهم من ذلك فاكفونا أنتم مؤنة هؤلاء القوم لئلا يكونوا طريقا الى هلاكنا فيشمت بنا الحاسد ويفرح العدو والمعاند فابعدوهم عن أرضنا وازيلوهم عن حرمنا فان هلك عبد بنى عامر وهم فى أرضنا ليهلكن رجال وليسفكن دم ابطال (قال) وبينما عدو الله أبو جهل فى الكلام اذ سمع الناس ضجة وصراخا وضجة وبكاء النسوان والولدان والاماء قد ملأ الشعاب والوادى فتطاول الناس لذلك اذ أشرف رجال يحملون العبد على أعناقهم وسبق رجال من بنى عامر يتصارخون ويخبرون أن العبد قد هلك وقد زاد صراخ النسوان والولدان (فقال) اللعين أبو جهل هذ الذى كنا فيه الآن يا بنى هاشم وتابعه عمرو بن عبد ود وقام الناس وعزموا على الانهجام وتواثب بنو هاشم وقام حمزة رضى الله تعالى عنه وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وجردت دوس أسيافها وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق جالس الا قام وقرب الناس بعضهم من بعض وأشهرت السيوف والخناجر وتزايد صراخ النسوان وتقدم ربيعة بن الأسود وكان سيدا من سادات القوم له عزم وحزم وهو ممن أعان بنى هاشم يوم الحصار وكان يحمل لهم الطعام وهو ممن قام فى نقض الصحيفة وتابعه البحترى بن هشام وهو من بنى أمية وأمية بن خلف الجمحى هؤلاء الخمسة من سادات قريش فقاموا من أماكنهم ووقفوا بين الفريقين وحجزوا بين الصفين يطلبون الاصلاح بين الفئتين والتفت مطعم بن عدى الى جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نادى يا بنى هاشم يا بنى عبد المطلب أقسمت عليكم بهذا الحرم المحرم والبيت المعظم والبلد الموقر فى الامم الا ما حقنتم الدماء وصنتم النساء وقد علمتم ان فى بيوتنا نساءكم وفى بيوتكم نساؤنا وكرائمنا فلا تفقدوا أعينكم ولا تقطعوا ايمانكم بشمائلكم ولا تدخلوا عين السوء فى داركم وقد علمتم ان العرب والعجم والتبابعة والقياصرة تقصد بلدكم وحرمكم من كل فج عميق وبلد سحيق لتوقير هذا البيت المعظم وأنتم أولى بتبجيله وصيانته اذ كانت لكم الحجابة والسدانة واليكم يرجع عزه وأنتم أولى بصيانته يا بنى هاشم جميعا سألتكم بهذا الميمون ابن أخيكم (محمد) الا أمسكتم عليكم وأبقيتم من غضبكم فقال له حمزة يا أبا حسان انا لم نرد لهم الا ما أرادوه وانا لنوسع قلوبنا طول هذه الايام على الثورة والمكاشفة والهجمة وابن أخينا (محمد) يمنعنا من ذلك ويحفظ لهم ما لم يحفظوه لنا وتكلم رسول الله صلى الله وقال يا أبا حسان ان قلوب الناس مملوءة حسدا وكيدا لما خصنى الله به دونهم من النبوءة والرسالة والله راد كيدهم عليهم وما أردت بهم الهلاك ومازلت أدعوهم الى الله عز وجل لعلهم ينتهون وما خفى عليه ما أجمعوا عليه البارحة من الغدر بنا ومسيرهم الى هؤلاء القوم الذين رغبوا فى جوارنا (ثم) فعلوا ما هو أعظم من ذلك وسيظهر فان حاكمونا حاكمناهم وان طلبوا قتالنا قاتلناهم واستعنا بالله (قال) فالتفت مطعم بن عدى الى جنبة المشركين فاشار اليهم بيده وكان مسموع الكلمة مجاب الدعوة فانصتوا اليه فقال يا أهل الابطح وسكان الصفا سألتكم بمكة ومنى وأبى قبيس وحرا الا ما أبقيتم على أنفسكم عزكم ولا تزيلوه وسوددكم لا تخملوه ونسبكم لا تقطعوه فانتم احباء وأقرباء وعشيرة واخلاء فلا تقطعوا انامل كم بأكفكم فتصيروا الحدونة فى العرب ولا تزيلوا شرفكم الى الابد وازيلوا عن قلوبكم الغل والحسد والمكر والنكر فقال اللعين أبو جهل ما طلبنا الحرب ولا سفك الدماء وانما طلبنا أن نفاصل القوم ونحاكمهم (قال) مطعم بن عدى الصدق أوفى وسبيله أعفى وأما فعائلكم ففعائل من

يطلب الحكومة والمناصفة فاغمدوا سيوفكم واصرفوا نسوانكم وخلوا ارهاجكم وقدموا خياركم وخاطبوا القوم مخاطبة المناصفة فما وجب لكم أوجبناه لكم وما وجب عليكم الزمتموه فقال اللعين أبو جهل دعوت الى الانصاف والسداد وأمرت بالاصلاح والرشاد ثم أمر القوم بالامساك فامسكوا وأشار الى النسوان بالانصراف فانصرفن وقدموا القتيل فجعلوه بين الفريقين وجلست قريش بجمعها وتقدمت كبراؤها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست بنو هاشم وهدأ الضجيج فتقدم اللعين أبو جهل فقال من يكون خطيبكم يا بنى هاشم والملزم نفسه ما لزمكم من الحكومة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا مخاطبكم ومحاكمكم وان وجب لكم حق الزمته نفسى (ثم) التفت يمينا وشمالا وقال اشهدوا على بما أقول يا من حضر فقال اللعين أبو جهل وانا فاشهدوا على أنا ملزم ما ألزمنى قومى وما وجب عليهم فاخبرنى (يا محمد) كيف جاورت بين هؤلاء القوم وأشركتهم فى مراعينا وارضنا ومائنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وهى أرض سائبة موروثة لم تملكوها من آبائكم وأجدادكم فعباد الله كلهم سواء فى مراعيها (فقال) يا محمد هذه واحدة نوافقك عليها وان كانت لعظيمة علينا فما نصنع فى أمر هؤلاء الذين يطلبون قتيلهم فقال عليه السلام وممن يطلبونه ومن قتله قال عبد الطفيل سواق وهو قاتله فقال عليه السلام وفى أى وقت مات قال الساعة قال ومن شهده منكم حين مات أسهدته أنت قال لا لكن شهده النضر بن الحارث فدعاه عليه السلام أنت شهدته حين مات قال الرجل انا رأيته يعالج سكرات الموت عند طلوع الشمس فقال عليه السلام كذبت فقال أبو جهل يا بنى هاشم افعل هذا ابن أخيكم يكذب صاحبنا فقال عليه السلام كذبه جبريل ولقد أخبرنى باخباركم (قال) وبماذا أخبرك جبريل عن الله عز وجل قال اخبرنى انكم أخذتم صاحبكم العبد وادرجتموه فى مسح الشعر وجلستم عليه حتى احتبستم منافسه وقضى نحبه قال النضر بن الحارث هذا ما لا يكون وكل ما تأتى به أساطير الاولين وما صدقت فى قولك (يا محمد) فانزل الله عليه فى شأنهم وقصتهم وما رده اللعين حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الاولين الآية بتمامها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انك تسمع وترى وأنت بالمنظر الأعلى تعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور احكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين اللهم ان كان القوم كذبونى وجحدوا نبوتى وبسطوا أيديهم الى ظلمى فاقبض على أيدى الظالمين وانصرنى وأنت خير الناصرين واخذل الظالم فانك به عليم ثم قال للنضر بن الحارث اجعل رب هذا البيت حكما بينى وبينكم فقال النضر اللهم رب هذه الكعبة والصفا ورب مكة ومنى ورب البلد الحرام ومجمع الاصنام ومحل الازلام ان (محمدا) قد نبذنا على تشتيت الحقوق بطلب ان يسفه أحلامنا ويزيل آلهتنا التى تقربنا اليك زلفى وقد كذبنى بين الملا ودحض حجتى وكذب كلمتى ورد دعوتى اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (قال) فما استتم كلامه حتى حصب الله القوم بالحجارة من السماء كما حصب أصحاب الفيل بحصيات أمثال الحمص والبندق فما أصابت شيئا الا جرحته واوهنته وربما سقطت على الرجل على رأسه وعليه البيضة فتخسف البيضة فتصل الى هامته وأصابت النضر بن الحارث حصاة اشتبكت فى رأسه فكان ملوما منها الى ان هلك واصابت كثيرا من القوم وهلك منهم اناس فقال مطعم ابن عدى لقد ظهرت لك الحجة (يا محمد) فادع ربك يمسك عنا العذاب فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الله عنهم العذاب وقد دهش القوم لما ظهر لهم من ذلك من دلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه مما ظهر من معجزاته عليه السلام وغيرها من المعجزات ثم انه دعا بعقبة بن أبى معيط وشيبة وعقبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة وأبى لهب فقال لهم اما صاحبكم النضر بن الحارث فقد رأيتم ما أنزل

الله به من العذاب وقد شئت ان اجعل بيني وبينكم حكما فاقسموا برب هذه الكعبة انكم ما توليتم قتله البارحة ولم تدر جوه في المسوح وجلستم عليه حتى هلك ولا اشار عليكم بهذه المشورة أبو جهل على هذا يعني عمرو بن عبد ود فما فارق القوم برؤسهم الى الأرض جزعا ان يفضحهم الله كما فضح النضر ابن الحارث فبقوا لا يردون جوابا ولا يستطيعون خطابا فقال اللعين أبو جهل وقد أصابته حصاة فتضمخ منها بالدم فقال اوما يجزيك ما منعته بنا (يا محمد) ونحن نعظم دونه قرك بهؤلاء السادات والاشراف من قومك وعمك أبي لهب وقد وهبنا لك هذا القتيل اعظاما منا لك واعظاما لفعل هذا وانظر في أمر هؤلاء القوم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال ابن الزبعرى (يا محمد) ان عيسى ابن مريم عبدته النصارى من دون الله واليهود عبدت عزير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسأ يا شيخ الضلالة ومعدن الجهالة لا يدخل معكم النار الا من رضي بعبادتهم من دون الله وأما من آمن بربي فهو منهم ومن عبادتهم بري، فقال مطعم بن عدي صدقت (يا محمد) فقد ظهرت لك الحجة وبانت الدلائل وقد وصلت فاحسن يحسن لك ربك وأبق يبق الله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون (ثم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الله وراقبوه وأطيعوه وأطيعوني تسعدوا وتسلموا ان ابيتم فما على الرسل الا البلاغ المبين واما هؤلاء القوم الذين وفدوا علي فلا أخلي عنهم أبدا فاقطعوا لهم ارضا تكون لهم لا يعارضهم فيها معارض ولا يشاركهم فيما مشارك وقد اخترت لهم وادي العمالق بمائه وكلئه على انكم تحلفون لي وتعطوني عهدا وميثاقا انكم لا تتعرضون للقوم أبدا فقال مطعم بن عدي أنا الضامن لك ذلك (ثم) عطف على القوم وجعل يحذرهم من جنبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابوه الى ذلك واذعنوا عن آخرهم وتقدم أبو جهل وعمرو بن عبد ود والعاص بن وائل والبحتري بن هشام وأمثالهم من كبراء القوم وساداتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوني عهدا وميثاقا قال فأخذ عليه السلام عليهم العهود والمواثيق ألا يتعرضوا للقوم ليلا ولا نهارا وأمرهم أن يأخذوا العهد على قومهم جميعا ففعلوا ذلك وأمرهم بالانصراف فانصرفوا وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطفيل وقال قد قطعت لك وادي العمالق وما تضمنته جوانبه من ماء وكلأ لا يشاركك فيه مشارك ما دمت بأرضنا فانتقل بأهلك ومالك وأنا مراعيه لك ومفتقده فلا تحرمنا من رؤيتك ومعرفة أحوالك فسر بمن معك من قومك على بركة الله تعالى (قال) فسلم القوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وانصرفوا مسرورين آمنين قال واحتملت قريش عبد عمرو بن عبد ود فدفنوه فقال عمرو لأبي جهل ألم أقل لك انه يهلك عبدي ضياعا ويذهب تلفا وما أذهب عبدي ولا أهلكه غيرك فقال اللعين لا يكبر عليك ذلك فلن نغفل عن القوم ولو بذهاب أنفسنا ولا نتركهم في جوارنا فقال ويحك وكيف وقد أخذ علينا (محمد) العهود والمواثيق أن لا نتعرض للقوم قال أبو جهل فأين أنت من فعل الرجال وحزم الأبطال نحن في مكة في بلدنا وحرمنا وهو خارج عنا في وادي العمالق والنكبة تنزل عليه فقال له عمرو بن عبد ود كلا، هذا فيه تخليط وتفريط فاكشف عن هذا الامر قال سأكشفه لك ونعمل الحيلة فيه قال وكيف ذلك قال نكاتب رجلا من العرب ممن نعلم له قوة وبطشا ونجعل له أموال الطفيل ومامعه ونزيده من أموالنا ويفرغ لنا من القوم قال رأيت الرأي ثم انصرفوا فما مضت الأيام حتى تشاور القوم في رجل يسألونه الهجمة على الطفيل ومن معه وأخذ أمواله وأهله (قال أبو الحسن البكري) رحمه الله عن الرواة لهذا الحديث لما هممت قريش بقتل الطفيل بن عامر فعصمه الله منهم ووقع الصلح بينهم على أن يقطعوا لهم وادي العمالق بمراعيه ومياهه وما ضمته جوانبه

ولا يشاركهم فيها مشارك فرضوا بذلك وتراضوا عليه وأخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عهودا ومواثيق الا يتعرضوا لهم ولا يقاتلوهم ليلا ولا نهارا ففعلوا ذلك وانصرفوا الى واديهم وانقطع الشر وارتفع السيف الا أن قلوب المشركين مملوءة كمدا وغيظا وحنقا وانما أذعنوا لذلك فزعا وجزعا من سطوة بنى هاشم وبنى عبد المطلب فبقى عمرو بن عبدود حزينا على عبده باكى العين قريح القلب فدعا أبو جهل يوما وقال يا أبا الحكم ما قتل عبدى غيرك ولا آذاه سواك بسوء مشورتك وقبيح تدبيرك انا أملنا الزيادة فوقعنا فى النقصان ولقد نال منا هؤلاء القوم ما لم ينله أحد من أهل الأرض ولقد وددت أن لو خرجت عن مالى ولا أنكب فى عبدى ولا يذاع هذا الأمر عنى لأنى تخافنى البادية والحاضرة فاذا اتصل بهم انه قد وصل الى مثل هذا طمع فى الطامع وجسر على الخاضع فقال له أبو جهل فالقوم أمامك لو شئت طحنتهم طحن الحصيد بايدى العبيد (قال) وكيف أصل اليهم وقد أخذ على (محمد) عهدا وميثاقا قال أبو جهل فأين أنت من أبطال العرب ممن بينك وبينهم وداد نكاتبه ونراسله الى أن يسير الى هؤلاء القوم فيدهمهم ليلا فيقتل الرجال ويسبى الأموال وأنت على فراشك لا يفقد بنو هاشم رؤيتك ولا تغيب عنهم طلعتك فبينما وقع الصوت قيل بعض العرب قصدهم قال عمرو بن عبدود ومن يصلح لهذا الأمر العظيم والخطب الجسيم فقال له أبو جهل ما بارض اليمن ولا بنجد ولا بتهامه ولا باليمامة بطل مشهور ولا فارس مذكور الا وهو لك عارف وبخبرك واصف ولا تذع سرك الى أحد من قومك ولا يخرج منا الى غيرنا ولا نأمن من اعلانه أن يكثر الشر قال فلما سمع ذلك من مقالته انصرف الى منزله وبقى مفكرا الى الليل فمن يندبه الى ذلك وأخذ فى ذكر الفرسان ونعت الأبطال الى أن اجمعت نفسه أن يكاتب شيطانا من شياطين العرب كثير الآفات زائد البليات يقطع الطريق على الرفاق بالغارة باغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم معاند لبنى هاشم لعين من بنى باهلة يقال له صخاب بن خليفة بن هبير الباهلى وكان مجاب الدعوة مقبول الكلمة مخوف الاسم كثير الشر له مواقف مشهورة وكان قد وقع بينه وبين العباس شحناء لأجل فرس أراد أن يشتريها فى سوق من الأسواق فنافسه فيها العباس فقال صخاب يا ابن عبد المطلب أتنافسنى فى فرس أردت شراءها فقال العباس البيع لمن زاد (قال) ما بلغ بك الأمر أن تعارضنى فى فرس أردت شراءه قال العباس فأنت الآخر والجاهل أنا أبلغ الى ما لا تبلغه أنت واصل الى ما لا تصله فى المواسم والأسواق وانما الشرف شرفنا والحرم حرمنا والكعبة كعبتنا وتزايد بينهما الكلام وتناخذوا وجردت السيوف حتى قتل من الفريقين رجال وكان أكثر من قتل من الباهليين وأصابت صخابا ضربة من العباس ثم افترقوا ودخلت بينهم قبائل العرب بالصلح فانصرف صخاب بقومه منكوسا جريحا ثم منعته بنو هاشم أن يدخل مكة أو يحضر المواسم فامتنع وامتلأ قلبه غيظا وكان لا يظفر برفقة لهم يقدر عليها الا أخذها غصبا ولا يظفر برجل الا قتله عنادا وذلك بعد الحصار بخمسة أعوام قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما) بعث وأمر بالانذار واتصل ذلك بعد والله صخاب ازداد بغضه وعداوته لبنى هاشم حسدا لظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله فلما وقع لقريش ذلك من أمر اللعين قالوا ما أحد يكفينا أمر الطفيل ومن معه غير صخاب ثم كتب كتابا من ليلته يقول فيه باسمك اللهم من سيد بنى عامر ومن له الثروة والمفاخر الى الخل الصادق والأخ الشفيق صخاب بن خليفة الباهلى أما بعد فانى أشكو اليك ما حل بنا من سوء القضاء قد طبق ما بين السماء والأرض قد تجللنا من بنى هاشم وسطوتهم علينا فى المواسم وكنا نتعوذ بالآلهة من شرهم وتكفينا أمرهم ونصبر على غصص الأذى وكيد العدا حتى تزايد علينا

الأمر ممن ظهر منهم وهو هذا الذى غصب الأصاغر وملك قلوب الأكابر وقد مالت اليه عصابة صبات فاستحوذ عليهم وملكهم بمكره فلا قينا منهم كل أذى وبلية وحل بنا منهم كل رزية وان مانزل بنا منه انه جاورنا بقوم غصبونا على مراعينا وماءنا وضيقوا علينا أرضنا وقتلوا منا قتيلا هو منا كالوالد وان كان عبدا وقد أقطعهم (محمد) وادى العمالق بمياهه ومراعيه وهم به ومعهم من الأموال مالا يحصى عدده ومن الذهب والفضة مالا يوصف قدره وان شئت أن تحوى ذلك بأسره ويكون لك ذلك فأنت أحق به منهم على مايصل اليك من الفرحة بما فعلت وبلغت من القوم بما هو لك وتشفى غليلك وتجعلها على يدا كافئك عليها أبدا فاذا قرأت كتابى هذا فاجمع عشيرتك وقومك واسرع اليهم من وقتك فان قربت منهم نهارا فأمكن الى أن يغشاك الدجا فانهض اليهم وادهمهم بالرجال واغشاهم بالأبطال وخذ عليهم جنبتى الوادى لئلا ينجو منهم أحد فترصد القوم ودبر الامر ولا تبق على أحد من القوم وابذل فيهم السيف حتى يجرى دمهم فى الوادى كالسيل الوابل واحتو على الولدان والاماء والنسوان والرجال وعد على أثرك واخف أمرك وكفاك بهذا فخرا ولك منى المزيد على ماوصل اليك وأنت الكريم المأمول فما لحقك من التعب والنصب كان زيادة فى الذكر والحسب عند العرب (ثم) طوى الكتاب وختمه بخاتمه ودعا بعبد من عبيده يقال له رواح ودفع اليه الكتاب وقال خذ مطيتى العنقاء ثم سر عليها من ليلتك واجعل السير وكرك وارسل لها فى الزمام واطوها فى الخطام واطو الفدافد والضواضح حتى تصل الى حى صخاب بن خليفة الباهلى فادفع اليه الكتاب ثم عد على أثرك ولا تسير بسيره وازعجه من وقته وأعمله بما فاتنا من هؤلاء الصباة ومن صاحبهم وأسرع الرجعة ماقدرت ولا تبطئ عنى ما استطعت فاذا دخلت فليكن دخولك فى ليل لئلا يعلم أحد بدخولك ولا بخروجك ولا ماكان منك أسمعت ماقلت لك (قال) سمعت ووعيت ثم قام الى المطية فرحلها وأخذ زاده وخرج من وقته سائرا مختالا لا يلوى الى راحلة الى أن أشرف على حى بنى باهلة فنظر الى الأموال سائبة ورعاة وعبيد وخيل وأباعر وأغنام فتوسط الحى فنظر الى جمع كبير وحى عظيم فسأل عن صخاب بن خليفة فارشد اليه فقصده فوجد عنده أضيافا وقد عقر لهم بعيرا والنار تضرم أمامهم فى جوانب الشجر والبعير معلق أمامهم وكل واحد بمديته يقطع منه ما اشتهى ويشوى وهم يأكلون والعبيد يدورون عليهم بكؤس الخمر وصخاب جالس متربع كأنه بعير بارك لعظمه وهوله وهو حاسر عن ذراعيه كأنهما ساريتان والعبيد يقدمون له اللحم وكلما أكل قطعة لحم شرب عليه كاسا من خمر وعليه ثوب ديباج وعلى رأسه عمامة وقد لعبت به الخمور والغانيات يلعبن أمامهم بالمزامير ويغنين بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاء بنى هاشم فسر العبد بذلك وأناخ مطيته وأقبل الى القوم والكتاب فى طى عمامته (فلما) نظروا اليه تطاولوا نحوه وأشار عد والله صخاب الى الجوارى أن يمسكن فسكت كل ناطق فوقف العبد بين يديه وقال ذهبت عنكم الاتراح وأتت اليكم الأفراح مساء وصباحا فأنتم ملاذ القاصدين يا ابن الأهلة والتيجان والمعظم فى كل مكان اليك المعتاد وبك الملاذ من تقلب الزمان وتغير الحدثان بكم سعد البليد ونحس البعيد وبكم يزول ماحكم بالغدر وبكم يتصرم الجور فانت كاشف بسعدك ما انحسنا والمزيل بشجاعتك ما اتسعنا انى عبد لرجل أنت أعرف الناس به وصديق أنت أضن الناس بمحبته يشكو اليك تزايد المحن والبلوى وسطوات الزمان برجوك أن تكشف عنهم شحائن الشحن وهذا كتابه اليك يدلك على سياق الأمور فكن عند ظنه به ثم جعل يقول

كتاب حبيب لم يفد خاتمه ٭ بما قد عداه من عظيم المصائب

فسل عن أعدائه كل مرهب • فمازلت مشكورا بذكر العجائب
فأنت كاشف لكل ملمة • ومن يرتجى عند ارتكاب المناكب

(ثم) رمى اليه الكتاب وقد اشتغل قلبه بما سمع من العبد وما أشار اليه مما لا يعرف معناه ولم يقع اليه ما ألقاه فقد ختام الكتاب ثم قرأه فلما فهم ما فيه استبشر فرحا وسر وراقرب العبد وقال لعبيده اعقروا له بعيرا وقربوه اليه ففعلوا ذلك واعطوه مدية فجعل يقطع اللحم ويلقى على النار وسقوه الخمر (ثم) أقبل الاضياف على صخاب فقالوا له يا أبا الراجى انا نراك قد أظهرت الاستبشار وما ذلك السرور فاكشف لنا الأمر فان كان معاونة أعناك وان كانت نائبة شاركناك فلم يكشف لهم شيأ وقال هو أمر ارتجيه وأطلبه واتممناه وقد أعطيته وبلغته فسر القوم بذلك وقالوا هو مرادنا لا يكون عليك منه ضرر (ثم) اشتغلوا بلهوهم وشرابهم وقصر بيده على المدام فلما ثمل القوم استأذنوا بالرحيل فأذن لهم فركب القوم مطاياهم ثم ارتحلوا من عندهم وانصرف من كان فى مجلسه من قومه ثم أقبل على العبد وقال اخبرنى بالخبر كما فى مشاهده فجعل يحدثه بكل ما كان من أمر الطفيل بن عامر وولده من بادية الأمر الى آخره (ثم) قال له العبد أنا أخبرك أيضا ان مع عامر بن الطفيل جارية وهى بنت عمر بن حمامة لو قيس بها نساء العرب جميعا لفاقت عليهن فى الحسن والجمال والقد والاعتدال فان وصلت يدك اليها وظفرت بها حوت يدك على مالم تحوه يد غيرك من العرب فازداد بذلك صخاب فرحا وقلقا وقال ها أنا راحل بقومى وعشيرتى ثم استنهض قومه وعشيرته وأمر عبيده أن ينادوا فى الحى ويأمروا الناس بالسرعة اليه فتبادر واهرعون اليه فلما تكاملوا حوله أقبل عليهم وقال معاشر الناس قد علمتم مانا لنا من بنى هاشم وان لنا عندهم دما ولم أكن غافلا عنهم ولم يمض يوم الا وأنا أذاكرها وملهفها لما قدنا بنا منهم ولو غيبت فى الثرى ما غفلت عنهم وقد دعاكم من تعرفون حقه ولا تنكرون مكانه وهو ممن أعانكم يوم وقعتم بلسانه وحسامه وهو الكلب عمرو بن عبدود العامرى ومن حوى الرياسة والجود والذى دعاكم اليه فيه شفاء غليلكم وأخذتم من عدوكم بثاركم وزوال شناركم وهذا كتابه اليكم فاسمعوه وعوه ثم قولوا ما عندكم ثم قرأه عليهم (فلما) فرغ منه قال لهم ما أنتم قائلون فيما دعاكم اليه وحثكم عليه فلم يبق من القوم الا من أجابه وسره وصول الكتاب وقالوا لن نتخلف عما دعانا اليه ولا نتأخر عنه وقام اليه داحى وكان غلاما مشؤما من صغره قد ألف مع أبيه خوض الليل ولقاء الرجال ومكافحة الأبطال وقال يا أبت أدركت الفرصة فاغتنمها فعسى أن تشفى قلوبنا من (محمد) ورهطه وان شئت سيرتنى الى القوم فى رهطك وعشيرتك أكفيك مؤنتهم وآتيك بهم جميعا فقال له أبوه انك لتكشف الاوابد الا أن فيك طيشة الصباء والعجلة فى اللقاء والتسرع فى حومة الوغاء وهذا أمر يجب فيه التأنى والتدبير وجودة النظر فى المدخل والمخرج ونصب الحيلة وارتقاب الأوقات وزيادة الحذر واخفاء الأمر غير انه مالى عنك غنى فكن معى لنائبة أو ملمة مع أن الأمر أسهل من ذلك ثم انتخب عدد الله من القوم فرسانا وأبطالا أربعمائة فارس قد اختبرقتالهم وجربهم ثم قال لهم خذوا فى أهبتكم واعتدوا فى ليلتكم للسير فتبادر القوم الى ذلك (قال فلما) نظر العبد الى ذلك وهم مستعدون متأهبون استأذن صخابا فى الرجوع الى مولاه فقال له هل لا أقمت الى أن نعود من سفرنا فترجع بالبشارة وتحمل الامر على حقيقته قال رواح انه لا يخفى على ذلك ولا بد أن تقع الصرخة بمكة قال فامض اذا الى مولاك وأخبره أنى سرت بقومى الى ما أمرتنى (قال) فرجع العبد فرحا مسرورا ولم يزل يجد السير الى أن دخل مكة ليلا (ثم) أقبل الى مولاه فاخبره بما عزم عليه صخاب ففرح به متطاولا الى ذلك وقلق أشد القلق وكشف ذلك لابى جهل فقال له ألم أقل لك انه يبلغ لك ما تريد وتظفر عن

تكيد قال ثم ان صخابا خرج من حيه عند انسدال الظلام فى أربعمائة فارس أبطال لبغيه ومكره وكفره معجبا بجهله وهو يقول

ضرب الكتائب بالكتائب شيمتى ٭ وكذا الليالى شاهدات صولتى
كم عسكر لاقيته فطعنته ٭ طعن الحصائد فارهبوا من طعنتى
انى أؤمل أخذثارا قد مضى ٭ حتى اكشف عن فؤادى كربتى
مازالت دهرى مضمرا (لمحمد) ٭ محض العناد وان سقيت منيتى

(قال ثم) سار يجد السير ويحث الخيل فلما انفصل من ديار قومه سار مجمعا على ماعزم عليه من غدره ومكره بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (فنزل جبريل) عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان من أمره وسيره وبما كتب له عمرو بن عبدود وما ورد عليه وانفصاله من ديار مع قومه وماعزم عليه فقلق النبى صلى الله عليه وسلم قلقا شديدا قال ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وخشى على الطفيل ومن معه وعلى الاماء والنسوان والبنات والولدان وخرج من وقته حين أتاه الخبر من السماء حتى أتى منزل عمه حمزة فقرع الباب ففتح له الباب وانكر أمره وما أتى به فى ذلك الوقت فضمه الى صدره وقبل مابين عينيه فقال ما الذى أتى بك يا ابن أخى اعرض لك معارض بسوء فاملأ عليه الوادى خيلا ورجالا فشكر له قوله (ثم) دخل مع عمه حمزة الى منزله وأوطأه مقعدا وجلس ثم أخبره بالخبر الذى ذكر له جبريل عليه السلام من غدر القوم وما كاتبهم به اللعين عمرو بن عبدود (فقال) حمزة أما ان اللعين قد احتال حيلة عظيمة لو تمت كان فيها هلاكنا وما أظنها الا من تدبير أبى جهل وتأول القوم فى ذلك انهم عاهدونا فانهم لا يعرضوا للقوم والله لا وصلوا اليهم دون أن نقتل عن آخرنا فقال النبى عليه السلام فما الذى ترا ياعم قال نجمع قومنا وعشائرنا ونسير الى وادى العمالق قبل قدوم القوم فنكافحهم ونضاربهم فقال عليه السلام يعظم الامر ويكثر الشر وان خرجنا من مكة نأمن أن يخالفونا فى منازلنا ورحالنا فتعظم المصيبة وقد كنت أرغب ان أكفى مؤنة القوم ونحن فى أماكننا فان عرضوا لنا عرضناهم (قال) حمزة يا ابن أخى فمن نستعين عليهم قال نستعين عليهم بالله وكفى بالله معينا قال ياعم اكتب للقوم كتابا نحذرهم من الهجمة تحت الغفلة ليكونوا على أهبة ويقظة فأتى حمزة بدواة وقرطاس وقال ما أكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم (من محمد) رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطفيل بن عامر ومن معه من المؤمنين أما بعد فانى أتانى أمين الله جبريل عليه السلام فأخبرنى أن سفهاء مكة وكفارها نقضوا العهد وان عمرو بن عبدود بعث الى رجل فاسق من بنى باهلة يقال صخاب بن خليفة يسأله الهجمة عليكم والمبادرة اليكم واباحة أموالكم ونسوانكم وقد أجابه المتمرد الى مادعاه اليه فاستنهض أهلك من الغفلة ولا تجزع من القوم وقلتكم فاذا طرقكم القوم فالقاهم وتوكل على الله ولا يخفى أمرك علينا فان وجدت الى نصرتكم ومعاونتكم سبيلا فلن نتخلف عن ذلك وأنا داع الله لكم وأرجو أن لا يخيب الله دعائى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (ثم) طوى الكتاب وختمه بخاتمه وقال لعمه حمزة ابعث به مع بعض مواليك فبعث به حمزة مع عبد يقال له جرجل وكان نجيبا فى السباق لا يدرك فى اللحاق وأمره بالسرعة فخرج العبد من وقته مسرعا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قلق على القوم من الهجمة على النسوان (قال) حمزة عند مارأى قلقه يا ابن أخى اتاذن لى أن أسير بنفسى لعلى أن أجد لك معينا على هذا الأمر فقال عليه السلام افعل ما أردت ياعم وليكن معك ابن أخيك على وأنت تعلم انه نجيب بازل واجعلا أمركما واجعلا الليل مطيتكما ولا تخرجا فى ليلتكما فان القوم لا يصلون الليلة ولا فى غداة غد بل فى الليلة الثالثة لا شك فيه ولا تغيب شخوصكما عن قريش لئلا ينكروا أمركما

(قال)

(قال) حمزة سمعت وأطعت والأمر كما ذكرت قال ثم ان عبد حمزة خرج يجد السير فلما وصل الى الطفيل وجدهم على يقظة وحرص وعلى حرسهم فى تلك الليلة فلما وصل اليهم وبصروا به تبادروا نحوه فاخبرهم بشأنه وأعلمهم أنه رسول اليهم فاستبشروا برؤيته وثار الراقد وقام القاعد لا يدرون لماذا قصد اليهم فدفع الى الطفيل الكتاب فأخذه وقرأه وقد تكامل الناس من حوله فقرأه سرا فلما فهم ما فيه اسفر عن لثامه فنظروا وجهه فى ضوء النار وقد تغيرت محاسنه فقال صفوان الا تخبرنا بما فى الكتاب فقد كبر علينا ما نراه فغلبت عليه العبرة فبكى وقال ما زالت العرب تطالبنى بالأحقاد وتظهر لى العناد من غير مداينة ولا مطالبة اللهم احكم بالحق وأنت خير الحاكمين (ثم) قرأ الكتاب عليهم جهرا فقال له صفوان رحمه الله يا صاحب الخير وما الفكرة فيهم اذا كان الله معنا واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمدك بدعائه وقد علمت ان من دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينكب أبدا لا تردد دعوته ولا تخيب مسئلته فثق بالله ودعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قاتلنا القوم ونحن كفار فكيف ونحن على دين الجبار وان معك بطالا لا يبالون بالكتائب قلت أوجلت وما يكون من أربعمائة فارس ونحن فى جمع وأنا بحول الله اكفيك مائة (قال) عامر بن الطفيل وانا بمائة أخرى قال سيد العلمين وانا بمائة أخرى واذا برغلة قد خرجت وكانت قريبة من القوم وقالت وان كنت من ربات الخدور فقد شهد لى بالشجاعة كل فارس مشهور فافردنى لمائة فان جاوزنى من القوم أحد فانا عاجزة فتجاوب القوم بمثل ذلك فانصرف عن الطفيل ما كان يجده وقال لهم معاشر الناس ان النوم عليكم حرام بعدما اتصل بكم من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اتصل وليعرض بعضكم بعضا (ثم) اقبل على خليله صفوان فقال له أنت معى فى المهمات وصاحبى فى الازمات وقد شئت أن تكون فى رجال من قومك من خارج الوادى طليعة تجلى لنا الاخبار فاذا علمت ان القوم قد قربوا منا فعد الينا لندبر امرنا ونتاهب لعدونا (قال صفوان) سمعت وأطعت ثم خرج فى عشرة من قومه وموالية وأمر الطفيل باليقظة والحذر وان تكون الخيل مسرجة والدروع معدة ففعلوا ذلك وأفرغ هو عليه أدراعه وجعل يسير من أول الوادى الى آخره ينتظر الموت ويعد عليه خبر صفوان فلما كان عند انبلاج الصبح رجع اليه وأخبره انه لم ير شيأ فقال الطفيل ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذب جبريل عليه السلام وظلوا يومهم وليلتهم الى غداة غدهم (فلما) كان الليلة الثالثة وصفوان من خارج الوادى يحوم يمينا وشمالا اذ سمع صهيل الخيل وقعقعة الاجم وتصافق الرماح وتصارخ الرجال قال فلما تحقق ذلك تفهقر الى ورائه هو وأصحابه الى أن دخل الوادى واقبل صفوان الى الطفيل وهو يقول

ما كنت تصنع ان رميت بعصبة ● فاسرع فقد جاءوا اليك سراعا
انى رأيت كتيبة ملمومة ● قد أضرموا لك الهياج قراعا
متراسلين عليهم أدراعهم ● كالبرق تلمع فى الظلام شعاعا
قد آن نرضى الاله بفعلنا ● من بعد أيام مضين ضياعا
نمحو بها ما قد مضى من دهرنا ● ولنبسطن الى العداة ذراعا
كم قد صبحنا فى الضلال ذيولنا ● فلنكشفن لمثل ذاك قناعا

(فقال له الطفيل) يا خليلى اترك الشعر لوقته واشرح الأمر على حقيقته قال صفوان دهمتك الرجال وجاءتك الابطال فانظر ما أنت صانع وكان فى الطفيل فطنة وتدبير وسياسة فاستصرخ قومه وأمرهم بالاهبة والسرعة فتبادروا اليه سراعا فادار طرفه ينظر ولده عامرا فلم يره فانكر ذلك أشد الانكار (قال) وما فعل ولدى قالوا لا علم لنا قال وكان من أمره أنه لما استصرخ أبوه الناس اقبل الى

رحله فافرغ عليه أدراعه وهم بالخروج فتعلقت به زوجته رغلة وقالت الى أين بك قال الى طاعة الله ولقاء عدوه قالت اقسمت عليك برسول الله صلى الله عليه وسلم الا تركتنى أسير معك فان حدث بك حادث اجهدت نفسى أن أكون لاحقة بك (قال) ان أنجع فيك أهلك عما قالت له ان هلك احدنا لحق به الاخر (فلما) رآها لا تطلق له السبيل أذن لها فى ذلك فافرغت عليها أدراعها وتحزمت وتلثمت واستوت على متن جوادها واقبلت معه قال فبينما الطفيل مفكر فى أمره اذ أقبل اليه ولده وزوجته معه فعرف الطفيل شمائلها عندا قبالها فقال الطفيل يا رغلة ما حملك على الخروج قالت شفقة منى على بعلى وانى لا أطيق صبرا وقد علمت انى من المترجلات البازلات وما بك عنى (قال) هو كذلك قال واقبل الى النسوان وقال لهن أضر من النيران بين الاخبية والمضارب واسبلن على وجوهكن البراقع ولا تمنعوا القوم من حمل الرجال وسوق الاغنام وقلع البيوت وقود المطى فان لنا فى ذلك رأيا وتدبيرا قالت النسوان سمعا وطاعة وأخذن فى اضرام النيران وعمد الطفيل الى من كان معه من أصحابه وعشيرته وعبيده ومواليه فشطرهم وقال يا صاحب الخيل خذ شطر الناس واخرج من هذه الجنبة وامكن من وراء الكثبان ولا تظهر ولا تخرج من موضعك حتى تسمع تكبيرنا من مكاننا فابرز من مكمنك واحمل بمن معك واهجم على القوم وكبر عند حملتك وضع السيف ولا يجاوزك من القوم مجاوز فانا نحمل من أماكننا فترجوا الله أن يظفرنا باعدائنا قال صفوان لقد دبرت فاحسنت وانا منتهى الى ما أمرت وحامل اذا حملت وأرجو الله ان يشغل لنا القوم بالرحائل والأموال (ثم) خرج الى الوادى بمن معه ومكن كما أمره وخرج الطفيل بمن بقى معه من أصحابه من الجنبة الاخرى وهى الجنبة التى أتى منها عدو الله صخاب ومعه ولده عامر وزوجته رغلة فاستتروا بالكثبان ومكنوا هناك وتركوا الوادى خاليا من الرجال ليس فيه الا النسوان والصبيان والاماء والسرح والاغنام والنيران تضرم فى جنبته فما كان الا هنيهة اذ أشرف القوم على الطفيل وهو فى مكمنه يسمعهم ولهم صلصلة وزفير لوقع الحوافر فى هدو الليل فلما قربوا من فم الوادى بعث صخاب برجل من أصحابه وقال اخترق الوادى واشرف على القوم وانظر هل ترى لهم حسا أو رصدا أم هم تحت غفلتهم (قال) فاسرع لما أمره فما غاب الا هنيهة حتى عاد فقال ان القوم تحت غفلتهم آمنين فى واديهم مطمئن لم أسمع لهم حركة ولا اضطرابا ولا صراخا ولا ناطقا كانما ضرب على آذانهم فسر اللعين بذلك وقال ذلك أقرب لهلاكهم وأسرع لغنائهم (ثم) قال لاصحابه لا تبقوا على الاسير ولا ترحموا صغيرا ولا كبيرا ولا بنات خدر ليس لهن نظير فاذا فرغنا من الرجال هان علينا أمر النسوان وان أبين المسير معنا قتلنا الاطفال على صدور أمهاتهن وضمحناهم بدمائهن فاجابه القوم وأطلقوا الاعنة وفوقوا الاسنة وجردوا السيوف وصمموا على الحملة وتصارخوا عند الهجمة فما أجابهم مجيب ولا ثار اليهم ثائر ولا نفر بينهم نافر ولا سمعوا غير صراخ النسوان فانكر اللعين ذلك أشد الانكار وقال لاشد ان القوم أخبروا بمسيرنا أو كانت لهم عين عندنا فعلوا بهجمتنا عليهم فنجوا بأنفسهم قبل الطلب وجدوا فى الهرب (ثم) قال لأصحابه شنوا الغارة وضموا ما ضمه الوادى وعودوا على أثركم قبل ان يدركم النفير من مكة فيعظم الأمر ويكثر الشر فاخترقوا الوادى واخلطوا الأموال وترجلت الفرسان ووقروا خيلهم رجالا وأموالا واقتطعوا السرح والأموال حتى ان الرجل كان يقطع عمامته ويشد بها على البعير وقلعوا الخيام والمضارب وحملوا الأباعر واشتغل القوم بالنهب والسلب حتى اذا وقروا خيلهم وعلم الطفيل بذلك وانهم ثقلوا واعتقلوا فهنالك قال لأصحابه قد أمكنتكم الفرصة فاغتنموا واضربوا أعداء الله من حيث شئتم وكبروا عند هجمتى حتى تجيبكم اخوانكم وتقدم عامر وزوجته رغلة الى جانبه (قال) بينما القوم أطمع ما كانوا فى النهب والسلب

اذ كبرا الطفيل من مكانه وحمل بأصحابه فأجابه صفوان ومن معه فسمع القوم التكبير من جنبتى الوادى فذهل القوم لذلك وأدهشهم وراموا ان يطرحوا الرحائل عن الخيل فتعذر عليهم لشدها ولم يطيقوا ازالتها ودهمهم الطفيل وأصحابه من كل مكان فخار صخاب لما ظهر له وذهل مما عاينه وغشيته الخيل وأخذته الزعقات وتصارخ النسوان وتصايحوا بالرجال خذوا بالثار واكشفوا عنا العار فتمكن القوم من أعدائهم فما كانت الا جولة جائل أو حلبة حالب حتى قتل من القوم أربعون رجلا (فلما) نظر صخاب الى ذلك ونظر الى الخيل لا حراك لها صاح بقومه الارض يابنى الكرام خلوا الخيل فى أماكنها ولا يكبر عليكم أمر اللئام فانهما طعمة لكم فتلاحم القوم فى الظلام وتعلق الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال فتضاربوا ضربا منكرا والطفيل من جنبة وصفوان من جنبة فسطوا على المشركين (فلما) نظر صخاب الى ذلك ومانزل بأصحابه قال لولده داحى ياولدى ان القوم قد بروا علينا واحتالوا واحسنوا ومنعوا الحيلة فما قصروا وقد وصلوا الينا بمكرهم وقد قتلوا منا فى دهشتنا رجالا وصرعوا أبطالا وزرعوا بقتلهم فى قلوب قومنا الهيبة والفزع ولا يكشف عنا ما نجد لغيرنا فانفرد أنت الى أحد الجنبتين وها أنا الجنبة الأخرى ودع عنى لهذا الشيخ الضال الطفيل بن عامر فاعمد بالقوم اليه وارشدهم اليه فاذا هلك لم يلبث القوم بعده (قال) سمعت واطعت ثم انفرد داحى لجنبة صفوان فى رجال من قومه ومال صخاب الى جنبة الطفيل فاكتنفى كل واحد منهما بجنبة وقاتلا قتالا عظيما وجعل يدور ويزأر كالليث وقد هاج وفار بالغضب وكان اذا غضب لا يقوم له أحد فصال صولته المعلومة وحمل حملة فتك فيها وأصاب رجالا من المسلمين وجعل يصرخ على ولده وولده مع صفوان وأصحابه فقاتلا قتالا منكرا وصبرا صبرا حسنا وقاتل لقتالهم من كان واهنا وصبر الفريقان ودام الضرب وعزم الكرب فتراموا بالجنادل وأخذوا بالمناكب ولم يزل القوم كذلك فى الحرب والضرب الى أن بدا ضوء الصباح ووقعت العين على العين ونظر الطفيل ومن معه فألفاهم كما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما) أضاء الصباح افترق القوم بعضهم من بعض وقد انبهرت الرجال وأخذت المناكب وكلت السواعد ورجعت كل فرقة تنظر الى الأخرى فاستراحوا قليلا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزالوا فقال صخاب لولده داحى ماترى يابنى فقد وقعنا فى أمر لا نجد منه خلاصا فقال له ابنه انا طلبنا الزيادة فوقعنا فى النقصان طلبنا أن نوقع الحيلة بهم فوقعت بنا وكان تدبير القوم أصوب من تدبيرنا والآن فقد وقعنا فى مواضع المهلكة والوادى قد أخذ علينا جوانبه وليس لنا طريق عن يميننا ولا عن شمالنا ولا ينجينا من القوم الا الضرب الشديد والقتال العنيد وأصحابنا قد فشلوا ووهنوا فاما أن نرفض الحياة ونطمئن الى الممات ونقاتل الى أن نقتل فيكون ذلك شرفا عند العرب الى آخر الأبد (قال) فلما سمع ذلك أبوه من مقالته اغتاظ وانتفض نفضة المذعور وقال يابنى لقد جسرت على أمر عظيم اذ خاطبت أباك بمثل هذا الخطاب ولو دفعت الى قتال القوم وحدى لكنت بهم ملىء قال له ولده فان كنت كذلك فما فكرتك فى هؤلاء القوم خل أصحابك وعشيرتك وباشر الحرب بنفسك وادع القوم الى نزالك وقتالك واعرض بكبش القوم الطفيل فانه ان وصلت اليه أوهنتهم وأخمدت جمرتهم وصعدت بيضتهم وها أنا أدعو بولده الى فهما زمام القوم فان كفينا مؤنتهم لم نبال بالقوم جميعا (قال) صخاب افعل يابنى ذلك لا عدمت نصرتك فعليك أتكل وبك أفخر ثم عدل كل واحد منهما الى صاحبه وأصحاب الطفيل قد استراحوا اذ برز العين صخاب راجلا وبيده صحيفة جرهمية عريضة وبيده الأخرى درقته وعدو الله كانه قطعة جبل وعدل ولده الى الجنبة الأخرى عاريا من اطماره لابسا سراويله وبيده سيف زائد الطول قليل العرض كسروى ما استخرجته الهند فالق الهام ودرقته

كسر وريه وهو يثب ويثبات متزايدات فتولى كل واحد منهما الحرب بنفسه فاما عدو الله صخاب فانه لما ظهر أرعد وأبرق فصاح برفيع صوته معاشر الناس أتظنون أنكم تصلون الينا بخداعكم ومكركم هيهات انا نسوق المنايا الى من نشاء أخفى عليكم مكانى أو غاب عنكم شانى أنا قطاع الارواح المعروف بابن الداحى لقد جهلتم باتباع نازلات نورثكم البوار أقسم بقسمنا لن نتركم فى هذا الوادى الا طعما للوحوش وأمواتكم لنا علفا أين الزائل عقله الزائد جهله أين الطفيل بن عامر فليبرز الى مناويه ثم أرهج ارهاجا فى كلامه وهو يقول

انكشف الغطا ولاح ضوء المشرق * وغدا الغضنفر بالحسام الازرق
ان الطفيل لقد هوى بفعاله * قد كان يأتى بالمعالى يوثق
حتى صباجهلا فقل حماته * فبقى رهينا فى مضيق المخنق
عما قليل تنظرون نساءه * نهبا يوم شملهم لا يلتق

(قال فلما) سمع الطفيل ذلك من مقالته لم يطق صبرا وأجمع على الخروج اليه فلما رآه صفوان عازما قال له على ماذا عزمت يا صاحب الخير قال عزمت على الخروج الى هذا الهاتف بندائه المعرض له بنزاله فعسى الله أن يوصلنى اليه قال صفوان ألك معرفة بقتاله قال لا وأيم الله قال أنا أعرف منه مالم تعرفه أنت وهو مشيم العرب ورامیها بالعطب يهجم على الملوك ويأخذ مال الجيش والحاضرة تستعيذ من شره والبادية تخاف من مكره تحذره الاقران والشجعان وما كنت بالذى أدعك تخرج اليه وأنا أخبر به منك ولكن أنا أتقدم امامك وان لم أكن من نظرائه وأقرانه فما تطيب نفسى ان أراك معفورا قتيلا فدعنى أخرج اليه فاما أن ينصرنى الله عليه فهو الذى أريد فان كان الوقت قد دنا والفراق قد حان فترى مصرعى بين يديك ولا أرى مصرعك بين يدى فبكى الطفيل وقال بل أنت تكون الخلف على هؤلاء النسوان بعدى فدعنى أخرج اليه (قال) صفوان أقسمت برب (محمد) لا يبرز اليه أحد غيرى فاذا قضى الله من أمرى ما قضاه فافعل ما بدا لك فلما رآه ثابتا على ما هو عليه قال اخرج ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فان كان الوقت قد أزف وجاء الفراق فأنا راج أن يجمع الله بيننا يوم التلاق ثم ضمه الى صدره وقبل ما بين عينيه وقال له ان أنت رزقت الشهادة فلا جاهدن نفسى فى اللحوق بك وأدرك مداركك وان لم أصل الى ذلك فالعيش بعدك كدر والمقام بعدك عيشة عسير ثم رجع صفوان راجلا وهو يقول

أستودع الله من أضحى يودعنى * والدمع يهطل فوق الخد كالمزن
يقول لا عشت يوما لا أراك به * لا تبعدن أو النف فى كفنى
فقلت تشهد يوما مصرعى حسن * ولا أراك به فى مثل ما ترنى
منى السلام عليك كلما طلعت * شمس وما غربت فى الدهر والزمن

(قال) فبكى الطفيل من قوله وخرج صفوان الى عدو الله صخاب وقد خرج ولده من الجنبة الأخرى وعرض بعامر بن الطفيل وخرج عامر اليه مبادرا كانه شعلة نار فدلف كل واحد منهما الى صاحبه (فلما) نظر صخاب الى صفوان مقبلا أنكر أمره وكان قد ذكر له ان الطفيل شيخ كبير وكان صفوان كهلا من الرجال فلما نظر اليه صخاب أنكره وقال من السائق مهجته الى من لا يرده والمكيد الى من لا يكايده ابق على نفسك لا تفنيها فما لك طلبت ولا اليك خرجت وانما أردت شيخكم الاخرق وسيدكم الاحمق الذى استحوذ على عقله وزال على فضله وبغض الى أهله الطفيل ابن عامر فارجع الى مكانك فلست من أقرانى فأساويك ولا من أشكالى فآويك وانما أنا فضل على من كان لى كفؤا وقرينا فقال له صفوان كلنا فى الرئاسة سواء وعند الحرب أكفاء وبينى وبينه

خلة وانه أراد الخروج للمبارزة فمنعته عن الخروج وجعلت تقول روحي لروحه الفداء ونفسي لنفسه الوقاء (قال) صحاب انه من آثرك على نفسه لم يترك شيئا من الجميل الا وعاملك به فاذا آثرته اما مك على نفسك فاما مقدمك امامه وملحقه بك فانظر من قد تصرخت له واعلم ان البلاء قد أظلك والحمام قد أحاط بك فاستأسر لأم لك مادام الحسام معقولا وباب السلامة مفتوحا قبل أن يغشاك العذاب وتأذن بالذهاب ويقال كان فلان وقطع به الزمان اذ تحرش للشعبان (قال) صفوان أكثرت الكلام فيما لا يخطر على الأوهام أترك الارهاب وتقدم الى الضراب فان الله ينصر من يشاء ويخذل من يشاء وبينما هو يخاطبه اذ فاجأه عدو الله بالحملة كانه بحر محبوس فتح لمجاريه فانصب في نواحيه فثبت له صفوان فتضاربا ضربا منكرا وعاين الناس هجمة عدو الله وسرعته فأذهلهم فجعل يصرخ ويرهب ويكثر من صياحه يريد بذلك أن يرعب قلب صفوان ويدهشه وصفوان ثابت براوغه ويهاجمه ويصادمه الى أن طال بينهما ذلك وزاد عدو الله في صدماته وصولاته والطفيل ينادي ياصاحب الخيل الجلاد ولا تمل من قتال الأعداء وهو صابر محتسب الى أن زاد عليه الأمر فعثر به جواده في بعض تقهقره وقيل كان راجلا فسقط فغشيه عدو الله بكلكله وانقض عليه بسرعته واحتوى عليه وملك قياده وأراد يده وأوثقه كتافا وقاده الى قومه أسيرا (فلما) نظر الطفيل الى ذلك اشتدت حرقته وانهملت دمعته وكثر نحيبه فبكى القوم جميعا لأسره وعظم عليهم ما نزل به فنظر الطفيل الى ولده فرآه مع داحي بن صحاب في تزايد القتال واشتغل قلبه بولده وخشي عليه من قرينه فهو كذلك باكيا حزينا اذ نظر الى عدو الله صحاب عاد الى مقامه وهو ينادي برفيع صوته خرج القناص وعاد القصاص فأين لكم مني خلاص فالسبع يفترسكم من جنبته والشبل يمزقكم من ناحية فهلموا الى الحمام ثم جعل يقول

من كان يكره الحياة وطيبها ● فليدن مني كي ينال مراده
اني الى الموت أليس أسوقه ● أهدى اليه فنهى لوداده
يامعشر النفر الصباة فدونكم ● من مرشد يريكم ارشاده
أين الطفيل وأين جمع حماته ● يدنو نقرب بالحسام معاده

(قال فلما) سمع الطفيل ذلك من مقالته لم يطق صبرا دون ان شد عليه أدراعه وصلا ركعتين أوجز فيها وسأل ربه ان كان قد دنا أجله فلا يحرمه الشهادة وأن يرزقه السعادة ثم ودع قومه وأوصاهم بنسائه وبناته وقال هن وديعتي عندكم فان كفيتم أمر عدوكم فانطلقوا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الخليفة عليهم بعدي وان لحق ولدي ما لحقني واستشهد فالله حفيظ عليهم (ثم) خرج رحمه الله وقد توشح بعمامته على صدره ومناكبه وأخذ سيفه ورمحه وخرج الى قرينه غير طايش ولا عجول فلما نظر اليه عدو الله مقبلا شهد له بالرياسة والشجاعة وتبين في معاطفه البراعة ثم قرب اليه الطفيل وهو مطرق اطراق الشجعان (فلما) قرب منه قال صحاب خديعة منه ومكرا أهلا ومرحبا بالشيخ المكرم والسيد المعظم مكرم الضيفان ومترع الجفان اناغير منكرين لكرمك ولا دافعين لشيمك وهل تستر الشمس عند أنوارها وتزول الجبال عن أماكنها غير انك أفسدت كل ما قدمت وهدمت كل ما بنيت وسقطت من درجة الأشراف الى درجة الصباة الدناة اذ فارقت دينك ودين آبائك وأجدادك وعاديت قومك وبعدت عن وطنك وقاتلت عشيرتك وجلبت على نفسك قارعة جرعا وأنزلت بأهلك ونفسك الفنا واني لاستحي منك أن أمد اليك سناني وأجردك حسامي وأهجم بصولتي عليك لما اتصل بي من كرمك واعظامك عند قبائل العرب وقد وصلت الى صاحبك فابقيت عليه لم أسفك دمه وكذلك أبقي عليك

بالتفضل وأسلم لك أهلك ومالك (ثم) انك ترجع الى دينك ودين آبائك وأجدادك فصاح عليه الطفيل رحمه الله اخسأ يا كلب العرب وأخبثهم فى الرتب وعن مثل هذا الكلام فاقصر وانظر لنفسك أيها الأخرق فانى أرجو من الله سبحانه أن يظفرنى بك ثم أجازيك بسوء فعلك فان كنت قد وصلت الى صاحبى وخليلى فأنا أؤمل ان شاء الله ان آخذ له بثاره منك ويطلق الله أسره من يديك فاصرف عنك كثرة الخطاب وتقدم للضراب (قال فلما) سمع اللعين ذلك من مقالته حمل عليه وتقدم اليه وتقاربا وتحاربا وتهاجما وتصادما وحمل كل واحد منهما على قرينه فكانا سواء فى حربهما اكفاء وصبر الطفيل ولم يكبر عليه أمره بل هاجمه وصادمه فتضاربا ضربا منكرا وتقاتلا قتالا شديدا فاعظم على الطفيل الاصياح النسوان من بين يديه وصراخ الولدان فأدهشه ذلك وأرعشه وكبر عليه ولم يدر ما الخبر حتى سمع زعقات المشركين وصراخهم فاشغل ذلك قلبه واذا عدو الله داحى قد وصل الى ولده وملك قياده وعاد به أسيرا الى قومه (قال) وكان من خبر عامر انه كان فى التلاحم مع داحى وطال بينهما الضراب الى أن وجد له عامر طريقا فضربه ضربة صادفة أمل بها هلاكه فوقع السيف على الدرع فانقطع السيف فى يده فوجد داحى مراده ومسرة فؤاده فداخله فى دهشته وعافصه فاحتوى عليه وملكه وعاد به الى قومه فتصارخ النسوان والولدان وكثر البكاء والنحيب وفرح المشركون بما ظهر لهم وتزاعقوا عند أسره فلما رأى الطفيل ولده قد أسر أقلقه ذلك وأرعشه وضعفت قوته وانهملت دمعته على خديه على ولده ولم يزل ينظر اليه وهو يقاد أسيرا حتى أسلمه داحى الى أصحابه وعاد الى موقفه وعرض للقتال وطلب النزال فبرز اليه فارس يجر رمحه من ورائه ملثم كانه شعلة نار وكانت زوجته رغلة وذلك انها لما رأت بعلها وقد أسر وسمعت صراخ النسوان وبكاء الولدان وانهملت العبرات لم تبك ولا رثت دون ان أفرغت عليها أدراعها وتلثمت وتقلدت بسيفها وأخذت رمحها واستوت على ظهر جوادها (فلما) نظروا اليها قالوا لها ما انت صانعة يا بنت عمر قالت آخذ بثار بعلى أو ألحق به أو أكون مقارنته فيما هو فيه فما كان لى بئس القرين وان قلبى عليه لحزين (قال) فتعلق بها ناس من قومها فقالت انى أخشى أن تلزمونى المقام فامكن من صدرى الحسام واعجل لنفسى الحمام فلما نظروا الى ذلك خشوا عليها ان تهلك نفسها حزنا على بعلها فأطلقوا لها السبيل فخرجت كانها شعلة نار ولم يسمع لها خطاب ولا جواب دون ان صممت بالحملة من غير معرفة تقدمت لها من قرينها ولا امهال فلما نظر داحى الى ذلك منها أنكر أمرها وخاطبها فلم تخاطبه وزجرها فلم تجبه فتابعها بالحملة ودخل عليها بالهجمة فذاق منها مذاقا منكرا لم يره من بعلها فأخذ يطاولها ويتراوغ عنها (قال الراوى) رحمه الله فلما نظر صخاب الى ولده وقد أسر عامر وأسلمه الى قومه وعاد الى الحرب أقبل الى الطفيل وقال له تحقق انه قد زال عقلك وذهبت قوتك وظهرت رعشتك وما أنت بملوم اذ نظرت الى ولدك وقد أسر ونسوانك باكيات لاطمات وقد رحتك لمكانك فى قومك وشرفك والكريم يحفظ الكريم فلك الأمان على روحك ولمن استأسر من قومك أجود عليك بذمامى ورضاك بانعامى (فلما) سمع الطفيل ذلك من مقالته قال له اخسأ يا لعين يا ابن اللئيم فما يخامرنى كلامك ولا يفزعنى أمرك ومرامك ثم حمل عليه وقلبه يرجف لما رأى من أسر ولده وخليله ودمعته تسيل وهو يرعش وقد انكسر نشاطه وقل انبساطه وطمع فيه قرينه وطلب شينه اذ عاد صراخ النسوان فدا الطفيل بصره فرأى النسوان فى حرب وضرب (قال) وكان من خبرهن انه لما خرجت رغلة بنت عمر بن حمامة طالبة لبعلها وبصرت بها النسوان فلم يخف عليهن شمائلها فأقبلت عليهن زوجة الطفيل وكانت من المتر جلات البازلات وقالت يا معشر نساء دوس وأيم الله ما ابنة عمر بن حمامة بأبصر منكن على القتال ولا أخبر بالنزال

فايا لكن لا تفعلن قلن لها وما تصنع قالت تفترقن فرقة تحمل على هذه الجنبة وفرقة لهذه الجنبة الأخرى فأقل ما تصلن اليه أن تطلقوا أسيركن فيكون لكن عونا على الأعداء قلن لها وبما نقاتل قالت بالاعمدة والجنادل فأجبنها الى ذلك واجتمعن النساء والولدان والآماء والصبيان فأخذن أعمدة البيوت والخناجر والجنادل وحملن على القوم فانكشفوا بين أيديهن فوصلن الى صفوان فاطلقنه من أسره وأتت الى عامر أمه فحلته من وثاقه وقالت له يا ولدى خذ بثارك وانتقم من أعدائك (قال) فدخل فى رحائل القوم فوجد سيفا ملقى فأخذه ووجد صفوان حربة فأخذها قال ثم حمل صفوان الى ناحية الطفيل وحمل عامر الى ناحية زوجته والنسوان يتصارخن ويتزاعقن فالتفت الطفيل والتفت اللعين صخاب فرأى ذلك وصفوان قد تخلص من وثاقه وقد دهمه من مكانه وعاين عامر بن الطفيل فذهل أدهش وجعل يلتفت يمينا وشمالا فعاجله الطفيل تحت دهشته وقد رجع اليه عقله وقوته وانكشفت أحزانه برؤية ولده فحمل على قرينه فصاحت زوجته من مكانها قد أتاك النصر من ربك فصمم الطفيل عليه وحمل عامر من مكانه الى ان أشرف على زوجته وقد ظهرت على قرينها داحى فصاح بها عامر مهلا لا تأخذ منه بثارى وأكشف عن عارى فلم تبال كلامه دون ان فصته تحت دهشته وهو يصرخ بقومه وهم لا يلوون اليه فلم يصل عامر اليه الا وقد مكنت السنان من صدره أطلعته من بين كتفيه فانجدل صريعا فكبر عامر عند قتله وأرعش من كان فى تلك الجنبة من الكفار ومكن عامر منهم السيف وقتل منهم رجالا وأما صخاب فانه لما نظر الى الطفيل قد غشيه وصفوان قد حمل عليه أيقن بالهلاك فصاح به الطفيل كيف رأيت يا عدو الله كيدك ومكرك ان الله سبحانه رده اليك (قال) فرمى صخاب السيف من يديه وقال ابق على أسيرك يا ابن العم فاحتوى عليه الطفيل وأوثقه كتافا ووكل به رجالا وحمل بمن معه وحمل الناس من كل جانب وعمل السيف وحملت الأقران ونزل بأعداء الله الخذلان فلا ترى الا رأسا ساقطا أو كفا طائرا وفرسا يجول دون راكب وأعلن النسوان بالتكبير وفتكن فى ذلك اليوم فى المشركين وأعز الله المؤمنين (فلما) رأى المشركون ما حل بهم وما قد أحاط بصاحبهم أخذوا يتسللون هربا من جنبة الوادى فلما وصلوا الى فم الوادى الفوه مسددا بالرجال وسيوف تلمع ورماح تقطع ورجال جثم فى فم الوادى فعظم ذلك عليهم فالوا نحو الجنبة الأخرى فأصابوا هناك مثل ما فى الجنبة الأخرى فأيقنوا بالهلاك واذعنوا للموت (قال صاحب الحديث) وكان النبى صلى الله عليه وسلم لما شاور عمه حمزة فى الخروج ليطلب للطفيل معينا أو نصيرا وأذن له أن يأخذ معه على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فخرجا جميعا يطوفان حول مكة فلم يجدوا عونا ولا نصيرا وكان يخاف جنبة صخاب وسطوته لانه لم يبق من لم يعرف شره ولعنته وعداوته لبنى هاشم فلما رأى حمزة ذلك قال لعلى عد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك وقل له ان كل من سألناه وجدناه يخشى من جنبة صخاب وسطوته ولم يبق الا قوم بيننا وبينهم حلف وها أنا انطلق اليهم فان وجدت عندهم نصرة أو معاونة والا عدت اليك (قال) فرجع على رضى الله تعالى عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فشق ذلك عليه وخشى على الطفيل ومن معه وقال اللهم ان عبادك لم يجيبونى وانى لا أقطع رجائى منك ولا اتكالى عليك اللهم انصرهم على أعدائهم واظهرهم على من ناواهم فانك تعز من تشاء وتذل من تشاء وأنت على كل شئ قدير وبقى متشوفا لما يأتيه من الخبر منتظرا لعمه حمزة وما يكون منه (قال صاحب الحديث) ثم ان حمزة رضى الله تعالى عنه مضى حتى أتى حى بنى خزاعة وقد كان خرج منهم خلق كثير فنزلوا على ماء يقال له الوتين وكان بينهم وبين عبد المطلب حلف قديم وكانوا على حلفهم مع أولاده ولبنى هاشم جميعا فأقبل اليهم فكشف لهم عما قصد اليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى أطلب له نصيرا أو معينا

ولم أجد لما طلبت غيركم ولا أنكم حلفاء. ثم كشف لهم الأمر من أوله الى آخره وأخبرهم بقصة الطفيل وولده وما كان منهما مع قريش (ثم) أخبرهم بما كاتبوا به صحاب الباهلي وما أجمع عليه واخبرهم بما أخبره به رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخبره جبريل عليه السلام (فلما) سمع القوم ذلك تطاولوا الى سيدهم عمر بن سالم الخزاعي وقالوا له ما الذي تراه قال وما عسى ان أراه لكم وان طاعة القوم مفروضة ولو أمرونا أن نلقي أنفسنا في النار أو نغرر بأسيافنا على أوداجنا لهان علينا ذلك فأجيبوا هذا السيد الى ما طلب وعاندوا من عانده ولا تبقوا على من كايده فاجتمع القوم في ستمائة فارس على خيولهم ومائتان على المطايا يتعاقبونها (قال) ثم أقبل عليهم حمزة رضي الله عنه وقال لهم ان القوم في وادي العمالق وأنا راجع الى ابن أخي (محمد) صلى الله عليه وسلم لئلا ينكروا أمرنا اذا فقدونا وفيكم كفاية لهذا الأمر وبكم عني غنى فاذا فصلتم أمركم من القوم فعرفونا ما يكون منكم قالوا حبا وكرامة ثم سار القوم من ساعتهم على الخيل والمطايا ومعهم سيدهم عمر بن سالم فلم يزالوا يجدون السير الى أن أشرفوا على وادي العمالق فارسل رجلا من قومه ينظر لهم خبر القوم فوجدهم في القتال والتلاحم والتهاجم كما تقدم قبل هذا فرجع الى قومه فأخبرهم بذلك فقال عمر بن سالم معاشر الناس ليس المجرب في الأمور كمن لم يجربها والقوم في حربهم لسنا ندري لمن تكون الدائرة وعلى من تكون الدولة والأولى بنا أن نتفرق على جنبتي الوادي فان انهزم الطفيل كنا له عونا وان انهزم اللئام كنا لهم مهلكين قالوا له رتب الرأي (ثم) فرق قومه شطرين دفع شطرهم الى ابن رزقا الخزاعي وقال له كن في احدى جنبتي الوادي ثم خرج عمر بن سالم بالباقي الى الجنبة الأخرى ووقفوا ينتظرون لمن تكون الغلبة الى أن أظهر الله الطفيل وقومه على أعدائهم وولوا منهزمين فلما أحس أعداء الله ان الوادي أخذ عليهم من كل جهة أيقنوا بالهلاك وأخذهم السيف من كل مكان فلجؤا الى المنفذ الآخر فاذا هو مسدود برجال خزاعة فكبر ذلك على الطفيل وظن انهم من أعدائه فصاح عامر بن سالم الخزاعي لا يكبر عليك الأمر يا طفيل فنحن نصراء لك على أعدائك فسري عن الطفيل ما كان يجده واستبشر وكبر فرحا وتجاوب القوم بالتكبير من جنبتي الوادي ونادى الطفيل معاشر الناس المؤمنين قد جاءكم النصر من عند رب العالمين (قال) فلم يأت وقت الزوال من ذلك اليوم حتى أهلكوا القوم عن آخرهم قال فأقبل الطفيل الى عمر بن سالم ومن معه من الخزاعيين وسلم عليهم ورحب بهم ثم دعا بصحاب فأتي به أسيرا ذليلا حقيرا فقال له الطفيل كيف أردت أن تكايد الحق بباطلك فكان الحق أغلب والباطل أنكب فكيف رأيت حكم الله فقال صحاب من هؤلاء القوم الذين نصروكم وأعانوكم على حربنا وأخذوا جانب الوادي (قال) الطفيل هم حلفاء بني هاشم من خزاعة الكرام قال فلما سمع اللعين ذلك تنفس الصعدا وقال ما زال (محمد) حتى استمال قلوب العرب جميعا قال فلما سمع الطفيل ذلك من قوله جرسيفه وخطا نحوه فقال صفوان يا خليلي انه قد وصل الى بشره وأمكنني بمكره فمن علي بقتله قال الطفيل هو لك فأقبل صفوان نحوه فقال له صحاب يا ويلك ما يضرك لو استبقيت دمي فيكون لك ذلك أحمد عند العرب وأصلح لحالك وأكثر لمالك قال صفوان يا عدو الله ان قتلك أحب الي من ملء الأرض ذهبا وفضة ثم لم يمهله دون ان علاه بالسيف فأطار رأسه بين يديه وملك الطفيل غنائم القوم وخيلهم وأسلابهم وسلاحهم وشكر للخزاعيين فعلهم وأمرهم بالانصراف فانصرفوا ودخل عمر بن سالم الى مكة فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فسره ذلك وشاع الخبر في مكة فاضمرت قريش لخزاعة شرا ولم يبدوه الا عند فتح مكة وصلح الحديبية فهجموا على خزاعة وبذلوا فيها السيف فكان ذلك طريقا الى نقض العهد الذي عاهدهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فغزاهم وفتح مكة وأخذ خزاعة بثارهم من قريش

وأقام الطفيل رحمه الله بوادى العمالق ولم يجسر عليه أحد من قريش ولا من أعدائه الى أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة والطفيل هنالك نازل فكتبت قريش الى عمر بن حمامة يعلمونه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتحل عنهم وأن الطفيل ومن معه غنيمة لهم و وعدوه عليه ما استطاعوا (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله حدثنا أشياخنا وأسلافنا الرواة لهذا الحديث رحمهم الله أنه لما كاتبت قريش لصحاب بن خليفة الباهلى أن يكفيهم مؤنة الطفيل بن عامر الدوسى ومن معه و جعلوا له ماله ومال من معه فقصده فى أربعمائة فارس الى وادى العمالق كما تقدم فاباده الله وأهلكهم ونصر الطفيل ومن معه عليهم وفشا ذكره بمكة فزاد ذلك قريشا غضبا وحنقا وأضمر والخزاعة شرا ولم يتعرض بعدها الطفيل أحد ودخل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما دهمه من صحاب وقومه وكيف نصره الله عليهم وكيف أنجدته خزاعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن كثر حسادك وأعداؤك ياطفيل فاجعل الحذر مطيتك والرصد سبيلك والظلام نهارك وأقل من الرقاد فانت بأكبر من نبيك وهؤلاء أعدائى من حولى جاثمون والى راصدون وبالله استعين عليهم وأرجو الفرج قريبا وكأنك برايات الحق قد ظهرت وكلمة الله قد علت وسيف الحق قد اشتهر فيبيد كل من كفر وذلك بعون الله ونصره وخرج الطفيل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش تنظر اليه شزرا وترمقه حنقا ويعضون عليه الأنامل غيظا اذ لا يجدون اليه سبيلا فأقبل الى قومه فأخبرهم ما أمره به رسول الله وكان القوم بالحذر لا ينامون ليلا ولا نهارا وان دخل أحد منهم الحرم فهو حذر فلم يزالوا كذلك صابرين على الأذى الى أن أذن الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة والانتقال اليها والخروج من مكة فخرج الناس ارسالا منهم من قبل النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا (فلما) كان خروجه أرسل الى الطفيل فحضر فقال له ان الله تعالى أمرنى بالخروج الى يثرب الى قوم هم أحن على من قومى وأحب الى من عشيرتى وقد بايعونى واتبعونى وأخذوا لى البيعة على قومهم وكاتبونى وأرسلوا الى على أن يمنعوا عنى من أراد كيدى وأنا خارج اليهم فانظر لنفسك وقومك فتكون فى جوارى و جوار قوم يحبون الله ورسوله ويحبهم الله ورسوله فباعد من مكانك الى حيث تجد لك منعة تمنعك من أعدائك فقال الطفيل بأبى أنت وأمى ان أغنامنا قد ولدت فى هذه الأيام واللقاح من هذه الابل أكثرها توابع وانا مثقلون و ولدى قد ساق صوفا ومتاعا الى اليمامة ليكتال لنا طعاما وقد علمت انى به أصول وصفوان قد خرج معه فى سفره وهو جناحى وركنى ولا لى فى هذا الوقت رحيل غير انى لاحق بك ومالى عنك غنى ولا يسعنى التخلف عنك من بعدك ومالى عنك صبر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انظر اماما ثم واحذر فى ليلك ونهارك وساوصى بك عمى العباس (ثم) بعث من وقته الى عمه العباس وبنى عبد المطلب فقال لهم انى قد استودعتكم هذا الرجل ومن معه فهو وديعتى عندكم فاحفظوه وتعاهدوه وان عانده معاند أو طلبه مطالب فامنعوا عنه وانصروه فانه يؤلمنى ما يؤلمه ويسرنى ما يسره (فقال) العباس يا ابن أخى قد وجبت علينا نصرته بورود عليك ومحبته لك وثالث الشرفه ووده القديم لنا ولو لم توصنا به لكان فرضا علينا نصرته ومعاونته وقد نصرناه فى الأول ولا نسلمه فى الآخر دون أن نقتل عن آخرنا ولا يطمع فينا ولا فيمن جاورنا طامع وهو فى جوارنا (ثم) ان العباس رضى الله تعالى عنه جعل يقول

للجار فرض علينا لا نضيعه ● حفظ الجوار ودفع العسر بالميسر
أضحى مجاورنا رعاك واحدنا ● فمن يشانيه يلق النار والشرر
لا يستضام من الأعداء من جزع ● لنا المهابة فى بدو وفى حضر

لنا السيادة والبيت العتيق لنا * وزمزم ماؤها قد فاض كالمطر
خل الطفيل ولا تجزع لوحدته * فانه آمن سدة الدر

(قال فتبسم) رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بقول عمه العباس ودعا له واثنى عليه بخير وقال هكذا يجب للعم أن ينصر ابن أخيه على أعدائه ثم أمر الطفيل بالانصراف وودعه وسلم عليه فقال الطفيل لا صبر لى على فقدك يا رسول الله وأنا سائر فى أثرك ان شاء الله تعالى ثم رجع الى قومه وأخذ رسول الله فى أهبة السفر والخروج (فلما) كان فى الليلة التى خرج فيها هو وأبو بكر معه أعاد على عمومته الوصية بالطفيل وقال لعلى رضى الله عنه أنت خليفتى على أهلى كما كان هارون خليفة موسى على قومه ودافع عن الطفيل ما استطعت (قال) حبا وكرامة وأنا أقرب اليهم أن لا يقرب أحد واديه فمن خالف ما سمع فأنا مرديه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا الى المدينة أصبح الناس بمكة وقد فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فماجوا واضطربوا وكثر الضجيج اذ أشرف عليهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وهم فى ضجتهم واختلافهم فصرخ بهم صرخة أمسك الجميع ونظروا اليه فقال يا معشر الناس يا بنى مخزوم يا بنى زهرة يا بنى عبد شمس يا أهل الأبطح يا سكان الصفا من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا على ابن عم (محمد) المصطفى صلى الله عليه وسلم أعلمكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مهاجرا من سوآتكم رفقا بكم لا جزعا منكم وأيم الله ان له ربا يكفيه وحوله الآن عصبة من بنى هاشم تقطر سنانها سما وتورث من حاربها غما فلا تكونوا كالبقرة تثير المدية بقرنها أو بظلفها وفيها هلاكها أو كالفراش يهوى فى النار فيحترق فيها وقد علمتم ان أصحاب الفيل لم يطفؤا علينا اذ غضب الله لنا فرماهم الله بحجارة من سجيل الا وان فى جواركم رجلا قد لزمنا جواره وذمامه وهو منا والينا وهو الطفيل بن عامر الدوسى واياكم والتعرض له فتجلبوا الرجا الطاحنة تطحنكم طحن الحصيد وقد قدمنا اليكم بالانذار والاعذار فليبلغ الشاهد الغائب والله على ما نقول وكيل (ثم) رجع عنهم وتركهم فى حيرة ينظر بعضهم الى بعض فكان أول من نطق بعد غيبة على اللعين أبو جهل فقال أترضون لانفسكم يا معشر العرب بهذا العار والشنار أن يدع عنكم صبيا مثل هذا الغلام اطلق فيكم لسانه بمثل هذا الكلام ونعت بمثل ما سمعتم من الاذلال والاحقان وانتم تنظرون اليه وتسمعون كلامه لئن كانت العرب فرحت بخروج (محمد) صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فقد خلف فينا خلفا من بعده يأتمر فينا بأمره ويحكم بحكمه وأيم الله لأجهدن فى هلاك الطفيل ومن معه ولو بذهاب مالى ونفسى فتفرق القوم على ما هم عليه (فلما) مضى النهار وانسدل الظلام كتب اللعين أبو جهل كتابا لم يطلع عليه أحد غيره لئلا يذيع الخبر فى الناس ويصل بنى هاشم يقول فيه باسمك اللهم من السيد والمجاور للبيت المعظم المكنى بأبى جهل بن هشام الى الكلب الرئيس عمر بن حمامة أما بعد فانى أعجب من صبرك على ما نزل بك من المحن وقد صرت بعد الرياسة حقيرا وبعد المهابة ذليلا لما نالك من الطفيل بن عامر وما وصل اليه من نسوانك وبناتك ومن قتل من رجالك وأنت غافل عنه ألا وانه قد أمكنتك الفرصة منه ان أردته أو طلبته وان الذى كان يمنعه (محمد) بن عبد الله قد خرج الى يثرب وان الطفيل ومن معه فى وادى العمالق لو دهمته عشرة فوارس لقتلوه وولده غائب عنه وخليله صفوان كذلك ولو لا مراصدة بنى هاشم لنا وأخذهم الايمان علينا لسرنا اليهم فلا نبقى منهم باقيا فاذا قرأت كتابى هذا فاستيقظ من رقدتك وأسرع اليه فى حماة أصحابك ورجال عشيرتك وأدهمه فى وادى العمالق فاشف منه فؤادك وابلغ منه مرادك قبل أن يلحق (بمحمد) صلى الله عليه وسلم فيبعد عليك الأمر ولا تصل اليه أبد الابد فالعجل العجل أن يفوتك الأمر والسلام (ثم) طوى الكتاب

وختمه بخاتمه ودعا بعبد له يسمى صلصل وكان أسود طويلا عريض المناكب أحمر العينين من أعاجم السودان له صولة وبسطة فقال له اللعين أبو جهل ويلك يا صلصل اكتم السر لأنى ما اطلعت عليه أحدا غيرك فتى ماذاع لم يذعه أحد سواك قال العبد يا مولاى وكيف أفشى سرك الى أحد وقال له خذ اليك هذا الكتاب وانطلق به الى حى دوس فاذا وصلت فلا تظهره لأحد دون أن توصله الى عمر بن حمامة ولا تدفعه اليه الا سرا ولا يكون معكم ثالث فقال العبد سمعت وأطعت (ثم) أخذ الكتاب من يد سيده وخرج من وقته وقال اذا وصلت الكتاب اليه فقل له ان كبر عليك الأمر من عدوتا وعدوك فارسل الينا نأتيك فى أسرع من طرفة عين ونعينك على سفك دمائهم فقال أنا أفعل ذلك ثم استوى على ظهر مطيته وخرج من وقته يخترق الشعاب فبينما هو عند شعاب بنى هاشم اذ لقيه عقيل بن أبى طالب وقد خرج يريد سفرا (فلما) رآه أنكر أمره واستراب شأنه فوقف على المجاز فلما وصل اليه وضع يده على ظهر المطية فحبسها عن المسير وتعلق بالزمام وقال من أنت وأين تريد فى جنح الظلام قال أنا صلصل عبد أبى الحكم قال والى أين تريد فان لك أمرا منكرا فقال ان مولاى فقد له عبد وطلع من بعد العصر فما ندرى ما كان منه فأرسلنى مولاى لأخذ خبره لعله عند بعض الرعاة أو فى البساتين أو دهمه أمر (قال) عقيل لعل وعسى ثم أطلق سبيله وقد أنكر أمره وما رأى من سرعة العبد فرجع من وقته الى عمه العباس وأخبره بما ذكر له العبد فقال العباس ورب الكعبة ليظهرن لهذا العبد بيان وبرهان وأقام العباس بقية ليلته (فلما) أصبح خرج الى الأبطح فاذا هو بأبى جهل اللعين وأبطال بنى مخزوم ثم أخذ فى الحديث فقال العباس يا أبا الحكم أين أرسلت غلامك البارحة صلصل قال مرضت زوجتى فتمنت فاكهة فأرسلته ليأتى بها من الطائف فسكت عنه العباس وبينما هو كذلك اذ أقبل العبد وصاح عند أبى جهل فى بعض حوائجه فهناك تحقق عند العباس له أمر منكر فأقبل الى اخوته وعشيرته وكشف لهم ذلك وبعث الى ابن أخيه على وقال لهم قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوصاكم بالطفيل بن عامر وأنا خائف عليه من قريش والواجب عليكم حفظه فقال على يا عم فما يمنعنا أن نخرج بأجمعنا ونكون جثمانا فى فم الوادى فمن أتانا طالبا للطفيل أخذناه وأرغمنا أنفه (قال) العباس مهلا يا ابن أخى حتى يتبين هذا الأمر على حقيقته ونعمل بحسبه فقال يا عم ابعث الى الطفيل ان يكونوا على أهبة ويستمعوا الصوت فاذا وقعت الصيحة فليأتونا (قال) العباس انى فاعل ذلك فرجع يطوف على أبطال بنى هاشم وشجعان بنى عبد المطلب الى أن ألقى الخبر الى جميعهم فاستيقظ القوم وتطاولوا الى ما يكون وجعل العباس يبحث عن الخبر فلم يجد منه عند قريش مثل مطعم بن عدى والبخترى وزهير بن أمية وأمثالهم فسألهم فلم يجد عندهم لذلك خبرا فانكر العباس ذلك أشد الانكار وخامره الشك فى ذلك وتمهل فى أمره الى أن ينكشف الأمر (قال) وكان من خبر العبد صلصل انه لما خرج من مكة سالما وقد تخلص من الهلاك توجه الى حيث أمره سيده نحو ديار عمر بن حمامة فلما استقر به السير جعل يقول

نجيت من الليث المبيد وقد بدا * ولولا خداعى لم أكن منه ناجيا
رأيت عقيلا قد بدا نى فخفته * وارعش منى خاطرى وفؤاديا
فقلت مقالا كاذبا اذ رأيته * أخادعه والليل أدهم باديا
فعبد لناقد ضل مناوانى * أمرت بان أعلو الربا والفيافيا
عسى أن تراعينى خيالا شخصه * فارجع مسرورا واعطى منائيا
فافلت من وقع الشبا ولم أكن * بليد الأردان وأصبحت هاويا

(قال) وسار يجد السير ويعنف على مطيته الى أن أشرف على حي دوس وحاضرهم فلما أشرف عليهم نفرت اليه الرماة والركبان وتبادرت نحوه الفرسان وكان عمر بن حمامة حذرا من الكبسة والهجمة لمعاداة بني هاشم ومافعل بالطفيل فلما بصروا به سألوه من هو فقال أنا رسول من سادات الحرم وأرباب الكرم فلما سمعوا كلامه رجعوا من وقتهم الى عمر بن حمامة فأخبروه بذلك وتأهب له وأسرع العبد اليه (فلما) دنا منه أناخ مطيته متباعدا وخطا نحوه ثم أطلق لسانه وقال اليدك قصد القاصد ووفد الوافد أنا رسول سيد الحرم الكلب أبا الحكم في أمر لك فيه الشفاء من كل داء وسقك دم العدو وهو الطفيل بن عامر الدوسي الطريح في الفلوات ومن بعدعنه الحماة وذهب عنه الناصر فان أردت أن تأخذ بثارك وتنتقم من أعدائك فقم من وقتك فهذا كتاب مولاي اليك فان مولاي لما رأى (محمدا) خرج من الحرم أرسلني اليك ولولا مابيننا وبين بني هاشم من الشنار فهم يحرسوننا ونحن نحرسهم لكفيناك مؤنة القوم الا أنك اذا هجمت على القوم أعانك منا رجال وساعدك أبطال فابتهج اللعين بذلك وقال هلم الكتاب فرماه اليه فلما فهم مافيه تهلل وجهه سرورا وأمر عبيده أن يتصارخوا في الحاضر وأمرهم بمبادرة الناس اليه فاسرعوا اليه أفواجا يهرعون (فلما) تكاملوا عنده قام بينهم وقال أيها الناس ان الذي كنتم تتطاولون اليه من أخذ ثاركم وكشف عاركم قد وصلتم اليه وقد علمتم ماوصل اليه الطفيل بن عامر من قتل رجالكم وأخذ أموالكم ونسائكم وقد جاءكم ماكنتم تؤملون هذا كتاب سيد قريش اليكم ثم قرأه عليهم فلما سمعوه فرحوا به وابتهجوا وقالوا سر بنا اليه من وقتنا نهجم عليه بجمعنا وكثارها جهم على عمر بن حمامة يأمرونه بالسرعة والمبادرة قال وكان في القوم رجل منهم يقاله وكيع بن سالم الدوسي وكان من أقارب الطفيل وكان له عند القوم مكان وكان فصيح اللسان جرى الجنان فلما سمع ذلك منهم قال ياقوم بئس القرابة أنتم تغدرون رجلا طال ما كشف عنكم الكربات لم يذنب اليكم ذنبا استوجب منكم هذا انما دعاكم الى مارضي لنفسه واختاره (فلما) أبيتم ذلك خرج عنكم طالبا بذلك حقن الدماء وصون النساء فثاركتموه يسرح في الأرض الواسعة حتى أردتم قتله وأخذتم نسوانه وحريمه وعبيده فرزق عليكم النصر نصر المستضعف وملك قيادكم فاطلق لكم السبيل وأطلق نسوانكم وأموالكم ووهب لكم أنفسكم وحفظ لكم من القرابة مالم تحفظوه له وقد تباعد عنكم وعن جواركم وقد عزمتم على غدره وان كان صاحبه (محمد) خرج فان عمومته لايسلمونه اليكم ولا يخلوا عنه أبدا ثم جعل وكيع يقول

اذا بغيتم فأذنوا ببواركم • فبغيكم يدعوا ببئر المظالم
وأخلتم من عزكم بفعالكم • وقطعتم حبلا بحد الصوارم
فاف لكم من أقارب يثباعدوا • فقد ارتكبتم بومكم بعظائم
فاني سارحل كارها لفعالكم • وأنزل جوار الترك والاعاجم

(قال ثم) نفض أثوابه وقام وترك القوم وقد قطعهم بكلامه وبهرهم بخطابه وجاء الى رعاته وقال لهم اقبلوا برؤس الأموال نحو البرية ففعلوا ما أمرهم به وأمر أن يشد الهوادج على الأباعر لنسوانه وأطفاله وولائده وكان كثير المال يضاهي الطفيل وعمر بن حمامة بل كان أعف من عمر بن حمامة طرفا وأكثر نيلا وأسمح كفا وأبذل للطعام وأحفظ للذمام وأوجه عند العرب وأكبر منزلة فلم يترك سببا ولا لبدا الا وحمله وأمر العبيد أن يتقدموا بالأموال ففعلوا ذلك وأفرغ عليه لامته وركب جواده فنهض اليه القوم وسألوه المقام بين عشيرته فابى عليهم

وأقسم الا يقيم بينهم اذ عزموا على الغدر والمكر (فلما) أخبر عمر بن حمامة بذلك سار اليه بنفسه ماشيا وقال لعلك صبوت كما صبا الطفيل وعزمت على اللحوق به لتكون له شريكا وعلى هذا الدين الذى لا تعرفه معينا (قال) وكيع معاذ الله أن أكون صابئا ولا معينا للطفيل وانما هربت من غدركم ومكركم وسوء فعالكم قال له عمر بن حمامة انى أسئلك أن لا تفجعنى بغيبتك ولا تغيب عنى وجهك ولا تلق العداوة بيننا وبينك (قال) وكيع هيهات أن أسكن الحاضر بعد ما رأيت منكم ما رأيت وخرجت نسوان الحاضر تسأله المقام فأبى فلما نظر عمر بن حمامة الى ذلك خشى أن يفسد عليه الحاضر وان يقلب قلوب الناس عنه فاطلق له السبيل وقال اتركوه اذ رضى لنفسه بمفارقة أهله ووطنه والتباعد من عشيرته فهو يطلب العداوة اليكم فلم يجدها فاطلق له السبيل فخرج بأمواله وأهله وأولاده (فلما) بعد عن الحاضر أدرك القوم الندم على مفارقته لأنه كان عدتهم فى النائبات ونظر عمر بن حمامة الى ما لحقهم من الندم فعظم عليه ذلك وقال أما انه لو أقام للقيتم منه أكثر مما القيتم من الطفيل من الاذى وازداد عليكم منه البلا فاتركوه يمضى لحال سبيله فبقى القوم ما بين مغموم ومحزون لخروجه وآخر فرح بخروجه (قال) فبينما القوم كذلك واذا هم بصراخ من جهة الصنم ذى الكفين قد عم الحاضر بأسره وذهل منه الرجال وذعرت منه الأبطال وجزعت النسوان فأقبلوا نحوه سراعا وأقبل عمر بن حمامة مسرعا وأتبعه الناس عنقا واحدا فلما وصلوا الى الصنم وجدوه برعد كالورقة وينتقل من مكانه وقد انقطع الماء من كفيه وكان مصبوبا من الجبل يجرى تحت الأرض الى الصنم وهو مجوف الى عضده وذراعيه والماء يخرج من أنامله ولم يكن شراب القوم الا منه فلما رأوا الماء قد انقطع أيقنوا بالهلاك وضجوا بالصراخ وكثر منهم الصياح وخروا للصنم سجدا ولاذوا به وخضعوا له وتقدم عمر بن حمامة وسجد بين يديه وناداه أنهلك عبيدك من غير ذنب أذنبوه اليك وهم خضوع بين يديك فان تكن علمت منهم ما لم أعلمه أنا فأنت أولى من صفح عن الجانى وأقال عثرة الخاطئ وان يكن غير ذلك فاشرحه لنا فانا نسرع الى أمرك ثم أصغى اليه يسمع الجواب وطال قيامهم حتى هتف بهم الشيطان من جوف الصنم وهو يقول

لاسقاء لكم عندى ولاما * فاذنوا اليوم تهلكوا بالظماء
غضبا اذ لم تغضبوا لوكيع * وهو ضد معاندى فى البلاء
انه مجمع لكم على كل غدر * عنادا وبغضة وبلاء
وقعدتم عن الطفيل فخبتم * فاذنوا اليوم بالفناء والبلاء
أو تثوروا وتنفذوا لوكيع * فتبادروا اليه اذ صار من الأعداء
(ثم) تأتوا الطفيل وادى العمالق * فتتركوه هاويا فى الثراء
ولعامر من بعده ولصفوان * ومن قد أقام فى الغرماء
وان أبيتم فما لكم من بقاء * كيف يبقى الظماء من غير ماء

(قال فلما) سمع عمر بن حمامة ذلك من مقالة الصنم ابتهج سرورا ثم أقبل على القوم وقال لهم هل سمعتم ما قال لكم قالوا سمعنا وعينا قال فما أنتم قائلون فانه ان منعكم الماء فأنتم هالكون أنتم وأهاليكم وأموالكم بالظمأ فانهضوا سراعا فأول ما ترضوه قتل صاحبكم وكيع بن سالم واحمل رأسه اليه فعساه يرضى ويطلق لكم الماء (ثم) تسيروا الى الطفيل بن عامر فتفسكوا دمه وتهتكوا حريمه وتأخذوا نعمه وتعودوا بالأموال الى ذى الكفين يأمر فيها بأمره فلما سمع القوم ذلك نشطوا للقتال فقالوا سمعنا وأطعنا فسر بنا ثم تبادر القوم من وقتهم فافرغوا عليهم

أدراعهم وركبوا خيولهم وقالوا له اخرج بنا اليهم قال أنا معكم وفى أوائلكم غير متأخر عنكم ثم قدم نجائبه ومطاياه وعبيده فلما تكامل الناس عرضهم فوجدهم ثلاثة آلاف فارس وخمسمائة فارس فرد الخمسمائة الى الحى وأمر عليهم عسكر بن وهاج الدوسى وكان من الأبطال المعدودين والفرسان المشهورين وأمره أن ينحر كل يوم للصنم ذبيحة حتى يعود من سفره ويسأله أن ينصره على عدوه وخرج فى ثلاثة آلاف فارس انجاد لبوت شداد فلما خرج من الحاضر أطلق لهم اللعين الماء ففرحوا بذلك وأقبل صلصل عبد أبى جهل الملعون الى عمر بن حمامة وقال ياسيدى انى لم أومر أن أسير معك بل أمرت بالرجعة لأخبر مولاى بما ظهر لى فان أحببتم أن يخرج معكم أحد من قومنا ليكونوا لكم مساعدين وأناماض الى مولاى فأخبره بمبادرتكم وأبشره بسرعتكم ليخرج بمن معه الى الطفيل ليفرق جمعه ويهلكه قال عمر امض الى راشدا وأخبر مولاك انى قد خرجت وجعلت له ولمن معه شطر مال الطفيل وماحوت يده من خيل وسرح وسلاح ولنا شطره ومع ذلك فهو له علينا يدلا أجازيه عليها أبدا والموعد بيننا وبينهم الغابة قبل الهجوم عليهم بوادى العمالق فان خرجتم قبلنا فاكمنوا هنالك الى أن نصلكم وان سبقناكم فنحن هناك قاعدون ولكم منتظرون (قال) صلصل سمعت ووعيت (ثم) ودع القوم وتركهم سائرين وأطلق للطية الزمام وطوى لها فى الخطام وزجرها فاسرعت به ترقل حتى اذا كان بين الصلاتين وقد خرج الى أرض بنى دارم نظر امامه وكيع بن سالم وأباعره وهو واجه وأمواله وسرحه وهو سائر على الجادة القاصدة الى مكة وقد ترك جادة الشام فلما رأى العبد ذلك حار ودهش ولم يدر أين مقصده (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله وكان وكيع رحمه الله لما خرج من حاضر دوس اجمع على الخروج الى الشام وركب المهمات الى جادة العراق وأمل مجاورة كسرى وقيصر فلما هم بذلك شاور زوجته وهى بنت سويد الدوسى وكانت من أهل العقل والرياسة والتدبير فقال لها ماترين فقالت له انك خرجت على الحق وغضبت للطفيل وتعلم انه على الحق وأنت تبغى دين الله عز وجل فلا تمل الى الباطل وتترك الحق (قال) فعزم على ما أشارت اليه من اتباع الطفيل وتوجه نحو مكة كما ذكرنا فلما أن التقى العبد معه كما ذكر وهو سائر الى مكة أغلظ له فى الكلام وتوعده الى أن أراد قتل وكيع فقاربه ورماه بحربة كانت بيده فحاد عنها وكيع ثم أخذها ورمى بها العبد فلم تخط نحره فانجدل صريعا وعجل الله بروحه الى النار ثم انه عزم على المسير واذا هو بعمر بن حمامة قد أشرف عليه فلما رأى وكيع أشار عمر الى العسكر فوقف وعزم على أنه يذهب لأجل اعتقاده وقال له تعلم ان ذى الكفين غضب لحر وجلك وأمرنا بقتالك وسفك دمك وأخذ حريمك وهتك استارك وحمل رأسك اليه وانى سارضيه بالذبائح والقربان حتى أنه يغفر لك ما اجترمته على انك تخضع له وتتضرع بين يديه وتسأله الاقالة مما عملته وتتقرب اليه بما تعلم انه يرضيه عنك وترجع الى حيك وتترك الطفيل ومارضيه لنفسه فانه أزال رياسته وكان رأسا فصار ذنبا وها نحن سائرون اليه نتزل به الويل فرجوعك الى حاضرك أصلح لك فاخرج كل من تراه الا لقتالك وقتل (محمد) وعمومته وأصحابه وعشيرته فاترك دينه وأظهر عداوته حتى يرضى عنك ذو الكفين ثم جعل اللعين عمر بن حمامة يقول

أباكم ما غضبت فاننا * على رجل حتى ترى أنت راضيا
وأنت لنا ركن عظيم وعصمة * وفقدك يؤلمنا اذا كنت نائيا
وانك من لا ينكر اليوم فضله * اذا كنت بغاضا لاحمد ثانيا
عدو من أصبى أحمد ذكره * وكان له فيما يريد موانيا

نخل الطفيل اذا رأى وصاله • وكن مثلنا لأحمد قاليا
رضاك فرض واجب فى نفوسنا • وحربك سخط لامحالة شانيا

(قال فلما سمع) وكيع من مقالته قال يا ابن حمامة انه يقبح بى وانا شيخ كبير ان اوم من لا أعرفه واشتم رجلا ليس بينى وبينه جناية ولا سبقت منه الى جناية فاظهر بغضه وأسقط درجته وقد بلغنى انه يستقبل العدو بالترحيب والنائل بالتقريب فمن كانت هذه صفته فانا كاره لبغضه وأما الطفيل بن عامر فهو رجل آخيته على طول الزمان وصاحبنى فى الاسفار والاوطان وأكلت معه الطعام فانا أحفظ له الذمام ولو جاورنى من هو فى النسب بعيد لوجب على حقه فان كان ذو الكفين أمركم بقتلى وسفك دمى فانا صابر على ما تصنعون ومن القضاء غير نافر والعار اليكم بعد قتلى راجع اذا قيل ان دوسا لم تحفظ لسيدها حقا ولا تراقب قرابته وسفكوا دمه وأخذوا نسوانه وأمواله فاى معيرة أكبر عليكم من هذه فاصنعوا ما بدا لكم وان رغبتم فى سفك دمى فاتركوا مالى وماحوته يدى لهؤلاء الايتام والارامل من النسوان والعجائز (قال) فلما سمع عمر ذلك من مقالته عطف نحو قومه فذكر لهم ذلك وما قال له وكيع وما رد عليه من الجواب وقال لهم ان صاحبكم قد مال الى (محمد) لامحالة وقد سمعتموه يمدحه فما أنتم قائلون فقال له شهاب بن صهيب الدوسى أطلق لى السبيل أكفيك أمره (قال) عمر امض اليه فان أجاب والا فائتنى برأسه فاسرع شهاب بن صهيب على جواده حتى قرب من وكيع ثم انه وقف وأشهر سيفه فلما رآه وكيع عرفه فقال حين قربه أين تريد قال شهاب اليك أتيت قال له وما الذى تريد منى قال أغرقك بدمائك وآخذ أموالك قال ولم ذلك (قال) لميلك لبنى هاشم ومدحك (لمحمد) بن عبد الله ورضاك للطفيل بما صنعه وقد استأذنت عمر فى قتلك فاذن لى فاتيت اليك (قال فلما) سمع وكيع ذلك من مقالته قال يا ابن اللئام لقد ترقت همتك الى ما لم تكن له أهلا (ثم) ودع بنانه ونسوانه وشد عليه أدراعه وركب جواده وأخذ رمحه وخرج مبادرا وزوجته تدعوله بالنصر والسلامة قال فخرج واعطاه الله من النصر والقوة والشجاعة واللباس ما لم يكن يعهده من نفسه قبل ذلك الوقت فجال على قرينه ولم يكن من أقرانه ولا من أشكاله فانكر شهاب ذلك غاية الانكار وطاوله (ثم) عطف على أثره هاربا فقال عمر بن حمامة ويلك يا شهاب أوليت من شيخ هاربا ولم يكن من أقرانك ولا من نظرائك فقال يا للرجال أعجوبة ما مثلها أعجوبة انى عهدت وكيعا جبانا عند الطعان سريع الانبهار فى الميدان يكل من مناضلة الشجعان وانى رأيت اليوم من شدته وباسه وضربه ما لم أكن أعهده منه فلم أطق على ما رأيته منه صبرا (قال) عمر انه مانع عن حريمه كالليث يمنع عن أشباله ثم بعث اليه معاول بن جريد وكان من الابطال المذكورين ومن الفرسان المعدودين فما كانت الا جولة الجائل حتى وصل اليه وكيع فطعنه فى نحره أداره عن جواده وحاز فرسه اليه فقال عمر من له منكم فبرز اليه الخواص بن الهجاء فالحقه بصاحبه فلم يزل يبرز اليه فارس بعد فارس الى أن قتل من القوم سبعة ومضى النهار واصفرت الشمس (قال) ومضى النهار بالمسرات ولم نصل الى شئ مما أملناه وانا اولى من يخرج الى ابن سالم وان كان يلحقنى من خروجى اليه معيرة وشينة فى قتله فقال له شهاب بن صهيب ايها السيد انه ليس بوكيع الذى تعرفه وتعهده بل زاد شره وغلظ امره ألم تعهده واهى الاركان قليل الصبر عند البلا فانظر هل ترى له من وقت خروجه الى الحرب ملالا وحال عما ظهر منه فى بادية امره بل هو اشد مما كان جنانا واطول سنانا فكن حذرا من مكانه غير متهاون لشانه فربما اصيب الشديد من مكايدة البليد واياك ان تركن الى كلامة فقد انفتحت له ابواب الشجاعة فى الحرب فدعنى حتى اعود اليه فعسى ان اقتدر عليه (فقال) عمر من لم يجب فى الأول فلا يجب فى الاخر (ثم) خرج اليه عمر مجددا فلما نظر اليه النسوان عرفوا مكانه

فصاحت به زوجته يا خير قرين انظر امامك واستيقظ فقد جاءك الشجاع وجاءك المناع وارجوان يدبل الله تعالى عليه بيغيه ويهلك بتعديه فابدأه بالحملة فهو اهيب لك ولا تداخلك منه الهيبة لمكانه فقد اعزك الله بالاسلام واعطاك المهابة بالايمان وزادك بسطة وقوة ببركة نبيك (محمد) صلى الله عليه وسلم قال فلما سمع ذلك من مقالتها علم انها تحرضه على الحرب فتأهب له حتى اذا قارب صهم وكيسع بالحملة عليه فقال عمر على رسلك فالحرب امامك واستمع مقالتي تنفعك ولا تضرك فقال وكيسع حسبك من الكلام ولا ارغب الا في الانهجام ثم حمل عليه حملة منكرة فلاقى منه ما هاله وادهشه فقال له عمر ويلك يا ابن سالم من أين لك هذه القوة (قال) من عند الله لاني صرت في حزب الله وحزب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح عمر يا آل دوس قد صباصاحبكم واغتاظ وحمل عليه حملة الغضب والصعب فلم يجد اليه طريقا ولا سبيلا بل ظهر وكيسع عليه ووصل باذاينه اليه ولم يزالا كذلك الى ان مضى النهار وانسدل الظلام فرجع عنه عمر وقد امتلا غيظا وحنقا لما ظهر له منه فاقبل الى أصحابه مطرقا فتلقاه شهاب فقال له الم أقل لك ان الرجل قد حال عما كنت تعهده منه وقد أعطى من القوة والشجاعة مالم تعرفه منه فقال عمر أمسك عليك قولك فان ذاع في الناس هذا قال قائلهم لما مال الى (محمد) أعطى هذه الشجاعة فيميل اليه من قومنا من يخامره ذلك فكتم شهاب ذلك في نفسه وتعلل عمر بالكلام وقال لولا القرابة والرحم ما أبقيت عليه (ثم) قال لشهاب قد علمت ما نالنا اليوم من هذا الرجل واني أخشى اذا انسدل الظلام وهجم النوام أن يسرق أمواله ويحمل أثقاله ويفجوفلا ندركه وأنا أريد أن تكون الليلة من حوله فتاري (قال) اني أرى أن تدفع الى مائة فارس من قومك حتى نحدق بالقوم الى الصباح فلا يفلت منهم أحد فاذا أصبحت فلا تطاول القوم دون أن تحمل عليهم حملة واحدة تطحنهم بها طحن الحصيد بايدي العبيد فاني أخشى أن تطاول بنا الاوقات وقلوبنا مشتغلة بالطفيل (قال) فدعا عامر بفتاك من أصاغر دوس وهو ابن أخي عمر بن حمامة وله مشاهد تعرفها العرب ومواقف لا تجهلها وضم اليه مائة فارس من أبطال دوس وأمرهم بالمسير مع شهاب ابن صهيب فباتوا حول القوم الى الصباح فلما أصبحوا اجمعوا على الحملة على وكيسع (فلما) نظر وكيسع الى ذلك علم ما عندهم فايس من أهله وماله ورفع طرفه الى السماء وقال اللهم انك مطلع وترى وأنت بالمنظر الاعلى أسئلك أن تنصرني على من قد أحاط بي انك على كل شئ قدير (قال) فبينما هو كذلك وقد دخله الجزع والهلع خيفة على أهله وماله وولده فلما رأت زوجته ما عنده ناادته ياخير قرين ما هذا الجزع فطب نفسا وقر عينا فانه لابد مما أراد الله خالق الليل والنهار وحاشا وكلا أن يسلمك حين لجات اليه واتكلت عليه (قال) فبينما هو يحدثها اذ اشرفت عليهم غبرة طالعة قد اسود قتامها واحلولك ظلامها فتطارل الفريقان نحوها اذا انكشفت الغبرة عن خيل كالعقبان وعليها اليوث بنو غالب وابطال بني عبد المطلب فتأملهم وكيسع واذا هم حمزة بن عبد المطلب وعلي وعقيل بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين ومعهم من أبطال مكة مائتا فارس فاعلنوا بالتكبير وأجابهم وكيسع بالتكبير (ثم) حملوا على المشركين حملة واحدة ووضعوا فيهم السيف فلا ترى في ذلك اليوم الا كفا ساقطا ورأسا طائرا أو فرسا يجول بغير راكب وبدد الله شمل المشركين فولوا الادبار وأخذهم السيف من كل جانب ومكان وانهزم اللعين عمر بن حمامة فحصل في قلبه من الرعب حين رأى حمزة والعباس ما أدرعه وولى هاربا لا يصدق بنجاته فعثر في طريقه على أخوال له فنزل عندهم باسوا حال فخرج الرجال اليه يسئلونه الرجعة الى حاضره فسار من عند أخواله والمذلة ظاهرة عليه لا يرفع رأسه حتى اذا قرب من حاضره وهو مطرق الى سرجه خرج النسوان فحصبنه بالحجارة والجنادل وتصارخ عليهن الرجال فدخل كئيبا حزينا

فاقام فى بيته ثلاثة أيام لا يظهر للناس وجال الخطاب وكثر الكلام ودخل عليه أقاربه وعبيده ومال اليه الناس وأخذوه بالسنتهم لما فعله فى طريقه ووثب اليه ابنه جناح بن عمر وكانت العرب تعظمه أكثر من أبيه لشجاعته وبراعته وكثرة أمواله وبسط يديه وكثرة ذيله ومقدرته على أعدائه وكان قد سار بجيوشه الى العرب فغزى بهم حتى وصل الى وادى الرمل وغزى الى المشرق الى بلاد الترك وكان بينه وبين كسرى صلح وأمان وأجازه بجوائز عظيمة وكانت العرب تهابه أكثر من أبيه فدخل على أبيه وقال يا أبت لقد أخملت ذكرنا وأذللت شرفنا وهدمت ما بنيناه على طول الزمان من العز والشرف فليتك ما خرجت من حاضرك ولا قصدت عدوك أو ليتك حين خرجت لم ترجع بل قتلت مع من قتل فاخبرنى أنى شئ رأيت وأى جيش لقيت فى طريقك وأى جمع كسرت وأى عسكر ناويت فاديل لى عليك بلغنى عنك انك اذ أشرفت على صاحبك وقد أنجده شرذمة من هؤلاء الحرميين (فلما) أبصرتهم وليت هاربا وليت فى أوائل الناس منهزما لم تضرب بسيف ولا طعنت برمح لك الويل لو رميت بكلكلك على العدو لطحنتهم طحن الحصيد لا يوجد بعدها أبدا لقد سقت الينا المذلة ماحيينا وهو نتنا ما بقينا (قال) فلم يرد عليه أبوه جوابا فخرج من عند أبيه وقال لهم ذكر لى أنه كان بينه وبين هؤلاء الحرميين عهد وميثاق الا يلقاهم فى حرب ولا يلقونه ولذلك رجع عنهم ولم ينابذهم ولو علمت ذلك لكنت انا المتولى بنفسى (فقالوا) له ان كان ذلك كذلك فخذ لنا بثارنا منهم واكشف عنا العار فقال لهم جناح أنا آخذ لكم الثار واكشف لكم عن العار (قال صاحب الحديث) انه لما وعد جناح القوم بالخروج الى عدوهم قال لهم انا أبذل مالى وجاهى الى العرب وأهل الأرض جميعا واستنجد بالعرب والعجم والبادية والحاضرة وسائر الأقطار (ثم) أجمع الجموع وأسوق الجيوش ثم أوصلكم الى ما تريدون ولا أرضى لكم بقتل صاحبكم الطفيل دون قتل (محمد) وعمومته وبنى عمه وعشيرته وآتيكم بالصبيان والولدان والاهلين والأموال والرجال فيكون ذلك عوضا مما نزل بكم قال فسر القوم بذلك وتطاولوا الى ما وعدهم به فلما كان بعد ثلاثة أيام غدوا اليه وقالوا ما رأينا لما ذكرت لنا قال لهم قد كاتبت السادات والاشراف وبعثت الكتب الى سائر الاقطار على المطايا والاباعر تجمع الطعام والعلوفات والزاد الى ما أملتم وأبلغكم ما تطلبونه فابتهجوا بقوله وجعل يقرب الى ذى الكفين جزرا ويسئله أن يبلغه مراده من عدوه فوعده شيطان الصنم بذلك وقال له انى سانصرك على عدوك وأظفرك (بمحمد) وكل من يقول بقوله ويدين بدينه فشاع الخبر فى الناس وسارت به الركبان فى البلدان وبما عزم عليه ومابذل من الأموال وما اشترى من الأطعمة والأمتعة والازواد وما عرض من الخيل والمطى للازواد والجوائز فقصده من لم يكن يقصده قبل واجتمعت طماع العرب وأوباش البادية طلبا للمال وقطعت العرب السباسب والخضاخض وقصدته الأشراف فمنهم من قصده لمكانه وشرفه ورياسته ومنهم من قصده للنيل وطلبا للملك ومنهم من قصده بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما جاء به وهو مع ذلك يؤمل أن يدرك ما أمله من الوصول الى عدوه فما مضت الأيام حتى سارت اليه القبائل والعشائر كالجراد المنتشر الأقرب والأبعد (ثم) من يليه (ثم) الأبعد وكان اذا وصله فارس مذكور أو بطل مشهور خلع عليه وحمله ونحره وأكرمه الى أن أتى من الخيل والرجال ما ضاق به الفضا وضاقت به الأرض وامتلات بالطول والعرض وفاضت الاودية والاماكن بالخيل والرجال ثم غمر الماء وافنوا الكلأ وكانت الاباعر تنقل الماء من الاحواض فما مضت الأيام حتى اجتمع اليه زهاء عن أربعين ألف فارس وعشرة آلاف على المطايا (فلما) تكاملوا وأولم لهم وليمة عظيمة لم يولها أحد من العرب أجاز فيها الخطباء ووصل الشعراء وأعطى ماله

للسادات وحمل على الخيل فألجم الناس لما فعل وسألوه السرعة لما عزم عليه فقال لهم على رسلكم حتى آخذ لكم الخبر ثم بعث عيونه يأخذوا له الخبر فأخبروه ان الطفيل قد جمع ماله وسرحه وأصلح حاله وعزم على المسير الى يثرب واللحوق برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك أهون لأمرنا ثم بعث بخيل من عشيرته وقال لهم اسبقوا الى الجادة العظمى فاذا وصل اليكم فابعثوا الينا بالخبر لنقطع عليه طريقه ونحتوى على جميع أمواله بعد سفك دمه ثم نسير الى (محمد) بن عبد الله ثم لا نعود الا به أسيرا أو قتيلا وكل من معه حتى لا يسمع (لمحمد) ذكر على الأرض قال فخرجت رسله بذلك (قال) وكان من خبر الطفيل بن عامر أنه لما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد هاجر الى المدينة وخرج من مكة جمع أمواله وشاور خليله صفوان وولده عامر وأمثالهم من قومه وأصحابه فى اللحوق برسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له نعم الرأى ما رأيت قال فارتحل من وقته سائرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما) بلغ جناح الخبر أمر العرب بالرحيل من وقته وأمر العبيد بالرحيل فصرخ الصارخ وصاح الصائح واجتمعوا من الرباوالاودية وزفت الاثقال واجتمعت كل قبيلة الى سيدها ولاذت بحماتها وقدمت نجائب جناح بن عمر زهاء أربعين نجيبة وعشرون مطية تقتادها العبيد وحمل معه من الأموال والذهب والفضة والجواز مالا يحد قيمة وساق الجزر ليضحرها فى طريقهم وخرج أبوه وقال يا بنى لا تسر حتى تأتى ذى الكفين فتودعه ونسئله النصر على عدوك ففعل ما أمره به أبوه وأتى الى الصنم وخر له ساجدا من دون الله وأخذ من الماء الخارج من أنامله فشرب منه ومسح به سائر جسده وأمر الناس أن يفعلوا كفعله فهنالك عطف سائر الخرج النسوان والصبيان لتوديعه وسألنه أن يأخذهن بثارهن فاجابهن الى ذلك فلما بعدوا أحدقت سائر سادات العرب وأبطالها وحماتها واقيالها وقدمت أمامه نجائبه وأمواله واستأذنه شاعر ممن حضر فأذن له بالقول وجعل يقول

هذا جناح الذى فاضت أنامله ● هو السيد عند العرب والعجم والقرب
هذا المعد لدفع المغلظات ومن ● يسطو بمرهفه فى الموقف الرهب
ما ان ترى اللقاء فى يوم معترك ● الا تقهقرت الأبطال للهرب
هو المولى هو الضرغام تعرفه ● هو الصؤل هو المشكور فى الحسب
لم يعله له ظهر الجليد ولم ● يرى شبيها فى سائر الحقب
يسوق أعداءه سوق السرح فى أمل ● يأتى بالمال والأهلين والسلب

(قال) وسار القوم يجدون السير حتى نزلوا يومهم بالمهاد قال فدعا جناح ابن عمه الخضخاض بن العليم وكان غلاما وفاحا فى الحروب مقتدرا على الأعداء فافرد له ألف فارس أبطال من حماة القوم مجتمعة من سائر القبائل وقال يا ابن العم سر بمن معك سرية صادقة من غير عائق حتى تأتى جادة مكة وكن راعيها متباعدا منها حيث لا يراك أحد من السالكة فينذر وابك عدوك ولتكن على ربوة تدلك على مقدم القوم فاذا نزل القوم ووصلوا اليك فاظهر لهم بمن معك وان استسلموا فطاولهم وقاتلهم الى أن الحق بك وان استسلم اليك أسيرا هو ومن معه فتوثق منه وابق عليه واجمع ماله وأهله ونسوانه الى أن أوافيك ولا تزل من مكانك أسمعت ما أوصيتك به (قال) أجل قال فسر الآن (قال) فسار الخضخاض فى ألف فارس يجد السير ويخوض الليل حتى وصل الجادة العليا التى تخرج من مكة واكمن فى أحفظ حال ومكان فى وادى هناك يقال له وادى النوار وأقام له رصدا يشرف على الجادة وأمره اذا رأى من يشرف عليه أن يخبره بذلك وكان وصوله الى الوادى بمن معه فى الضحى الاول وصدر النهار الأطول فأقام بقية يومه لم ير للطفيل أثرا ولا سمع له خبرا فعاد

الى صاحبه فأخبره بذلك فعظم عليه فركب الخضخاض بنفسه منفردا عن قومه الى أن خرج الى الجادة يسمع خبرا أو يأخذ أثرا واذا بأباعر قد خرجت من الجادة مقبلين الى الشام يحملون زيتا فعارضهم فى الطريق فسألهم عن الطفيل بن عامر فقالوا تركناه على ماء بنى كنانة بن خزيمة قد حط أثقاله وسرح أمواله بأموال القوم وقد أكرموه وعظموه ونحروا له جزورا فلما سمع الخضخاض ذلك غضب غضبا شديدا ثم عطف راجعا الى قومه وقال لهم قوموا ان صاحبنا تقدم أمامنا ونحن لا نعلم بشئ وهو نازل على ماء بنى كنانة وأرجو أن لا ندركه عندهم لئلا يمنعوا عنه وأظنه قد ارتحل عنهم فندركه فتبادرت اليه الرجال وركبوا خيولهم وأسرعوا من وقتهم وخرجوا الى الجادة وأطلقوا الأعنة مجدين لما ندبوا اليه مسرعين وللطفيل طالبين (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله هذا ما كان من خبر هؤلاء وأما ما كان من خبر الطفيل بن عامر رحمه الله لما نزل على ماء بنى كنانة ووصل الى مراعيهم أقبل على خليله صفوان وقال يا صاحب الخير لى عند بنى كنانة اصهار واخوان وبينى وبين سيد من ساداتهم اخوة ورضاع فهل لك أن نستريح عندهم لما نزل بنا من جد السير وقد أمنا من الطلب ان شاء الله وبعدنا من مكة وانقطع أثرنا وخبرنا عنهم فتعيش الأموال وترتاح النسوان وننزل على الخيل ونسير بعد ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صفوان افعل ما بدا لك مع أن المبادرة فى هذا الأمر أولى لنا من طلب الأعداء (قال) له الطفيل لو لحق بنا عدو ونحن عند القوم لمنعوا عنا ثم خرج نحو القوم وأمر العبيد أن يقبلوا رؤس الأموال نحو ديار القوم ففعلوا فلما أشرفوا على بنى كنانة ثارت اليهم الأبطال من بنى كنانة ينظرونهم فلما رأوا الطفيل عرفوه فتسارعت الخيل الى سيدهم مالك بن دارم الكنانى وكان رجلا فاضلا نبيلا وكان قبل ذلك فقيرا لم تكن له نعمة ورثها عن أبويه وانما كان له خمسة رؤس من الغنم يعيش من ألبانها ونتاجها (فلما) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب الى الشام وهو صغير نزلوا على ماء بنى كنانة فمر والأبى طالب ولقريش وأكرموهم وكان الرجل اذا نحر نحيرة أو ذبح ذبيحة يقول هذا عن فلان وهذا الفلان (قال) فلما رأى مالك بن دارم انه لم ينحر أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ لصغره جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخمسة رؤس من الغنم التى كانت عنده لم يملك غيرها وقال هذا عن هذا الغلام البارع الكمال والجمال الزاهى الطلعة ولا أملك سواها ولو ملكت غيرها لذبحتها (ثم) أجاز ذلك فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له وقال اللهم اذهب فقره وأزل عسره وكثر ماله وأصلح حاله واجعله سمحا بذولا جوادا وجنبه الشر ووفقه للخير انك على كل شئ قدير ثم ارتحل مع عمه وأقبل مالك بن دارم الى زوجته فأخبرها بما فعل فقالت ما سبقك الى مثلها أحد أفقرت نفسك واجعت أولادك وأضررت أهلك فمت الآن جوعا أنت وأولادك فقال لها ياويلك كل نحر عن خليله وصديقه ورأيت فيهم غلاما لم أر فيهم أبهى منه ولا أحسن منه ولا أجمل ولا أبهى ولا أكمل ولم أر أحد نحر له شيأ (قال) فلأمت صدرها وغمها فلما كان فى تلك الليلة بعد أن ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى مالك بن دارم كان آت اتاه فى منامه فأخذ بيده وأوقفه على ربوة رمل فقال له احفرها فحفر فكشف عن حوض مملوء ذهبا وفضة وجواهر وأموالا عظيمة وقال هذا عوض عن الذى ذبحته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأكرامك له (ثم) تركه ومضى عنه فاستيقظ مالك بن دارم فزعا دهشا مما رأى وكتم رؤياه الى أن خرج الى المكان فحفر فوجد ما كان رآه فى منامه حقا فتلطف فى نقله الى منزله وزال فقره وظهر خيره وكثرت نعمته وماله وبسط بالسماحة يده وأفاض على قومه وعشيرته فأغناهم وجبر فقرهم واشترى العبيد والخيل وطنب البيوت واشترى الولائد وارتفع ذكره وتحدثت الناس

بسماحته وركب اليه السادات والكبراء وتعرف بالأشراف وتخلق بأخلاقهم فلا يسمع برجل شريف فيه سخاء الا تفقده وكان قد نزل بالطفيل بن عامر وهو فى حاضره فاكرمه ونحره له وعظم قدره (قال) فلما أخبر ذلك اليوم بالطفيل ومقدمه عليه ركب لاستقباله وأمر العبيد أن يقدموا بين يديه الجزر ويوقفوها يمينا وشمالا وقال لهم اذا طلع الطفيل فاضربوا النحائر بالخناجر وأوقف الولائد والوصائف بأيديهم أقداح الطيب وأمر أن لا يبقى أحد من أدانيه وبنى عمه الا وقدح نارا فتأجج الحى نيرانا وتسابق مالك بن دارم الى أن وصل الى الطفيل فعانقه وسلم عليه وضمه الى صدره وقبل ما بين عينيه وقال له ما بالك ارتحلت من ديارك يا موالك هل طرقك طارق أو عرض لك معارض فابذل مالى وروحى وما تملك يدى والقى عدوك بنفسى (فقال) الطفيل الحديث يطول وسأحدثك ان شاء الله فسار وامعا وسار القوم جميعا فلما أشرفوا على العبيد ضربوا الجزر بالخناجر فتطايرت الدما يمينا وشمالا حتى أتوا على آخرها واستقبله الجوار بالطيب فضمخوا وجوه الخيل فلما وصل الى الحى أفرد خيمة وانزله فيها وأضرمت النيران واترعت الجفان بالشواء والقديد واجتمع الناس ونقل العبيد الطعام وانزلت القعاب باللبن وأكلوا وشربوا فلما فرغوا من ذلك ورفعت الجفان اقبل مالك على الطفيل وقال له اخبرنى ما السبب فى خروجك من حيك وحاضرك ومن فعل بك ذلك (قال) قومى وعشيرتى ومن حملت عنهم العظائم من الأمور وصرفت عنهم كل محظور ثم حدثه باسلامه وبالحديث من أوله الى آخره الى ذلك اليوم الذى هو فيه قال فلما سمع ذلك من حديثه تعجب ولم يدر ما يخاطبه به من العجب ثم قال له فما منعك أن تبعث الى رسلك حتى أنجدك بأهلى ومالى وعشيرتى وأكاتب من قرب ومن بعد من العرب وأبذل كل ما تملك يدى وأوصلك الى عدوك اما بالصلح واما بالسيف فجزاه الطفيل خيرا وقال له قد مضى الأمر بما فيه وقد نجانا الله عز وجل من شر القوم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له الطفيل يا مالك هل لك ان تساعدنى على ما دخلت فيه من هذا الدين وتكون أخى فى الدين والدنيا والآخرة فقال له مالك انى وأيم الله به عارف قبل معرفتك وما رزقت ما تراه من الخيل والجاه الا ببركة (محمد) صلى الله عليه وسلم ثم حدثه بما كان منه فى بادية أمره حين ذبح عنه فى زمن عمه ابى طالب فابتهج الطفيل بذلك فقال له الطفيل يا مالك فما منعك من اتباعه حين عرفت مكانه واخبرت بشأنه (قال) يمنعنى من ذلك قومى الذين من حولى فان اكبادهم حاشية وقلوبهم قاسية ولا بد لى ان ادرك مدارك والحق ملاحقك قال واقام الطفيل يومه فلما أدركه المساء أجمع على المسير فى برد الليل وأقسم عليه مالك الا يسير فى تلك الليلة فبات بأكرم مبيت (فلما) أصبح عزم عليه أن يقيم عنده فأبى عليه وقال انى على وجل من أمرى ثم أمر العبيد أن يتقدموا بالأموال من حى بنى كنانة صباحا وركب مالك ومعه قومه وعشيرته ليشيع الطفيل ووهب له زادا وأقام له نجائبا فقال له الطفيل انى لا أردك راشدا (ثم) أقسم عليه أن يرجع فودعه ورجع وصار الطفيل بمن معه يسير على مهل وقد أمن الطلب فلما كان بعد الصلاتين التفت الى ورائه فاذا هو بغبرة قد أقبلت فى أثره مسرعات مقبلة وقد انعقد لها غبار لسرعتها (فلما) نظر الى ذلك وقف عن المسير وأدركته الدهشة والحيرة فأقبل على ولده عامر وقال له ألا ترى هذه الغبرة الطالعة والهجاجة اللامعة هى غبرة الخيل تركض لا شك فيها فما ترى قال له لعله مالك ابن دارم خشى عليك من معارض فلحق بك قال لا وأيم الله لو أراد ذلك لأعلمنى به وانى أخشى أن يكون القوم رفقة من أعدائنا (قال) ومن يراك ها هنا ومكة منك بعيدة وقد أمنت فى السير قال قلبى يحدثنى انها خيل تطلب شرا فامض الى صفوان فأمره أن يعطف بالأموال ويضمها بأسرها مع الأباعر والهوادج ويحدق الرجال بها قال ففعل عامر ما أمره وأوصى صفوان بذلك ثم عاد الى

أبيه فقال له أبوه يابنى أنت على فرس كريم تلحق ولا تلحق فأشرف على هؤلاء القوم وانظر من هم فان كانوا من بنى كنانة لم يخف علينا أمرهم وان كانوا من أعدائنا أو من مطالبنا من قريش عملنا على حسب ماتراه فأسرع عامر الى ما أمره به أبوه وأطلق عنان جواده وكان سابقا لايدرك الى أن أدرك القوم وبصر بهم وبصروا به فطلبته الخيل فكر راجعا على أثره فلما بعد عنهم نظر الى الخيل قد تقطعت بأثره ولم يبق خلفه الا فارس واحد فوقف عامر فلما دنا منه الفارس تأمله فاذا هو مزدان بن عباد الدوسى على فرس كريم من الخيل فلما قاربه لم يمهله عامر لخطاب ولا لجواب دون أن طعنه فى صدره أطلع السنان من بين كتفيه وانقطع عنه من كان فى أثره من القوم فوصل الى أبيه فقال له ماوراءك يابنى قال شد علينا أدراعنا وتأهب للقاء عدونا قال ما الخبر هل تراهم أهل مكة أو سفهاء قريش قال لا وأيم الله قال بل هم قوم مجتمعون من قبائل شتى ظهر ذلك باختلاف ثيابهم وتلون راياتهم أمامهم الخضخاض بن اللئيم فى نحو من ألف فارس مجدين وهم لاشك طالبون فقال الطفيل بالله ثقتنا وعليه توكلنا ثم قال لصفوان ماترى من الرأى ياخليلى قال فما عساه أن أراه لك هل نسلم عزنا لغيرنا أو نخلى عن نسائنا وحريمنا لابد من القتال والنزال أو يأذن الله بالانفصال فاما حياة بسعادة واما موت بشهادة ولو لحق بنا اللئام ونحن عند بنى كنانة رجونا أن لا يسلمونا وأن يمنعوا عنا والآن قد حيل بيننا وبينهم (قال الراوى) للحديث وكان من خبر الخضخاض انه لما قرب من حى بنى كنانة كمن فى وادى هنالك الى أن علم أن الطفيل قد ارتحل وخرج من بنى كنانة ثم قصد الخضخاض فى أودية وشعاب ومضائق الى أن جاوزهم وخرج الى الجادة العظمى واتبع أثرهم قال وبينما الطفيل يشاور صفوان فى أمر القوم اذ أشرفت عليه نواصى الخيل وأقبلت الكتائب كقطع الليل وأشرفت المواكب يتلو بعضها بعضا والفرسان يتبادرون وفى أوائلهم الخضخاض على فرس كميت قد زاد على الخيل بسرعته فلما نظر الى الطفيل قد جمع أمواله وقدم أبطاله والسيوف مشهورة والقسى موتورة والرماح ممدودة وقف حتى تكامل الناس فقالوا له ما بوقفك عن الحملة وقد أمكنتك الفرصة فقال لهم على رسلكم ثم خرج بنفسه حتى قرب من الطفيل فقال له بصوت رفيع خل عنك الغنائم أيها الشيخ الجاهل واستأسر لى قبل أن تدهمك الجيوش تملأ الخافقين وتسد الوادين وانما نحن طليعة لهم أرسلونا لنوافق هنا الى أن ترشق سهام الخيل ويتجلل سحائب الرزايا مع أنه اذا لم يكن غيرنا لم تكن للبيد تبسطها الينا ولا معك أحد يتجرأ علينا (فقال) له الطفيل ومن أرسلك لا كنت ومن فى أثرك قال جناح ابن عمر بن حمامة قد دهمك فى أربعين ألف فارس ليس فيهم فل ولا جبان وكانوا بهم قد أشرفوا علينا ووصلوا الينا قال الطفيل ومن أين هؤلاء القوم قال من سائر القبائل جمعناهم بالرفد والأموال والنوال فانظر لنفسك وخل عما فى يديك واستأسر أنت ومن معك من قومك قبل أن يدهمك السيل ويحيط بك الويل فانى أحفظ مالم تحفظه أنت لقومك وانما تقدمت امام الجيوش اشفاقا منى عليك فالق الحسام وتقدم الى أسيرا يكون قومك تبعا لك قال فعظم ذلك على الطفيل رحمه الله من كثرة الجيوش اللاحقة وخروج عدو الله جناح بن عمر فى أثره وكان يعرف شدته وصدمته وشجاعته فأطرق الى سرجه وأسبل دمعته ودخلته الدهشة والغيرة على بنائه ونسائه ونظر الخضخاض الى اطراقه فقال ما انتظارك واطراقك وانما قومك اليك متطاولون فتى استسلمت استسلموا عن آخرهم وذلك أحقن لدمائهم وأصون لنسائهم فادن منى وان أبيت فها أنا دان منك وهاجم عليك قال والطفيل فى غمرات قد أظلته وسحائب قد تجللته فلما نظر الخضخاض الى اطراقه نفض عنانه بريده واذا بفارس قد برز من غمة الطفيل سابغ أدراعه

متكامل لامته بيده درقة وسيف مصلت كأنه برق لامع قد هبق لثامه على فرس رقيق رشيق طائر كأنه الطير الشارد يكاد يضرب برأسه صدر راكبه من القلق فاطلق عنانه وانقض على الخضخاض غير مكترث به بل باقتحام وانهجام وهمة من غير كلام وكان الفارس رغلة بنت عمر بن حمامة وكانت واقفة فى أوائل الناس تسمع كلامه فلم تطق صبرا لما سمعت من كلام الخضخاض وما ظهر لها من الطفيل فبادرته بالحملة ونظر الخضخاض الى حملتها وسرعتها وثباتها فعاجلته بالحملة من غير معرفة بها فقال اقصر أيها الفارس المدل فالك دعوت والا لك خرجت ولا لك خاطبت فارجع الى مكانك (قال) فلم تلو الى كلامه ولم تسمع قوله دون أن حملت عليه وتأخر الطفيل عند حملتها والتقيا بحد اللقاء واجتمعا على الفناء فبينما هما كذلك واذا بالصراخ قد علا وأخذهم الصياح من كل جانب كل يصرخ بصاحبه فأما المشركون فلهم صراخ وعجيج وأما المسلمون فلهم دعاء ونداء وقد انعزل كل واحد عن صاحبه ونظروا واذا بغبرة عظيمة قد أشرفت كالليل المظلم المدلهم قال الخضخاض ما انتظاركم معاشر الأشقياء هذا الذى كنت اخوفكم من بليته وقد أظللتكم الرحا للطحن امالو وصلت أنا اليكم لأبقيت عليكم وهذا لا يبقى ولا يذر فاعدوا لكم الحفار وشقوا لأنفسكم اللحود فعن قليل تكونوا فيها رقود قال فلما نظر الطفيل الى ذلك تزايدت حسرته وانهملت عبرته وجعل يصرخ برغلة أيها الفارس عد الى مكانك الى أن ينكشف لنا أمرهم وهى شاخصة تتعجب وتنظر مما ظهر لها وقلق المسلمون وفاضت الأعين بالعبرات وصرخ من الهوادج النساء والبنات صارخات ولله داعيات وأشرف القوم بالدروع والجواسق والبيض والسواعد فبينما القوم كذلك اذ نظر الطفيل واذا فى أوائل القوم مالك بن دارم الكنانى فى ثلاثة آلاف فارس من ورائه ركبانا على المطايا ورجالة فى أثرهم يسرعون ومالك بن دارم ينادى ابشر يا طفيل فلما نظر الخضخاض الى ذلك دهش وفشل وكبر الطفيل استبشارا واتبعه المسلمون بالتكبير واستغنمت رغلة دهشته وضربته على أم رأسه ضربة هائلة وكانت عليه من تحت العمامة البيضة فقطع السيف العمامة ووصل الى البيضة وقطعتها فمنعته وفاصته بضربة أخرى أصابت خده فأدمته فصرخ صراخا منكرا وذهب ليولى هاربا فداخلته وهاجته وقبضت على مجامع أطواقه فاقتلعته من سرجه وملكت أثره وعادت به الى قومها وقد دهمت خيل الكنانيين الى أصحابه فلما نظروا الى صاحبهم وقد أسر وملك قال قائلهم يا ويلكم ما انتظاركم وما مقامكم وقد ملك صاحبكم احملوا على القوم بأجمعكم لتخلصوه فحمل القوم وتلقاهم الطفيل وقد فتحت لهم أبواب السعادة وانكشفت حسرته وزالت حرقته وتجدد نشاطه بمن أنجده من قوم مالك بن دارم وأحدقوا بالقوم واشتعلت نيران الحرب والضرب واشتبكت الرماح وعملت الصفاح وكبر المسلمون وانقسموا فى حومة الكفاح وكبر على المشركين مادهمهم من الكنانيين والذى عسكهم الطمع فى وصول الجيش الأكبر أن يدركهم فقتل منهم رجال وجندل أبطال وهم صابرون لا يلوون حتى اذا كان عند اصفرار الشمس وقد ملت الرجال من القتال وكلت الأبطال من النزال واحضرت المناكب وكلت السواعد اذ أشرف على الفريقين راكب على نجيب وقد أطلق عنانه وطول فى خطامه وهو يكاد أن يطير فشخص الفريقان نحوه وقد افترقوا بعضا من بعض فتأمله مالك بن دارم واذا هو من عشيرته وقومه فقال ربيعة ورب الكعبة (ثم) صاح مالك بن دارم به ما وراءك لا أم لك فقال ان الرماة الذين أخبروك بمسير هؤلاء القوم وطلبهم لصاحبك قد أتوا الى الحى صارخين وقد تركوا الأغنام والأموال وأسرعوا يخبرون انهم رأوا غبرة قد أشرفت عليهم وقد سدت الأفق وأظلمت الطرق لا يعرفون مبتدأها ولا منتهاها

كقطع الليل المظلم كانما الدنيا سائرة بأهلها (فلما) رأوا ذلك أتونا منذرين وللك محذرين فانظر لنفسك قبل أن يأتى القوم فانى أخشى أن يكون القوم سببا لفنائها وأخذ أموالها فقال له مالك بن دارم لو ملكوا مالى وأهلى وجميع ما تحويه يدى لما تركت قوما نزلوا بفنائى وأكلوا طعامى وأسلمهم الى عدوى لكان ذلك أبدا وانى أحفظهم لخصال أحدها انهم أكلوا طعامى وحصلوا فى جوارى والأخرى لاجل صاحبهم الطفيل وما بينى وبينه من الوداد وثالثة انه من حزب (محمد) بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ولم أزل له محبيا من صغره الى كبره وقد لحقتنى بركته فعد على أثرك وأمر الناس بجمع الأموال فها أنا راجع اليك (قال فلما) سمع الطفيل كلامه تجددت حسرته فقال مالك ما هذا الجزع يا طفيل والفزع قال يا مالك انما جزعى على النساء والبنات لأنى نكبت فيهم مرة وأخشى أن أنكب فيهم ثانية فقال له ثق بربك يكفك ثم أقبل على أصحابه وقال لهم أيها الناس انه قد دهمكم أمر لا بد لكم من مكابدته باتلاف المهج ورفض الحيوة فاحملوا على هؤلاء القوم الذين بين أيديكم حملة صادقة حتى تحدقوا بهم من كل جانب ومكان عسى أن نصل اليهم فندبر أمرنا مع العسكر الكبير فحمل القوم بأجمعهم حملة منكرة وبذلوا فيهم السيف وقاتلوا قتال من أحاط بهم البلاء ومالك يقول

فيا نفسى صبرا لا تكونى ذليلة ٭ فما يسلم الأحباب الا لئيمها

طفيلا فلا تخشى الكبس من العدا ٭ فكم عصبة بالغدر زال زعيمها

(قال) وقاتل القوم قتالا شديدا وضربوا ضربا شافيا وأما عامر بن الطفيل فانه اقترن بزوجته رغلة واخترق القوم وكذلك صفوان ووكيع قاتلوا قتالا شديدا فما كانت الا هنيهة حتى أبادوا المشركين ولم يبق منهم لاستون رجلا فاستأسروهم وملكوهم مع صاحبهم الخضخاض فلما رأى ذلك عظم عليه وقال للطفيل لا تعجل علينا بالقتل فانك ان أبقيت علينا أبقينا عليك فقال الطفيل كم مرة وصلت فابقيت ولم أعجل عليكم وأيم الله ما أذنبت لكم ذنبا تعرفونه ولا أضمرت لكم شرا تعلمونه وقد عاهدتمونى ثم غدرتمونى فان كنتم أملتم أن تصلوا الى والى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك منكم بعيد وان الله من ورائكم قوى شديد (قال) الخضخاض أخبرنى أيكم الفارس الذى وصل الى فلم أر قط مثله فقال الطفيل هو منك واليك ومن قومك وعشيرتك فقال لا أعلم من قومى من يتجرأ على قال الطفيل انها ابنت عمر بن حمامة رغلة فلما سمع ذلك أطرق الى الأرض مليا وقال كفى بهذه معيرة عند العرب لارجعت الى قومى أبدا حياء مما تجللنى منها فقال له الطفيل ويحك يا خضخاض اتستحى من المخلوقين ولا تستحى من رب العالمين ويحك احذر على شيبك وجمال صورتك أن تعذبها بالنار وادخل فى دين عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (قال) وماذا أفعل قال تقول لا اله الا الله (محمد) رسول الله وتنطلق معنا اليه وتكون بين يديه وفى كنفه قال أخشى أن يطالبنى بما كان منى اليكم قال لا وأيم الله انه حليم كريم يعفو عن الجانى قال فاذا كان كذلك فأنا أرضيه بدمار هذا الجيش العظيم وأقتل صاحبه وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن (محمدا) رسول الله فاسرع اليه الطفيل وقطع كتافه وقبل ما بين عينيه وقال أكمل الله بك سرورى وبينما هو كذلك اذ أشرف عليه راكب يركض قد أعنف على جواده وكان من الكنانيين يقال له ظبى بن الحارث فقال ما وراءك وكان رجلا عاقلا فاضلا وكانت بنو كنانة اذا دهمهم أمر أو قصدهم سيد قدموه بين أيديهم لفصاحته ولما وصل فى ذلك اليوم الى مالك (قال) يا سيدا ما يوقفك وقد دهمك أمر الموت دونه هين ان القوم قد قربوا منا ومن ديارنا يخيل لنا انهم جبال من حديد تسير الينا ولهب نار قد أشرفت الكثرة لمعان الدروع والبيض وقد أظلمت لها الدنيا من غير ظلام فدبر أمرك

(قال) فقام مالك بن دارم للخضخاض وقال له انك صرت من حزب هؤلاء القوم ومشاركا لهم فى الدين وقد وجبت عليك لهم النصيحة وقد وعدت بوعد فانجز وعدك فقال الخضخاض اعرض على هؤلاء الأسارى الاسلام فان أجابوا دبرت لك أمرا وان لم يجيبوا عملنا على حسب ذلك فعرض عليهم الاسلام فاسلم منهم تسعة عشر رجلا وأما بقيتهم فأمر بضرب أعناقهم ففتلوا عن آخرهم فهناك أقبل الخضخاض على رجل من قومه يقال له ورقا بن الحيد الدوسى وقال له يا ورقا انك صاحب حيلة ومكر فى طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى اعترفت به الآن فقال له ورقا قل ما بدا لك مع انه قد وقع الى انك تسئلنى ان أعمل الحيلة فى رد هذا الجيش العظيم عنك وقتل صاحبه (قال) لقد تطاولت الى عظيم فكيف الطريق الى ذلك قال امض سريعا الى جناح بن عمر فابدأه بالتحية والاعظام ثم بشره انى قد وصلت الى الطفيل والى أصحابه واحتويت عليهم وملكت الأموال وأخذت النسوان والولدان وأخذت أختك رغلة من بعلها قهرا وقاتلت من ناوانى منهم وأسرت من استأسر لى وعندى هؤلاء الكرام من بنى كنانة وقل له انهم عاونونى ونصرونى على عدوى وقاتلوا معى فلم يزل على مائهم حتى أتيت بالقوم أسارى بأموالهم ونسوانهم فان شاء بعثها الى دياره وان شاء سيرها امامه ليمضى بهم الى (محمد) واياك أن تخرج اليه بشئ من أمرنا ليكون ذلك طريقا لهلاكنا قال ورقا فاذا أنا من أعدائك ان بحت بسرك قال لا زلت أرميه بالخداع أو يتم لى منه ما أريد فجزاه خيرا ودفع اليه سلاحا وفرسا وأمره بالمسير وقال توكل على الله فسار نحو القوم وقد دنت غيرتهم على البعد فاطلق عنانه نحوهم وهو ينشد ويقول

قد آن أن امحو ما قدمته * وارضى مولاى بما استقبلته
انى مقر بالذى عملته * ظلمت نفسى بالذى اجترمته
لو كان ذنبى واحدا عرفته * أنت وان نسيته أحصيته

(ثم سار) يركض جواده حتى أشرف على حى بنى كنانة فوجد النساء باكيات والرجال يموجون جزعا مما ظهر والحى يموج بالبكاء والنحيب فقال لهم ما هذه الضجة والبكاء فقالوا له أما ترى من أشرف علينا بهذا الجيوش العظيمة والكتائب المقبلة قال لا تخافوا فلا ترون الا خيرا (ثم) أطلق عنانه واستقبل قومه قبل وصولهم الى حى بنى كنانة فنظره القوم وهو سائر نحوهم فتسارعت اليه الخيل يستطلعون ما عنده فلما نظروا اليه عرفوه وقالوا له ما وراءك يا ورقا هل وصلتم الى صاحبكم وظفرتم به (قال) نعم وصلنا اليه وظفرنا به ونصرنا عليه وأنا عائد اليكم بالبشارة قال فعطفت معه الفرسان وتسابقت منه خيل الى جناح بن حمامة يبشرونه بذلك فوقف عن المسير ووقف الجيش كله لوقوفه وأمسكوا الأعنة ورفعوا الأسنة ووصل ورقا اليه فلما وقف بين يديه وكان حلو الكلام طلق اللسان فقال كفيت الطوارق ولم يسبق للنصر والفخر سابق الذى كنت ترجوه وتؤمله قد وصلت اليه واحتويت عليه وان صاحبك الخضخاض قد جد فى سيره حين أرسلته الى أن لحق بالطفيل وقد جاوز هذا الحى فعظموه ونحروا له وقدموه يظنونه على دين آبائه فلما رحل عنهم ونزل بهم صاحبك أخبرهم بخبره وأوقفهم على أمره فكانوا عونا على قتالهم وأسروه وكانوا اليه أطول باعا وأقطع أسيافا وان الطفيل لما أبصرنا أجمع على حربنا وتقدم ولده وخليله صفوان ووكيع بن سالم وقاتلوا قتالا شديدا فما هو الا أن أحاطت به رماح هؤلاء الكنانيين وصاحبهم مالك بن دارم فلما رأوا ذلك منهم استأسروا الينا جميعا واحتوينا على الطفيل وجميع من كان معهم وملكنا الرجال والاموال والنسوان والولدان وان بنى كنانة تركتهم فى التشاجر والتنازع من أجل متطاولون الى اكرامك يقول أنا أحق باكرامه وتضييفه ومالك بن دارم قد أوصى عبيده

وموا اليه بالذبائح وان توقف على طريق ليهرق دمها عند وصولك فانزل على ماء القوم واقبل كرامتهم فهم أهل أن يكرمونا ويعظمونا مما أولونا من الجميل وجادوا بنفوسهم وغضبوا لنا وعادوا عدونا ويجب عليك أن تشاركهم فى هذه الأموال التى غنمتها من الطفيل ولهم حظهم منها فان فعلت ذلك وسألتهم المسير معك الى (محمد) وحربه لم يتخلف عنك منهم أحد وثانية لما يصل اليهم من اكرامك وثالثة لما يؤملون أن يغنموا من أموال العرب واسمح للقوم بما سهل عليك وافصل أمرك مع الطفيل ومن معه فاما أن تقتلهم وأما أن تعفو عنهم واما أن تبعث بهم الى أبيك وتسير أنت بمجدا بلا عائق فانك لا تأمن دوائر الزمان وقد نلت ما طلبت ثم جعل يقول

نلت الذى ترجوه يا رجل • من عصبة لو لا أنت ما خذلوا
القوا الينا قياد الأسر فى عجل • ولم يكن مانع منهم اذا سئلوا
ان الطفيل وصفوان وغيرهم • وعمر بعده وكيسع جمعهم مقبل
فلو رأيتهم فى الأسر قد قرنوا • ودمعهم هاطل يجرى من المقل
انزل على القوم عظموك وقد • استوجبوا كرما حقا بما فعلوا

(قال فلما) سمع جناح بن عمرو ذلك من قول ورقا استحوذ عليه كلامه وعمل فيه مكره وظن جميع ذلك حقا فقال له جناح لقد استوجبوا منى اكراما وانعاما فكيف لا أشاركهم فى الأموال والرحال ولندفعن جلها وأما الخضخاض فان له بدا عندى لا أجازيه عليها أبدا وقد أعددت له جوائز على صنعه وها أنا نازل على الماء فامض الى القوم وأمرهم بالسرعة الى وليأتونى بالاسارى لارى فيهم رأيى (قال) حبا وكرامة ثم عطف على أثره وقد وطاعدوا لله جناحا وتركه مسرورا مبتهجا فشاع الخبر فى عسكره واقبلت السادات من القبائل والعشائر يهنؤنه بما وصل اليه من أعدائه فلم يكن فى القوم من خامره ريب ولا داخله شك واقبل ورقا يجد السير حتى وصل الخضخاض وقد أجمع بقومه والطفيل وصفوان ووكيع وامثالهم متطاولون لما يأتيهم به ورقا من الخبر وهل يقبل عدو الله خديعتهم أم لا وبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم ورقا فقال لهم صفوان هذا صاحبكم قد أقبل فانظروا ما عنده فقال الطفيل اللهم مهلك أهل الفيل المرسل عليهم حجارة من سجيل ترميهم بها طيرا أبابيل اكفنا مؤنة القوم الظالمين وارزقنا عليهم أدلة المستضعفين (و) انصرنا وأنت أرحم الراحمين ووصل ورقا اليهم فقال له الخضخاض ما عندك يا ورقا وما قلت وما قيل لك قال ذللت لك البعير الهائج ولم أزل به حتى عقلته لك وقد برك ورشح وفى الشباك سقط فان شئت فاضرب حتفه وان شئت فى نحره لا يمنعك منه مانع فقال الخضخاض لله درك ما قد متك حتى علمت انه يتيسر بك ما عسر لك من الأمور فاخبرهم الخبر وحدثهم بالحديث من أوله الى آخره ففرح القوم بذلك وسروا سرورا شديدا فقال الخضخاض لمالك بن دارم بقى لنا عندك واحدة نصل الى ما نريد ويزداد القوم طمأنينة الينا قال وما هى قال تأمن أصحابك هؤلاء الذين أتوا من حيث أن يعودوا الى الحى بأمرك وتوصى عبيدك وموالىك ومن فى الحى من قومك الا يتركوا شيأ من الاكرام والانعام الا اظهروه للقوم (قال) مالك يا خضخاض لا أستطيع ان أقدم طعامى واكرامى لاحد ثم ابلى بقتله قال الخضخاض ومن بمهله أن يأكل أو يشرب وانما نجعل ذلك اكراما لنا ووليمة لجمعنا على قتل هذا اللعين ونحن نتولى قتلته ونعجل صرعته قال اما هذا فنعم ولولا بغضهم (لمحمد) صلى الله عليه وسلم لما سمحت أن يقتلوا فى غرارة غيرانى أحب (محمدا) وأبغض من يبغضه فهو افاض هذه النعمة على ثم اقبل على صاحبه وقال له اركض جوادك حتى تأتى الحى فامر عبيدك أن يقودوا من مالى مائة بعير وثلاثمائة رأس من الضأن والمعز ويقربونها الى الجادة فاذا وصلوا اليهم فليذبحوها وأمر من هناك من القوم من كان ذا ثروة أن يذبح على قدره وأمرهم أن يضرموا

النيران فى جنبات الحى و جوزوا الذبائح اليكم ولا تسمحوا بها للقوم فانها محرمة عليهم قال سمعت وأطعت ثم أسرع على الجادة وقد انكشفت الغبرة ولاح لمعان الحديد وقد ملا القوم تلك الارض بالطول والعرض وقد هربت الرعاة باغنامها الى الحى والحى يموج كالسفينة فى اللجج (فلما) وصل اليهم اطا ابن الحارش اقبلوا اليه لينظروا ما عنده وقد دهشت الرجال وفزعت النسوان فاخبرهم بما أمره مالك بن دارم واقبل الى عبيد مالك وقدم اليهم وصيته وقال لاهل الحى اصرفوا عنكم الهلع فان القوم طعمة لكم وخيلهم وسلاحهم فسر وا بذلك وأعلمهم ان سرية القوم هلكوا وصار صاحبها تبعا للطفيل ومعينا وهو مجمع على قتل صاحبه وفناء هذا العسكر ودماره وقد بعث اليه لينزله و يوطنه هو وأصحابه فهنالك تهجم عليهم ونفنيهم فاقوام العير بعد راعيها فاذا رأيتمونا قد أشرفنا عليهم فكونوا باجمعكم الينا سائرين ولا يكن أحدكم بلا سلاح فترجوا أن تصيبوا من القوم ما ترجوه ان شاء الله فاجابه القوم وساقوا الجزر والضأن والمعز وخرج أهل الحى فكان الواحد يأتى بالشاة والبعير والخروف على قدر سعته فوقفوا على الطريق وأضرم النسوان النيران فى جنبات الحى و وصل عبيد جناح ومواليه الى الماء فضربوا هنالك قبة من الديباج على أعلاها هلال من الذهب الأحمر وعلى جانبه ياقوتتان تلمعان لا تعرف لهما قيمة وفرشوا له القبة بفاخر الديباج ونصب خارج القبة مظلة مصورة عجيبة بقضبان الذهب والفضة والقيت اليه مسانيد و وسائد واشرف عدو الله وقد أحدقت به السادات والكبراء من قومه (فلما) قربوا من عبيد مالك ضربت العبيد الاباعر بالخناجر فتطايرت الدماء يمينا وشمالا وذبحت الضأن والمعز واجتهدت النسوان فى اضرام النيران وخرج أحداث الحى يلعبون بالسيوف والجفن وقد أعدوها لقتله وهو لا يعلم بشئ من ذلك وخرج جوار الحى بالدفوف والمعازف والطارات فنظر عدو الله الى ماسره وأعجبه من بنى كنانة فنزل فى خيمته وجلس تحت مظلته ودخل معه الاشراف والكبراء من قبائل العرب وكان قائد كل قبيلة وصاحب كل كتيبة قد أحدق بابه وتفرق بقية الناس فى تلك الأرض على الربوة والاودية وتحت أطناب الشجر فامتلأت بهم الاماكن فلما استقر بهم الجلوس أرسل عدو الله جناح رجلا من قومه وقال له امض الى الخضخاض وأمره أن يأتى بهؤلاء الاسارى فانى على وجل وقلق لاجلهم فاقبل الرجل مسرعا فلما أشرف على القوم أسرع اليه الخضخاض وسأله عما جاء به فقال عجل الى سيدنا بهؤلاء الاسارى فقال له ارجع وأعلمه انى على أثرك وأمرى بهم على ترتيب لأشهد بذلك بين الجمع فيكون ذلك أسر لقلبه فرجع الى جناح فأخبره بذلك فقال صدق فيما نطق فانه رجل أحكمته التجارب وحكمته النوائب فلله دره (قال صاحب) الحديث ثم ان الخضخاض صاح بالطفيل وولده وصفوان ووكيع وأمثالهم ممن عرف شجاعته وبراعته فقال معاشر الناس انكم تريدون أن تلاقوا البحر المهول والموت القتول والرجل الشديد اللعنة كثير الهجمة واسع الباع طويل الباع سبع من السباع يعد بفرسان و يرسم فى الحرب بأبطال ومعه جمع عظيم وعسكر كبير والقوم فى أربعين ألفا ولا شك أن حوله السادات وأبطال العرب وهم متطاولون اقدموكم وأنا ممن من نفسى من الهلكة فامانصل أو نقتل فان هبتم الرجل عند وصولكم اليه ووقفتم عنه لكثرة من ترون معه قتلتمونى وقتلتم أنفسكم لا محالة فانظروا ما عندكم قبل الهجمة قال الطفيل رضينا بالموت دون حلائلنا ونحن على الله متوكلون وأسيافنا معدة باذلون قال عامر انى أؤمل أن أسبقكم بالهجمة اليه وقالت بنو كنانة ان لم نهجم عليه فهو هالك حينا وهالك حرمنا فقال له الطفيل ابن عامر دبر هذا الأمر آخرا كما دبرته أولا فليس فينا من يخالفك فأمر الخضخاض أن تقدم الأموال والغنائم امامه وقال للرعاة سيروا بغنمكم فاذا رأيتها فاعتزلوا بها وكونوا من حولها ولا تظهروا واشرا

ثم سيرها ومن ورائها الأباعر بالرحال ففعلوا ذلك فلما بعدوا قدم بعيرا وقال الطفيل استو عليه واقبض بيدك على سيفك وقدم بعيرا آخر لعامر وبعير الصفوان وبعير الوكيع ووكل بالأباعر عبيدا وقال اذا ركبكم الأباعر فشوروا عنها واخترطوا السيوف واطلبوا صاحبكم ولا تطلبوا غيره قالوا سمعنا ثم اختار من بني كنانة ألف فارس مثل عدد من كان معه أولا وأكمن بقية القوم في وادي هناك وقال لهم اذا سمعتم التكبير فثوروا من أماكنكم وتقدم الخضخاض في أوائلهم وسيفه مشهور في يده قال وعدوا الله جناح قد رفع المظلة عن رأسه لينظر الى القوم اذ أشرف العبيد بالأموال والأغنام والجمال موقورة بالرحائل والطفيل وولده وصفوان ورغلة ووكيع في أوائلهم على الجمال ونظر الخضخاض في أوائلهم وهو على أثره ورأى فرسانه الذين بعثهم وهو لا يعلم بشيء مما دبره القوم وعاين الهوادج والنسوان من وراء الرحائل فابتهج بذلك وتعاظم وداخله الكبر (فلما) وصلوا اليه قال يا خضخاض لقد زدت الى يدا لا أكافيك عليها أبدا فدنا منه وقد مالت بنو كنانة نحو قومه وتقدمت الشبان والاحداث بسيوفها ووصل الخضخاض وهو يهز سيفه وقال للعبيد نوخوا الأباعر بالأسارى فأناخوها وكل واحد منهم مديده على قوائم سيفه وقد ستره ببردته وأجمعوا على الوثبة وتهاجموا للحملة والفرسان قد تأهبوا من ورائهم وتقدم الخضخاض يريد القتل بعد والله فأمهل القوم الأباعر أن تناخ بهم وهي واقفة بين يدي جناح أن توانبوا عنها وأشهروا السيوف كل يطلب السبق الى قتله وغشيه الخضخاض واتبعه شبان الحي بالسيوف والجف فلما نظر عدو الله ذلك طاش عقله وذهب لبه وارتعدت فرائصه وهم أن يتقدم فلم يستطع وقال للخضخاض ويحك يا ابن العم وهل سحرك الصباة فعمدت الى قتلي ألم تمض من عندي وأنت مصاحب فعدت الى معاندا فقال نعم مضيت وأنا كافر وعدت وأنا مؤمن ثم لم يمهله دون أن ضربه على هامته فلقها نصفين واحتوته سيوف القوم فقطعته اربا اربا ومالت الفرسان والشبان على من هناك ووصلت رغلة الى أخيها فداخلتها الحمية عليه ورجعت الى من حوله فضربت سنان بن عمر وكان سيد القوم فقصمته نصفين وفعلت كذلك بسهم بن الوليد وتفرق القوم عليهم من كل مكان فلم يثبت الا علقمة بن سراج المزني فانه ثار عند الهجمة لخفته فنجى وقتل من سواه ممن كان عند عدو الله جناح فلما أن فرغوا من جناح وممن حوله كبر الطفيل وأجابه الخضخاض وأصحابه بالتكبير فاستتم القوم التكبير اذ ظهرت أبطال بني كنانة وأطلقوا الأعنة وفوقوا الأسنة ومالوا على القوم كالسيل الهائل أو كالسحاب الهاطل فما استيقظ القوم لهم ولا وصلوا الى خيلهم وسلاحهم حتى قتل منهم زهاء عن سبعة آلاف وداخلهم الجزع والفزع عند ما عاينوا قتل صاحبهم وعمدتهم وبقي القوم كالأغنام بلا راعي فنزل بهم الذل والهوان عند فقد راعيهم وغيبة حاميهم وطمعت فيهم بنو كنانة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة فحابس القوم عن الهزيمة الا علقمة بن سراج المازني فانه صرخ في وسط القوم يا ويلكم أين تهربون من هؤلاء الأوباش والعبيد وأنتم أضعافهم مرارا وان كانوا قد غدروا بصاحبكم ومكروا بسيدكم فاني أؤمل ان أسفك دماءهم وأغنمكم أموالهم وادفع عنكم العار والشنار فأي معذرة لكم عند العرب والسادات وذوي الرتب احملوا ولا تجزعوا وأنا معكم (فلما) سمع القوم ذلك من علقمة رجعوا نحوه وطافوا به كل يصرخ بسيده ومن قتل له فلما تكاملوا حمل بهم على القوم وصاح الطفيل احملوا على القوم واستعينوا بالله فقد قتل الله حاميهم وفقدوا راعيهم وتبددشملهم وخاب أملهم وأرانا الله فيهم العبرة احملوا بارك الله فيكم فحمل القوم وتناوشوا وتضاربوا وصبروا وصبر الكرام وحار اللئام وفلقت الهام وهشمت العظام ومال من القوم كل همام ودارت رحا الحرب بكلكلها وطعنتهم طعنا وتساقط

الرؤس عن الأبدان فلا ترى الا رأسا ساقطا أو كفا طائرا وفرسا شاردا فقتل من الفريقين رجالا وجدل أبطالا وقاتل عدو الله علقمة بن سراج قتالا عظيما وبصر بالطفيل فى بعض حملاته نقصده وطلبه وحام من حوله حومة الأسد فحما ولا طويلا وكان الطفيل قدمه كل من عظيم مالاقى فى ذلك اليوم من القتال فلما لاحمه علقمة تزايد عليه الكلل ومل من القتال فرجع عنه فلقيه ولده عامر وقد تضمخ بالدماء من شدة القتال فصاح به الطفيل لله أنت الى فالوى عنانه اليه وقال له ماوراءك يا أبت قال ان القوم ما يعكهم الا هذا اللئيم علقمة بن سراج وقد جاولته وجادلته فلم أجد لى به طاقة فل اليه فعسى أن تكفى أباك شره فان قتل ليقتلن جميع القوم ان شاء الله (قال) عامر وأين هو قال هو فى وسط المعركة له رغاء كرغاء الابل فرجع عامر نحوه واخترق العجاج حتى وصل اليه وهو قد قتل من بنى كنانة رجالا وهو يزأر كالأسد وينادى اليوم طاب الكفاح لا زوال ولا براح فقصده عامر فلما رآه عدو الله مال اليه وقال له ان أباك قد فر من الموت وبعث بك اليه لقد ألقاك فى بحر معطب ما ركبه أحد الا غرق فدونك فانهل منه فقد رميت بأمواجه ولجت فى عبابه (قال) فقال له عامر رحمه الله دعنى من ارعادك وابراقك يا ابن اللئيم فلست ممن يوهمه الكلام ولا يفزع من الانهجام واليوم أذيقك الحمام ثم دلف كل واحد منهما نحو صاحبه وتضاربا وتطاعنا طعنا مهولا فلما اختبره عامر وجده بطلا لا يعل من القتال ولا يكل من النزال فطاوله رجاء أن يبهره أو يضجره فلم يزد عدو الله الا نشاطا وانبساطا فطال ذلك بينهما الى أن بعد عامر عن الوصول اليه وخشى أن يدهى منه فرجع عنه وتأخر راجعا فاذا برغلة تخترق المعمعة تطلب بعلها اذ بصرت به وقد رجع من عدو الله وقد تجلله العرق وكثر منه القلق وغشيه الانبهار وعلته الرعدة والصغار قالت ما بالك يا خير قرين قال لها خبرا يسرك قالت له ما الخبر فما رآه الساعة منذ الا تخبرنى بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) لها ويحك ان ها هنا فى وسط الميدان رجلا شديدا عنيدا لم يعد الناس غيره ولم يثبتهم سواه قالت ومن هو لا كان ولا عمرت به الأوطان ولا أسعده الزمان قال هو علقمة بن سراج المزنى وقد نلقاه أبى قبلى وقصدته أنا فلم أر لى فيه طمعا وابهرنى ضجرا وما رجعت الا فرارا قالت له دافع عن نفسك ما استطعت ان طرقك طارق (ثم) قصدت نحو عدو الله كالسهم فلما بصر بها شهدها بالشجاعة من غير اختبار فقصدها قصد الفارس الطوار وقال لها من الساحب ذيله الطالب وفاته فلم تخاطبه دون أن حملت عليه حملة منكرة فتلقاها عدو الله ودافع عن نفسه الموت فأذهله ما رآه منها فجعلت تصول عليه وهو يتراوغ عنها فطمعت فيه وشخص نحوها الفريقان وتطاول نحوهما الجمعان وأخذ يتطارد عنها هربا يريد أن يوقعها اذا تبعته فلم تلو الى فعله ولم تكترث بخداعه وتصارخ بها أبطال دوس وأقيال بنى كنانة وهى صابرة على قرينها فلم تزل كذلك حتى انبهر عدو الله وعارضه الكلال فهنالك بلغت مسرتها ووصلت أمنيتها فطعنته فى صدره أطلعت السنان من بين كتفيه فسقط عن جواده وكبر بعلها عامر وقال لقد قتل الله اللعين وسيلحق به الظالمين (ثم) حملت بعد قتله وصالت عليهم وحمل الطفيل وحملت بنو كنانة فلم تكن غير هنيهة حتى ولوا الأدبار وأخذهم السيف من كل مكان فاتبعهم بنو كنانة فغنموا منهم غنيمة عظيمة وأخذوا خيلهم وسلاحهم وكان كل من غنم شيأ هو له فغنموا غنيمة لا تحد ولا توصف وأما أصحاب المطايا فلم ينج منهم أحد فتفرقوا فمنهم من رجع الى دياره خاسرا ولمن قتل من قومه ناعيا ومنهم من مضى الى عمر بن حمامة وكشف الله عن الطفيل ما تجلله وضم أمواله ونسوانه وغنائمه الى حى بنى كنانة فقال له مالك بن دارم أقم الآن عندنا الى أن ينقطع أثر القوم فلا آمن أن يتبعوا أثرك ليأخذوا منك بثارهم ثم تنطلق بعد ذلك

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام الطفيل عند بنى كنانة مكرما معظما وقد نصره الله على أعدائه وزاد لمن معه غنيمة القوم (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله انه لما خرج جناح بن عمرو بن حمامة فى جيوشه وعسكره طالبا للطفيل ومن معه يريدون بهم يثرب فاخاف الله ظن الملعون وخيب أمله وقطع رجاءه وقتل رجاله وأباد جيوشه وفنى أكثر من معه ممن اجتمع اليه من العرب وهزم بقية القوم وغنم الله الطفيل ومن معه أسلاب القوم وسلاحهم وجميع ما ملكوه فلم يكن فى ذلك الزمان غنيمة مثلها فيما سمع العرب وأقام الطفيل عند مالك بن دارم فى حيه وطنب أبياته وسرح سرحه وأمواله مع أموال مالك بن دارم وأقام بضيافته ولم يسمح له بما سواها (قال صاحب الحديث) ووصل المنهزمون الى ديارهم الا ماكان من عشيرة عمرو بن حمامة فانهم فى أكثرهم رجعوا الى حاضرهم ومن سلم منهم مثقل بالجراح (فلما) قربوا من الحاضر قال قائلهم انتظروا الظلام لتدخلوا من حيث لا يعلم أحد بدخولكم فان علموا تصارخ النسوان والولدان وكثر الضجيج والليل أخفى لأمرنا قال فاستند القوم الى بعض الاودية الى أن انسدل الظلام فهنالك دخلوا الحاضر متفرقين فلما وصلوا وبصر بهم أهلهم لم يطيقوا صبرا عن الصياح فتصارخ النسوان من سائر الجنبات وانكشف الأمر وارتفع العويل وانتهب الحاضر من جنباته بالبكاء والنحيب على من قتل منهم ورثى كل خليل خليله وكل حبيب حبيبه وندبت النوادب وبكت الباكيات وسمع عمرو بن حمامة الصوت فقال ماهذه الضجة فتسارع بعض غلمانه الى الحاضر فاستخبر والخبر وخشوا من عمرو وطال على عمرو ذلك لما يسمع من تزايد الصوت والصياح فجعل يبعث بالعبيد واحدا بعد واحد فلا يعود عليه أحد بالخبر فقلق لذلك قلقا شديدا فقال لرجل من عشيرته يقال له ملاعب اذهب فأتنا بالخبر على حقيقته فذهب وسأل عن الخبر فقال أيها السيد بقيت وحييت ومن الاسواء وقيت احتسب ولدك فقد أصيب وأصيب عسكره وتفانى جمعه وقتل رجاله وتفرق أصحابه من بقى منهم وملك سواده ولم يفلت من القوم الا القليل (فلما) سمع عمرو ذلك لم يطق صبرا دون أن مزق أثوابه ولطم وجهه ومزق نساء الحى الستور وأسبلن الشعور ولطمن الخدود وأعلن بالبكاء والنحيب فلا تسمع الا باكيا وباكية وصارخا وصارخة فلم يزل القوم كذلك الى الصباح فلما أصبح بعث الى بعض المنهزمين من القوم فلما حضروا قال لهم ياويلكم ألقيتم (محمدا) فى يثرب قالوا لا قال فمن لقيتم من الجيوش وقد خرجتم فى أربعين ألفا من سائر القبائل ممن يعرف بلقاء الأبطال ومكافحة الرجال قالوا له ما لقينا غير صاحبنا الطفيل بن عامر الدوسى ومن معه فان ولدك بعث الخضخاض فى ألف فارس طليعة يستطلعون له الخبر فما هو الا أن بصر وصبا اليه ودخل فى دينه وكان أكبر بلية علينا وعمل الحيلة الى أن وصل الى ولدك فكان أول من علاه بسيفه (ثم) حدثه بالحديث من أوله الى آخره (قال) فلما سمع عمرو بن حمامة ذلك قال لقد كنت حذرت عليه الى مثلها فالآن طاب الموت بعده ولا خير فى الحياة ثم قال وذى الكفين لأجهدن نفسى فى أخذ ثاره أو أرد موارده واصدر مصادره ثم أقبل على من حضر من قومه وقال انى أشهدكم يامن حضر لا دخلت ولا أويت وطنا ولا أظلنى سقف ولا تلذذت بالرقاد ولا تمتعت بالنساء ولا شربت مدامة ولا كان لى غير البرارى وطنا والصحارى مسكنا والتراب ركنا والسحاب غطاء الى أن آخذ بثاره وانتقم من عدوه ولا رضيت أن أقتل فيه الطفيل وولده ولا صفوان ولا وكيع ولا الخضخاض ولا قومى جميع دون أن أقتل (محمدا) وبنى هاشم (ومحمد) هو الذى ألقى بيننا وبينهم العداوة والبغضاء والمكايد وكان الطريق الى فنائنا وسبب دمارنا ولا أقتلن ابن عمه على بن عمومته وأنصاره وأهل بيته وأما بنو كنانة فلا محون أثرهم من الأرض ولا سوقن أموالهم ولا هتكن نسوانهم ولا جردن سيف الفناء لكل معاند ولكل مكايد (ثم) هرول نحو صفه وانحفل

الناس من ورائه الى أن وصل الى الصنم فرغ خديه على الثرى وضج بالنحيب والبكاء ثم رفع رأسه وقال ما عرفتك عنى وانيا ولا لنصرتى قاليا فلم تخليت عنى وباعدت قربك منى ثم ذهب عزى وغابت حمايتى وقتلت عشيرتى وقتل ولدى وانحمل ذكرى ورمقتنى العرب بعد العز بعين الاذلال ونظرت الى بنظرة الاقلال وذهب مالى وساء حالى وطمع فى عدوى فما هذه الغفلة عنى أواجد فارتضيتك أم غائب فارتجيتك أمنى اليك حال استوجبت منك هذا الفعل أم نذرت اليك نذرا فلم أف به انى أقسمت بك قسما لئن لم تأخذ لى بثارى وتكشف لى عن عارى لأقطعن البحر الى بلاد الهند فاعبد ما يعبدون وأكون عندهم معافا من الأذى فكفى ما بى من العدا فأنا مشفع اليك راج لنصرتك مطيع لأمرك (ثم) أسكت الناس وأصغى نحوه باذنه قال فخرج الشيطان من الصنم وهو يقول

أنت المعين لا تكن متوانى • فاظهر الجد لا تكن مغدور
قد حبست الطفيل بالمال قهرا • وجميع ما كان مسعدا منصور
فاسرع نحو مالك وخذ • ثارى منه لا تكن مقهور
وسأعطيك من (محمد) كل نصر • ترتجيه العداة وهو أسير
وعلى وحمزة ثم صفوان • وتلقى بوكيع مقهور

(قال فلما) سمع عمر ذلك من مقالته انجلت عنه بعض أحزانه وعاد الى ما كان فلم يدخل بيتا وأقام على الثرى لا يفتر عن البكاء ثم استصرخ قومه عند الماء وقال انى قد عزمت على المسير ثم لا أعود الا بمسرتى أو اتجرع منيتى فمن سمحت نفسه بالموت فليسر بسيرى ومن كان كارها للوفاة محبا للحياة فغير ملوم على تخلفه فقال القوم بل نقتل أمامك ويسفك دمنا قبل دمك فان لم نغضب لسيدنا فانا اذا لخاسرون (فلما) كان من الليل أمرهم أن يحفروا فى موضع أراهم اياه وكانت له أموال تحت الأرض مكنوزة فأخرجها وعباها وقال لقومه انى راحل غداة غد الى عدوى وأموال الطفيل ومن معه وأموال (محمد) وأموال أهل يثرب هى لمن أعاننى لا يشاركه فيها مشارك وان لم يسر معى سائر لعلمت انى الى الطفيل والى ولده واصل فلما أصبح قدم أمواله وسرحه وسواده وأثقاله وركب وخرج من حاضره وليس معه الا أربعمائة فارس وثلاثون رجلا وتلاحقت به العرب وطماعها من كل مكان طمعا فى الخلع والأموال فلم يكن الا يسير حتى تلاحق به من العرب ستة آلاف فارس خرج من المنزل الثانى حتى أحصى جيشه فوجده أربعة عشر ألف فارس ما بين فارس وراجل ففرح باجتماعهم وبذل لهم الأموال ووعدهم بالزيادة عند التمام وكان كل ما سار تزايدت جموعه وكثرت كتائبه وعظم أمره فصار فى جيوش لا تعد ولا تحد وخيل ورجال ومواكب وكتائب ومطايا ونجائب وكلما تلاحق به قوم أعطاهم وأنعم عليهم ووهب لهم وحملهم ونحر لهم وقام بواجب حقهم حتى لم يبق بينه وبين بنى كنانة الا يومان وهو نازل فى مرج الزهرات وقد تحقق أن الطفيل لم يزل فى بنى كنانة (هذا) ما كان من خبر اللعين عمر بن حمامة وما عزم عليه ولا يدرى ما خبئ له فى الغيب وأما ما كان من خبر الطفيل رحمه الله فانه أقام عند مالك بن دارم مكرما وكل ما هم بالمسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منعه مالك عن المسير فزعا عليه من غائلة القوم أن يلحقوه فى طريقه ويطالبوه بما كان منه اليهم وكان كل يوم يبعث برجاله يمينا وشمالا يتجسسون له عن الاخبار فيعودون اليه فيخبرونه بالسلامة وخلو الأماكن والمكان من السالكة فيه فلما كان فى بعض الليالى والطفيل فى منامه اذ رأى رؤيا انتبه فزعا مرعوبا منها (ثم قال) لمالك يا أبا منهال انى رأيت الليلة رؤيا أرقت لها وفزع قلبى منها وضقت بها ذرعا وأنا أؤمل عقبها خيرا ولا يكون شرا

قال مالك وما الذى رأيت وقيت المكاره قال رأيت كان نارا خرجت علينا من هذا الوادى عالية اللهيب طالبة للاوطان فلما ابصرناها تأخرنا عنها فأحرقت منا رجالا وأبادت منا أبطالا وحالت بيننا وبين الأموال فبينما هى كذلك اذ ثارت بها من سربنا هذا ماء عظيم أخمدها فانبهت فزعا مرعوبا (قال) مالك خيرا رأيت وخيرا يكون فلما أصبح دعا مالك بن دارم بولده مجاشع وكان غلاما شديدا كثير الخير عفيف الطرف بارا بوالديه من صغره الى كبره لا يدخل مداخل الفساد ولا يسفك دم بغير حق وكان يأتى كل عام يحج الكعبة يطوف بها ويعظمها ويهدى لها طيبا فلما كان فى ذلك اليوم دعاه أبوه وضم اليه مائة فارس من أبطال قومه وقال له يا بنى اركب هذه الجادة التى نخشى منها عدو الله وعدونا وأشرف على الطريق وخذ الأخبار من السالك والوارد وانظر هل ترى أو تسمع لأعدائنا خبرا (قال) سمعت وأطعت ثم سار من ليلته ومعه مائة فارس يجدون السير ويركضون خيلهم وهم لا يعلمون بأخبار أعدائهم الى أن قربوا من عسكر اللعين عمر بن حمامة وكان نازلا فى المرج وله عيون يتشوفون ويأخذون له الأخبار فعادوا اليه فأخبروه ان غبرة لاحت لهم بالبعد وهم مقبلون نحوهم لا يدرون ماهى فعمد اللعين الى الجيش ففرقهم يمينا وشمالا فى الأودية والمهابط قال ونزل مجاشع بقومه على المرج فأحب الا يعود الى أبيه الا بخبر لما رأى من قلقه وقلق الطفيل فلما توسط المرج وهو على غير أهبة خرجت اليه الكتائب والجموع وتسابقت نحوهم الجيوش من كل جانب ومكان كأنهم الجراد المنتشر وخرج عدو الله عمر وعليه الجزع حزنا على ولده ومن فقد معه ومالوا الى القوم فلما نظر مجاشع الى ذلك علم أنه لا طاقة له بمن أشرف عليه قال قائلهم كم عسى أن نقاتل القوم أيقاتل الرجل عشرة ومائة فاستسلموا اليهم فانكبوا عليهم وملكوهم عن آخرهم ولم يفلت منهم أحد ولا نجا منهم أحد وأخذوا مجاشع بن مالك والقوم لا يعرفون مكانه ولا يخبرون شأنه وانما أبقوا عليهم ليكشفوا عن حالهم وينظرون من أى الناس هم فلما ملكوا أسرهم أوثقوا كتافهم وأخذوا سيوفهم وسلاحهم وسألوهم عن أنسابهم وعن صاحبهم ورؤسهم فأقبلوا بمجاشع بن مالك وقال قائلهم من أى الناس أنتم يا فتى اخبرنا بخبركم والا عجلنا هلاكم فانتسب الى نسبه وعرف بنفسه (فلما) سمع القوم ذلك عرفه بعضهم وضجوا ضجة عظيمة فسمع اللعين عمر بن حمامة قال ما وراءكم قالوا سعد جدك وعلا سعدك هذا ابن من أجار الطفيل وقتل قومك وأفنى عشيرتك وقتل ولدك هذا مجاشع بن مالك بن دارم الكنانى قال فتنفس عدو الله الصعدا وقال هيهات لا يرد قتل هذا ما فى قلبى من النيران ولا يسكن عنى ما اعترانى من الأحزان قتل هؤلاء جميعا ولا يكشف ما بى الا قتل الطفيل وولده وصفوان وأقتل صاحبهم (محمدا) ولكن أوثقوه كتافا فعسى أن أدفعه الى مالك ويدفع الى الطفيل ومن معه من قومه فاسفك دم القوم جميعا وأول من أعجل قتله واسفك دمه واقتله ابنتى رغلة التى أظهرت لى العناد ورمرقنى بمحض الكياد وقد ذكرلى أنها قتلت رجالا وجدلت أبطالا وأفنت أفيالا وأظهرت قتلى وعنادى قال ثم أقبل على مجاشع وقال يا مجاشع اخبرنى بصدق مقال أخبار رجل لم يعرف له قومه كذبة كذبها ولا قبيحة أتى بها هل الطفيل ظعن عن داركم أم هو مقيم معكم (قال) مجاشع لا وأيم الله ما ظعن وانه لمقيم عندنا مكرما معظما وكل ما غنمه معه قال نعم وما خرج به من أمواله معه قال ظننت أنه بعث بها الى (محمد) قال لم يبعث منها وبرة واحدة قال عمر بشرت بخير ثم أقام يومه فلما كان بالغداة ارتحل وقد ابتهج بما وصل اليه من مجاشع وأصحابه وأخبره به من خبر الطفيل انه مقيم بمن معه فارتحل قاصدا الى ديار بنى كنانة (قال) وكان مالك متطاولا الى مقدم ولده فقلق لغيبته فلما مضى النهار وأقبل الليل ولم ير له أثرا تجددت أحزانه ولم يقر له قرار الى الصباح فقال

للطفيل يا خليلي ان لولدي خبرا لم نقف عليه وقلبي يحدثني انه ما أخره الا عائق وأرجو أن يكون خيرا ان شاء الله ثم ارتقى برجال من قومه فوق ربوة عالية وتشوف يمينا وشمالا فلم ير شيأ فوقف ملبيا ينتظر فرجا اذ أشرفت عليه غبرة القوم وقد ارتحل اللعين يريد بني كنانة فنظر مالك الى الغبرة وقد أظلم لها الافق واسودت الاقطار لتكاثف الغبار فلما رأى ذلك خفق فؤاده وارتعدت فرائصه جزعا على ولده وقال ذهب ولدي لا محالة ثم رجع على أثره مطرقا (فلما) رآه قومه كذلك قالوا له ما وراءك فقال خذوا لأنفسكم فقد أشرفت عليكم جيوش قد ملأت الأرض بالطول والعرض وقد بلغ غبارها عنان السماء أكثر من الجيوش التي دهمتكم أول مرة قالوا له وما الذي تراه منا قال يا قوم انا وصلنا الى القوم في بادية الأمر بحيث غدرناهم وطمأنينتهم البنا والآن قد استيقظ القوم الينا فماذا تقولون قال الطفيل انا لنعلم انما غضبت وتكرمت لنا وأوصلتنا الى عدونا وساعدتنا ولم تقصر فيما فعلت معنا والآن فما أريد أن أجعلك لهؤلاء القوم عدوا فان وجدت معتصما نعتصم به من هؤلاء فافعل غير ملوم وخلني مع هؤلاء القوم فان وجدت فيهم مطمعا والا استسلمت فقال مالك قد نطقت بما لا أريد أن أسمعه وان هذا رأي ضعيف انا لم نسلمك في بادية الأمر حيث كنت لم أعرفك فبذلت نفسي وقومي دونك حين لقيت بك وانقذتك أتأمرني ان أسلمك آخرا وأنت في داري وجواري لا كان ذلك أبدا ولكني أشير عليك بمشورة أراها لك صلاحا (قال الطفيل) الرأي ما رأيت قال اما انه ما لنا بالقوم طاقة لانه جمع كبير وقد رأيت ان نحمل النسوان والاماء والولدان والأموال والرحائل فنصعد بها في هذا الجبل الذي عن ايماننا فماله مطلع الا من جنبتنا ثم نقف للقوم مجدين بلا عائق يعوقنا فان وجدنا فيهم مطمعا فهو الذي نريد وان تكن الأخرى تقهقرنا الى نحيف الجبل ومنعنا عن أنفسنا قال الطفيل رأيت الرأي الصواب فأمرهم مالك أن يرتقوا الجبل بالأموال والرحائل فاسرعوا الى ذلك وحصنوها في شامخ الجبل وبعث نسوانه معهم وأمواله ووقف الطفيل وولده وصفوان ووكيع والخضخاض وغيرهم من أبطال دوس المؤمنين فبينما هم كذلك اذ أشرفت عليهم غبرة القوم ثم انكشفت عن فوارس كالسحاب المترادف (فلما) نظر الطفيل الى ذلك قال معاشر الناس ان مقامنا لهؤلاء القوم ليس بصواب وان الله تبارك وتعالى لم يأمرنا ان نلقي بايدينا الى التهلكة وان تقهقرنا وتشمرنا الى أهالينا والتصاقنا الى ظهر الجبل أصلح لنا وهو صواب فما ترون قال له ولده فرارنا من هؤلاء القوم من غير أن نلاحمهم القتال وتقهقرنا عنهم فان وجدنا فيهم مطمعا صبرنا وان زادوا علينا شمرنا وان ملكوا علينا الماء هلكنا عن آخرنا وهلكت أموالنا فتوقف القوم وسلموا أمرهم الى الله سبحانه وتقدم الطفيل وهو يقول

يا مرحبا بالموت من ضيق طرق ٭ من قال اني خالد فما صدق
هبوا الى طلابه فقد برق ٭ اما ترون خشيه وقد نسق
وان عمري قد مضى وقد أبق ٭ لكنني عسى أكن ممن سبق

(قال) وبينما هو في ارتجازه اذ قرب القوم ووقعت العين على العين وانكشفت المشركون على الطفيل ومن معه وعن مالك بن دارم وقومه فقال اللعين عمر بن حمامة أترى القوم عزموا على قتالنا بهذه العصابة اليسيرة والثلة الحقيرة احملوا عليهم بأجمعكم فمن استسار اليكم فأسروه ومن أبى عليكم فدمروه قال فاطلق القوم أعنتهم وهم حينئذ عشرون ألف فارس سوى العبيد والاتباع وهجموا على الطفيل ومن معه ففاجأهم منهم أمر لا يطيقونه وغشيتهم رماح كالآجام وسيوف كالحريم فلما نظروا اليهم وعلموا انهم لا طاقة لهم بذلك جعلوا يقاتلون تارة ويتقهقرون أخرى الى أن زاد عليهم الأمر وضايقتهم الخيل فتشهروا وانهزموا وأصيب منهم رجال وقتل من أصحاب الطفيل ومن الكنانيين

نحوا الثلاثمائة فارس ختم الله لهم بالشهادة وتعلق القوم بالجبل وقد نكبوا وأصيبوا وملك عليهم ماؤهم وحصلوا فى الجبل ومالوا عليهم بالجنادل والصخور فاندفعوا عنهم ولم يجدوا اليهم سبيلا فصاح اللعين عمر بن حمامة الارض يابنى الكرام واجعلوها ساعة الانفصال وأمر أصحاب النبل أن يترجلوا فتقدم أكثر الناس وزحفوا نحوهم يرومون الارتفاع فى الجبل وهم كالجراد المنتشر يعلو بعضهم بعضا حتى اذا تعلقوا بصهن الجبل رمت القوم عليهم الصخور الكبار العظام والاحجار الجسام فقتلوا منهم مقتلة عظيمة فتراجع القوم حين رأوا الامر يعسر عليهم ورمتهم الرماة بالنبل ولم يزل القتال بينهم الى أن مضى النهار وانسدل الظلام فافترق الفريقان ورجع المشركون الى أماكنهم وقد ملكوا الماء ونزلوا يشربون ويأكلون وأمسى الطفيل ومن معه فى كرب عظيم وحزن طويل لما تجللهم من عدوهم وقد أيقنوا بالهلاك ومالك بن دارم لا ترقا عبرته ولا تسكن زفرته حزنا على ولده ولا يدرى ما كان منه أقتيل أم أسير فلما جنهم الليل أمر باضرام النيران فى سفح الجبل ثم رتب حرسه ورصده وقال أيها الناس عدوكم بازائكم وقد وصل اليكم ونال منكم ولا نأمن ان يهجم عليكم فى الظلام وأنتم فى مراقدكم فتكبر مصيبتنا وتعظم رزيتنا وان المنام عليكم حرام فتعللوا بالالبان وارتقبوا الفرج من عند الرحمن فعزم القوم على ذلك وجعلوا يتداولون الحرس بقية ليلتهم الى أن برق الصباح ولم يطرقوا فى ليلتهم (فلما) أصبحوا قال عمر بن حمامة لقومه أيها الناس ان عدوكم قد تحصن منكم فى هذا الجبل وظنوا انهم قد امتنعوا منا ولعمرى انه لمانع ولا نجد اليهم ارتقاء الا من هذا المكان الذى هم فيه وقد ملكنا عليهم ماءهم ومراعيهم وأموالهم هالكة وخيلهم تابعة وهم تبع لها الان الالبان لا تدوم الا بالماء والكلأ فاذا لم يكن ماء ولا كلأ ارتفع الدر وجف الضرع ونحن أحوج الى الأموال والخيل والسلاح والسرح والأغنام فما عندكم من القول وكيف الحيلة قال فقام من بين القوم اللعين عابد بن كثير الدوسى وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا فقال انى أشير عليكم برأى نرجو فيه فائدة القوم وهو أن نقدم هؤلاء الأسارى الذين أسرناهم بالأمس فنمنيهم باطلاقهم ويخلوا عن الطفيل ومن معه فان فعلوا ذلك والا ضربت أعناقهم بازائهم وأبدأ بصاحبهم فان ذلك يرعب قلوبهم وتطيش عقولهم ويكون كسرة لأفئدتهم فقال اللعين عمر أصبت الرأى ثم أمر بهم فقدموا بايديهم فى اصفادهم وعمائمهم فى أعناقهم ووكل بكل رجل منهم رجلا من قومه وركب عدو الله فى مواكبه وعساكره وكبراء قومه وتقدمت الأبطال وأحدقت بهم الاقيال وصار العسكر ياسره كانه قطعة ليل مظلم الى ان قربوا من الطفيل ومن معه فأمرهم بالوقوف فى أماكنهم وتقدم فى وجوه قومه والاسارى بين يديه فلما نظر مالك بن دارم الى ذلك والى ولده مجاشع فى أول الاسارى انهملت عبرته واشتدت حرقته وقدم عدو الله عمر ونادى بصوت يسمعه القوم من أماكنهم يابنى كنانة أظننتم انا نغفل عن ثارنا وعما فعلتموه بنا ولم يكن بيننا وبينكم معاملة ولا ثار ولا دم عناد فلما بسطتم أيديكم الينا ومنعتمونا من عدونا هذا أول بغيكم وقد وصلنا اليكم وأخذنا طليعتكم ومعنا أسارى منكم ومن قومكم هاهم موثوقين قد قربوا لمنيتهم (ثم) نادى يا ابن دارم هذا جزاء لما فعلت والمصيبة امامك اذا ملكوا ابناءك ونساءك وأموالك وأخذت أسيرا وتركت عقيرا نخل عن الطفيل ومامعك منا لنجازيه على ماسبق منه الينا فان سمعت وأطعت وفعلت ما أمرت أطلقت لك عن قومك وولدك ورجعت عن قتالك وسمحنا لك بما مضى فقال له مالك رحمه الله اخسأ يا لعين الاصل لامك الثكل ولابيك الفشل بولدى الاقلال وبالطفيل ومن معه الاكثار لا أسلمه من يدى أو تلعب الفرسان برأسى (قال) فلما سمع اللعين ذلك من مقالة مالك بن دارم عطف عنهم وقال لعامر بن كثير تول ضرب أعناقهم فتقدم عدو الله فأول من قدم اليه مجاشع بن مالك فلما دنا

منه بالسيف قال له مهلا انى كنت متطاولا الى لقاء (محمد) فاتبعه وآمن به واذا حضر الاجل وجاء الموت فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن (محمدا) عبده ورسوله فما أتى على آخر كلامه حتى ضربه عدو الله طير رأسه عن جسده وأقام الى باقى القوم فجعل يضرب أعناقهم واحدا بعد واحد حتى أتى على آخرهم فلما نظر النسوان الى ذلك تصارخن بالبكاء وأعلن بالنحيب وانهملت عبرات الرجال وتصارخت النساء وانكسرت أفئدة الابطال وبكى الطفيل رحمة على من قتل فلما قتلوا عن آخرهم قال اللعين عمر بن حمامة لقد فزت بهذا اليوم فقم على ذلك يكون الذكر لك بالفتح والوصول الى هؤلاء القوم فزحف عدو الله عاد بالرجال فقاتل القوم قتالا شديدا فدافع الطفيل ومن معه من بنى كنانة ما استطاع وقد أضعفهم قلة الماء وشدة العطش وبذلوا مهجهم ولم يزالوا كذلك الى أن انسدل الظلام وقاتل اللعين عاد فى ذلك اليوم قتالا عظيما فافترقوا وقد مل الفريقان من القتال وأمسوا على ضعف زائد وأقبل الطفيل على مالك وقال يا أبا منهال قد مضى القوم بقتل ولدك وقومك وأخشى أن يصلوا الى بناتك ونسائك وان الأمر قد زاد وانتهى وارتفع وأنا أسئلك أن تسلمنى على يديك وتخلينى مع القوم ويحكم الله بينى وبينهم وهو خير الحاكمين فبكى مالك وقال له لقد خاطبتنى بأمر هو أعظم على من قتل ولدى وما نزل به أتأمرنى أن أسلمك الى عدوك وأخلى عنك بعد ان نزلت دارى وأكلت طعامى وشملك ذمامى وقتل فى رضاك ولدى بل أنا ومالى وقومى وعبيدى وما تملك يدى فداؤك فان قتلت دونك فلك الله يفعل بك ما يشاء وما أنا بآيس أن ينصرنى الله على من ظلمنى وانصرف مالك بن دارم الى أهله ليجدد لهم عهدا ولم يرز وجته فهناك قال لبنانه ما فعلت أمكن فقلن له الساعة كانت ها هنا فخرج يطلبها فلم يجدها ولا وجد لها خبرا فاقلقه ذلك واحزنه فقدها ولم يدر ما كان منها فزاده ذلك غما وحزنا الى حزنه (قال) وكان من خبرها انها كانت من المتر جلات البازلات وأحسن بنى كنانة حالا وأجل نسائهم ولم ترزق من مالك ولدا غير مجاشع فلما قتل بين يديها لم تجد صبرا دون ان حزمت وسطها والتفت بلامتها وتقلدت خنجرها وأخذت معها شبكة من اللؤلؤ الفاخر قد كانت ورثتها من ابيها بكر ثمنها ولا تعرف قيمتها وفى وسطها ياقوتة تضئ اذا لبسها الملابس أضاء وجهه منها لشدة شعاعها وتزايد نورها (قال) فاخذتها معها وخرجت حين انسدل الظلام ولم يعرف أحد بخروجها فانحدرت من الجبل كانها ماضية لحاجة تقضيها وأسرعت الى أن جاوزت نيران القوم ثم دارت مع السند عن مقصد القوم ولم يكن أحد يعرف بمكانها ولا كانت ظهرت لقومها فكيف لغيرهم فلما صارت على الجادة بازاء القوم من ورائهم قصدتهم فأول من بصر بها أصحاب الرصد فتسارعوا اليها فرأوا امرأة قويمة الاعتدال زائدة الجمال الحسن يضئ من معاطفها ودلائل الجمال تلوح من شمائلها وعينها تلمع تحت برقعها (فلما) نظروا اليها قالوا من أنت قالت أنا جارية من جوارى نجد أريد سيدى عمر بن حمامة فتراجع عنها الرجال محدقين بها متعجبين من أمرها فخرقت العسكر حتى وصلت الى اللعين عمر بن حمامة فلما نظر اليها حار من نضارتها وخفى عليه أمرها وقال لها من أنت يا بنت الأكابر قالت له أنت المذكور فى المفاخر وأكرم العرب من باد وحاضر وأنا امرأة من نجد من وراء الكثيب الأحمر وكان لى بعل قديم الصحبة كريم العشرة جميل الطلعة مقرى الضيفان مترع الجفان معروف بالاحسان أين ما حل من الأرض كان له فيها سائق من أكرم الكنانيين فلما صرخ الصارخ خرج بعلى عاجلا كانه الأسد فتكاثر عليه الاعداء فأصيب وكنت مع المشكلات الملومة لا ترقى لى عبرة ولا تهدى لى زفرة الى أن أخبرت بمسيرك اليهم فلم أطق صبرا عن اللحوق بذرجاء أن يسكن ما بى من جمرة الغضا وقد جئتك لتأخذ لى بثارك من العدا فقد قطعت البر وسلكت القفر ولم آمن من الهوام ولا الوحوش فى السير حتى

وصلت اليدُ وأقدمني السعد عليدُ وقد جعلت لمن يقتل غريمي مايعظم ذكره ولايحد ثمنه (قال) لها عمر بلغت وصلت فهل علمت من صاحبدُ ومدانيدُ قالت نعم أخبرني به أصحابه وعشيرته انه قتله ابن سيد هذا الحي من بني كنانة يقال له مجاشع بن مالك (فلما) سمع اللعين ذلك من مقالتها تبسم ضاحكا وقال لها لقد بلغت ثاركُ ووصلت الى مرادكُ لو كنت في يومنا هذا حاضرة لرأيته وشاهدت قتله صرعته ولو علمت بعطا لبتدُ له لم أقتله حتى أدفعه اليدُ وأنا أمرت بضرب عنقه بازاء أبيه وقومه قالت أحق ماتقول قال أجل وسأحضر لك من قتله ثم نادى أين عادبن كثير الدوسي فاسرع من بعض الجنبات حتى وصل اليه فنظرت خلوب بنت عزيز الى رجل بدين أحمر العينين كانهما علق الدم وسيفه بيده يظن انه دعي الى ملمة فنظر الى الجارية بازاء عمر واشتغل بها قلبه وملئ بها سره فقال لها عمر دونكِ وصاحبدُ هذا قاتل غريمدُ وضارب عنق مدانيدُ هذا قاتل مجاشع فاظهرت له الشجاعة وقالت لقد أزلت عن الحزينة حزنها فلك الحب على ماصنعت ولازلت لك ذاكرة أين ماتوجهت (ثم) أخرجت الشبكة التي هي اللؤلؤ من زندها فأضاء المكان من نورها فقالت هذه لك ولم يبق لك الا التمام وأنت المشهور قال لها وماتريدين ان أردت رأس أبيه يكون زيادة لقتله وجميع قومه فقالت له أيها السيد العظيم والرجل الكريم لاأريد الا رأس مجاشع ابن مالك أرح به الى قومي ليعلموا اني قد بلغت ثاري وكشفت عن عاري قال لها اني فاعل ذلك وملحق به أباه وقومه عند الصباح فامض الى الخيمة التي هنالك حتى أعود اليدُ برأس غريمدُ وقد حدثته نفسه باللعنة والغدر بها وعلى أن يغتصبها لنفسه فانصرف عدو الله الى خيمته (ثم) عاد مهرولا ووصلت هي الى الخيمة فوصل اللعين حتى أتى المعركة فاضرم نارا في الوطبس حتى ظهر له مجاشع بين القوم فأخذ اللعين رأسه وقطعه وغادر جوفرحتين فرحة بالشبكة وفرحة بالجارية فرجع وقد هجع الناس في رقدتهم لما نالهم في يومهم من التعب وهو يسرع في مشيه فحمل رأس مجاشع وهو يترنم ويقول

مبادرا خضت الدياجي طامعا ٭ وجئت بالرأس اليها طالعا
أنا قتلت في أمس مجاشعا ٭ أنا همام وهدير مانعا

(قال فلما) سمعت شعره وترنمه وثبت قائمة ورات رأس ولدها فتجددت حسرتها وتضاعفت زفرتها لما رأته وكادت أن تغلبها العبرة فتجلدت وصبرت فأخذت خنجرها في يدها ووثبت قائمة عند ماقرب منها وقالت خذ اليدُ ما استوجبت به الكرامة والصلة والحب والانعام فأنت أحق به من غيرك فدخل الخيمة فبادرته قبل دخوله بالهجمة ولم تمهله وهو مطمئن اليها فعاجلته بالخنجر في نحره وسدت منافسه الى أن ابدوخمد وسكنت حواسه فهنالك أخذت رأسه ولفته بمرطها وجعلته في زندها وأخفت خنجرها وأخذت رأس مجاشع بيدها وخرجت لوقتها وقد فشا خبرها في العسكر وسمع بها الداني والنائي فمن بصر بها لم ينكر شيأ من أمرها بل يظهر لها حزنا ويقول لها عزيز على ماتزل بكِ وقد أخذ ذلك بثاركِ فشكرتهم وهي تخترق جموعهم حتى ظهرت الى الجادة العظمى رجعت كأول أمرها وعادت نحو قومها وكان بعلها مالك قد نزل به من فقدها كل نازلة وهان لفقدها قتل ولده وتزايدت مصائبه وهو لايقر له قرار يحوم يمينا وشمالا واغتم الطفيل واشتغلت قلوب القوم وبينما هم كذلك اذ أشرفت عليهم فبصر بها أصحاب الحرس فعرفوها فتسابقوا بالبشارة الى بعلها ولم يبق أحد الا استبشر بقدمها وأسرعوا ينظرون خبرها في غيبتها وما الذي نزل بها وحبسها فكان أول من وصل اليها بعلها مالك لحرقته عليها فقال لها ما الذي غيبكِ عني قالت خير يسرك ولا يغمكِ وتلاحق به الناس وأضرمت النيران فنظروا اليها تحمل رأس ولدها مجاشع

فضجوا بالبكاء والنحيب قال لهما بعلها لم يشغلك ان رميت بنفسك في بحر الهلكة حتى جئت برأس ولدك فهل تزيدينا بذلك الا غما وهل لا تركتيه حتى ينفصل أمرنا مع القوم فان أبصرناه وارينا وان تكن الأخرى كنا معه تأكلنا الهزايم قالت ما مضيت لأجله وانما مضيت لغيره (قال) ومن غيره فأخرجت من زندها رأس عدو الله عاد الدوسي فنظر القوم اليه فعرفوه وعرفه الطفيل وكل من كان معه من دوس فحار والذلك ودهشوا لما يعلمون من شجاعته ورياسته وانه كان لا يبالي بالكتائب قلت أو جلت وجعل ينظر بعضهم الى بعض (قال) لهما مالك الا تخبرينا كيف ظفرت بعدو الله قالت وأبيك لقد اخترقت العسكر ولم أقتله الا في خيمته في وسط قومه وعشيرته ثم حدثتهم بحديثها وما دبرت من حيلتها ولم يبق في القوم الا من تعجب من فعلها وحارت الأبطال في شجاعتها فقال لها الطفيل لله أنت فائدة غير غافلة عن ثارك ولا منسوبة الى الأقطار لقد كان هذا عدو الله شيطان دوس ولعينها تروع بذكره الفرسان وتخوف به الأقران فالحمد لله الذي كفانا مؤنته على يديك ونرجو اتمام الفرحة بانصراف هؤلاء القوم عنا وشاع الخبر وسمعته الرجال والنسوان وامتلا به قلوب الرجال فرحا وسرورا (قال) وأقام الطفيل تلك الليلة مصليا وداعيا وضارعا الى الله تعالى أن يكشف عنهم ما نزل بهم ويكفيهم مؤنة عدوهم فلما مضى من الليل نصفه الأول سمعوا الضجة في عسكر المشركين والعجيج (قال) وكان من خبر القوم ان عمر بن حمامة كان قد اشتغل قلبه بالجارية زوجة مالك بن دارم وما ظهر له من فصاحتها وحسن شمائلها واعتدال قامتها وأمل أن يحوجها لنفسه فبقي مفكرا منتظرا لها لا يهنأه المنام فلما بعد عليه أمرها خشي عليها من عدو الله عاد أن يأخذها لنفسه ويغصبها على نفسها لما يعلم من شره ولعنته فصاح برجل من قومه يقال له عابد بن الهيثم وقال له انطلق الى خيمة عاد وانظر ما كان منه مع هذه المرأة وائتني بها لابعث معها من يسير بها الى أهلها فاني لا آمن عليها ان يدركها بعض أشرار القبائل فيفضحنا فيها فقد لزمنا أمرها اذ قصدت الينا ووفدت علينا (قال) فمضى عابد بن الهيثم مسرعا لذلك وكل من مر بقوم يسألونه عما قصد اليه فيأخذ خبر الجارية فيقولون انها قد مرت بنا ومضت بحال سبيلها فلما سمع عابد ذلك من القوم رجع على أثره الى عمر بن حمامة فقال له انها قد خرجت تحمل رأس مجاشع (فلما) سمع عمر ذلك عظم عليه وقال لم خالفت ما أمرناها به ثم بعث بخيل في طلبها فغابوا طويلا ثم رجعوا فأخبروه انهم لم يجدوا لها خبرا فعجب وقال ان لها أمر الابد أن نقف عليه ثم قال انطلق فأتني بعابد بن كثير فتصارخوا به فلم يجبهم فدخل بعضهم عليه في الخيمة فلقوه طريحا فذهب ليحركه وظن انه نائم فاختضبت يده في دمه فلمس رأسه فلم يجده فخرج ذاهلا صارخا ينادي ياويلكم دهيتم في ليلتكم هذه ونكبتم فقالوا ما الخبر وبمن دهينا قال صاحبكم وذي الكفين قد قتل وأخذ رأسه وأنتم لا تعلمون قال فأضرم القوم نيرانهم ودخلوا عليه في الخيمة فاذا هو مضمخ بدمائه ورأسه مقطوع فتصارخوا صراخا منكرا وسمع تعالى الأصوات من قرب ومن بعد وثار الراقد وقام القاعد وانقلب العسكر بأهله واتصل الخبر بعدو الله عمر بن حمامة فارتاع لذلك ودهش وقال لم تكن هذه المرأة طالبة لرأس مجاشع الليلة فقد جللتنا بفضيحة لا ننفك عنها أبدا اذ جسرت علينا وقتلت رجلا من أكابرنا وقطعت رأسه وخرجت بحسن الحيلة وجودة خدعتها لم يسبقها الى فعلها سابق ثم أمر أن يحمل اليه عاد فحمل على أكف الرجال وانحفل الناس من ورائه وكثر الضجيج وارتفع العجيج وكان ذلك الذي سمعه الطفيل وأصحابه فلما وضع بين يدي عمر بن حمامة قال الطمع ربما أهلك الرجال ودمر الأبطال وارو التراب فلا قتلن بقتله بني كنانة كلهم ولأسفكن دماء الرجال والنساء ولأذبحن

الأطفال على صدور امهاتهن بما فعلت هذه الذميمة بصاحبنا فلم تزل الصرخة والعويل فى عسكرهم الى أن لاح لهم ضوء الصباح فقال لهم عمر بن حمامة لا يبقى منكم فارس الا ترجل وتخفف من لامته والحقوا على الموت وكلوا هؤلاء القوم أكلا وتسلقوا اليهم تسليق الطائر واصبروا على ما لحقكم منهم من الضيم فلا صبر لى على سفك دمائهم بعد ما نالنا منهم ما نالنا ثم تقدم فى ذلك اليوم امام القوم راجلا وعليه زرد وبيضة منيعة وفى رجليه خفان وبيده حسام لامع فلما نظرت سادات القبائل ورؤساء العشائر الى عمر بن حمامة وقد ترجل ترجلت القبائل والعشائر ولم يبق منهم فارس ومالوا بأجمعهم كأنهم الجراد المنتشر بالسيوف والأعمدة والخناجر فكأنما الدنيا مالت على القوم لكثرتهم فتقدم اللعين فى خاصته وفرسان قومه وشجعان عشيرته وعن يمينه العملاق بن جرير الباهلى وعن يساره أخوه صخاب بن جرير وكانا كالبرجين العظيمين لعظمهما وهولهما ولم يكن معه أهول منظرا منهما وكان العملاق من أبناء العمالقة خلقه الله وزاد فى خلقته وأخوه صخاب فى خلقته وعظمته كانهما من بنى عاد فسار عدو الله بينهما وقد علا عليه بهولهما وسار الناس لهما تبعا وتقدم عمر بن حمامة امامهما رافعا صوته وهو يقول

كم ذا التثبط عن معاندنا ● وعصبة لم تزل غدرا تناوينا
قد آن أخذ الثارات من رجل ● أتى بعصبته حقا يكيدونا
لأسفكن دماء القوم فى عجل ● ومالك بهم لا شك مقرونا
نحن الملوك بنو عاد ومن لهم ● فى العز ياصاح أثر يرجونا

(قال وزحف) عدو الله وتقدمت الأبطال وفوق أصحاب النبل نبالهم ودنت الأبطال فلما رأى مالك ذلك من فعل القوم أقبل على الطفيل وقال هؤلاء القوم قد زحفوا للقاء وعزموا على الفناء وما أظن ان قد تخلف منهم أحد وهذا عمر بن حمامه قد زحف ما بين هذين الرجلين العظيمين المهولين ولم يبق منهم الا من لا يصلح للقتال فما الذى تراه من الرأى قال وهل لنا غير الاتكال على الله سبحانه وتعالى وانى أرى قوما قد شملهم الضعف لقلة الماء وشدة الظمأ وقد أحدق بنا هؤلاء القوم الظالمون وما يحسن ان تتركهم يصلون الى أبنائنا ونسائنا وان الموت دون ذلك مكرمة فازحف بنا اليهم فعسى الله أن ينظر الى قلتنا وضعفنا وظلم القوم لنا فينصرنا عليهم قال مالك ياخليلى قد ترى ما حل بنا والقوم طالبون هلاكنا ودمارنا فلا يصدر معنا رجل للقاء الا وقد نسى أجله وقطع أمله فالموت أهون من هتك الحريم فقال القوم لاحلنا عن منابذة القوم أو نفنى عن آخرنا فجزاهم خيرا (ثم) التفت الى النسوان وقال لهن كن فى أعلى هذا الجبل من حول الأموال فان عظم علينا الأمر فمانعن عن أنفسكن وتقدم من النساء المترجلات مثل رغلة وبهار بنت سويد وخلوب زوجة مالك وأمثالهم من النسوان اللاتى يعرفن بالبراعة والشجاعة وتحذرت الأبطال وتقدم مالك بن دارم مع شجعان قومه محزمين مشهورين وللموت طالبين فقال لهم قاتلوا بالجد والجد فهى تبلغكم ما تريدون وأبقوا النبل لوقت حاجتكم اليها ووقف الطفيل ومن معه على أقدامهم ودنا عمر بن حمامة حتى دنا من القوم فأشار الى قومه بالوقوف وتقدم هو والعملاق وصخاب يدفعان عنه ان طلبه طالب وقرب حيث يسمع كلامه (وقال) يابنى كنانة كادتنا صاحبتكم وقتلت صاحبنا غيلة وغدرا انى أقسم بذى الكفين قسما لا أحول عنه ولا أزول لأمرجن نساءكم ورجالكم ولامحون آثاركم حتى لا تعرف بين العرب قبيلتكم ألنا تخدعون وبنا تمكرون ولعدونا تنصرون وعنه تدفعون ليدخلن شؤمه عليكم اذ فقدتم به الأحياء وجاورتم أهل البلاء وحصلتم تحت الثرى (قال) فصاح به الطفيل اخسأ يا لئيم يا ابن اللئيم دون ذلك ضرب يفلق الهام ويهشم العظام فامدد عليك يازائد

الجهل فوالله ما أنا بيائس أن يجازيك الله بسوء ما عملت وكفى بفضيحتك بين العرب ما حييت وبقيت اذ عاديت عشيرتك وقبيلتك وأدانيك ولم يزل الله ينصرنا عليك ويوصلنا اليك وأنا متوقع ان ينزل الله بك نقمه ويزيل عنك نعمه وأما وعدك لهؤلاء القوم فانه سائر اليك لأنهم أكرم منك كرما وأفضل جودا وأجود فعلا حفظوا النا مالم تحفظه ورعوا النا مالم ترعوه والله من ورائك بالمرصاد فأين أنت من جند الله يرسلها اليك كما فعل مرة ومرارا (قال) فلما سمع اللعين ذلك من مقالته أشار الى قومه بالحملة وقد اغتاظ من كلامه غيظا وفار بالغضب ورمت الرماة بالنبل واختلفت الجنادل وسمع وقع الجنادل على الدرق كالبرد على الصفا وباشر عدو الله الحرب بنفسه وتقدم امامه العملاق وأخوه صحاب فقاتلا قتالا عظيما وجعل القوم يرمونهم بالجنادل وهما يزحفان طالعين لا يردهما راد ولا يصعدهما صاعد (قال) فصاح الطفيل بأصحابه أن أحدقوا عليهما الحجارة الكبار فرجعوا عن الارتقاء يزأران كانهما أسدان وقاتل عدو الله عمر بقتالهما وصبر المسلمون على ما بهم من الضعف وبذلوا مهجهم وقاتل الطفيل وولده قتالا عظيما وكذلك صفوان ووكيع ومالك بن دارم والنسوان يتصارخن بالرجال من أماكنهم يحرضنهم على القتال كل امرأة تصرخ ببعلها وابنها وأبيها وتشرف المترجلات الى الاتحدار وجعلن يصرخن ببعولتهن وجعلت رغلة تصرخ ببعلها عامر وتناديه يا خير قرين يا صاحب الخيرات أخبر الناس بقتال الشيخ الضال فأذن لي أن أهجم عليه فأسوق اليه الدمار وأجلله بالبوار فهلاك كل جنس من جنسه نخشى عليها أن تتقدم الى أبيها وصاحبه وأقسم عليها الا تبرح من موضعها فوقفت وهي تتقطع كمدا فلم تزل الحرب بينهم الى أن ذابت النفوس ووهنت المناكب وكلت السواعد واشتد بالمسلمين الظمأ والطفيل يحرض الناس على القتال ويقول الجنة الجنة بارك الله فيكم وهم قد ظهروا على عدوهم لعلوهم عليهم فهشموهم بالجنادل وشدخوهم بالحجارة وهم صابرون وعامر ينادي بالغ الأمر من أعدائكم بالظمأ فاصبروا فكأنكم بالقوم قد استسلموا اليكم أسارى فتجزروهم جزرا وتنحروهم نحرا وتحتووا على الأموال واني مسلم لكم فيما احتويتم عليه وما ملكت أيديكم من أموالهم فكان ذلك مما يحث القوم على القتال والهجمة والسبق كل يطلب الأموال والنسوان والرحائل فلم يزل القوم كذلك تارة يتلاحمون وتارة يتقهقرون فلما طال بهم الأمر ورأهم عدو الله صابرين محتسبين قد صبروا طول يومهم الى أن بدا الظلام وذهب ضوء النهار وكاد الما بهم من الضعف أن يدهموا من القتال والظمأ فرجعوا الى أماكنهم ومراكزهم فحلبوا الأموال فلم يجدوا الا اليسير من اللبن فتجرعوه جرعة فسكنوا أرماقهم وتساقطوا لما نالهم من القتال وتولى النسوان في تلك الليلة اضرام النيران والحرس فأقبل الطفيل على مالك بن دارم فقال له ان أكبر ما علينا وأعظم ما نزل بنا قلة الماء وشدة الظمأ وقد أردت أن أعقر للناس بعيرا ففكرت ان ذلك يزيدهم عطشا فلو أكلوا وشربوا لما كبر عليهم القتال ولو كان عدوهم أضعافهم فان مكاننا الحريز ووصول القوم الينا بعيد (قال) وأقبل مالك على قومه وقال يا بني كنانة لو أن لكم طاقة حتى تكابدوا الارتقاء الى أعلا الجبل ثم تصدروا الى وادي القمط وتخرجون منه الى وادي بني فالج فهناك بئر تعرفونه رجوت لكم انكم تحيوا قومكم وتغلبوا عدوكم وتصونوا نساءكم فقالوا نكابد الأمر ولو بهلاك أنفسنا واتلاف مهجتنا ثم تجرد من شبان القوم عشرة أنجاد فأخذ كل واحد منهم قربة وتنكب سيفه وسلم على القوم ثم كابدوا الارتقاء الجبل والطلوع اليه فكان صعبا منيعا فأعانهم الله عليه فلما سار وا في رأسه هان عليهم الحدور الى أسفله فأقبلوا ينحدرون حتى وصلوا الى أسفله ووصلوا الى البير فادلوا دلوهم وملؤا قربهم وشربوا وجلسوا يستريحون مما أصابهم من التعب (قال) وانهم لكذلك اذ اشرفت عليهم خيل وركب فانكروا أمرهم واستيقظوا خوفا

مما

عما نالهم وأقبل الركب الى البير قاصدين فأناخوا مطاياهم ونزل الفرسان وبصروا بالقوم فعدلوا نحوهم فقالوا لهم من أنتم قالوا نحن قوم من بنى كنانة بن خزيمة فقال لهم أحدهم أهلا بكم وسهلا ولكم منا تحية وقرب وصاحبكم مالك بن دارم المادح لصاحبنا المعرف بالاحسان سيدنا قالوا فمن صاحبكم أيها الركب العظيم والقوم الكرام قالوا صاحبنا سيد العرب والعجم المبعوث الى سائر الأمم (محمد) ابن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم (قال) فلما سمع القوم ذلك من ذكر (محمد) صلى الله عليه وسلم تطاولوا نحوهم فقال لهم مكابد بن الجهم الكنانى ياقوم ان عندنا رجلا من أصحاب (محمد) صلى الله عليه وسلم رجل كريم فى قومه عالى النسب فى عشيرته قد ارتحل بنسائه وأمواله يريد صاحبكم (محمدا) فنزل بنا وقد دهمه أعداؤه طالبين لقتله وهتك نسائه وقد منعنا عنه جهدنا وطاقتنا وقد قتل منا رجال وجدل أبطال وبالأمس قتل فى شأنه ابن سيدنا مجاشع بن مالك وقتل معه مائة من قومنا وكبرائنا ضربت أعناقهم بازائنا وصاحبكم مشرف على الهلاك وقد أحاطت بنا وبهم جموع ضاق بها الفضا قالوا ومن الرجل المطلوب قالوا الطفيل بن عامر الدوسى قالوا ومن طالبه (قال) ابن عمه عمر بن حمامة قالوا قبح الله وجه الظالم القاطع فأين تركتموه قالوا على مائنا وقد غصبونا على مائنا ونحن متحصنون فى الشامخة فلما كدنا نهلك ظمأ أرسلنا قومنا لنأتيهم بشئ من الماء يتعللون به فمن أنتم من أصحاب (محمد) قالوا هذا صاحبنا أبو عبيدة بن الجراح ونحن من أهل مكة (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة بعث بعثين من أصحابه أحدهما مع عمه حمزة والآخر مع أبى عبيدة بن الجراح وكان بعثهما فى يوم واحد وبنو هاشم يقولون ان أول بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الساحل وقالت بنو زهرة أول بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى عبيدة فاختلفوا فى ذلك وحمزة رضى الله عنه بين بيانا ان أول بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة كان هو فرجعوا ولم يكن فيهما من لقى حربا ولا كيدا وكان أبو عبيدة رضى الله عنه راجعا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما) وصل الى البئر وجد عليه القوم من بنى كنانة كما تقدم وحدثوه بما هم فيه (قال) فلما سمع أبو عبيدة مقالة القوم أقبل على من معه من قومه فقال معاشر الناس انه قد وجب علينا نصرة صاحبكم وخلاصه من يد عدوه ان وجدنا الى ذلك سبيلا مع ان القوم قد ذكروا ان عدو الله فى جيش عظيم وجمع كبير (ثم) قال للكنانيين يكون عمر بن حمامة فى ألف فارس قالوا وما ألف فارس وما عشرة آلاف انه لم يترك من قبائل العرب أحدا الا وقد ندبه وهو فى جمع كبير قال أبو عبيدة انا لله وانا اليه راجعون اما انه لو من الله علينا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة لرجونا أن نؤثر فى القوم أثرا (قال) فما كانت الا هنيهة اذ أشرف حمزة رضى الله عنه فى أصحابه فلما دنا من البير أحس بهم فتأهب لهم وتأهب أبو عبيدة لما أتاهم وكل واحد منهم قد استراب من صاحبه فنادى أبو عبيدة بشعاره فعلم حمزة انهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم بعضهم على بعض وشكا أبو عبيدة لحمزة رضى الله عنه ما حل بالطفيل ومن معه من الضنك والضيق والحصار والشدة والاضرار والظما والقتال (قال فلما) سمع حمزة ذلك قال صاحبنا ورب الكعبة لقد لقى كل عظيمة أما ان عدو الله عمر بن حمامة لأعرف الناس بنا قال أبو عبيدة انه فى جموع كثيرة قال حمزة لو انه فى جموع أهل الأرض جميعا ان الله أكثر منه عددا وهو القادر على ان لا يبقى منهم أحدا ثم ان حمزة رضى الله عنه قال للكنانيين انطلقوا الى قومكم وبشروهم بقدومنا واقرأوا على الطفيل سلامنا وأخبروه انا سنأتيه من جنبة عدوه فى غداة غد ان شاء الله قال فرجع القوم على أثرهم لا يخامرهم بشئ مما ذكر لهم حمزة لما يرون من قلة القوم وأقبل الكنانيون فكابدوا الطلوع لما نالهم فى ذلك أكثر مما نالهم فى انحدارهم لصعوبة

المرتقى وحملوا الماء حتى وصلوا الى قومهم ففرحوا بهم فقال لهم مالك بن دارم لله دركم من فتية أحييتم قومهم (قال) الطفيل لقد جلبتم لنا فرحة وأزلتم عنا ترحة قال لهم مكايد بن الجهم أعظم من هذه فرحة جئنا لكم بها قال وما هى قال هذا عم (محمد) صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب قد جاءكم فى جموع قال فلما سمع الطفيل ذلك كاد أن يغشى عليه من الفرح وقال له أحق ما تقول قال نالله ما تقول الا حقا وانه يقرئك السلام ويقول لك انه فى غداة غد يأتى من جنبة عدوك الا انه لا يخامرنا بشئ مما ذكرلانه فى شرذمة قليلة قال الطفيل ابشروا معاشر الناس فلو كان هو وحده لكانت فيه كفاية وان هيبته تذهل العقول فمن معه من أصحاب (محمد) قال مكايد معه رجل يقال له أبو عبيدة ابن الجراح وقوم لا نعرفهم بعد قال الطفيل نصرنا ورب الكعبة وتباشر القوم وذاع الخبر وفشا فى الناس واستبشر النسوان والولدان وشربوا من الماء ونحر لهم الطفيل فزادوا نشاطا ما كانوا فواحدة لقوة أرواحهم بالماء وثانية لما يؤمله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا أسرع الى المبادرة من المشركين عند الصباح فقال عمر بن حمامة انى أرى القوم أنشط مما كانوا بالأمس فقال له العملاق انهم يظهرون الجلد ويخفون الكمد (ثم) نهض اليهم عدو الله بحملته وهو راجل وزحف القوم بأجمعهم مبادرين واشتغل الحرب بينهم وترامو ابالحجارة والنبل وكان يوما عظيما وعدو الله أطمع ما كان فى القوم وهو لا يظن الا أن الطفيل ومن معه قد حصلوا فى يده اذ وقع الصوت فى عسكر المشركين فالتفتوا ينظرون ما هو اذ رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حازوا عسكرهم بأسره وقتلوا من وجدوا فيه وسبقوا الى المضيق فملكوه وكبروا برفيع أصواتهم فأجابهم الطفيل ومن معه بالتكبير فرجع عدو الله ذاهلا عما طرقه حتى أتى المضيق فحقق نظره فاذا هو بحمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاثما وحوله أبطال أصحابه فحار لما أبصر ودهش وطار عقله وجعل يعرك عينيه ويقول أنائم أم يقظان قال هيهات بل انت يقظان فأيقن عدو الله بالهلاك وقال وقعنا وذى الكفين بين حجر بن دامغين أين المفر من بنى هاشم وارتكبه الطفيل ومن معه من الكنانيين (فلما) ضاقت عليهم الأرض جزعا ولم يدر من أين أتوا اليه ولا كيف هجموا عليه (قال الراوى) للحديث وكان حمزة رضى الله عنه لما أخبره الكنانيون بما هم فيه من حصار عمر بن حمامة وقتاله قال لابى عبيدة ان كنا لنضرب أعداءنا فى سفرنا هذا فارجو الله سبحانه أن لا يخيبنا من جهاد الأعداء وهؤلاء قوم وجبت علينا حقوقهم لان سيدهم وفدا الينا وآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا قومه الى الاسلام فناله منهم ما ناله وما خفى عليكم ما ناله من قريش بمكة والآن فقد جمع عمر بن حمامة هذه الجموع ولحق به وهو يريد الهجرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ساقنا الله اليه وما يحسن بنا أن نسلمه فما ترون من الرأى (قال) أبو عبيدة رحمه الله أنت صاحب الأمر وأنت أولى بالمشورة منى وانا سامع لك مطيع فما أمرت به لا نخالف أمرك فجزاه خيرا وشاور من معه من أصحابه فكل رد الأمر اليه قال حمزة نشرف على القوم ثم نرى أمرنا فنفعل ما رأيناه رشدا ثم رحل تلك الليلة وعرج نحو المشركين وأشرف على عسكرهم عند الصباح فاخفوا مكانهم فى مهبط هناك وبعث حمزة برجل من قومه فاخذ لهم خبر القوم ثم عاد فقال رأيت عسكرا عظيما لم أر مثله لكسرى ولا لقيصر قد ملأ الأرض وسد الاودية فلما أصبحوا بادروا الى الحرب فلم يرا الا سيفا يلمع ودرعا يسطع كأنما الدنيا لبست حديدا فصاح عليه حمزة ثم سار بنفسه حتى أشرف على القوم وكانوا قد نهضوا نحو الطفيل على أرجلهم وتركوا خيلهم فى عسكرهم وسوادهم وراء ظهورهم فلما عاين حمزة ذلك سره ثم حقق بصره فرأى الطفيل وأصحابه والكنانيين قد انحدروا واحدقوا وأخذوا مصعدا وهم انشط للحرب ما كانوا وعاين المشركون وهم قد دهشوا ووهنوا فقال حمزة هلاك القوم من هذا المضيق

فرجع حمزة الى أصحابه مستبشرا فقال أبو عبيدة أضحك الله سنك يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تخبرنا ما الخبر (قال) خير يسرك ويسر أصحابك والقوم طعمة لكم وأول ما تغنمون عسكرهم وسوادهم وخيلهم لانهم تركوها خلف ظهورهم وتسابقوا باجمعهم رجالة فهو أقرب لدمارهم ان شاء الله ثم اقبل على أبي عبيدة وقال له سر بأصحابك الى هذه الجنبة فهاأنا في الجنبة الاخرى ولا تشغل قلبك بالعسكر ولا بما فيه فليس فيه مانع ولا دافع واسبق الى هذه الضيقة فانها تهلك القوم ان شاء الله ثم ان حمزة خرج من جنبة وثار أبو عبيدة من الجنبة الاخرى وتصارخ القوم بالتكبير وأطلقوا أعنة الخيل وأزمة المطى ولم يمنعهم من العسكر مانع بل تهارب كل من بقي فيه يمينا وشمالا وسبق كل واحد منهم الى الضيقة فملكوها وملكوا العسكر باسره فهنالك أعلنوا بالتكبير (قال) فلما نظر عدو الله عمر ابن حمامة الى ما رمى به وراى عسكره قد ملك عليه والمضيق قد سد بالرجال وعاين حمزة وحوله الابطال والاقيال أيقن بالهلاك وانسدت عليه المذاهب ونظر الى الطفيل وقد زحف ذاهلا صابرا وماج الناس كالبحر اذا تلاطمت أمواجه واذا هو بالعملاق وأخيه صخاب يزأران كانهما أسدان فقال له العملاق ما اذهلك وما أدهشك جزعا من هؤلاء النفر الذين طرقونا وما الفكرة فيهم قال له عمر وانا اعلم من القوم ما لا تعلمون وقد أخبرت من خبرهم ما لم تخبروا وهم أساس الحرب قد عرفوه ومارسوه واختبروه ولهم هيبة في قلوب العرب جميعا قال العملاق فانا لانهم جميعا ولا نكترث بهم وفي أحدنا كفاية فاجمع الناس اليك واتركني أتاولهم فكفيك أمر القوم جميعا قال عمر بن حمامة لئن كفيتني مؤنة هؤلاء القوم وزاحمتموهم وطردتموهم عن أماكنهم من عسكرنا الذي ملكوه فلكما ما معي من نجائب وكتائب وسبائك ذهب وفضة فهو لكما قال العملاق فكن في مكانك ترى عجبا فجمع عمر بن حمامة الناس اليه وأمرهم أن يكالحوا عن أنفسهم الطفيل وبنى كنانة وقد انكسر قلبه وذهل لبه برؤية حمزة رضي الله عنه ودلف العملاق وأخوه نحو حمزة فلما أن قرب منه تقدم العملاق امام أخيه وقال يا أيها العصابة المغرورة بنفسها جاءت الى هلاكها ومرامي تلفها ما الذي تريدون وما أنتم طالبون أترون انه يخطر ببالكم أنه يلحقنا منكم شر ولو أخذ كل واحد منا فجوا الطرق فنا كم به فان كان غرضكم الطعام أعطيناكم وان سألتم سؤال الوافد أفدناكم وان طلبتم الطريق أرشدناكم فما تريدون فقال حمزة يا ويلك والويل لابيك والهم اليك أما الطعام فالقليل منه يجزينا والكثير يكفينا ولربما أقام أحدنا اليوم واليومين لا يطعم طعاما ولا يدركه من ذلك ضرر وأفئدتنا راوية وما بنا ظمأ ونحن سؤال الله نسئله الرحمة وأما ارشادكم لنا الى الطريق فمن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له ولسنا نطلب الا دماركم وفناءكم (قال) فلما سمع العملاق ذلك من مقالته زحف اليه كانه قطعة جبل لعظم خلقته وهوله وكبر جثته وهو يهز صمصامة عريضة لا يطيق حملها الا الجلد من الرجال وصاح دونك يا كثير الكلام لتنظر أينا يجرع كاس الحمام فدلف نحوه وتلقاه حمزة رضي الله عنه بيقظته وقد انكشف بالغضب وهو يهدر كالجمل الهائج وعدو الله العملاق لا يظن الا أن حمزة في يده وأنه قادر عليه وقد صرف الناس وجوههم اليهما فتضارا باضربا منكرا فوصل حمزة في بعض جولاته اليه فضربه تحت حرف الدرقة على ساقيه فرماهما من ركبتيه فسقط عدو الله الى الارض كالنخلة السحوق لطوله فلم يمهله ان ثنى عليه بضربة أخرى على عاتقه كشف عن علائق قلبه فهلك عدو الله لوقته واذا بالصراخ قد أخذ حمزة من كل جانب فالتفت فاذا بصخاب أخي العملاق وقد دهمه بكلكله وغشيه بسيفه حين نظر الى حمزة قد أجهز على أخيه فطلب غرته وهجم عليه تحت غفلته وهو مشتغل بقتل أخيه فوثب مسرعا فتزاعق المسلمون بحمزة رضي الله عنه فما استفاق حتى غشيه كانه البرق فاعتدل حمزة عن الضربة الى أن جاوزته ولم يمهل عدو الله

صحاب حمزة الخطاب ولا الجواب دون أن ناضلة وتابعه بحملته ودار كهبهجمته وقد غاظه مارأى من أخيه وثارت حسرته فقاتل قتالا عظيما وضرب ضربا شديدا وظهر لحمزة منه مالم يظهر له من قتل أخيه ومال على حمزة وطمع فيه فلما نظر حمزة رضى الله عنه الى ذلك عرف ما عنده فتشاغل فى خطابه وأظهر التلبد والدهشة فطمع عدو الله فيه وداخله ليقبض عليه فهز حمزة درقته الرامقة فى وجهه فلم يرعه ذلك ولا أكثرث به وكانت درقة حمزة من الحديد الصينى مغشاة بجلد بعير مكوكبة وكان زنتها ستين منى هى رطلا بالمكى وكان فيها حلقات كثيرة اذا هزها يسمع لها دوى عظيم كالرعد القاصف وكان يرمى بها الفارس فيهلكه ويضرب بها هامته فيدمغه لا يطيق حملها الا البطل الشديد فلما حمل عدو الله صحاب عليه يريد أن يقتنصه بزعمه وهو لا يشك أنه قد حصل فى يده لما يرى من تقصيره حتى اذا داخله جمع عليه حمزة درقته وزجها اليه فسمع لها دوى وخفيق وصادفت عدو الله فانصدع من صدمتها ووثب حمزة وثبة وصل بها اليه وضربه ضربة على مفرق رأسه فلق هامته فانجدل صريعا وعجل الله بروحه الى النار فكبر حمزة عند قتله وأصحابه وأجابهم الطفيل ومن معه بالتكبير وقصر المشركون عن الدنو نحو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظروا الى العملاق وأخيه قد قتلا وعلموا ان ليس لهم طاقة بالقوم ولا من يقوم مقامهما وحمل عدو الله عمر بن حمامة بالناس حملة منكرة وطلب أن يزيل حمزة ومن معه عن أماكنهم فلم يتمكنوا من ذلك فانكسرت قلوب المشركين وجزعوا جزعا شديدا فامسكوا عن القتال يومهم ذلك الى أن مضى النهار وانسدل الظلام فتشاور عدو الله عمر بن حمامة ومن معه فى أمر حمزة وأصحابه فلم ير فى القوم الا هلع وجزع فامسك حتى اذا مضى من الليل شطره الأول خرج منفردا بنفسه حتى أتى الى هفوة فهوى يريد الخروج من المضيق فسمع ناس من أصحابه خشخشة فى الصخور الى أن سقط الى الوادى وقد تهشم وانجرح أكثر جسده فلما نظر أصحابه فعلوا كفعلته وبقوا يلقون أنفسهم خلفه فى الليل فى تلك الهوة فبقى يسقط على بعض بعضهم وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلمون بشئ من ذلك والطفيل ومن معه حول نسوانهم متعالين والمشركون يتبع بعضهم بعضا فهلك منهم خلق كثير ونجا آخرون واقبل من نجا منهم الى عسكرهم فاستوا على ظهور خيولهم وخرجوا فى الليل هربا وعدو الله عمر لا يصدق بنجاته حزين وذهب ماله وتلف عسكره واحترق الى آخر دهره ونبتت فرقة من قومه فى أماكنهم اشفقوا على أنفسهم واجمعوا أن يسئلوا الطفيل أن يصفح عنهم ويهب لهم زلتهم وقد مضى من الليل أكثره وبقى أيسره فباتوا أشر ليلة ينتظرون الصباح قال فلما برق ضياء الفجر نظر حمزة الى العسكر قد نفروا وما بقى الا أقله فلم يخف عليه ذلك وقال ما أظن للقوم مجازا الا علينا فيا ليت شعرى قال وانكشف ذلك للطفيل ومن معه فتصايحوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منكرين لما ظهر لهم قال ومال من بقى من المشركين نحو الطفيل يسئلونه الصفح عنهم وجعلوا يحلفون له ويقسمون عليه بحق (محمد) صلى الله عليه وسلم أن يهب لهم أرواحهم وكان الطفيل رحمه الله رقيق القلب فبكوا فى وجهه واقسموا الا يتعرضوا له أبدا ولم يكن مرادهم فصفح لهم دماءهم فقال حمزة رضى الله عنه قد وهبنا صفحنا فاطلق لهم السبيل ووهب لهم خيولهم وسلاحهم ورحالهم وسال الطفيل حمزة رضى الله عنه عن خبره فاخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه وبعث أبا عبيدة فى الوجهين فقال له حمزة ما يوقفك عن المسير معنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هذا مالك ابن دارم قد واسانا بنفسه وأصيب بولده وأنا أحب أن أعاضده ويعاضدنى فودعه حمزة وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين ورجعوا الى المدينة (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله حدثنا أشياخنا وأسلافنا الرواة لهذا الحديث انه لما انقذ الله الطفيل مع مالك بن دارم أقام معهم على ماء بنى كنانة

وضرب أبياته وأرسل أمواله مع أموالهم فلم يتعرض له أحد وكان يكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع أحواله فبقى كذلك الى أن غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة بدر وغزوة الخندق والطفيل مع بنى كنانة وكانت قريش لما خربت الاحزاب وجندت الجنود حين غزوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الخندق وهموا أن يرجعوا الى الطفيل قال لهم أبو سفيان بن حرب اتركوه حتى نفصل أمرنا مع (محمد) فردهم الله عن نبيه بغيظهم لم ينالوا خيرا وكان أكبر همهم فى رجوعهم نجاتهم بانفسهم قال فلما ذكر ذلك للطفيل أقبل الى مالك بن دارم فقال يا خليلى انى قد اشتقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحببت أن أكون فى جواره وتحت كنفه ولو كنت معه لغزوت هذه الغزوات التى سمعنا بها وقد أردت أن أجاهد امامه قبل الموت قال له مالك بن دارم فانى لاحق بك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكون لك تبعا وأخا قال فسلم الطفيل على بنى كنانة وهو فى عشيرته وقومه وهو فى ثمانين بيتا فلما قرب من المدينة وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد خرج فى أصحابه الى غزوة خيبر فلم يبق فى المدينة الا أقل أصحابه فبعث الطفيل نحو أصحابه يستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الدخول الى المدينة فرجع اليه فاخبره انه قد خرج الى خيبر لغزو اليهود فسار بمن معه حتى أشرف على المدينة وقد سبق اليهما الخبر بقدومه وكان الطفيل كبير الاسم فلم يبق فى المدينة أحد من الصحابة الا خرج لاستقباله حتى خرج الصبيان والنسوان وخرج المنافقون (قال) فاقبل الطفيل على قومه وقال لهم اظهروا زينتكم والبسوا أفخر ثيابكم فان الله قد شرفكم بالاسلام وقد خرج أهل المدينة لاستقبالكم قال فلبس القوم الحرير والديباج وتعمموا بالعمائم المختلفة الالوان وأشهروا الرايات الملونة وأفرغوا عليهم الدروع والجواسق وتلثموا بعمائمهم والتحفوا بالاردية العراقية وزينوا مطاياهم ونجائبهم واسبلوا سجف الحرير على هوادجهم ولمعت القباب باهلة الذهب والفضة ولبس العبيد الثياب المعصفرة والعمائم المشهرة وتقدم الطفيل رحمه الله فى أوائلهم والقوم من ورائه وولده عن يمينه وخليله صفوان عن شماله وأكابر دوس مثل وكيع والخضخاض وأبو هريرة وأمثالهم محدقون فلما وصل الى المدينة تعجب الناس من زينتهم وجمالهم وكثرة أموالهم فسلم الطفيل عليهم وسلم القوم بعضهم على بعض فاظهروا له البشاشة والاكرام ورحبوا به وعظموه وسألهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انه قد خرج غازيا الى حصون اليهود بخيبر فضرب الطفيل أبياته خارج المدينة وجمع أمواله وأناخ أباعره وحط هوادجه وجاءت نساء المدينة الى نسوان الطفيل يسلمون عليهن فنزل الطفيل بمن معه وأحدق به أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عما كان منه وما نمى به من قومه فجعل يحدثهم فقالوا له أخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال صاحب الحديث) فلما انصرف الناس عن الطفيل اقبل على قومه وقال لهم أيها الناس انما لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم لنكون معه فى السفر والحضر فهل ترون أن نلحق به فعسى أن لا يحرمنا الله من أجر الجهاد فقال له قومه ما نكره ان نكون فى جمع يكون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جن عليه الليل دعا بولده وخليله صفوان وقال لصفوان يا خير خليل انك لن تزل مساعدا فى الشدائد وأنت خليفتى فى أهلى ومالى حتى نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ومارزقنى الله فى سفرى من الثواب فانت مشاركى فيه ولك مثل مالى قال صفوان انى أحب أن أكون معكم ولكنى لا أقدر أن أخالف وأنا أخلفك فى الاهل والمال الى أن تعود سالما ان شاء الله (قال) فامر الطفيل الناس بالاهبة والاستعداد والمسير فى غداة غد وقال لا يسير معنا رجل ضعيف فان هذا أول مشهد نشهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فى أهبتهم واصلاح شأنهم حتى اذا أصبحوا صاح بهم بالرحيل فخرج القوم فى أكمل زينة وأحسن أهبة بالدروع والجواسق والبيض والمغافر

على الخيل العتاق والسمر الرقاق فتعجب أهل المدينة من زينتهم وسألوهم عن مقصدهم فقال لهم الطفيل انى لاحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خلفت أهلى ومالى بين أظهركم وجواركم فأوصيكم بهم فاجابه القوم واحسنوا جوابه وسار الطفيل وخرج صفوان لتوديعه وكانت رغلة قد سالت بعلها عامر فى المسير فشاوره فاباه وقال نخشى أن تقع بنا اللائمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لا يسمح بخروج النسوان ولكن دعها فى هذه الغزوة حتى نشاور فى ذلك فعظم ذلك عليها وكانت تجد ببعلها وجدا شديدا لا تجد عنه صبرا فلما استقام بهم السير تقدم الطفيل امامهم وهو يقول

قد آن أن نطفى نارا فى الحشا ضرمت • ونخمدها بالصارم الذكر
قد مسنا الضر منهم فى القديم وقد • آن الجزاء لما أولوا من الضرر
جدوا بنا معشر الاخوان واجتهدوا • حتى نرى وجه خير الناس كالقمر
وخير من وضعت حوا ومن ولدت • (محمد) المصطفى المبعوث من مضر

(قال) وسار الطفيل يجد السير حتى أشرف على عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لحصون يهود خيبر فلما نظر الناس الى الغبرة وقد أشرفت عليهم وتحتها الخيل والمطى أنكر الناس ذلك فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا رسول الله خيل قد أقبلت الينا ولا شك انها من أعدائنا فاقبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال يا رسول الله ألا تأمرنا بالمبادرة نحو هذه الغبرة التى أشرفت علينا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم مهلا يا ابن الخطاب شكر الله فضلك وان شئت أن تمضى لاستقبالهم فافعل فانهم اخوانك هذا الطفيل بن عامر فى رجال من دوس قد جاءك نصرة نبيك فمن شاء فليستقبلهم فقد أخبرنى جبريل عليه السلام بخبرهم فلما سمع عمر ذلك من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم لاستقبالهم فكان أول من سبق الى القوم على بن أبى طالب ثم بنو هاشم والمهاجرون والأنصار فرحبوا بهم وسلموا عليهم وساروا معهم حتى أشرفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبادر القوم لاستقبالهم فعجب اليهود من ذلك وقالوا من هؤلاء الذين عظمهم (محمد) صلى الله عليهم وسلم واستقبالهم فلما نظر الطفيل الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله الكتيبة الخضراء من المهاجرين والأنصار رمى بنفسه عن جواده فقال له النبى صلى الله عليه وسلم مهلا يا طفيل انه ليس من شأن أنبياء الله التكبر فسلم عليه وقال له كيف كنت بعدى على كثرة المحن فقال صابر شاكر ورب لى ناصر وأنا بربى كنت لم أخل من نصر الله لى سبحانه وتعالى على أعدائه وانى شاكر لعمومتك وعشيرتك لما أولونى بعد فراقك من الدفاع عنى والمنع ثم ذكر له رجلا من خير القوم وهو مالك ابن دارم الكنانى فهو من أشوق الناس اليك وأحبهم فيك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما فعل خليلك صفوان وأنتما فى الجنة اخوان فقال يا رسول الله خلفته على الأهل والمال وحفظ السرح فقال نعم الخليل والصديق صفوان ثم قال له لو كنت فى المدينة ما تركت النسوان فى الفضاء فقال الطفيل بابى أنت وأمى من حل بجوارك فقد أمن فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان المعاندين والحساد كثيرون وأعداؤنا حول المدينة مغيرون وانى أخاف أن يطرق صاحبتك من بعدك طارق أو يعوقه عائق فاشتغل قلبه فقال هل جاءك خبر يا رسول الله من السماء فقال جاءنى جبريل عليه السلام بامر يكيد الله فيه من كادك ويوكس فيه من أرادك فلا تخف على أهلك ومالك فلا تنكب فيهم بنكبة ان شاء الله فانشرح الطفيل لقول النبى صلى الله عليه وسلم الا أنه مشغول القلب بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله هذا ما كان من خبر الطفيل بن عامر رحمه الله وأما ما كان من مشركى قريش بعد غيبة الطفيل ورحيله عنهم الى المدينة لما ردهم الله يوم الاحزاب خائبين لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ودخلوا مكة

مفترقين فقال اللعين صفوان بن أمية يامعشر قريش الم تزعموا أنكم تعدلون الى الطفيل فتأخذوا منه بثاركم فتقتلوه هو ومن معه وتغنموا أمواله وتأخذون نسوانه فقال أبو سفيان انا شغلنا عنه بانفسنا وما الدهر بيوم فابعثوا من يعرفكم بخبر الطفيل فاتصل بهم انه قد ارتحل الى المدينة فقالوا قد حصل فى جوار (محمد) فقال أبو سفيان دعوه وما اختاره لنفسه فقد رأيتم ما نالكم من جنبته فقالوا الاصبر لنا على الطفيل بعد ما نالنا منه ذلك وقال مساور بن الغضبان المخزومى وكان ابن عم نضلة بن حزام المخزومى الذى قتله الطفيل فى بادية الأمر ان كان قد حصل فى جوار (محمد) فان هنالك من يرمقه رمقة الأسد الى أن يجد له فرصة فيقتله و يأخذ ماله وان لم يجد له وصولا لم تبعد عليه حيلة يحتال بها عليه يهلكه بها و يتلفه وهو عبد الله بن أبى ابن سلول قالوا فما كتبوا له كتابا واجعلوا له جعلا فكتبوا كتابا يقولون فيه باسمك اللهم من أهل مكة وقريش جميعا ممن خالف (محمدا) بما جاء من سب الآلهة التى عبدها آباؤنا الاولون وأسلافنا الاقدمون الى عبد الله بن أبى ابن سلول حليف أهل الكتاب أما بعد فانا وأنت فى هذا الأمر سواء وفى معاداة (محمد) وقد جهدنا أن نصل اليه فما وصلنا وتركناه اليوم تخمد فيه ناره ونقتل فيه انصاره وكل دولة لها اشتعال ثم تطفى نارها وأعظم ما حل بنا من (محمد) رجل من دوس وقد علينا فاصدا فاستقبله (محمد) فبسط يده الينا وقتل منا رجالا وكانت بيننا و بينه أمور يطول شرحها وقد أفنى قومه وعشيرته وهو الطفيل بن عامر الدوسى وقد نزل فى ديارك وحصل فى جوارك ومعه أموال قد أخذها من العرب تضيق بها وتعز عن الاحصائها وغصبها غصبا وهى لك ولمن يعينك على هذا الأمر العظيم الذى يرضى الالهة والسادات ومنا الاكرام والانعام لمن ولى هذا الأمر فاجمع حيلك ومكرك الى أن تصل الى قتله فتسرنا بذلك فمثلك من يصلح للشدايد ويدفع الاوابد ثم طوى الكتاب وختمه فقالوا من يوصل الكتاب فلم يكن فى القوم من يجسر على الدخول الى المدينة لما بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة وما كان بينهم فى الأمس فى غزوة الخندق فكل يخاف على نفسه من ذلك فقالوا الا يوصله الا رجل من أهل الكتاب تنظرون من يهود المدينة أحدا ذا أتوا الى مكة بمتجر أو بضاعة فتدفعوا اليه كتابكم فقال سفيه من سفهاء القوم هذا عمران بن يزيد اليهودى عندكم وهو من يهود المدينة يعظمه يهود خيبر ويهود الشام وهو كثير المال واسع الحال وقد قدم بأباعر و تجائر فان شئتم فاطلعوه على هذا الأمر فانه يبلغكم ما تريدون وفوق ما تحبون فقالوا أصبت اما انه رجل خبير فى تدبيره وشجاعته و براعته و بعد ذلك فانه أحرص الناس الى اطفاء هذه النار التى بيننا و بين (محمد) قال فاسرع القوم اليه واحضروه وهو لا يعلم لما دعوه فلما استقر بهم الجلوس اقبل عليه مساور بن الغضبان المخزومى وقال يا عمران انا دعوناك الى ما أنت أحق به منا وأولى من جماعتنا فان تهاونت به فلا تأمن عوائقه ولك ولقومك فيه شفاء فقال عمران يا آل غالب اكشفوا لى عن هذا الأمر وحقيقته فقال له قد علمت ما جرى بيننا و بين (محمد) وهو منا والينا وأقرب نسبا الينا لم يرع حق عمومته وأقاربه كيف يرعى حق المن هو ناء عن نسبه بعيد عن حسبه فانه لا تطمئن به الدار حتى يقطع شرفكم وقد كان يوم أعاننا منكم رجال والى رجال أملنا بهم و بغيرهم الوصول اليه وقد اتصل بنا انه عزم على غزوهم فى حصونهم وأنت أولى من دبر عن قومك وعشيرتك فقال عمران يا آل غالب الذى تطلبونه بعيد والوصول اليه صعب شديد وانى لاحرص الناس الى ما ذكرتم وأشهى الى ما طلبتم غير انه من مد يده الى السماء ليصلها افنى عمره كمدا وانقطع أمله حسرة (ومحمد) قد كثر أصحابه وعظم أمره وتعاظم شره وحذرته العرب وأهل الكتاب من يوم وقعة بدر وافنى من أكابركم وقد صال بهذا الغلام على بن أبى طالب مفنى أبطالكم وساداتكم يوم بدر وقاتل فتى لقريش يوم الهبيش عمر بن عبدود العامرى فمن يطيق هذا الغلام وما أنا

ممن ينكر فضلكم ولا يجحد حقكم وانى أشهى الناس الى ذلك فقال له مساور انك لن تدعى الى قتال (محمد) ولا ابن عمه والأمر الذى دعوناك اليه قريب فقال عمران اكشفوا لى حقيقته فحدثه بحديثه مع الطفيل بن عامر وما كان منه من بادية أمره الى آخره (ثم) قال له وانه قد نزل بيثرب وانه لا يأوى الى الأوطان ولا يسكن الجدران لكثرة أمواله وسرحه وأغنامه وقد كتبنا كتابا الى صاحبنا وهو حليفكم وجاركم وهو عبد الله بن أبى ابن سلول ليكون لنا على هذا الأمر معينا ونصيرا وهو رجل لا يقصر فيما سألناه وقد أردنا أن تكون حامل كتابنا اليه وتكون له معينا على قتل الطفيل وولده وتنكبوه فى أهله وماله وتدبروا عليه حيلة يكون فيها فقده وتتخذون بذلك عندنا يدا ولم نعرضك (لمحمد) ولا لابن عمه وهذا هو الأمر الذى دعوناك اليه فلما سمع عمران ذلك قال اما هذا فهين غير بعيد وان كان صاحبنا عبد الله مطاعا لكم فى ذلك فأنا معين له على هذا الأمر بقومى وعشيرتى ومالى حتى أوصلكم الى ما تريدون ولا بد لى ان أروع محمدا وابن عمه وأدبر أمرا انكبه فيه يتحدث به باقى عمره فقالوا له هذا الذى رجوناه منك فأخذ الكتاب وخرج من عندهم وهم أسر ما كانوا بما وعدهم فقال مساور بن الغضبان لا تمضى الا أيام وليال الا وقد أتاكم من خبره ما تسرون به ثم ان عدو الله عمران اليهودى أقام أمره وانجز شغله وسوى ما أراد وأمسى وليس له عائق يعوقه فلما كان عند الصباح ارتحل بتجارته وخرج من القوم ناس يشيعونه ويجددون عليه الوصية الى أن غاب عنهم وعن حرمهم فسلموا عليه وودعوه ورجعوا وسار عمران اليهودى الى أن أشرف على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت اليهود لاستقباله حين أخبروا به فسألهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه انه خرج غازيا الى قومه بخيبر لما نقضوا ما كان بينهم وبينه ومعاونتهم لقريش يوم الاحزاب وبكوا فى وجهه حزنا على قومهم فقال لهم يا بنى اسرائيل ما هذا البكاء اصبروا كما صبر من قبلكم من الأحبار على عداوة الأشرار فلما أشرف على جدران المدينة نظر الى أبيات الطفيل بن عامر ومركزه بالبعد من المدينة فقال من نزل عليكم فقالوا رجل من العرب وفد على (محمد) بأهله وماله وعشيرته من دوس يقال له الطفيل بن عامر فقال اللعين عمران انا لنرجوا أن نكفى مؤنته وشره ونرزق من خيره ولم يكشف لهم عن الخبر خوفا ان يذاع الخبر فقال لهم وأين هذا الرجل فقالوا له قد لحق (بمحمد) ومن معه وترك نسوانه وأهله وماله مع رجل من قومه ففرح بذلك واستبشر وكتم ذلك الى أن دخل المدينة وأقبل الى منزله وضم أمواله ورفع أحواله وبقى بقية يومه ذلك وقد زاد عناد اللطفيل بن عامر للحوقه برسول الله صلى الله عليه وسلم وغزوه لقومه فلما انسدل الظلام خرج فى الليل الى منزل عبد الله بن أبى ابن سلول فوجد عنده اثنى عشر رجلا من المنافقين وقد دعاهم يأكلون ويشربون فلما دخل اليهودى قام القوم كلهم قياما له وسلموا عليه وأجلسوه الى جانب عدو الله عبد الله بن أبى ابن سلول فقالوا ما منعنا أن نأتى لنسلم عليك الا ما تعلم بيننا وبين هؤلاء القوم من البغض والكيد فخشينا ان نأتيك فينكر ذلك علينا ولقد أشرفت يثرب بطلعتك وأنارت بقدومك فأكلوا وأكل معهم وجعل ينظر الى عبد الله بن أبى ابن سلول ليخاطبه فخشى أن يكون من القوم من يذيع سره فيؤل أمره الى خسران فلما مضى من الليل ثلثه قال له عبد الله يا عمران انك حليف لنا فهل من حاجة فنقضيها قال عمران لعمرى انها لأكبر حاجة وأكبر المنال النظر الى غرتك وغرة قومك ومع ذلك فانى قد حملت اليك كتابا من الحرم من قريش ثم رمى به اليه ففكه وقرأه فلما أتى على آخره وفهم ما فيه ابتهج فرحا وسرورا فقال هل دعيت الى ما دعيت أناله فقال كلنا فى الأمر سواء وفى المسئلة اكفاء فهل هنا من يكثر كلاما أو يذيع سرا ويخشى من جنبته قال ما ضم جدار هذا البيت الا من هو باغض (لمحمد) ومحب لقتله ان وصل الى ذلك فاكشف الأمر على ما سألته قريش وما بذلوه له ولمن

أمانه على ذلك من مال الطفيل فقال ما أحضرت قومي في هذه الليلة الا بما اعتراني من ضيق الصدر وقلة الصبر بما نزل من هذا وقد كنا نجامله ونتاركه بتخليط كلامه حتى اتصل بنا انه غزى حلفاءنا وجيراننا وقد أردنا أن نوقع بالمدينة شرا من غير أن نكشف القناع ولو هممنا فعلنا وكان قد ذهب عنا أمر هذا القادم علينا وهو الطفيل بن عامر ونزوله خارج مدينتنا وقد غزى الى قومنا فما ترى في هذا الأمر ففيه شفاء غليلنا فقال عمران اليهودي نرى ان ننذر من قومنا رجالا فاذا التأموا قسمناهم شطرين فنكبس الرجال في المراقد ونفني القوم عن آخرهم ونأخذ ما معهم من الذهب والفضة والحرير والديباج فنصفرهم في الثرى ونغيبهم وترجع وتكتموا أمركم الى أن يخمد أمر القوم ويمضي الشطر الآخر فيتقدموا الى رعاة الأموال فيقتلوهم ويقبلوا رؤس الأموال الى مكة والطائف فيأخذوا أثمانها ثم يعودون ويدخلون المدينة ليلا فنجمع ما بين حالين أخذ المال والثار فقال اللعين ابن سلول رأيت الرأي فافعل ما ذكرته وليكن ذلك في الليلة الثانية وانظر من ينتخب للاموال وتقدم على كل فرقة رجلا نرضاه قال عمران لا ينبرم هذا الأمر الا بحضرتك (قال) عبد الله لا أقدر أن أتولى هذا الأمر بنفسي ولكن أندب لك رجلا من قومي وأقاربي أجري مني جنانا وأعظم طعانا قال ومن هو قال ابن عمي سوادة الأعشى فقال عمران كفؤ كريم وكان هذا اللعين أشد الناس شرا وأعظم مكرا وأكثرهم بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رآه في المسجد لعنه لكثرة شره (قال) فلما كان في الليلة الثانية أحضروه وأحضر واعشرة من أشرار قومهم ممن يتقى بأسهم ويعرف مراسهم فكشف لهم عن سره ووعدهم بأموال الطفيل فأجابوه الى ذلك ثم قال لعمران اليهودي هات أنت من قومك من تثق به فقال لا أثق بأحد يتولى هذا الأمر غيري وأنا في أول الأمر وفي آخره قال عبد الله فاخلط من رجالك في رجالي ليكون لك في كل جنبة نفر من قومك ونفر من قومنا فان لحقتنا مطالبة كنا جميعا وان سلمنا كنا شركاء في الأموال قال عمران اليهودي رأيت الصواب ثم خلط خمسة من المنافقين بعشرة من اليهود فجعل عشرة مع سواد الأعشى وقال كن أنت الطارق للاموال والرعاة والسائر بها والقابض أثمانها واخرج بأباعرك وأموالك كأنك تريد سفرا فلا ينكر عليك ولا تعلم أحدا بخروجك قال سمعت وأطعت قال فلما لاح الصباح خرج عدو الله سوادة وقد حمل أباعره وأخذ سلاحه وسلاح أصحابه وخرج من المدينة فلم ينكر أحد خروجهم ولا خطر ببال أحد ما أجمعوا عليه وخرج معه اللعين ابن سلول يوصيه ويحذره وقال له اذا قتلت من كان مع الأموال وملكتها فلا تسر بها الا ليلا واكمن نهارا وخذ عن الطريق واكمن ما استطعت فان بلغ (محمدا) خبرنا خشيت أن يكون ذلك سببا لفنائنا وهلاكنا قال سوادة ما أنا ممن يدخل في أمر لا يخبره ولا يسلك طريقا لا يعرفه وانما يقال هذا للصغار الأخطار وأما الرجال فلا وما أنا ممن يوتى من ضعف رأي وقلة تدبير وكان خروجه عند طلوع الشمس في خمسة من المنافقين وخمسة من اليهود واحدا بعد واحد فلما اجتمعوا سار بهم عدو الله مجدا وهو أمامهم يترنم ويقول

تزايد هذا الأمر من بعد أحمد • فلا صبر بعد العز نقضي ونبعد
ويغلبنا الغاوون حقدا وبغضة • وكل يجازى بالذي هو يحقد
وما العيش الا مكروه ومبغض • وأيامنا منحوسة ليس تسعد
الا انما الآثار منهم بلاقع • ولا يدع داعي في الديار محمد

(قال وصار) عدو الله يجد السير فلما بلغ مراعي أموال الطفيل أخذ معتزلا عن الجادة منتظرا للاموال ان تصل فما هو الا أن طلع النهار اذا أشرفت عليه الأموال والأغنام التي كانت للطفيل ومن معه من أصحابه وكان معهم من الرعاة سبعة فلما بصر بهم اللعين سوادة قال لأصحابه هؤلاء

بغيتكم فاحذروا أن يفلت أحد فينذر عليكم فتهلكوا فكمنوا لهم حتى خالطوهم فأحدقوا بهم بالسلاح فلم ينكر واذلك لقربهم من المدينة فقال لهم عبد الله سوادة انهلونا من ألبانكم فقالت العبيد حبا وكرامة حتى اذا خالطوهم لم يمهلوهم ان اخترطوا سيوفهم وبادروا اليهم فأبادوهم عن آخرهم ولم يفلت منهم أحد فغيبوا أجسادهم ودفنوهم وأخذوا الأموال وطردوا الأغنام بأطراف الرماح فأسرعت ركضها فلم يرهم أحد فكمنوا الى الليل وانقطع الخبر ولم يعلم بذلك أحد من أهل المدينة ولا علم به صفوان ولا أحد ممن معه (قال) هذا ما كان من خبر اللعين سوادة بن الاعشى وأما ما كان من خبر اللعين عمران اليهودى فكان ينتظر الليل فلما مضى النهار واجتمع القوم عند عبد الله بن أبى ابن سلول شاوره فقال لعمران اما صاحبنا فقد قتل وفتك فانظروا أمامكم واياكم أن يفلت من القوم فالت واخرجوا متفرقين واكمنوا فى الجبل بعد فراغكم منهم فاذا أصبح الصباح فادخلوا من جنبة المدينة واخفوا سلاحكم فلابد أن يرتفع الصوت وتقع الصرخة ولابد (لمحمد) أن يبحث عن ذلك ويكشف عن هذا الأمر مع انا نؤمل أن أهل الحصون يكفونا مؤنته ويسر ونا بقتله فتفرق القوم من عنده على ما وصف لهم وكان الموعد فى النخيل خارج المدينة وكان صفوان بن عنبسة رحمه الله فى البيوت وكانت الأموال تروح عليه عندا صفرار الشمس فلما كان فى وقت رجوعها من ذلك اليوم لم يرها فاغتم غما شديدا وكان قد وقع اليه شئ من ذلك فيما أجمع عليه القوم وذلك ان امرأة من المؤمنين وكانت من بنى النجار يقال لها حسنا ابنت عزيز وكانت تسكن بازاء دار عبد الله بن أبى ابن سلول وكانت تأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر المنافقين وهم لا يعلمون فلما كان فى الليلة الأولى ورأت اليهود قد اجتمعت الى عبد الله بن أبى ابن سلول حين دعاهم صاحبهم وأتى المنافقون وقد خرجوا مسرعين فانكرت ذلك وأقبلت الى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتها فقالت يوشك ان يكونوا قد أضمر والناشرا ثم بعثت الى من كان بالمدينة فأمرتهم بالحذر وبعثت بمولاة لها الى صفوان تأمره بالحذر وقالت لا تأمن اليهود الملاعين والمنافقين فقد ظهر لنا منهم شر فلما أتاهم الخبر لم ينا موا تلك الليلة وقامت النسوان البازلات مثل رغلة وزوجة الطفيل وأمثالهن فافرغن عليهن جلابيبهن واخترطن السيوف وأخذن الأعمدة والخناجر ووقفن أمام البيوت وركب صفوان فرسه وجعل يطوف يمينا وشمالا الى الصباح فقال لا شدن ابنت (محمد) صلى الله عليه وسلم حذرتنا شفقة منها علينا أن نطرق بسوء فى أماكننا ونرجو من الله الكفاية ثم سرحوا أموالهم فلما مضى النهار كما ذكرنا ولم يروا الأموال عظم عليهم فقال صفوان للنسوان انى أخشى الأمر الذى حذرتنا منه ابنت (محمد) صلى الله عليه وسلم انه قد حضر وقد طرقنا فى أموالنا واغتنموا غيبة قومنا وغيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بكى أسفا وغما فقالت له رغلة فما لنا لا نفرغ علينا أدراعنا ونسرع الى القوم فان كانوا قد أخذوا أموالنا اتبعنا أثرهم ولو دخلوا الحاضر والحرم قال فدهش صفوان لذلك وحار فقالت له رغلة ما تقول قال افعلوا ذلك فافرغن عليهن جلابيبهن وبيناهم على مثل ذلك وصفوان يلتفت متشوفا ينظر يمينا وشمالا وقد مضى من الليل شطره الأول اذ نظر خيل القوم فى سواد الظلام وقد أقبلوا نحوهم رجالة والسيوف تلمع بأيديهم وهم لا يظنون ان هنالك مانعا يمنعهم ولا دافع يدفعهم فلما نظر صفوان الى ذلك قال للنسوان دهمنا ورب الكعبة أخذ مالنا ودهمنا فى مراقدنا ثم صاح واعجداه وأملاه فقالت له رغلة امسك عليك ثم ألقت صدرها الى الأرض فتأملتهم فقالت هم عشرة لا يزيدون واحدا ولا ينقصون واحدا ثم قالت للنسوان اعتزلوا بنا لننظر ما مراد القوم منا فاعتزلوا خلف البيوت وقد جردوا سيوفهم وأخذوا خناجرهم واعتزل صفوان معهم حذرا من هجمة الليل وأقبل اللعين عمران اليهودى فى أوائل القوم فلما

وصل

وصل الى البيوت لم يجد دافعا ولا مانعا فالتفت لأصحابه وقال لا تشتغلوا بالنهب ولا بشئ حتى نذبح الأطفال والنسوان وكل من وجدتم هنا وخذوا الأموال والرحال ثم هجم عدو الله على البيوت فتصارخ النسوان والأطفال فتبادر النسوان بصرخن وهن متلثمات وفى أوائلهم رغلة بنت عمر ابن حمامة وسبقت الى عدو الله عمران اليهودى فلم تمهله دون أن ضربته على كتفه الأيمن فسقطت يده من كتفه وسقط السيف فثنت عليه بضربة أخرى على هامته فلقته نصفين فانجدل صريعا وعجل الله بروحه الى النار وتفرق النسوان وصفوان على القوم فأسر وارجلين من المنافقين ورجلين من اليهود وقتل من بقى القوم وقد توهم صفوان انهم طليعة لقوم آخرين وهم خلفهم واعتقد صفوان انهم من أهل مكة أو من دوس قد غزوهم وأخذوا أموالهم فوقف طويلا فلم ير أحدا فقال هذا أمر عجيب ثم قرب الأسارى وهم أربعة فقال لهم الا تخبرونا بالخبر فانا منكم فى حيرة كيف قصدكم فلقد جسرتم على أمر عظيم فقال له عنان بن غليل اليهودى انا ما عرفنا كم ولا بيننا وبينكم مطالبة وان الذى حملنا على ما فعلناه فى ليلتنا هذه من هجمتنا عليكم وبسط أيدينا اليكم هؤلاء المنافقون فانهم هددونا وأوعدونا بالقتل ان تأخرنا عنكم فخرجنا معهم ولم يكن ذلك من مرادنا فقال اللعين غويث بن باهلة وكان من المنافقين اما والله يا ابن اللئيم الجدود والأرجاس من اليهود ما ألزمنا ذلك غيركم ولا أنانا بالرسالة من قريش غير صاحبكم الذى قتل أمامكم وأنتم دبرتم هذا التدبير وسقتم الينا هذا التدمير فقال صفوان يا ويلكم ائتركونا من محاورتكم واكشفوا لنا أمركم قبل أن نمزقكم السيوف قال غويث المنافق حمل هذا عمران اليهودى وهو من أكابر اليهود وجاء بكتاب من أهل مكة الى أصحابهم يسئلونهم الحيلة على قتلكم وأخذ مالكم وذبح أطفالكم وسألونا المعونة عليكم والمساعدة واتفق أمرنا جميعا وندب كل واحد رجالا من قومه فنفذ قوم الى أموالكم على انهم يقتلون من كان معها ويأخذونها وقصدنا نحن اليكم وهذا شرح الأمور وبيانها قال صفوان فمن أى الناس أنتم قالوا من المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم وانما غزونا هؤلاء اليهود الملاعين وهم أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عنان بن غليل اليهودى كذب ورب موسى فيما ذكر بل هو من المنافقين الباغضين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أصحاب عبد الله بن أبى ابن سلول ونحن لعمرى من اليهود وبيننا وبين صاحبكم (محمد) عقد وعهد فقالت رغلة لعن الله هؤلاء وهؤلاء اقتلوا الجميع وأريحوا أنفسكم منهم فقطعوهم ارباربا وغيبوا جثثهم وأخذوا أسلابهم ثم قال صفوان هذا بيان ما ذكرت لنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذرتنا منه ثم قال لمن هنالك ممن لم يطق الخروج لقد أمسيتم الليلة أفقر العرب ولا شئ ان الأمر كما ذكر هؤلاء الانجاس ولا شئ ان قومهم قد ساقوا الأموال وساروا بها يومهم الأطول وقد قطعوا أرضا فالذى تشيرون به من الرأى قالت رغلة وما عسى أن نراه غير ما ذكرته لك وكم جهد ما يسيرون بالأموال يومهم وانما هم مثل هؤلاء اللئام لو أنفذهم أحدنا لكان كفؤا لهم قال صفوان ما الصواب عندى ان نترك نساءنا وأبناءنا ورحالنا ولا نأمن ان يخرج هؤلاء اللئام ليعرفوا خبر اخوانهم فان دهمونا فى مغيبنا عنهم أثروا فينا وملكوا ما بقى وصرنا شماتة للحاسد ومثلا يضرب بنا فى المشارق والمغارب فالله المشتكى مما نزل بنا وبلينا به فى الأعداء وان أنا مضيت فى أثر القوم لم آمن عليكم ولا آمن على نفسى وقد وقعت بين أمرين مهلكين قالت رغلة فاذ بنى لهذا الأمر وحدى فانى راجية أن لا أرجع اليك الا بما يسرك فقال لها صفوان ما كنت بالذى أفعل ذلك أبدا وبعلك يجد علينا وجدا شديدا وأخشى أن يحدث علينا حادث فتقع اللائمة على منه ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدت على صفوان المذاهب ففاضت عبرته واشتدت حرقته ولم يطق

صبرا وجعل يقول

اليك مولاى سؤالى المرتجى • أنت منائى ومرادى والرجا
فاجعل لنا مما اعترانا مخرجا • هذا الظلام مهمدلا وقد دجا
ورئيس القوم بالأموال نجا • فاسلك بهم ربى طريقا أعوجا
واجعل لنا من كل أمر فرجا • ماخاب عبد نحوجاهك قد رجا

(قال) فامنوا على دعائه وبيناهم على قلقهم وصفوان كالمرأة الثكلا أوكالحبة فى المقلا اذوقع الصوت فى المدينة وارتفع الضجيج وقال قائلهم هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجع من خيبر وخرج النسوان وأهل المدينة جميعا وارتفع الصوت وارتفع التكبير فانكمدت أفئدة المنافقين واليهود الملاعين وكان عبد الله بن أبى ابن سلول قد ظن فى تلك الليلة أن أصحابه واليهود قد وقعوا بنسوان الطفيل ولم يعلموا ان الله سبحانه أبادهم أجمعين فلما سمع بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم عظم عليه ذلك وقلق أشد القلق وقال أما من مضى بالأموال فقد نجا وأما الحسرة فعلى من قصد البيوت ومن فيها يخبرون باماكنهم وكذلك اليهود على قومهم (قال) فلما سمع صفوان بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم خر ساجدا شكرا لله عز وجل وقال للصبيان والنساء هلموا بنا حتى نشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مانزل بنا فعسى أن يكون لنا بقدومه فرج قال فخرج النسوان حاسرات صارخات وقد خرج المنافقون لاستقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم خديعة ومكرا لئلا ينكر شيأ من أمرهم وخرج اللعين ابن أبى ابن سلول ليزيل عن نفسه التهمة فلما نظر نسوان الطفيل وقومه وعاين الصبيان والشيوخ ونظر الى صفوان اصفر لونه وارتعدت فرائصه وعلم ان قومه قد أصيبوا مع اليهود وسبق النسوان الى رسول الله ونظر اليه عبد الله وهو كالبدر بين الكواكب وناداه اللعين بخديعة منه أشرقت البلاد يا (محمد) بعد أن كانت مظلمة بغيبتك فالحمد لله الذى نصرك على أعدائك ولقد زالت الكربات لأعدمناطلعتك ولافقدنا غرتك ثم قال معاشر الناس نلتم احسانا واستوجبتم غفرانا باتباعكم البشير النذير السراج المنير فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن سلول مافعل ابن عمك سوادة بن الأغشى فلم يجز عدو الله عن الجواب ولاسكت عن الخطاب بل قال خرج فى سفره الى اليمامة مع رفقة بأباعير وأحمال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل وعسى وقال فما فعل عمران اليهودى فرجف قلب عدو الله فقال يارسول الله أما عمران اليهودى فلاحياه الله ولاحيا داره ولاقرب مزاره ذلك من أرجاس اليهود وأنا رجل عرفت شأنى واختبرت ايمانى (قال) فسمع صراخ النسوان والولدان فقال هؤلاء نسوان الطفيل بن عامر ومن معه فقال نعم فأشار اليهن فامسكن وتقدم اليه صفوان رحمه الله وقال يارسول الله انار زينا وافترقنا وقصدنا بالأذى ونحن صابرون ولربنا شاكرون ولقد نزلت بنا بعدك نوازل وهم أن يشرح له قصته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا عليك ياصفوان فان الأمر يأتيك على مايسرك ان شاء الله وسمع الطفيل ومن معه وولده ووكيع وأبو هريرة رضى الله عنهم صراخ النسوان وبكاء الولدان فافزعهم ذلك ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم كشف لهم عما نزل بقومهم اشفاقا عليهم فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن أبى ابن سلول فقال أتدرى مم صراخ النسوان فقال لا علم لى يارسول الله فأعرض عنه وكان عليه السلام حليما فلما وصل الى المدينة وهم الطفيل بفارقته قال له ياطفيل قل خيرا ولا تقل شرا واشكر على المصيبة واصبر للقضاء واكتم أنت وقومك مانزل بكم فعن قريب يكون الفرج ان شاء الله فقال الطفيل سمعت وأطعت يارسول الله ولو قطعت قطعا ثم عطف على قومه والنسوان وهم يضجون بالبكاء فلما وصل الى

أبياته ولم يرمن أمواله شيئا ولا من سرحه وأغنامه خنقته العبرة وقال هذا تاويل ماذكره لى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيت بقضاء الله الى أمر الله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على خليله صفوان فقال الا تخبرنى بخبركم وما نزل بكم فقال صفوان دهينا والله ياخليلى فى أهالينا ونسائنا وأموالنا الا أن الله نصرنا واظفرنا بمن قصد الينا وحدثه بالحديث من أوله الى آخره فقال الطفيل بعد ان سلمت أنت وسلم النسوان ولم تهتكن فانى برسول الله صلى الله عليه وسلم واثق ولى به غنى من كل مال ولم نعدم من الله خيرا ونحن فى جوار رسول الله فقال صفوان ياخليلى النسوان عز من على أن يلحقن بالأموال دون الرجال فان رأيت ان نسير فى أثرها فعسى أن يردها الله علينا ويجبر حالنا قال الطفيل ما كنت بالذى أخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم و بالمال اقلال و برسول الله صلى الله عليه وسلم اكثار فصبر القوم تحت القلق والارق وتطاولوا لما يأمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافقون واليهود أشد قلقا وابن أبى ابن سلول يخشى من رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضيحة والمحنة ان تقع به (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله وكان جبريل عليه السلام قد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر القوم من اليهود والمنافقين وما جرى لهم وما كان منهم فلم يكشف للطفيل ذلك لئلا يؤذى قلبه وقلوب قومه ولا أخبر بذلك أحدا من أصحابه بل دعا بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه والزبير بن العوام وقال يا أبا الحسن خذ ابن عمتك الزبير فان فيكما كفاية لما أريد من الأمور العظام فاذا رجعنا فى الليلة قافلين فخذوا الشراك الايمن على ربوة الرمل على الغابة بوادى نظر الى أن تخرج بين الجادتين الى طريق مكة تلقيا هناك جمعا من اليهود وجمعا من المنافقين عشرة لاسواهم وقد ساقوا الأموال أموال الطفيل ومن معه وقتلوا عبيده رعاة الأموال وفيهم سوادة بن الاغشى من لم أزل له باغضا فاحتفظ منه فاذا أوصلكم الله اليهم فعودا بالاموال الى أصحابها الذين نالهم فينا كل منال واكتفيا أمركما ولا تخبرا أحدا واخفيا من القوم سلاحهم وادفناها معهم وارجعا الينا فليكونن مع هؤلاء المنافقين نبأ ومشهد عظيم (فقال) له الامام يارسول الله لو ندبتنى وحدى لأغنيت عن صاحبى وما قدر هؤلاء اللئام وفى أحدنا كفاية لهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى أعلم ذلك ولكنى أردت أن تتعاونا على سوق الاغنام اذا وصلكما الله اليها فقالا سمعا وطاعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح الله عليه خيبر وأيده بالنصر والغنائم فأسهم الطفيل ومن معه من قومه فبلغنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أقمنا أياما ولحقنا ضرر وبؤس حتى اذا وصلنا الى الغنائم جاء هؤلاء الدوسيون فشركونا فيها فقال النبى صلى الله عليه وسلم انهم اخوانكم وقد لحقوا معكم الحصار والفتح ولو لقونا فى طريقنا وقد فتح الله علينا لما كان لهم فى غنائمكم شئ الا ما سمحتم بنفوسكم فاستحيا عمر من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد فى قوله وارتحلوا قافلين الى المدينة وانعدل على والزبير رضى الله عنهما وليس معهما ثالث ولا علم بسيرهما ولا بخبرهما أحد فركبا الطريق التى وصف لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل الامام يقول

أقول لصاحبى والليل داجى ٭ وقد أرخى ستورا كالرتاج
الا حث السير لنشفى ٭ أغلتنا بقضيب السراج
فدينا خير من ركب المطايا ٭ الى قوم لئام ذى اعوجاج
فغاروا فى النهار على أناس ٭ وساقوا السرح من قلب البجاج
سنهلك جمعهم ونردى ٭ ونروى السيف من نقع المهاج

(قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله وكان سوادة اللعين بن الاغشى لما قتل الرعاة واحتوى على الأموال أخذ على الجادتين ولم يسلك الطريق الأعظم ليخفى أثره فأتى عطفة وادى العراق وكانت

عطفة كبيرة فقال لأصحابه انى أرى أن تكمن فى هذه العطفة الى أن ينسدل الظلام فنخرج فى الليل فلا يأتى الصباح الا وقد قطعنا بلادنا وتخلصنا من جبال المدينة بغير نفير ولا لاحق ومتى رجع (محمد) من غزواته كانت التهمة واقعة بقومه وعشيرته فقالت اليهود افعل ما بدا لك فنرجوا ان يكون لنا صلاح فعطف القوم داخلين بالأموال وكان فيهم شبطان من شياطين اليهود يقال له قثم فقال اما والتوراة لقد اخترتم لأنفسكم بئرا مهويا بعيد القرار كثير الاحجار من سقط فيه لم يأمن من نواحيه ياويلكم اما علمتم أن هذه عطفة لا تجدون لها منفذا لا من حيث أنتم داخلون وان علم بكم وأخذ عليكم هلكتم (قال) سوادة بن الأغشى لا بشرت بخير يا ابن الارذال ومن يعلم بمكاننا أو يشرف علينا ولقد طلبت لنفسك شرا وطلبت لها هلاكا فلقيت ما أضمرت دوننا فقال له قد عرفت من الأشياء ما لم يعرفه غيرى وأنت غير عارف قد غلطت وما أردت الا ما أردته لنفسى ولا بد لاهل يثرب من افتقاد القوم ونخشى أن يقع الصوت ويدركنا النفير ممن بقى فى المدينة أو يرجع (محمد) من غزواته فيكبر علينا الأمر والمسير أصلح لنا والراحة فى مكان سريع فسيح قال سوادة ما أراك تطلب لنفسك الا الهروب اما والله لا زلنا عن أماكننا فان دهينا عرف منا الجليد من البليد قال قثم فأنا غير نازل معك فى هذا السرب فاقسم هذه الأموال بيننا وبينك فخذ أنت وقومك شطرها وادفع لى ولقومى الشطر الآخر واصنع ما بدا لك بما لك ونمضى نحن بما لنا حيث نريد قال له سوادة وكيف أدفع لك ولقومك ولن كتبت قريش نصيب لان الطفيل أكثر منهم منهبة قال قثم اليهودى أنا آخذ شطره وان منعنى منه مانع ارغمت أنفه وان زدتم على لم يكبر ان انطلق الى (محمد) فاخبره بخبركم فيقطع من الديار آثاركم وزاد بينهما الكلام وجعل سوادة يزجر الأموال يريد ان يدخل بها العطفة فقال قثم لأصحابه اليهود امنعوه مما أراد فانى أبصر بهذا الأمر من هذا فصاح سوادة بن الاغشى بأصحابه لا يكبر عليكم أمر هؤلاء الارجاس وانى أشم روائح دماء قد دنا اهراقها فوثب اليه قثم وقد جرد حسامه وجردت اليهود أسيافها فلما رأى سوادة ذلك غضب غضبا شديدا وكان اللعين شديد الغضب فدلف كل واحد منهما نحو صاحبه واشتغل بينهما الحرب وانفذ كل رجل من اليهود لرجل من المنافقين فقتل المنافقون رجلا من اليهود وأقاموا كذلك يومهم وهم يتقاتلون وكل يؤمل ان تكون الغنيمة له قال وبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم (الامام على) رضى الله عنه والزبير بن العوام رضى الله عنهما فقال قثم انا لنرجوا ان الفرج أتانا من عند الله يا بنى اسرائيل فوقف القوم حائرين فقال قثم من القوم فقال الامام عابر سبيل وسالك طريق فعرف نغمته فخار ودهش ولبد فقال لسوادة قد جاءك يا ابن اللئام من هو أحق بالغنيمة منك ومنى فأينا كان أبصر بهذا الأمر ثم نادى برفيع صوته تقدم يا أبا الحسن فاقتلنى واقتل هذا اللئيم معى فقد أكل قطعة من كبدى فقال الامام ها أنا ذا أبلغكما مرادكما قال سوادة اما بقتلك فعسى واما أنا فبينه وبين ذلك بعيد قال الامام يا ابن الارذال خل عن صاحبك واستأسر اجميعا فاخف أمركم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد أخبرنا ان الذين كبسوا البيوت قد قتلوا ولم يفلت منهم أحد وكذلك أنتم قد بعثنا النور ثم البوار فاخبرنى يا لعين ما هذا القتال الذى وقع بينكم فقال سوادة ان هذا اليهودى أراد ان يأخذ شطر الغنيمة فمنعته فقلت له هى لى جميعا فقال قثم كذب يا أبا الحسن انما أشرت عليه أن لا يحبس نفسه فى عطفة هذا الوادى الذى ليس له منفذ فأبى فقال له الامام لقد كان الصواب معك لو أنه قبل منك ثم قال تقدم يا رئيس المنافقين الى مصرعك لما علمت فقال سوادة يا ابن أبى طالب انت فارس وأنا راجل فانصف من نفسك فترجل عن جوادك وادن منى فانى قاتلك ومالك فرسك وسلاحك فترجل الامام عن جواده وقال دونك يا عدو الله فالتقيا وتكافا فانقض عليه الامام كالعقاب فضربه ضربة على صدره قسمه شطرين وعجل الله بروحه الى

النار

النار (قال) فقام اليهودى لاشلت يداك يا ابن أبى طالب لقد شفيت وأرضيت فقال له تقدم يا أخا اليهود وخل عنك الكلام فلابد أن ترد موارده وتصدر مصادره فقال قم لو تعفينى من سيفك يا ابن أبى طالب فقال له الامام لا يخيبك من سيفى الا أن تقول لا اله الا الله وتقر بابن عمى (محمد) رسول الله قال قم ما كنت بالذى أترك دين موسى الكليم ولا دين يعقوب اسرائيل فقال له الامام حاش لله أن يكون موسى ويعقوب الا على دين الاسلام فحمل اللعين على الامام وظن انه واصل اليه فضربه الامام على مفرق رأسه فهبط السيف الى صدره فسقط اللعين صريعا وعجل الله بروحه الى النار فتحير القوم مما رأوا وجعل المنافقون ينظرون الى اليهود واليهود ينظرون اليهم فقال الامام للزبير يا أبا عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرنا وقد أخبرنا انه يكون بينه وبين هؤلاء القوم مشهد عظيم فاسرع بنا فاحمل على هؤلاء القوم اللئام فحمل الامام من جانب والزبير من جانب فقتلوا القوم عن آخرهم وأخذوا أسلابهم وسلاحهم فدفنوهم معهم كما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد وا رؤس الأموال نحو المدينة فاذا هما بفرسان وركبان على المطايا فلما قربوا منهم تأملوهم واذا الطفيل وولده وصفوان وأصحابه من دوس فسلموا على الامام والزبير فقال له الامام أين بدك يا أبا النور وبه كان يكنى فقال له الطفيل يا أبا الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل الينا فاسرعنا اليه فقال لنا استقبلوا أموالكم فهذا ابن عمى على وابن عمتى الزبير بن العوام قد جاءها وقد قتلا من كان معها فأسرعنا اليكم طيبة نفوسنا بذلك فلا ينسى الله لكما هذه الفعلة وجزاكما عنا خيرا الجزاء فقال لهم الامام خذوا أموالكم مباركا لكم فيها فلقد كنت أجمعت أن أتبع القوم ولو بأطراف الرمال فقال له الحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أخبرانه سيكون له مع القوم مشهد عظيم فتقدم على امام الأموال فلما أشرفوا على المدينة خرج الناس وخرج المنافقون لئلا ينكر عليهم أمرهم فلما أشرف على رضى الله عنه علموا انه لم يرجع من طريقه الا بالاموال وقد أفنى جميع من كان معهم من قومهم وغير قومهم فطارت نفوسهم وتغيرت ألوانهم وتقدم اللعين رأس المنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول وقال كبت من أراد برسول الله صلى الله عليه وسلم شرا ولا لقى خيرا اللهم اكبت شانيه وامحق مناويه والعن مناويه وانصر من يواليه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفت الى أبى بكر وقال يا أبا بكر ان المنافقين قوم بهت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج المدينة فلما وصل على اليه ضمه الى صدره وقبل ما بين عينيه ثم أجلسه الى جانبه وأجلس الزبير الى جانبه ايضا وشكر فعلهم وبعث الى الطفيل وأصحابه بعد ان ردوا أموالهم فلما أخذ القوم مجالسهم (قال) النبى صلى الله عليه وسلم أين عبد الله بن أبى ابن سلول فخرج اليه ينادى لبيك وسعديك ها أنا بين يديك صلى الله عليك فقال ادن منى فدنا منه وجعل يدعو بالمنافقين واحدا بعد واحد فاجلسهم ثم قال لعبد الله بن أبى ابن سلول ما فعل ابن عمك سوادة بن الاغشى فقال يا رسول الله خرج من عندى نحو اليمامة تاجرا فان كان قد عرض له عارض أو قتل فاخبرنى حتى أطلب ثاره فازداد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا من قوله وأراد أن يخبره أن على بن أبى طالب قتله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فهل كان بينه وبين الطفيل قتال أو مدانية أو مطالبة فقال لا والذى بعثك يا الحق نبيا يا رسول الله قال فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث الى اليهود فقال ما فعل صاحبكم عمران اليهودى قالوا خرج فى بعض اسفاره فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس عليكم بانفسكم لانى أنذركم البغى وحلوله والمكر ونزوله فان الغادر غدره مردود عليه يا أيها الناس لا تكايدوا فتملكوا ولا تقاوموا بباطلكم الحق فتنكبوا يا أيها الناس ان منزلة نبيكم عند الله عظيمة ولا يخفى على الله شئ من أعمالكم ولا تقولوا بافواهكم ما ليس فى قلوبكم ولا تخادعونى فان الله يعلم السرائر وما يختلج فى الضمائر من منافق ارتكس

أو مخالف ارتعس ٣ اللهم احكم بيني وبين من ظلمني بالحق وأنت خير الحاكمين يا أهل الكتاب قد لقي قومكم من أهل الحصون ما هم له أهل فاحذروا ان ينزل بكم ما نزل بهم من غدرهم يا أهل النفاق ان نفاقكم سبب لدماركم وفنائكم أقول قولي هذا لمن فهمه وعلمه وقد اعذرت وانذرت فانظر واما أنتم منتظرون ثم قال للطفيل ارفع أبياتك واسكن فليكونن لنا ولهؤلاء القوم شان وأي شان فعلم المنافقون واليهود ما تحت كلامه وانصرف الناس وهم منتظرون لما وعدهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال أبو الحسن البكري) رحمه الله وعفا عنه حدثنا أشياخنا واسلافنا الرواة لهذا الحديث انه لما اجتمعت عصابة اليهود والمنافقين على الغدر بالطفيل والهجمة عليه وعلى حرمه ونسائه غصبا فعصمه الله منهم وأفنى العصبتين وقتل سوادة بن الاغشى وجد عبد الله بن أبي ابن سلول وكان كلما لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ابن سلول أما آن لابن عمك أن يرجع من سفره فيقول لا علم لي ولعل أحدا من أعدائه بسط اليه يده ولو علمت ذلك لطلبته أشد الطلب فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال فرجع الطفيل الى أبياته ومضا ربه وفعل ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرق النبي صلى الله عليه وسلم جمعهم بين المهاجرين والأنصار وأمرهم بالحذر في الليل والنهار وأمرهم بافتقاده في كل يوم فلما رأى المنافقون ذلك واليهود من افتقاد على لهم في كل يوم امسكوا أيديهم عنه ولم يتعرض له معارض ولا جسر عليه أحد من المنافقين ولا من الناس وأمن في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان علي رضي الله عنه يقول يشهد من المنافقين اذا حضروا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم معاشر الناس اني أقول لكم جميعا فليبلغ شاهدكم غائبكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمني أمر هؤلاء الدوسيين وقد قبلت الضمان وأعطيتهم الامان فمن عارضهم فهو لي معارض ومن عاداهم فهو لي معاد وقد علمتم أن من عاداني فقد نكب ومن كايدني فقد تهب قال عمر بن الخطاب مهلا يا أبا الحسن فلو وجدت أهل الأرض جميعا عاندهم معاندا رغمنا أنفه وتجاوب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك فقال أبو هريرة لو عارضنا معارض لاثكلنا أمه وأطلما حزنه فلم يجبه أحد من القوم وأمن الطفيل واطمأن في المدينة وصارت أمواله تغدو وتروح عليه لا يعارضه معارض وأقام مع النبي صلى الله عليه وسلم يغزو معه ويشهد معه فتح مكة وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في كسر الاصنام وبعث البعوث الى أصنام العرب الذين حول المدينة أعني مكة ومن حولها فرق أصحابه يمينا وشمالا فجاء الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الا تنفذني الى صنم دوس ذي الكفين رجالا من أصحابك ليزيلوه ويكسروه وعسى أن يجيبوني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن عامر ان قومك أكبادهم حاشية ٣ وقلوبهم قاسية وفيهم نحو ٣ الجاهلية ولو بصروا بك ووصلوا اليك لقتلوك فقال الطفيل يا رسول الله ادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا ثم قال مهلا الى أن يعود الناس من سراياهم فابعث معك رجالا يبلغونك ما تريد ويهشمون صنمهم ويدعونهم الى الله تعالى فان أجابوا والا السيف ٣ قال الطفيل سمعت وقبلت ثم أقام حتى رجع الناس من نواحي مكة وكسر أصنام العرب ورجع خالد بن الوليد والزبير بن العوام وعلي من مقصدهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وعد الناس بعد فتح مكة بغزو هوازن فلما تكاملوا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم معاشر الناس قد علمتم ما لاقى هذا الرجل مع قومه وما لحقه من قومه من الاذى ولو لم يكن ذلك أخذتهم ٣ وصنمهم وهم يعبدونه من دون الله وقد أمرني ربي الا أترك صنما للعرب مثل آسف وآيلة ٣ وهبل وجالب الريح ومطلع الطير واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وغيرها من الأصنام ولم يبق الا صنم عشيرة هذا الرجل الذي يسمونه ذا الكفين وان بليته أعظم هذه الأصنام لان عمر بن يحيى الذي نصب الأصنام للعرب تناهى فيه ونقره نقرا

وجعله مجوفا وصوب الماء من أعلى الجبل الى الصنم ينحدر فصار الماء يخرج من يديه ليظهر لهم اللعين انه هو الذى يسقيهم الماء وان الشيطان والمردة والملاعين ربما قطعوا الماء فى مجاريه يطلبون بذلك اضلال القوم وكفرهم فاذا نظروا الى الماء قد انقطع عنهم سجد واللصنم ونحروا له جزورا وقربوا له قربانا وتضرعوا له جميعا والنسوان والولدان يسئلونه أن يطلق لهم الماء فقد اشتد ٣ كفرهم وعظم تمردهم وقد حان أوان زمانه ٣ وحان وقت كسره واضمحلاله الا وانى باعثكم اليه قبل خروجى فى هذه الوجهة التى أنا خارج اليها فاسرعوا وبادروا وتجهزوا فترون وتلقون هؤلاء مما يحامى عنه ثم انكم اذا وصلتم اليه ينقطع عنكم الماء وتأذن بالهلاك من شدة الظما حتى يزجر شيطانه الدخان ويرسل الله عليه شواظا من نار بدعاء رجل تعرفونه ولا تنكرونه قد ألف قتل الجن والشياطين وخصه الله بالشجاعة والبراعة ولا يمل الناس من عجائبه ويهرب الأعداء من طعناته وضرباته وهو منى وابن عمى وزوج ابنتى ومفرج كربتى لا يحبه الا من كمل دينه ولا يبغضه الا من عظم عند الله بهتانه سمته الملائكة باسمى ٣ المومنين فاسمعوا له وأطيعوا وقاتلوا من قاتله وسالموا من سالمه فانه لا يدخل الا فيما الله فيه رضى فقالوا سمعنا وأطعنا (قال) ثم دعا بخالد بن الوليد المخزومى والزبير بن العوام وقيس بن سعد والفضل بن العباس وعبد الله بن أنيس وعمرو بن عبد الله بن أمية الضمرى والمقداد بن الأسود الكندى وأمثالهم من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم حتى تكاملوا ألف رجل ثم دعا بالطفيل بن عامر وولده وصفوان وأبى هريرة وجماعة ممن أجاب من دوس وهم يومئذ سبعون رجلا وقيل ثمانون وقال لهم انكم أبصر بدياركم وديار قومكم وعشائركم والمكامن والمضايق والمسالك ثم اقبل على الطفيل وقال له ارفق بقومك وادعهم الى الاسلام واخبرهم انه لم يبق صنم حول مكة الا كسره الله وانزله وتقدم اليهم امام أصحابك وخذهم باللين وخوفهم بأسنا ونقمتنا فعسى ينتهوا الى الله عز وجل ويرجعوا وأما عمر بن حمامة فستلقون منه عتوا وترون عجبا وكان داهية القوم قومك فقد جعلت أمرهم اليك حتى يكونوا معك فى هذا الدين الذى لا يأتيه الباطل أسمعت يا طفيل (قال) سمعنا وعينا يا رسول الله ثم أمر الناس أن يتأهبوا فى يومهم والخروج فى غداة غدهم وأذن الناس فى التأهب للخروج فما أتاهم المساء الا وقد تجهزوا فلما جن الليل جاء النبى صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فقال له هل أصلحت لأمتك وزادك قال نعم يا رسول الله فقال يا أبا الحسن استعمل الايجاز ما استطعت ولا تبطئ عنى ما قدرت فانى لعلى قلق من المسير وان جبريل عليه السلام أخبرنى انك ستلقى من هؤلاء القوم حربا ومع صنمهم مشقة وأرجو أن يسهل الله عليك ما عسر ولقد أخرجت معك رجالا ممن أسلم فى هذا الفتح هذا أبو سفيان وهذا صفوان بن أمية وهذا سهل بن عمر وهذا عون بن كليب المخزومى وقد علمت قديم عداوتهم لنا فارفق بهم ما استطعت وارعهم بعينك واحذر من حيلتهم ولا تطمئن اليهم ولا تفش لأحد منهم سرا وقد أردت ان أمنعهم من ذلك فقال أبو سفيان اذا كنا معك قد كم على عبادة الأصنام وقد شئنا ان نجاهد على ملة الاسلام ولم يخف عندك مكان المحب من المبغض ودبر الأمر بعقلك وأحسن رأيك والله خليفتى عليك (ثم) خرج عنه فلما لاح الصباح صرخ الصارخ بالرحيل وتبادر الناس ارسالا وخرج المهاجرون والانصار ورماة الأوس والخزرج وشجعان بنى هاشم وفتيان مكة وأحداث بنى عبد المطلب (وخرج) الامام على رضى الله عنه وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب معه الأكابر من أصحابه لتوديع المسلمين فلما توارت عنهم الأوطان وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكامل الناس فى لامتهم وسلاحهم ورياتهم وفاخر زينتهم وكان أول جيش خرج بعد مكة وأقبل على رضى الله عنه فى بنى أمية وبنى عبد المطلب وأقبل الطفيل وولده

وسادات دوس معلنين بالتكبير وقد تعصبوا بالعصائب الحمر وعلى رماحهم الرايات الصفر يقدمهم الطفيل بن عامر رحمه الله فسلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفوا حوله فأمر أن يحصى الناس فاذا هم ألفان يزيدون مائتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أراكم قد زاد عددكم فمن انتدب معكم من الناس فقالوا ثلاثة رجال من بني مخزوم وبني زهرة وبني عبد شمس نحن أهل مكة وعشيرتك أردنا أن نؤثر في هذا الدين أثرا يرضيك ونكبت معاديك فجزاهم النبي صلى الله عليه وسلم خيرا ثم تقدم اليه علي رضي الله تعالى عنه فأعاد عليه الوصية وقال له احذر من هؤلاء القوم ما استطعت ثم عانقه وضمه الى صدره وقبل ما بين عينيه وقال ان أتيت للقوم ليلا فانتظر بهم الى الصباح واسرع ما قدرت (قال) سمعت وأطعت ثم سلم على القوم وودعهم ورجع وقال لا يبعد الله سفركم ان شاء الله وتقدم أبو الحسن علي رضي الله عنه امام القوم وهو يقول

جدوا بنا نحو اللئام وأسرعوا ● خطوا مضار بكم على خيشومها
حزنا ورب مكة وحكيمها ● ولقد أخذنا غيهار لئيمها
والركن والبيت الشريف وزمزم ● نحن الولاة عليه قبل قديمها
ونهتدي أصنامهم بسيوفنا ● فانظر بعينك هل ترى لرسومها
غسل الاله بنا الرجاسة والأذى ● وشفى بنا من كل داء سقيمها
سرنا الى دوس بجيش ضيغم ● حزب الرسول نبيها وكريمها
جدوا بنا كيما نفوز بفرحة ● من عصبة غدرت وخاب زعيمها

(قال) وسار الامام رضي الله عنه يجد السير فسار القوم ارسالا وتقدم امامهم الطفيل فخبرته بالطريق وقومه معه وقال تفرقوا في طريقكم فهو أقل اذاية عليكم ثم سير في أثره الزبير بن العوام في كتيبة من المهاجرين والانصار وسير في أثره خالد بن الوليد ثم سير في أثره قيس بن سعد وتتابع الناس ارسالا وسار وا يومهم ذلك حتى أتوا العافر والاحقاب منزلا تنزله العرب في الرفاق فوقف الطفيل حتى لحق به الزبير فقال للطفيل ما أوقفك يا طفيل فقال هذا منزل ومنهل ولن نلقى في يومنا الا هذا فقال الزبير فخذ فيه حتى لحق بهما خالد بن الوليد وتلاحق الناس ثم جاء الامام فذكر له الطفيل ذلك فقال انزلوا رحمكم الله فنزل القوم وأراحوا ومضى النهار وانسدل الظلام وأضرمت النيران ورتب الامام الناس وأمرهم بالحرس وقام بنفسه يحرسهم (قال أبو الحسن البكري) رحمه الله تعالى فلما كان في تلك الليلة واحلولك الظلام وهجم النوام خرج من عسكر المسلمين عون بن كليب المخزومي وكان فقد أخاه في النفر الذين خرجوا أولا وعرضوا للطفيل فقتلوه وانما أسلم هذا جزعا من الموت وكان لما قتل أبو جهل الملعون يوم بدر أقسم اللعين ابن كليب أن يقتل مائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغزى مع قريش يوم الخندق فرده الله خائبا فلما كان يوم فتح مكة ورأى أهل مكة قد خضعوا وأجابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا له أمانا من سيفه فدخل في الاسلام جزعا وأضمر شرا فلما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البعث الى دوس كان ممن أسرع رجاء ان يأخذ بثار أخيه وكان من سفهاء مكة وفجارها قال فلما كان في تلك الليلة قال والله لأجهدن في هلاك هذا الجيش بأسره وأقتل من قدرت عليه فلا أشأم قومنا ولا أهلك عشيرتنا ولا هلك عزنا الا من حين ظهر (محمد) بدينه المحدث ثم انه اقتاد جواده كأنه يريد أن يورده الماء فلما خرج استوى على ظهره ثم ركب الجادة القاصدة الى حاضر دوس وقد أعنف عليه وأرهقه جريا وأشرف على الحاضر عند طلوع الشمس وقد سرحت الأموال والأغنام فاذكرت الرعاة أمره فلما قرب منهم صرخ بهم وقال اقلبوا رؤس الأموال الى الحاضر فقد دهمكم العدو وكأنكم بجنود الطفيل

قد أشرفت عليكم قال فلما سمع القوم ذلك حاروا ودهشوا وقلبوا رؤس الأموال ورفعوا أصواتهم بالصراخ وسبق منهم عبيد الى الحاضر فلما رأى القوم أموالهم قد رجعت والصيحة قد علت والعبيد يتسابقون الى الحى وهم يصرخون انكروا ذلك وحاروا وبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم اللعين عون بن كليب وهو يركض جواده ويلوح بحسامه قال فدهش القوم واتصل الخبر بعمر بن حمامه فخرج مبادرا وركب فرسه عريا وعليه ثيابه التى هو لابسها على طول الأيام لما أعجله الصوت والصرخة لما أشرف عون بن كليب ولم يكن فى القوم من يعرفه فلما وصل أسفر عن لثامه ونادى برفيع صوته يا أيها القوم المطروقون بالبلاء وهم لا يعلمون ان الأسود الضارية قد أقبلت اليكم وكأنكم بها قد هجمت عليكم فاحذروا هجمتها واستدفعوا صولتها وانظروا لكم ملجأ تلجؤن اليه أو معقدا تعتمدون عليه فقد دهمتكم الكتائب وتواردت اليكم المواكب ودهمكم فى دياركم الفتى الضارب المسمى بعلى بن أبى طالب فقال له عمر بن حمامة حييت من مخبر وقربت من منذر اكشف لنا الأمر على حقيقته قال انى رجل من أهل مكة قتل أخى وأهلى وأقاربى فى هواكم ومرضاتكم اناغضبنا لغضبكم وعادينا معاديكم فهذا (محمد) قد دخل مكة جهرا بأسرها وبعث بعونه الى العرب فهشمها عن آخرها ولم يبق غير الهكم ذى الكفين وقد ندب اليه أبطاله وأقياله وحماته وقومكم أشد حنقا عليكم وصاحبكم الطفيل فى أوائل القوم فى عشيرته وأدانيه ومن صبا اليهم من ذويه والقوم اليكم سائرون فما يأتى الليل الا وقد قاربوكم وهم عند طلوع الفجر يدهمونكم ومعهم ليث (محمد) صلى الله عليه وسلم الكرار والضيغم الخطار من أبادسادتنا يوم بدر وقتل أبطالنا يوم أحد وهو على بن أبى طالب ذو البأس والأمور العظام والأهوال الجسام وليس له مطلب غير قتلكم وأخذ أموالكم وحريمكم وكسر الهكم وزوال آثاركم وقد تركت القوم اليكم سائرين وجئت اليكم بالخبر قبل النار والشنار ثم ان عدو الله جعل يقول

استغيثوا من قومكم قد دهيتم ● بالبلا كليلة العلماء
قد رماكم (محمد) برجال ● وجيوش كسيل يوم البلاء
وطفيل وقومه وأناس ● من بنى قيلة وجمع القراء
وعلى وأين مثل على ● صاحب الحرب فارس الهيجاء
مطلب القوم قتالكم وفناكم ● وملاك الأموال ثم النساء
فانظروا الآن ما به قد دهيتم ● وذوقوا من جهة الأعداء

(قال) فلما سمع عمر بن حمامة ذلك من مقالته أدركته الدهشة والحيرة ولم يدر ما يقدم ولا ما يؤخر وشاع الخبر وارتجت النسوان والولدان وذهب الرجال وأحدقوا بعمر بن حمامة ينظرون ما يقول وطال قيامه ولم يأت بقول فقال له مدرع بن رماح الدوسى وكان من أبطال دوس يا سيداه ما تقول قال وما عسى ان أقول اجمعوا رأيكم وانظروا أمركم فانما أنا رجل منكم أحب ما تحبون وأكره ما تكرهون الا أنى أعلم أنا بلينا بما لا طاقة لنا به وبالأمس سرت بجموع الى الطفيل فما هو الا أن لاح لنا من القوم أمة يسيرة وعصبة حقيرة فلم يلبث أصحابى أن ولوا الى الهروب وألقوا أنفسهم الى العطب وتهافتوا تهافت الفراش فى النار لم يجتمع منهم اثنان وتفرقوا تفرق المعز من الذئب فقال له مدرع فان الذى اتصل بنا انذ أول من ألقى نفسه للهلاك وطرحت نفسك وهويت الى الأرض فقال عمر كذب من قال ذلك وما فعلته الا بعد ان رأيت مائة قد ألقوا أنفسهم ولعمرى انى لما رأيت ذلك علمت انهم لا يغنون عنى شيأ فألقيت نفسى وقد بقيت زمانا متألما من الألم فقال له مدرع بن رماح قد مضى الأمر بما فيه وكان ذلك حين كنت متباعدا من أهلك والآن فأنت

تحت كنف ذى الكفين وفى جواره وما أظن انه يسلمك واذا منع عن نفسه منع عنك فلا تستعن بأحد من العرب ولا تطلب معاونة معين واتكل على معاونة ذى الكفين فانه اذا رآك وقد قطعت رجاك الا منه وجبت عليه نصرتك ولا يسلمك الى عدوك وشاوره فى أمرك وما قد طرقك من عدوك فان أمرك بالمقام فاقم وان أمرك بالمسير الى عدوك فسر قال عمر ما سرت فى الجوع الا بمشورته وهو الذى حركنى بالمسير ثم يخلى عنى قال مدرع أم أسبق اليك بالقول فى ذلك لأنك اتكلت على غيره وبعثت الى العرب وبذلت الأموال ولو اشتريت ببعضها الجزر وجعلتها له قربانا للزمه نصرتك ولا أظنه تخلى عنك الا بذلك قال فلما سمع ذلك عمر من مقالته قال وعسى ولعل ثم رجع نحو الصنم وقد قطعت الحسرة عن قلبه وانهملت دمعته وجللته الحيرة لا يدرى أقدامه الخير أم وراءه وقد امتلأ خوفا ووجلا فاقبل نحو الصنم واتبعه الناس حتى اذا وصل اليه وللناس ضجة وصرخة اذ زجرهم شيطانه قبل وصولهم اليه ومارده الذى ينطق عنه فجهر القوم بزجرة وأغشاهم بصرخة فخمد الصوت ونطق الشيطان بالزور والبهتان وهتف للقوم وهو يقول

أتدعون لمن رجانى معينا ● حيث ما سار فى البلاد أمينا
لست عونا لمن رجى قصد غيرى ● قد برينا من مثل هذا برينا
ويحك عمرا تركت قصدا ضياعا ● وجمعت الجموع تبغى الفتونا
ولعمرى قد هويت وانى ● عن نصرتك فى المهمات ضنينا
قد تخليت عنكم معشر الناس ● فما فيكم فنى يرتجينا
ان تروموا المقام جميعا أقاموا ● أو تكونون عن قريب ظاعنينا
انا للجمع دافع عن ديارى ● وترى قائد الجموع رهينا

(قال فلما) سمع القوم ذلك من مقالة اللعين تزايد بكاؤهم واشتد عويلهم ومرغوا خدودهم على الثرى وحملوا النسوان والأطفال يستدفعون بذلك نقمته ويطلبون عطفته وجاء عمر بن حمامة من وقته بأباعر فنحرها للصنم وخضع بين يديه وسجد له من دون الله وقال وعزتك لا رفعت خدى عن الثرى ولا سكت عن البكاء أو تجود على بالرضاء وبكى القوم وأجلب النسوان بالبكاء حتى خاطبهم الشيطان معاودا لهم انه قد غفر لهم جنيتهم ووهب لهم خطيئتهم ووعدهم بالنصر على أعدائهم وأمر الا ينتصر بأحد من العرب ولا يكاتب أحدا ولا يتكل الا على نصرته فانه يكفيه أمر عدوه وضمن له هلاك على ومن معه من أصحابه فسر القوم بذلك سرورا شديدا ورفعوا رؤسهم ورفع عمر رأسه ورجع الى مكانه وأمر القوم بالحذر وضم الأموال وطنب البيوت بعضها الى بعض ونصبها نحو الصنم لتكون امامه وبقربه ليمنع عنهم من أرادهم وقصدهم وجعل الأموال حول البيوت ورتب رجاله وضم أضرابه ووثق بمقالة الصنم وما خاطبه به الشيطان وخلع على عون بن كليب وحمله على فرس عتيق وقال له قدمت الى يدا لا أكافئك عليها أبدا فان وصلت الى القوم فلك مثل مالنا وان وصلت يدى الى الطفيل وولده وابنتى رغلة التى تنافست الملوك فى خطبتها وبذلت الجزيل رغبة فى وصلها فهى هدية منى اليك بغير مهر قال عون بن كليب يا سيدى ان كان بغيتك الطفيل بن عامر فاندب معى رجالا من قومك حتى أسبق اليه فآتيك به وبمن معه من قومك قبل أن يصلوا اليك (قال) عمر بن حمامة وكيف تصل اليه وتقدر عليه وهو مع هؤلاء القوم فقال عون بن كليب فان علياً قد قدمه امامه طليعة يتجسس له الأخبار ويدله على الطريق والناس من ورائه متباعدون فان ندبت معى رجالا سرت بهم فلا كمن فى بعض الأماكن الى أن يصلوا الى فأفاجئه بالحملة وهو آمن فأملك قياده ومن معه وان شئت آتيك به أسيرا وان شئت قتيلا قال عمر قد أردت

ان تأتى به أسيرا يحكم فيه ذو الكفين بما يرى وبما يؤمر فيه (قال) حبا وكرامة فاندب معى رجالا أرضاهم وأثق بهم قال له عمر وفى كم يتقدم الطفيل امام القوم قال فى سبعين رجلا أو ثمانين قال عمر سهل الأمر ثم ندب له مائة رجل من أبطال قومه وكبراء عشيرته ثم قال سر بهؤلاء وتشوف على مقدمتهم فاذا لاحوا لك ففرق رجالك فرقتين واكمن لهم فى موضعين فاذا صار بينكم فبادروا اليه وان امتنع منكم وأشرفت عليكم خيل (محمد) وأبطال بنى عبد المطلب فلا تقفوا لهم وعودوا على أثركم قال عون بن كليب سمعت وأطعت وما أنا ممن يحتاج أن يوصى بمثل هذا الحال قال فلما هم بالمسير قال له عمر على رسلك حتى أبعث معك من يعاونك على هذا الحال ومن يصلح للأمور العظام والأحوال الجسام ثم ان عدو الله صاح بمدرع بن رماح فحضر فقال له عمر قد شئت أن تكون عونا لهذا الرجل الناصح على ما قد عزم عليه قال للقتال نبدته أو لغيره قال لا بل هو أقرب مما ذكرت ثم كشف له عما عزم عليه قال مدرع أما وذى الكفين لا جعلت نفسى الا لغير هذا ولا كنت مساويا ولا أهلا نفسى الا لمثل على بن أبى طالب ولا أعود اليك الا به ولست أقتحم الأمور بغير تدبير ولا أنا طائش ولا عجول ولا أقتحم أمرا دون ان أختبره وأنظره فجزاه عمر خيرا ثم قال وأين أنت عن نصرة ذى الكفين أن ينصرك عليه ويوصلك اليه وتقوده اليك حقيرا ذليلا (ثم) أمر القوم بالمبادرة لوقتهم فخرجوا يجدون السير وخرج عمر مودعا لهم وأهل الحاضر الا أقلهم فلما بعدوا أوصاهم وحذرهم وقال لا يقع بينك وبين صاحبك كلام لكل واحد منكم خمسون رجلا وكل واحد منكم أمير على أصحابه وكلاكما فى الامور سواء وانتهى كلبان فأوصاهم بذلك وسار وا (قال صاحب الحديث) رحمه الله ان الامام عليا رضى الله عنه لم يسمع بمسير عدو الله عون بن كليب فى ليلته ومادبره من حيلته ولا سبق الى وهمه انه نافق وخادع فلما لاح الصباح صاح فى الناس بالرحيل وقال معاشر الناس ان الأمر قريب ولعلكم الليلة تصلون الى عدو الله فى غداة غدكم وكذلك أؤمل رجعتكم سريعا ان شاء الله لأنى تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تم أمره وصلح حاله عازما على المسير الى هوازن فانظروا امامكم وكونوا على حذر من عدوكم وارتحلوا ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال فقام الناس الى الخيل كالاسود الزائرة وأحدقوا بالامام رضى الله عنه ينظرون من يقدمون وكيف مسيره وسيرهم كسيرهم بالامس فقال للطفيل قد قربنا من دياركم وأنت أخبر منا بأرضكم فتقدم ولا تجز بكمن من المكامن ولا بضيق من المضايق الا وتبعث برجل من قومك ينظره فاذا قربت من حاضرك وأشرفت عليه ودنوت منه فكن فى مكانك ولا تهجم عليه الى أن ندبر أمرنا وننظر حالنا ونتقدم الى القوم بالاعذار والانذار (قال) الطفيل سمعت وأطعت ثم تقدم فى رجاله وعشيرته وقومه فلما غابوا عن العين فهناك دعا بالزبير بن العوام فأرسله فى أثره وقال يا أبا عبد الله كن فى أثر الطفيل فان قرب من قومه وتبادرت اليه عشيرته وطلبته الخيل فانجده بمن معك وابعث برجل من أصحابك الى اخوانك الذين من ورائك ليكونوا لك تبعا فقال الزبير وهل لأحد عنه صبر ان طرقه طارق يريده بسوء وسار فى أثره خالد بن الوليد المخزومى وأوصاه بمثل ما أوصى به الزبير وقال اذا أشرفنا على القوم كتيبة بعد كتيبة وجعا بعد جمع كان أهيب لنا فى قلوبهم (قال) خالد صدقت وسمعت وأطعت ثم سار فى أثره وسار من بعده قيس بن سعد ثم سار الامام بعدهم واتبعه القوم وتراسلت الكتائب يتلو بعضها بعضا الا أن كتيبة الطفيل تقدمت وأبعدت وهو لا يخامره أن عند القوم خبرا منه ولا أنذرهم منذر وانهم على غفلة قال وكان عون بن كليب ومدرع بن رماح قد قدما امامهما فارسين يتجسسان لهما عن الخبر اذ نظرا الى الطفيل قد أشرف عليهم وكان ذلك بعد الظهر فرجعا يركضان وأخبرا قومهما بذلك فعمد مدرع

ابن رماح فشطر الناس شطرين فاعتزل بخمسين وقال له اكمن انت وراء هذا الكهف وها أنا اكمن في هذه الهبطة فاذا وصل القوم الينا فبادر اليهم فاني في أثرك فاقصد مقصد الطفيل وولده فلا شك انهما في أول الناس (قال) ثم تفرقا حتى أتى كل واحد مكمنه فكمن فيه وأشهروا السيوف وأوتروا القسي اذ قرب منهم الطفيل بمن معه وقد قربوا منه فنظر المشركون اليهم من أماكنهم وعاينوا الطفيل ومن معه وولده عن يمينه وصفوان عن يساره والقوم على غير أهبة ولا يقظة ورماحهم على أعناقهم وسيوفهم في أغمادها وهم سائرون مطمئنون وقد عارض خيلهم الكلال والملال لشدة السير فلما رآهم المشركون على ذلك استغنموا الفرصة وكان أول من ثار اللعين عون بن كليب لغيظه على الطفيل يطلب أن يفتك به ويحتوي عليه فيكون الذكر له ويأخذ منه بثاره فأطلق عنانه وفوق سنانه وثارت الخيل من ورائه يتصارخون فلما نظر مدرع بن رماح الى ذلك نوج مبادرا وقال لقومه اياكم أن يسبقكم القريشي الى ما أمل فيكون الفخر له دونكم فاعنف القوم على خيلهم فخرجت كأنها شعله نار وطلبوا السبق الى الطفيل فلما رأى الطفيل الخيل عن يمينه وعن شماله دهش واستصرخ القوم وقال يا ويلكم دهيتم ورب الكعبة من أعدائكم فلم يستيقظ القوم ولا وصلوا الى أسيافهم حتى وصل القوم اليهم وعاجلوا الطفيل وقد ضرب بيده على قائم سيفه فملكوه وملكوا ولده وقد نزل يشد حزام فرسه فأخذوه وأحدقوا به وصفوان قد عطف بريد الرجعة فأسروه وملكوا من القوم اثني عشر رجلا وقتلوا سبعة واستيقظ بقية القوم وملكوا أسلحتهم وأحدقت بهم الخيل وتكاثفوا بالسيوف وتطاعنوا بالرماح وقد اعتزل منهم رجال للاسارى وبعث أصحاب الطفيل الى من وراءهم الى المسلمين يخبرونهم بما قد دهمهم من المشركين تحت الغفلة والدهشة وتناضل بقية القوم معهم وقاتل مدرع بن رماح قتالا عظيما وكذلك عون بن كليب وقد كشف القناع وقال أنا من قتلتم أخاه بالأمس وسفكتم دمه أنا لجمعكم ملي وأنا القتل (محمد) وعلى قال وبينما القوم كذلك اذ أشرف عليهم المؤمنون والزبير بن العوام وقد أخبر بالخبر فاسرع مجدا في السير وقد أطلق عنانه وأطلق القوم أعنتهم خلفه وقدموا أسنتهم وأعنفوا على خيلهم والزبير في أوائلهم وقد حسر عن رأسه وأعلن بمكانه والخيل من ورائه مصمصمة كأنها نهر أطلق على مجاريه وأقبلت خيل خالد من ورائه حين سمعوا الصراخ (قال) فلما نظر عبد الله عون بن كليب الى الكتائب يتلو بعضها بعضا كالزوابع أشار الى عون بن كليب وقال يا ويلك خذ معك عشرة من أصحابك وأنجز بهؤلاء الأسارى الى الحاضر وخلني والقوم فما يكبر على جمعكم ولا تفزعني كثرتكم وأخبر عمر بن حمامة بما قد دهمنا ليكون على علم قال فأخذ عبد الله عون بن كليب عشرة من أصحابه وخرج بالطفيل وولده وصفوان وبقية الاسارى وهم على خيلهم وقد أونقوا أيديهم الى ورائهم وقال لأصحابه اطردوا الخيل طردا وحثوها فانهم اذا غاب هؤلاء الأسارى عنهم وعلموا انهم قد حصلوا في الحاضر انكسرت شوكتهم فرجعوا يضربون أكفال الخيل فأسرعت في جريها فبينما هم يسيرون اذ لاح لهم رجل يسعى على قدميه عظيم جسيم وله وثبات مسرعات ونزعات مهولات كأنه الأسد النابل بيده حسام مهزه كأنه لمع برق وهو مع ذلك يثور من ربوة الى ربوة ومن شرف الى شرف كأنه ريح عقيم يتطاير الحصا تحت قدميه يسمع له صوت فلما بصر به القوم وقفوا على المسير لهول ما نظروه منه حتى اذا قاربوه وتأملوه واذا هو الامام علي رضي الله عنه وهو يقول خلوا عن الحبايب فأنا علي بن أبي طالب (قال صاحب الحديث) وكان من خبر الامام المرتضى انه لما اتصل به ما رصل اليه المشركون من غدرهم بالطفيل وبلغه ذلك الصراخ وأخبروه ونظر الى كتائبه تسرع وقد أطلقوا الأعنة وكل يطلب قال الامام لمن معه معاشر الناس انه متى ظهرت كتائبكم للقوم طلبوا الفرار ولا سيما اذا

أشرفت أنا عليهم وعرفوا مكانى وأخبروا بشأنى ولكن تلاحقوا باخوانكم حتى أعود من هذه الجنبة وأقطع على القوم طريقهم وآخذهم المجاز فان انهزموا منكم لم يفلتوا منى ثم أمر على أصحابه الفضل بن العباس وترجل عن جواده ودفعه لعمار بن ياسر ونفذ راجلا وكان يسعى على قدميه تقصر عن لحاقه الخيل العتاق وكان يقتنص الوحوش والظباء على قدميه يسعى سعيا وسلك طريقا لا يقدر أحد أن يسلكه من خشونته ووعره الى أن قطع القوم وخرج الى الجادة وسار فى مقدمتهم فهناك عطف راجعا نحوهم فلقى الطفيل والاسارى كما تقدم مكتفين موثوقين فلما نظر الطفيل وهو موثوق الى الامام أطرق الى الارض حياء منه وعرف الامام ما عنده فلم يخاطبه ومد بصره فرأى عون بن كليب المخزومى فعرفه فقال له ويلك ألست أنت عون بن كليب من أصحابى من قومى قال أنا ذلك قال فاخبرنى كيف صرت فى حرب القوم أنا فقت بعدان آمنت وكفرت بعدان أسلمت قال معاذ الله ان أستبدل بالاسلام دينا ولا أغير بعد الايمان يقينا وانى به لمتمسك ضنين قال له الامير فما تصنع مع هؤلاء الكفرة قال ما أنا معهم وانى أسير مثل هؤلاء الاسارى ومملوك مع من ملك لانى أحببت أن أكون فى المقدمة مع القوم فوقع بناهؤلاء القوم الا أن صاحبهم مدرع بن رماح عرف مكانى وشرفنى فى قومى فوهبنى وقال لى سر مع القوم الى أن تضع الحرب أوزارها ثم أطلق لى السبيل فقال له الامام كذب لسانك فيما نطق ياعدو الله ومن أمرك أن تتقدم مع القوم ولست منهم وما أراك الا شاهرا سيفك وتطرد الخيل طردا فرفع الطفيل رأسه بعد اطراقه فقال يابى والله انت والله مادهينا ولا أتى علينا الا من قبله ولا احتال علينا ولا دبر هذا الأمر سواه وما أنذر القوم بقدمنا غيره ولقد فاجانى مفاجأة الأسد وغافصنى مغافصة الثعلب ولم يقع الا انه هو الذى أعلم القوم بمكاننا ولولا ذلك لما وصل الى فقال له الامام ياطفيل كم من غالب غلب وكم من حذر نكب ثم قال لعون بن كليب ياويلك خل عن مافى يديك واستأسر الى أن يقضى الله ماهو قاض قال عون ما أنا ورب الكعبة منابذك ولا معاندك ولقد قيل للطفيل من الدهشة انى طلبته وأردته وأنا وهو فى هذا الأمر سواء وأما الاسارى فهم لك وبين يديك مبارك لك فيهم فالفرحة الكبرى واصلة الى اذ أنقذنى الله بك من الاسر فحام الامام كلامه فصاح به رجل من العشرة يقال له زيد بن جبير الدوسى فقال له ياويلك لم تهن من نفسك وتضع من قدرك أهذا جزع من هذا الغلام أترانا نسلمك أبدا ونخلى عنك (ثم) أقبل على الامام وقال خل يا غلام التعاظم والكلام والتفاخر فى المرام فالرجل كما ذكرت وعندما وصفت وهو لعمرى من سبق الينا بالنصيحة وأخبرنا بخبركم وكشف لنا عن أمركم وأنذرنا بمسيركم فخرجنا مبادرين واما أنت فذو الكفين ضمن لنا انه هو المتولى لقتلك وصرعتك وأخذ عشيرتك وقومك فانى برىء من ابن عمك وماجاء به واما أنت فاستأسر لنا قبل أن تزحف اليك الرجال من الحاضر ويأتيك عسكر ذى الكفين مبادرين فضحك الامام من قوله وقال لسان المرء جالب له حتفه ثم قال له ياويلك ومن يمنعنى من هذا اللئيم ويبعدنى منه قال من تسمع كلامه وتخشى بأسه ومرامه قال له فدونك أن تنال ماطلبته أو يكون ذلك مهلكك ان فعلت فتقدم زيد وهو فارس والامام على راجل وهو يظن ان الامام فى قبضته فحام من حوله والطفيل قد أمسك عن الكلام رجاء أن يكفيه مؤنته فحمل عدو الله وهو يقول

وافاك هول وحمام عاجل ❊ وهو اليك من حسامى نازل
كانه غيث مسيح هاطل ❊ يورث من نزاله الثكايل
أنا ك قضب ياعلى مناضل ❊ فى كفه ضرغام جسور قاتل

(قال) والامام يمسك عن الكلام لا يرد له جوابا وقد قصر عنه وثبته وأمسك ضربته يطلب فرصة

يصل بها اليه اذا حاذاه عدو الله وساواه ثم ضربه بحسامه فحاد الأمير عن الضربة فضرب الامام بيده الى قائم سيفه فضربه على ظهره وسقط عن الجواد فوقعت مقدمة السرج على ظهره فانخسف صدره وعجل الله بروحه الى النار فصاح هملوا الى مفنى الخيل ومورث الويل فتبسم الامام من قوله وصاح بعون بن كليب يا ويلك خل عما فى يديك واستأسر لخير لك فلم يلو الى كلامه فلما نظر اليه لم يفكر فى كلامه وكشف اللعين سره بأمره وقال يا ابن أبى طالب الى كم يكون هذا البغى منكم الينا فقد أفنيتم الاكابر والأصاغر وأنتم لا تنتهون وقد أفنيتم أهلى وبنى عمى وأصحابى قتلوا أخى وان فى القلب منكم لحسرة وأنا الذى أتيت الى القوم وأخبرتهم بخبركم وحذرتهم من مكانكم وأنا خرجت مع هذه العصابة اليكم وفينا شيخ هو أبسط منا يدا وأشد جلدا قد لقى من العرب أبطالها ومن الأكاسر أقيالها وها هو مع أصحابى منابذ لهم غير مكترث بهم من تزايدهم وقد أقسم بذى الكفين لحق الحق الا يعود اليه الا بك فان طاولتنا وما نعتنا فكانذ به وقد أشرف علينا ووصل الينا وأنا أعلم انه يحتوى على أصحابى كلهم أسارى ويتركهم قتلى وقد علم انه لم يكن فيهم جولة الجائل حتى قتل منهم تسعة وأسر اثنى عشر رجلا ولو دفع الى قتال أصحابى كلهم بأسرهم لوصل اليهم والى ذلك (قال) فلما سمع الامام ذلك من مقالته غضب وقال يا ابن اللئيمة لقد أطلقت لسانك الى ما لا تصلحه فخل عما ذكرت وسر أنت الى ترعيبا فلما سمع اللعين ذلك علم ان الامام لا يتركه ثم انه ترجل عن جواده واختر سيفه وحزم وسطه ومشى نحو الامام فصاح الطفيل يا أبا الحسن خذلنا من عدونا نارنا فانه خدعنا وبغى علينا فدلف اليه الامام فتضاربا ضربا منكرا وصبر عدو الله حين أيقن بالهلاك وعلم أن لا ناصر له ونظر الى أصحابه وقوفا حول الأسارى وقد اصفرت وجوههم وخارت ألوانهم مما عاينوا من القوم ومما عاينوا من الامام وان القوم لعلى ذلك اذ أشرفت خيل الدوسيين منهزمين وعدو الله فى أولهم (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله لقد بلغنا ممن حضر الوقيعة أنه قال لم أر أحدا قاتل مثل قتال عدو الله مدرع وذلك انه لما بعث الاسارى مع عون بن كليب ووقف هو وتسعون فارسا من دوس وقد أقبل فى أوائل القوم وظن فى نفسه انه يقاتل أصحاب على كلهم فلما نظر الى الزبير وقد أقبل فى أوائل أصحابه وهو حاسر عن رأسه كأنه شعلة نار وقال لاصحابه معاشر الناس انكم قد وجهتم الكتائب وتلاحقت بكم المواكب وقد ملئت أفئدة القوم منكم رعبا فمن وصلتم اليه واحتويتم عليه فلا ترهبكم كثرتهم واثبتوا لهم فكأنكم بصاحبكم عمر قد أقبل اذ نظر الى الاسارى وقد أقبلوا اليه يبكون ذلك تحريضا لهم بالمبادرة اليكم فترجلوا عن خيلكم والصقوا المناكب وهزوا المضارب فترجل القوم كما أمرهم وأحدقوا بخيولهم كالاسد الزائرات وتقدم عدو الله مدرع أمامهم كأنه ليث يحامى عن أشباله وقد تشمر وتحزم وبيده سيف رقيق لا يفله الحديد ولا الحجارة مغلق الهام وبيده درقة كسروية لطيفة مكوكبة بكواكب الذهب وأشرف الزبير بن العوام فلما نظر الى القوم وقد ترجلوا عن الخيل قال لاصحابه أما ان القوم قد عزموا على الحرب فاسبقوا اليهم بالضرب عسى أن تصيبوا منهم رجلا قبل أن يلحق بكم أميركم فيقبض عليكم على قتلهم وسفك دمائهم وقد وصل أعداء الله الى الطفيل وولده ورجال من أصحابه ولا شك انهم قد حصلوا فى حاضرهم وذلك أكبر رزية علينا ولم يعلم الزبير بمسير الامام اليهم ولا علم بذلك خالد ولا قيس ولا علم بذلك الا من كان مع الفضل بن العباس وهم الزبيران يصل اليهم وان يسرع بمن معه فى أثر القوم الآخرين رجاء أن يخلص الطفيل وولده واجتمع القوم وعزموا على الحملة وتقدم الزبير وهو يقول

دونكم على اللئام فاحملوا * ومكنوا السيوف منهم واقتلوا

ان البلا مع القضاء موكل • ان الطفيل لم يكن مخذل
وانه فى الحرب ليث أهول • وقدر مامنهم بحتف اعجل

(قال ثم) زحف برجاله وعزم على الحملة وصاح به مدرع يا أيها المهول بأسه المضمر مراسه القاتل رجاله اياك أن ترمى فى الرحا الطحون فينالك ماينال غيرك من الاسر والقتل والقهر وصروف الامور انى أحذرك هجمة الضرغام وانذرك الهمام فقال له الزبير لامدّ الثكل لقد أملت أمل الزور وغرك بالله الغرور ياويلك لمن تقاتل ولمن تناضل ونحن جند الله الاعلا الذى لايغلب وعسكره الذى لاينذب وكانّ بالكتائب وقد تلاحقت بدّ تزحف بالابطال وترمى اليدّ بالاقيال ثم يأتيدّ فى أثرها الليث الفاضل والرجل القاتل مورث الزلازل قال له مدرع انى له منتظر ولمجيئه مرتقب وانما بعثت عن أسرت لئلا يعوقنى عن أسره عائق وقد أقسمت بذى الكفين الاعلا لأعودن الى الحاضر الابه أسيرا (قال) فصمدّ الزبير من قوله وزحف اليه برجاله وتلاحقت الأبطال بالأبطال والتقت الأقيال بالأقيال وتلاحم القوم فى القتال وانفرد الزبير لمناضلة عدو الله مدرع بن رماح ونزاله فاختبره فرآه صبورا على الجلاد وقد عود الطراد فطاوله رجاء أن يصل اليه فلم يقدر عليه وصبر أصحابه على مادهمهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثرت الرجال وترامت الرماة بالنبل وتلاحموا فى القتال ولم يزل القوم كذلك فى الحرب والضرب والزبير صائل على عدو الله يؤمل الوصول اليه فصعب عليه ذلك وقتل من الفريقين رجال وجدل أبطال وان القوم فى أشد القتال وقد اشتد القتال والقلق وجرى العرق اذ أشرف خالد بن الوليد فى رجاله كالأسود وهم على ظهور خيولهم بالدروع والجواسق وهم محدقون فكبروا كبرا أصحاب الزبير حين أشرف عليه اخوانهم مع خالد رضى الله عنهم فأقبل الزبير على اللعين مدرع وقال له ياعدو الله أتتدّ الخيل وأدركتدّ الكتائب فاستأسر لأم لك قبل أن تدهمدّ الرجال وتحيط بدّ الأبطال وتمزقدّ الليوث بأنيابها وتخطفدّ بمخالبها فقال عدو الله كلما تكثر كان دليلا على فشلكم وقلة جلدكم وهذا مما أسر به لكثرة الغنيمة وما كثر جمع قوم الا كان فيهم اضطراب ونحن عصبة انجاد لايخامرنا من كثرة فتهيب الزبير من جسارته فى خطابه وكبر قلبه عند جوابه وثباته عند ماظهر له من كثرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشرف خالد فى كتيبة ووصل الى القوم فرآهم متلاحمين فنادى بالزبير اخرج عن القوم وخلنى معهم ننال مانلت أنت فخرج الزبير بأصحابه من المعركة ودخل خالد بن الوليد وقال للزبير بن العوام من عميد القوم فقال له ذلك الفارس المهول الصبور على المراس والله لقد عارضت الأقران وصارعت الشجعان فلم أر مثل هذا اللعين ولقد صبر حتى لم يبق للصبر مكان وأجهدت نفسى أن أصل اليه فما وصلت فانظر أمامدّ ولا تتهاون به وكن حذرا من طعانه وضرابه (قال) فصمدّ خالد من قول الزبير وأسرع نحوه وأشار الى أصحابه بالحملة فحملوا وحمل خالد نحو عدو الله مدرع وقصده فلما نظر اللعين الى خالد قال له لعلك منيتى ومن أنا متطاول الى قتله على بن أبى طالب من تعرض لمنايا هلك وان الذى ذكرت رجل مارآه معاند الا ارتعش ولا مكايد الا ارتكس مانجا من سطوته مناجز ولا من هجمته مبارز خطاف صوال فى الوهج قطاع الأوداج فالويل لك ولمن معدّ أن يضربدّ قال عدو الله فمن أنت لا كون من قتالك على علم قال أنا من قريش أنا خالد بن الوليد المخزومى فقال عدو الله يالله للرجال أعجوبة مالها مثال هذا ابن عمدّ أتى ناصرا ومعينا وسبق الينا بالنصيحة مبادرا هذا عون بن كليب المخزومى وما الذى أخرك عن جملة بنى عمدّ وقرابتدّ وذويدّ الى معاندة قومدّ قال خالد تعس أهلى وأقاربى من مضى منهم ومن بقى الا من قال بمقالتى وشهد بشهادتى وأقر بهذا الرسول النبى الأمين وصدق بما جاء به من عند رب

العالمين وعظم على خالد ماذكره عن عون بن كليب وعلم انه هو الذى سبق الى القوم بخبرهم ثم حمل على عدو الله حملة منكرة وكان فى يد خالد سيف رقيق قطاع فتالك فصال عليه خالد صولة منكرة غيظا وحنقا لما سمعه منه وضربه ضربة منكرة صادقه فاخذها عدو الله فى درقته فانقطع السيف فى يد خالد فتأخر عن قرينه واختر طسيفا آخر كان فى منطقته فدلف نحو عدو الله فقال عدو الله ما أغنت مضاربتكم عن مطالبكم فقال خالد يا ويلك ماهو من تبلد ولا وهن ولا كلت من شدة سواعدنا ومضاربنا نعطى السيف الغاية لندرك النهاية من فلق الهام وهتك العظام والآن قد أعددت لك حساما قاطعا ولهاما تدعا ثم حمل عليه خالد وحمل عدو الله مما نعا عن نفسه وهو مع ذلك يصرخ باصحابه ويحرضهم على القتال والنزال ويقول انما هى ساعة ثم تأتيكم الكتائب والمواكب من حاضركم والقوم طعمة لكم فصبا القوم وعجب خالد مما ظهر له من صبره وضرابه وتداوم قتاله وكثرة عطفاته ومعرفته بابواب الحرب وطاوله فلم يزدا الا انهجاما واقتحاما وصولة ونشاطا وان خالدا على مثل ذلك اذا شرف قيس رضى الله عنه فى كتيبة فقال عدو الله لخالد اخرج بكتيبتك فانى أعرف ما عندك من الانبهار وما تجلك من الاضرار ولعل صاحبك هو طلبى فابلغ منه ما أريد فما أنا حابس نفسى الا له فلتخرج منكم طائفة وتدخل أخرى فانى صابر على جلادكم غير ملول من طرادكم ووصل قيس بن سعد وكان أشبه الناس بالامام على رضى الله عنه فلما نظر اليه تحقق انه الامام لما تقدم عنه من صفاته فقال لخالد أبعد عن معركة الحرب فقد أتانى من كنت متطاولا اليه وصاح قيس بأمره بالخروج من المعركة فخرج خالد ودخل قيس وكان مهيب المنظر عظيم المخبر واسع الباع طويل الذراع صبورا على القراع فنظر الى خالد وقد علاه الغبر فقال ما وراءك يا أبا سليمان فقال احذر من الحية الرقطاء فانى لم أرقط مثله الا أن عدو الله قد ذهب وهمه انك أمير نا وابن عم نبينا وقد عزم على قتالك فحمل عليه قيس من مكانه حملة منكرة من غير خطاب ولا جواب ولا اعذار ولا انذار وقيس انما يريد بذلك أن يفتخر بقتله قبل أن يصل الامام لما اتصل له من شجاعته فلما نظر عدو الله الى ذلك قال رفقا بنفسك يا ابن أبى طالب فانى ذو البأس الشديد الضيغم الجليد فلم يلو قيس الى كلامه دون ان رماه بانتقامه وغشيه بالهجمة وصال عليه صولة منكرة فقال عدو الله لعمرى انها لصولة بنى عبد مناف وحملات بنى عبد المطلب ثم وثب اليه وناضله وأظهر كل ما يقدر عليه كل ذلك يريد أن يزرع فى قلبه هيبة ويؤمل أن يصل اليه بزعمه وانه لعلى مثل ذلك اذ ارتفع الضجيج وكثر الصجيج وكثرت الأصوات بالتكبير فذهل عدو الله من ذلك والتفت ينظر واذا بالجيش وبقية العسكر قد أشرف وكان أكثر الناس لما رأوهم ظنوا أن الامام معهم ففرحوا وسروا سرورا عظيما وسمع عدو الله الناس وهم يقولون جاءكم الامام على أقبل الموت المبيد فلما سمع عدو الله ذلك قال يا ويلكم أوليس هذا الذى بنا وبنى ويحارب بنى فقالوا له ليس هو الذى يحارب وظهرت ابطال بنى هاشم واقيال بنى عبد المطلب وعاين الفضل بن العباس وقد تقدم وعلى رأسه عمامة سوداء وقد أشرق بياضه ولمع نوره وأنارت طلعته فلما نظر الى ذلك قال لاصبر لى على قتال على بنا ضلنى وعلى قد دهمنى ثم استوى على متن جواده وخرج هاربا وتبادرت أصحابه خلفه وأطلقوا الاعنة هربا وكان عدو الله على فرس سابق فسبق أصحابه فقال قيس رحمه الله احملوا معاشر الناس فحملوا باجمعهم فامعن عدو الله فى الهروب وهو لا يحدث نفسه الا أن الأسارى قد وصلوا الى الحاضر اذا شرف عليهم فنظر الى الاسارى على خيلهم والفرسان من حولهم وعلى رضى الله عنه مع صاحبهم عون بن كليب وقد ظهر عليه وكاد أن يصل اليه فسمع نهراته بالبعد فوقف عن المسير وخفى عليه الأمر فنظر اليه عدو الله بن كليب فظن أنه سينقذه مما هو فيه فقال له مدرع عندما عاينه يا ويلك ما الذى أعاقك عن المسير بالاسارى قال عاقنى الموت العائق والهمام الطارق

والرجل السابق على بن أبى طالب (قال) فذهل عدو الله وغاب رشده وقال على يناذنى وعلى يدار كنى وعلى يسابقنى فزحف عدو الله ودهش فزحف اليه الامام عند دهشته وقد تلاحقت به الكتايب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكبير من أماكنهم وامتلأت بهم الأرض وحقق عدو الله النظر الى الامام على وتغير وجهه واحمر وعرق الغضب ظاهر بين عينيه وحاجبيه فايقن بالهلاك وقال ان يكن على فى الناس فهو هذا ونظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الامام وقد حبس الاسارى عن المسير ولم يكن لهم بذلك علم فعجبوا من ذلك ونظر عدو الله الى الامام وقد زحف نحوه والكتائب قد هجمت عليه فايقن بالهلاك فصاح برفيع صوته يا ابن أبى طالب قد ذكر لى ان فيك نصفة للقاء الفرسان والشجعان وانى أريد أن أذكرك كلاما فامر قومك أن يمهلوا حتى أخرج اليك بما أنا مضمره فوقع الى الامام أنه يريد بذلك الاسلام فاشار الى كتائب المسلمين بيده وقد قربت وكانوا قد أطلقوا الاعنة وفوقوا الاسنة فوقفوا جميعا عما عزموا عليه عند اشارة الامام اليهم فقال الامام لعدو الله قل الآن ما بدا لك فقال مدرع لقومه ان هذه الطامة الاخيرة ثم قال يا ابن أبى طالب قد تمنيت ان أذوق منذ ماذاق غيرى من لقائك وحربك وانما ظننت أنك الذى نباذتنى ٣ أنت بعينه واذا لم تكن أنت فانا متطاول الى لقائك ونزالك فهل لك أن تساوينى وأساويك وتناوينى وأناويك فقال له الامام لك ذلك وصاحبك معك بعينك وأنا منفرد لكما وكفؤ لكما ان شاء الله (فلما) سمع اللعين ذلك من مقالة الامام فرح فرحا شديدا وقال هذا هو البغى وعنده يكون الهلاك فقال على ماهو بغى وانما هو توفيق من الله سبحانه عليه توكلت واليه أنيب (قال) فخرج اللعين مدرع وعون بن كليب وهما فارسان وكان الامام قد ركب فرسه فخرج اليهما وحمل عليهما فتفرقا عليه فصاح مدرع بصاحبه فقال ان فى كفاية فقال عون أنا أكفيك أمره قال على رضى الله عنه ها أنا راجع اليك وقاصد اليك ثم جمع نفسه وصال على عدو الله صولة أرعشه بها وهو طامع فيه فلما اختبره الامام قال يا عدو الله زدمن قومك ان شئت عشرا أخرى قال وما أصنع بهم قال تحمل بهم الى واحمل أنا بنفسى فاساويكم ان شاء الله وألعب بابطالكم وأنكس أقياكم بعون الله (قال) فلما سمع اللعين ذلك قال لاصحابه ان الرجل مناع وانه قد دعا وى عظيمة وظن ظنونا جساما وهو أقيس لهلاكه وهو أقرب لدماره فثوروا بنا اليه فتى ملكتموه انكسرت حدة القوم وخمدت جرتهم وتصدعت ثم أفرد عشرة من أبطال قومه ممن اختبر قتالهم وعرف نزالهم فلما نظر الامام مبادرة القوم نهض اليهم غير مكترث بهم ولا منيب لهم فتفرق القوم من حوله وأطلقوا الاعنة وأشرعوا النصوه الاسنة وصاح بعضهم ببعض وصاح مدرع وكانت الرماح تصل الى الامام فيبريها كما يبرى القلم فاول من لحق من القوم الغضبان بن دهيل الدوسى وأشار برمحه الى الامام فضربه الامام على مفرق رأسه قده الى سرجه ثم ضرب الريان بن مهند على صدره عرضا قطعة نصفين فلم تكن الاجولة الجائل حتى قتل من القوم ستة واللعين يصرخ بقومه ويزعق بصاحبه وان اللعين عون بن كليب طرح نفسه على الامام وأمل أن يفتك به ويفتخر بذلك عند العرب فمكنه الامام من نفسه حتى اذا قارب به وحد الركاب بالركاب والعنان بالعنان فعندها ضرب الامام يده الى مجامع أطواقه واقتلعه من سرجه فضرب به غويث بن الربيع وكان أقرب القوم اليه فدمغهما معا فلما نظر عدو الله الى ذلك أيقن بالهلاك وقصر بقية القوم عنه لما ظهر لهم منه وجعل الامام يضرب منهم فارسا بفارس وهم لا يصركون حتى أتى على آخر القوم فلما نظر عدو الله مدرع الى ذلك قال يا ابن عبد المطلب ابق على الاسير وأحسن الى الفقير ثم سلمه الى أصحابه ثم نادى برفيع صوته معاشر الناس ما أنتم قائلون اما أن ترفعوا أصواتكم بالاسلام أو تقربوا من الحمام فقد رأيتم العيان قال فلما نظروا الى ذلك امسكوا عن

الجواب فاشار الامام علي رضى الله عنه على أصحابه بأمرهم بالحملة على القوم فما كانت الا لحظة حتى قتل أكثرهم ولم يبق منهم الا اليسير (ثم) أطلق الطفيل ومن معه من الاسر ثم قال الامام لمدرع ابن رماح كيف رأيت صنع الله بنا عدو الله مع اننا أحقر وأذل واصغر واقل فانظر ما أنت قائل فقال اللعين يا ابن أبي طالب لا تحدث نفسك بما لا يكون ولا تسق نفسك الى ذى الكفين فانه قد ضمن لعمر ابن حمامة قتلك وقتل من معك من قومك فلا تدانيه ولا تقاربه فهو أرشد لك فهذه مشورة ناصحة نريد لك الخير فغضب الامام من كلامه وقال يا عدو الله سينظر من بقى من قومك ما أنا منزله بهذا الصنم الذميم وشيطانه الرجيم فدع عنك هذا الكلام وقل ما أنت قائل قال وما عسى أن أقول لك ما أظلت الخضرا ولا أقلت الغبرا أبغض الى من رجلين أنت وابن عمك (محمد) صلى الله عليه وسلم قال فعندها عاجله الامام بسيفه أزال رأسه عن جسده فسر المسلمون بقتله وأخذوا أسلاب القتلى وخيلهم وسلاحهم وارتحل الامام رضى الله عنه فلم يزل يجد السير الى أن قرب من حاضر دوس وقد أدركه المساء وانسدل الظلام فنزل هنالك وأمر أصحابه بالنزول وبالحذر وقال ارتبوا حرسكم وأضرموا نيرانكم وأرجوا أن يكون الفرج قريبا ان شاء الله ففعلوا ذلك وبات القوم بأكرم مبيت (قال أبو الحسن البكرى) رحمه الله تعالى هذا ما كان من خبر الامام رضى الله عنه وأما ما كان من خبر اللعين عمر بن حمامة لما أرسل مدرع بن رماح وعون بن كليب طليعة ثم ظفر الامام بهم كما تقدم فلم يفلت منهم الا رجلان هربا واحتوى المسلمون على خيلهم وسلاحهم ثم سار بالناس حتى قربوا من الحاضر ولم يبق بينهم وبينه الا نحو عشرة أميال فعندها نزل الامام رضى الله عنه وأمر الناس بالراحة بقية ليلتهم وقال يا أيها الناس فى غداة غد تكون وقعتكم مع عدو الله ان شاء الله وأرجو أن تظفروا بعمر بن حمامة وبصنمه وتسرعوا بالرجعة الى الأهل والأوطان وبات القوم فى خير مبيت حتى اذا برق ضياء الفجر أذن المؤذنون وصلى بهم الامام صلاة الصبح فلما فرغ من صلاته قال لأصحابه أيها الناس ان هذا يوم قد لاحت أنواره وعظم عند الله مقداره بجهادكم وطلبكم ما يحبه الله ورسوله فبادروا رحمكم الله الى أعدائكم وتوكلوا على ربكم وانزعوا الهلع من قلوبكم وها أنا فى أوائلكم لا أسلمكم فان تأخرت فأنا العاجز وهيهات أن يكون منى جزع ان شاء الله فاسرعوا بارك الله فيكم (قال) فما استتم كلامه حتى بادر الطفيل رحمه الله وقال معاشر الناس تمهلوا قليلا بارك الله فيكم حتى أخاطبه أعنى الامام بكلام تسمعونه قال افعلوا ما يأمركم به فوقف الناس يسمعون ما يقول فاقبل على الامام وقال يا ابن عم نبينا ومنقذنا ان من أراد أن يشرب البحر أفنى ومن أراد أن ينقل الجبل على ظهره أمل عجزا وكسر ظهره ومن بسط يده ليطمس نور الشمس لم يحمد أمره وكذلك من أمل أن يبطل دين الله أو يخمل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد هلك وتاه حيث ما سلك وانى أعلم انكم لا تغزون قوما الا هلكوا وقد حللت بديار قومى وقد لحقنى منهم ما علمت من الأذى وهتك النساء والحريم ومطالبتهم اياى مرة بعد مرة يريدون هلاكى وأنا أعلم انك ان سرت اليهم فهو هلاكهم الى آخر الدهر وقد أحببت أن تمهلنى ولو بعض يوم حتى أنذرهم من سطوتك ونقمتك وادعوهم الى الله عساهم أن ينتهوا كما فعلت بهم مرة بعد مرة وأسئلك الرفق بهم والتعطف عليهم فعسى أن يلين منهم ما خشن من قلوبهم فانى فى ليلتى هذه لم ألتذ بالمنام ولا عرفت الرقاد بل أفكر فى هجوم أهل الايمان على قومى وصراخ النسوان والولدان وكشف البنات المخدرات كلما تفكرت فى ذلك انهملت عبرتى أسفا منى عليهم وقد أحببت أن أتقدم اليهم بالاعذار والانذار لعل الله أن يعطف قلوبهم فينتهوا عن عبادة الصنم الذميم فتبسم الامام من كلامه فقال أبيت يا طفيل الا كرما فلا رحم الله من لا يرحم الناس وانى أشفق عليهم منكم كما تعلمون وما أنا بما نعد مما يصلح شأنك

وشأن قومك ودخولهم فى الاسلام أحب الى من قتلهم بالحسام غير انى أخشى عليك منهم ومن صاحبهم عمر بن حمامة وهو أعدى الناس لك فكيف أطلق لك السبيل فقال الطفيل بأبى أنت ترسل معى من يردعنى سطوة قومى ممن تشق بهم (قال) الامام حبا وكرامة ثم دعا بالزبير بن العوام وقال له يا أبا عبد الله أنا وأنت فى هذا الأمر سواء وكلنا فيه أكفاء فسر مع الطفيل فى رجال من المؤمنين وعصابة من الموحدين حتى يدعو قومه الى الاسلام فلعلهم يجيبونه وان ظهر لك من القوم انهم يريدون بك أو بالطفيل مكرا وغدرا فلا تطاول القوم دون أن ترجع الى بما يلوح لك منهم أو تبعث الى رسولا يخبرهم واحذر من غوائلهم قال الزبير حبا وكرامة فافرد له الامام أربعمائة رجل من المهاجرين والانصار ومن دوس فقال للدوسيين من كان له خليل أو أخ أو شفيق فليدعه الى الله عز وجل فلعل الله أن يعطف قلوبهم الى الاسلام وان سألوكم عن صنمهم ومخافتهم منه فاضمنوا لهم انى أمحو أثره وأقتل شيطانه وانه لا يعرض لهم منه عارض أبدا فأجابه القوم الى ذلك وخرج الزبير وقد تكامل معه خمسمائة فارس وعبد الله بن أنيس الجهنى وعمرو بن أمية الضمرى وسارا حتى وصلوا الى الحاضر فسمعوا قبل وصولهم اليه بكاء الصبيان والحاضر يموج بأهله (قال صاحب الحديث) وكان الذى أوقع بالقوم ذلك ان الرجلين اللذين هربا من الوقعة جدوا فى هربهم حتى وصلوا الى الحاضر وهما يركضان وعمر بن حمامة منتظر لمن أرسله من أصحابه وهما عون بن كليب ومدرع بن رماح بما ضمن له من قتل على ومن معه فلما نظر اليهما قومهما قالوا لقد جاءكم البشير بأخذ الطفيل ومن معه فلما نظروا اليهما وعليهما أثر الانهزام وألوانهم مصفرة وثيابهم مضمخة بالدماء سألوهما عن خبرهما فلم يجيبا بشئ حتى وصلا الى عمر بن حمامة فلما نظر اليهما أنكر أمرهما وقال يا ويلكما ما وراءكما فقالا لقينا الأسد القتال والفارس الزلزال الذى لا يبالى من كثرة الرجال على بن أبى طالب ابن عم (محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب فقتل أصحابك وأنقذ الطفيل من الأسر وكنا قد أسرنا الطفيل ومن معه فاستنقذوه من أيدينا وهو وسائر اليد وكانك به وقد أشرف عليك فلما سمع عمر بن حمامة ذلك ضاقت عليه الأرض بما رحبت وعظم عليه ما سمعه وقال لقد زالت رتبتى وانقضت مملكتى وانحل ذكرى وذل عزى الهى أى شئ شغله عنى ثم سار للصنم وانحفل الناس من حوله فتقدم اليه وقال يا الهى وسيدى ما بقى للقوم غير الهجمة علينا فى حاضرنا وهتك حريمنا ان لم تنصرنا على الأعداء كما وعدتنا وعلى على بن أبى طالب والا هلكت وهلكنا معك واكشف عنا هذا العار فقد قتل قومنا وبدد شملنا فما هذه الغفلة والرقدة فخاطبهم شيطانه وكلمهم على لسانه وأظهر لهم انه كان غائبا وانه ينصرهم

لا تجزعوا لمن حل فى الدار • وان أتاكم بأقيال وانصار
خل الطفيل حتى يأتى بلدتكم • فانى ملهب للقوم بالنار
ان كان هذا على قد تقدمهم • فعن قليل تنال منه بالثار

(قال فلما) سمع عمر بن حمامة ذلك من مقالة الصنم انصرف عنه وهو يقول ما رام أعداؤك الا فاصلا ومن لم ينظر لنفسه الموت له هاطلا ثم ضم الأموال والرجال وأمر الناس بالحذر وأضرموا نيرانهم ولم يزل القوم فى حرسهم حتى برق ضياء الفجر فلما أصبحوا ضجت نساؤهم بالبكاء والنحيب والعويل والصراخ على من قتل من أهاليهم وامتلأت قلوبهم رعبا وفزعا قال وبينما القوم على مثل ذلك اذ أشرف عليهم الطفيل والزبير رضى الله تعالى عنهم فلما نظروا الى الخيل قد أشرفت عليهم قال قائلهم هذا على بن أبى طالب قد أتاكم بجيوشه فانظروا ما أنتم صانعون وكثر ضجيجهم واضطرابهم وزادوا وهنا ودهشا وخبلا ودعا بلامته فلبسها وأمر قومه أن يحملوا عن قومهم فتوائب

أبطال دوس وأقيالهم فلبسوا آلة حربهم واستووا على خيولهم وجعل النسوان يصرخن بالرجال فلما وقعت العين على العين وقف الزبير بمن معه ثم دعا بالطفيل وقومه فقال لهم تقدموا الى قومكم وعشائركم فحذروهم فتقدم الطفيل بمن معه والزبير واقف مع أصحابه شاهرا سيفه فلما تقدم الطفيل الى قومه عرفوه وقال قائلهم هذا صاحبكم قد تقدم لحربكم فلما تقدم اليهم بكى النسوان والولدان فى وجهه وعظمت عليهم المصيبة وقالوا له نسيت قومك وعشيرتك وجئت لقتلهم وفنائهم وتقدمت رجال دوس يسئلونه ما الذى يريد منهم فقال لهم أما والله ما جئت لقتالكم ولا لنزالكم ولا أريد أن أفجعكم ولا أهتك حريمكم ولكننى تقدمت شفقة منى عليكم ورحمة وقد دا خلنى عليكم ما يدخل ذوى القربى بعضهم على بعض وقد سألت ابن عم نبينا (محمد) صلى الله عليه وسلم أن يبقى عليكم الى ان اتقدم اليكم بالاعذار والانذار فأطيعوا أمرى فانى لا أريد لكم الا ما أريد لنفسى فاستدفعوا البلا قبل أن ينزل بكم ويصل اليكم فان ورائى رجالا بعث بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونكم الى الاسلام فدعوا عنكم الكفر ولا يغرنكم هذا الصنم الذميم ومايدعوكم شيطانه الرجيم فقد كسرت أصنام العرب كلها وقريش باسرها مثل هبل واساف ونائلة وغيرها وقد جاءكم لصنمكم من يكسره ويحطمه ويقتل شيطانه ويهلك من يلوذ به فاعتبروا بما نزل بغيركم فانه نازل بكم يا قوم ان كان عمر بن حمامة باقيا مقيما على جهالته وضلالته لا يرتدع عما هو عليه ليوم يوفى فيه عمله وينقطع أمله وينظر ما ينزل به ويهضمه ولا يغنى عنه شيأ ولم يزل الطفيل يعظ القوم ويدعوهم الى الاسلام وهم يسمعون كلامه وكان ابن أخى الطفيل غلاثة بن جبير بن عامر فى أوائل القوم يسمع كلام عمه فلما فرغ الطفيل من كلامه قال له غلاثة يا عم انا قوم مأمورون ونتظر ما يقول صاحبنا عمر بن حمامة وما يرد علينا من الجواب ثم عطف غلاثة راجعا الى عمر بن حمامة فذكر له ما قال الطفيل وما أمرهم به فقال له عمر فما قولك فيما دعا اليه فانت أعز الناس عنده قال غلاثة اما أنا فلا أحول عن عبادة ذى الكفين ولا أزول عن دين آبائى العظام وأسلافى الكرام (قال) عمر ولو قلت غير هذا لأخذت الشق الذى فيه عيناك ثم أقبل عليه وقال له هل لك ان تتخذ عندى يدا لا أنساها لك أبدا وتتخذ عند الهك ذى الكفين جهادا قال وماذا أصنع قال تنصب على عمد الطفيل حيلة وتأتى به أسيرا أو قتيلا قال غلاثة اذا اشترى لنفسى العار وأجلب لها الشنار قال فأكبر معيرة الناس أو رضا ذى الكفين وقد علمت انك تتخذ بها عند ذى الكفين يدا ولك على ذلك منى عشرة من النوق لقاح وفرس عتيق وسلاح ومائة مثقال من الذهب الأحمر وناجفة من المسك وكرش من العنبر وطبل من الكافور وكل ذلك أن تأتينى بعمد أسيرا أو قتيلا فلما سمع الشقى ذلك رغب فى المال وأضمر لعمه شرا وقال انى سأفعل ذلك فيه كل عار ثم انه رجع على أثره حتى وصل قومه الذين بازاء عمه وقال لا يتبعنى منكم أحد فانى قد عزمت على أمر لا ينبرم الجمع فوقف القوم فى أماكنهم وتقدم غلاثة منفردا بنفسه قاصدا الى عمه ووقف القوم جميعا فلما قرب منه قال الطفيل أهلا بك يا ابن أخى ومرحبا ان سمعت من عمك نصيحته وقبلت مشورته فانه عليك شفيق يا ابن أخى انك اليوم أو غدا هالك وفى القبر سالك ومسؤل عما عملته ومطالب بما جنيته فان كان خيرا فخيرا وان كان شرا فشرا يا ابن أخى ارجع الى الله وفكر فيه اذ خلفك ولم تك شيئا ورباك صغيرا ورزقك كبيرا واسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة فارجع اليه فانه يحب التوابين ويقبل النادمين ويعفو عن الخاطئين وهو أرحم الراحمين فلم يزده كلامه الا غيظا وطغيانا وكفرا وأظهر مكره وخديعته ليصل بها اليه وجعل يبكى فى وجهه ويصفق يدا فى يده وقال لقد جنيت على نفسى فكيف الحيلة والخلاص مما جنيت وما أسلفت وما عملت وكيف لى

باصلاح مامضى فسر الطفيل بذلك وقال يا ابن أخى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الايمان يهدم الشرك ويمحو مامضى وان العبد اذا دخل فى الاسلام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان أقررت الساعة لله بالوحدانية ولنبينا بالرسالة محى عنك ماسلف وكنت من المسلمين قال غلاثة ياعم انى لاأحب أن أدخل فى هذا الدين الا بحضرة أهلك وأصحابك الذين أتيت معهم الينا وقد أحببت أن انطلق معك الى ابن عم (محمد) صلى الله عليه وسلم حتى يكون اسلامى على يديه قال الطفيل اذا والله تجلب لعمك أفراحا وتزيل عنه أتراحا فافعل ماذكرت يسعد جدك ويطلع سعدك فتقدم اليه غلاثة وقد أضمر مكره وشره والطفيل لايخطر بباله أن يحبس عليه ولايمد يده اليه لما وجب له عليه من حق التربية وكان الطفيل قد رباه فى ذراعه وعلى عاتقه فقال له ياولدى تخط الى فخطا اليه حتى قرب منه قال له الطفيل يا ابن أخى لقد كان عمك ساخطا عليك لما كنت مصمما عليه من الكفر والشرك والآن فقد رضى عنك لما ملت الى الاسلام فادن الى عمك ليشم رائحتك ويحيى قلبه بعانقتك فوجد غلاثة ارادته وبلغ أمنيته وتقدم اليه حتى اذا ساواه فتعانقا وكان عدو الله قد أوصى الفرسان من قومه قبل خروجه اليه وقال لهم اذا رأيتمونى قد وصلت الى عمى وقبضت عليه فبادروا نحوى لتعينونى عليه وكونوا متأهبين وتقدموا فى أوائل القوم فلما تعانقوا ضرب غلاثة بكلتا يديه على ظهر عمه فهزه يريد أن يختلعه من سرجه فلما رأى الطفيل ذلك من فعله قال ماشأنك يا ابن أخى هل أضمرت لعمك شرا فلم يخاطبه دون ان جبذه جبذة شديدة وكان عدو الله جلدا لايبالى بمن لقيه من الرجال والأبطال فعلم الطفيل انه غدره وقال ياويلك خل عنك لاأفلحت غدرتك ولاسعدت طلعتك فقال غلاثة كيف أخلى يامعادى عشيرته ومناوى قبيلته اماوذى الكفين لابد لك أن أوقفك بين يديه ثم صرخ بأعلا صوته وصرخ الطفيل لما فعل اللعين ولم يطق معاركته وسمع الفرسان صراخهما فكان أول من سبق اليهما أصحاب غلاثة فاطلقوا أعنة خيلهم ولما نظر الزبير الى ذلك أطلق عنانه واتبعه أصحابه بالجملة وحمل الزبير رضى الله عنه وهو يقول

جدوا اليهم وأطلقوا للخيل ٭ ثم احدروها كانحدار السيل
قد غدر اللئام بالطفيل ٭ فتأتيهم فضيعة وويل

(قال) وما أسرع الزبير رضى الله عنه الا وقد وصل الأعداء الى الطفيل واحتووا عليه فلما نظر غلاثة الى ذلك من الزبير أمر أصحابه ان يستوثقوا من عمه وحمل فى رجاله ولقى الزبير قصد الى عمه فاجهد الزبير نفسه فلم يقدر على الوصول اليه وعدو الله لايزداد الا جراءة ونادى برفيع صوته ان كنت تريد ان تلقى ماالقيه الطفيل فادن منى فانا ناس لانبقى على القريب ولاعلى البعيد ولا سيما من ترك ملته وعشيرته وصبا الى دين لايعرفه فغضب الزبير من كلامه وصاح باصحابه احملوا على الكفرة وتلاحموا واشتعلت نار الحرب بينهم وقصد عدو الله الى الزبير وحمل عليه فرأى منه الزبير شدة ومرامة فاجهد نفسه فى الوصول اليه فلم يزد عدو الله الا نشاطا وسبقت البشارة الى عدو الله عمر بن حمامة بوصول غلاثة الى عمه فلما أتاه البشير بذلك خلع عليه وسر بقوله ونظر الى المسلمين قد حملت باسرها على غلاثة ومن معه فقال اللعين قد غضب لنا الهنا ذو الكفين وأسعدنا وأظفرنا بعدونا وبعث بأباعر الى الصنم من ساعته يقربها له وأقبل على صهره مقارع وكان خادما للصنم وكان كثير المال مما يصل اليه من نذر ذى الكفين مما يهدى اليه العرب وكان أمينا على ذلك فقال له يامقارع امض بعشرة من الجزر الى ذى الكفين فانحرها له وأخبره انى خارج لمحاربة هؤلاء القوم وبشره بأخذنا لعدونا وعدوه الطفيل وانظر ماذا يأمرنا أن نصنع واسئله أن ينصرنا على هذا الغلام على بن أبى طالب فانى خارج اليه مجمع على قتله فأسرع مقارع لما أمره به عمر بن

حمامة وتقدم عدو الله عمر بن حمامة وعزم على القتال وقد اشتد فرحه بأسر الطفيل وما يراه من ثبات غلائله لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال معاشر دوس قد آن لكم أن تأخذوا بثاركم وتكشفوا عن عاركم فقد وصلتم الى الطفيل وأخذتموه وبعده تأخذون علي بن أبي طالب وقد عزمت أنا على الحملة على القوم فلا أرجع الا بظفري وبفرحتي فاحملوا اليوم معي ولا يخرج معي الا من رفض الحياة وأيقن بالوفاة فقال له القوم نحن معك وبين يديك وأنفسنا دون نفسك فسر بذلك وحمل اللعين عمر بن حمامة امامهم وهو يقول

اذا المرء لم يحم الحريم فانه • لئيم وهل صبر على الأهل والحرم
سأبذل في الأعداء سيفا مهندا • أقد بها الهامات والرؤس والقمم
واني لحلاف لكل بليلة • ومازلت أسطو في العشائر والأمم
فدونكم خافوا الشنار وبادروا • الى عصبة الغاوين طرا من الأمم

(قال) وحمل عدو الله عمر بن حمامة واتبعه من قومه خلق كثير وبعث الزبير برجل من أصحابه يستنفر له الناس من العسكر وصاح المسلمون بالثار والغبار وارتفع النقع وصاح بغلائله وقال له لقد شفيت الغليل من الطفيل وسأشكر لك عند ذي الكفين بما عملت ثم حمل وصادمه الزبير بأصحابه وطال القتال ودام النزال وانفردت الأقران بالأقران والشجعان بالشجعان وكان ذلك أعظم قتال قاتلته دوس على طول أيامها ومنعت عن حريمها وزاد الأمر على الزبير من كثرة ما دهمهم من الأعداء فبعث عمرو بن أمية الضمري الى الامام علي يخبره بما كان من القوم ويسئله السرعة اليه قبل أن يفوت الفوت بالطفيل فأسرع عمر بن أمية الضمري فبصر به الامام رضي الله عنه قال هذا صاحبكم عمرو بن أمية الضمري قد أتاكم بخبركم بأمر عظيم فأسرع اليه رجال من المسلمين فقالوا ما وراءك يا عمرو فقال ورائي قبيلة فاجرة ثم أقبل حتى وقف بين يدي الامام وقال له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك المسلمين فانهم في موقف عظيم من المشركين وذلك انهم بعثوا بابن أخي الطفيل غلائله الفاجر فلم يزل يخدع الطفيل حتى وصل اليه وملك أسره حتى وصل اليه وقبض عليه فحمل الزبير في أصحابه ليستنقذه من أيديهم فلم يكن الا هنيهة اذ أشرف عدو الله عمر بن حمامة في خلق كثير فحمل على الزبير وقد قامت الحرب على ساق (قال) فلما سمع الامام ذلك تغير لونه واشتد غضبه وقال لأصحابه وهل أراد الطفيل بهم الا الخير وحقن الدماء وصون النساء فأبوا الا الهلاك وقد علمت انهم لا يميلون الى الاسلام ولا يلينون الى الكلام كما لا يلين الصخر وان قلوبهم لاقسى من الحجر فانهضوا رحمكم الله وبادروا وانحوا أعداء الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم أفرغ عليه لامة حربه وبادر الناس الى خيولهم وأحدقوا به وساربهم وهو في أوائلهم يرتجز ويقول

سرنا بأجمعنا في محفل لجب • بعد التقدم بالاعذار والنظر
جيش تحف به الاملاك في زمن • والله يوعده بالنصر والظفر
من ذا يبلغ عنا عصبة غدرت • انا سنسحقهم بالصارم الذكر
يا آل دوس افيقوا من ضلالتكم • ولا تلوذوا بذي الكفين من حجر
كونوا الى الرب العلا مثل العباد له • وصدقوا المصطفى المبعوث من مضر

(قال) وسار الامام وحوله أبطال المسلمين وفرسان المؤمنين من المهاجرين والانصار قال فلما وصل الامام نحو حاضر دوس صرخ الشيطان اللعين من جوف الصنم ثلاث صرخات متتابعات مهولات وكان صراخه فزعا من الامام علي رضي الله عنه ومسيره اليه وقربه منه وأظهر أهواله وخرج منه

دخان وشرر وملأ بصراخه الحاضر بأسره فذهل النسوان وفزع الصبيان واضطربت الرجال والأبطال وطردت الخيل وصاح عمر بن حمامة غضب الهكم ذو الكفين وهو الذى لا يبقى على أحد فأسرعوا اليه لئلا يهلكهم مع من يهلك من أعدائكم وينزل بكم ما ينزل بغيركم فضجت دوس عن آخرها وقالوا يا الهنا لا تنزل بنا ما أنزلته بغيرنا من أعدائك فلك غضبنا ولطاعتك طلبنا ولازالة العار عنا وعنك أردنا وصاح الزبير بأصحابه لا يهولنكم صراخ الشيطان الرجيم وأكثروا من تلاوة القرآن العظيم فهو هلاك المردة والشياطين والجان ولاشك انه قد دنا منكم امامكم فلذلك صرخ اللعين الشيطان على لسان الصنم يهول عليكم فضج المسلمون بالقرآن وحملوا على المشركين وحمل الدوسيون وهم لا يشكون ان صنمهم قد غضب لهم وانه يهلك عدوهم قال وكان من خبر الصنم أن عدو الله عمر بن حمامة لما بعث صهره مقارع بأمره أن يأخذ النحائر ويذهب بها الى الصنم بشارة بأخذ الطفيل ففعل وأخذ النحائر وأوقفها امام الصنم ثم عقرها وضمخه بدمائها وقال له هذا تقريبنا اليك يا ذا الكفين عنك وعن قومك اذ غضبت لهم ولنفسك وهذا عدوك وعدونا الطفيل بن عامر قد أخذناه أسيرا وقد أردنا قتله ومنعنا منه عمر بن حمامة طلبا لرضاك وهواك فمازرى فى أمره فلم ينطق الصنم بقتله ولا بشئ فوقف بازائه طويلا ينتظر ما يأمره فلما طال عليه ذلك خر ساجدا وأطال السجود فلم يجبه شيطانه وتطاولت به الأوقات الى أن أقبل الامام بجيشه سائرا فهنالك صرخ الصنم تلك الصرخات فسمعها القوم عن آخرهم فساءت ظنونهم وفزع عدو الله مقارع وولى هاربا وقد لاحت له النيران وظهرت له الأهوال فلما هم بالهروب صاح به شيطان الصنم بصوت فظيع وهو يقول

ارجع وكن للقوم منى سامعا • ولا تكن مما رأيت فازعا
هذا على قد أتاكم طامعا • فى كفه قضب تراه لامعا
سق الطفيل فى الوساق ضارعا • وكن به مبادرا مسارعا
كى لا يكون للطفيل مانعا • بادر به بالقتل يا مقارعا

(قال) فلما سمع مقارع مقالته سر سرورا شديدا وأقبل يسرع ركضا حتى وصل عمر بن حمامة وقد دهش وحار هو وقومه من تلك الأصوات وقال انى أخشى من ذى الكفين أن يقلب الأرض بأهلها وسكانها ويطبق السماء عليها فهو على ذلك اذ وصل اليه فقال ما وراءك فأخبره بمقالة الصنم ففرح عدو الله من ذلك وقال انجلت وزالت ترحتنا فقال هو المحكم فى الطفيل لأنه هو الذى جلب لنا عدونا فقال له مقارع ان ذا الكفين أخبرنا أن عليا قد سار اليكم بجموعه وجيوشه قال له عمر وعندنا الحرب ولقاء الأبطال والفرسان فلم يستتم كلامه حتى أشرفت عليهم غبرة قدر ارتفع قتامها واسود ظلامها وقد امتلأت الطرق واسود لها الأفق من ركض الخيل ثم انها انكشفت عن خيل تترامى كالعقبان ولاحت بوارق السيوف ولمعت لجم الأسنة واذا امام الخيل فارس قد سبقهم وزاد عليهم وقد ركضت الخيل فى أثره واذا هو عمرو بن أمية الضمرى فوصل الى الزبير فقال معاشر الناس استبشروا فقد جاءكم الامام فارس الاسلام وابن عم (محمد) عليه الصلاة والسلام فهو كذلك اذ ظهر للجمعين كأنه الريح السافية أو صرصر قد قبض فى يديه سيفين يلوح بهما كأنهما البرق اللامع فلما نظر الى ذلك طاش عقله وقال لمقارع ما يوقفك عن المسير الى ذى الكفين فتخبره بما قد دهمنا من عدونا فعسى أن يكفينا مؤنته ويساعدنا عليه فأسرع اللعين مقارع الى الطفيل وجعل عمامته فى عنقه وقاده أسيرا الى الصنم وقد اشتغل الناس عنه بالنظر الى الامام ومن أقبل معه من المؤمنين رضى الله عنهم قال وكان عبد الله بن أنيس الجهنى فى ذلك اليوم مع

الزبير فى جيشه وقد بلغه ما صنع عمرو بن أمية ومبادرته الى الامام بالخبر ورجوعه بالبشارة الى الناس
فغاظه ذلك وكان لا يصنع أحدهما شيأ الا أجهد الآخر نفسه أن يصنع مثله ولا يقتل أحدهما
قتيلا الا نظر الآخر الى من يعادله فى الشجاعة والبراعة فيطلبه حتى يقتله ومقارع قد ساق الطفيل
يقوده نحو الصنم والقوم مشتغلون عنه بمناظرهم وما قد دهمهم فقال فى نفسه والله لأفعلن اليوم
فعلة أفتخر بها على صاحبى عمرو بن أمية ولا يجد الى مثلها سبيلا فترجل عن جواده وأوصى به بعض
أصحابه وسار راجلا ومعه قوسه وكنانته مملوءة نبلا وكان راميا مصيبا لا تخطى له نبلة فاستتر
بالكثبان حتى غاب عن أعين الناس ثم سعى وكان يسبق العتاق من الخيل بجريه حتى خرج عن
بيوت الحاضر ثم رجع مواجها العدو والله مقارع وهو يقود الطفيل والطفيل مستسلم لأمر الله
تعالى صابر على ما أولاه من الأسر قد بصره فرأى عبد الله بن أنيس متلثما متنكرا فقال فى نفسه
اللهم اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا من عندك وعبد الله مقبل من ناحية الحاضر ولم ينكر مقارع
أمره وظن انه من دوس فصاح به يا ويلك ما أخرك عن الحرب وهذا على قد دهمنا فقال له عبد
الله وأنت أيضا ما أخرك والى أين أنت ماض قال انطلق الى ذى الكفين بهذا الصابى حتى يحكم فيه
بحكمه ويقتله كيف يشاء ويريحنا منه فقال له عبد الله بن أنيس من يتولى قتلك يا عدو الله خل
عن ولى الله قبل أن يدركك الحمام فدهش عدو الله وقال من أنت يا ويلك فلقد تكلمت بأمر عظيم
ونطقت بكلام جسيم واستبشر الطفيل بما سمعه منه وقال له ارمه فداك أبى وأمى وأرحنا منه
واكفنا شره فما استتم الطفيل كلامه حتى صرخ الصنم صراخا عظيما منكرا فلم يلو عبد
الله الى الصراخ ولا اكترث دون أن فوق نبلة وقصدها عدو الله مقارع والقوم مشتغلون بالامام
وقدومه وقد انفلت عدو الله الهروب وخلى عن الطفيل فاطلق النبلة نحوه فوقعت بين أضلاعه
وكشفت عن علائق قلبه ثم خرجت من الجانب الآخر فسقط عدو الله عن جواده صريعا فكبر
عبد الله بن أنيس وكبر الطفيل معه وصاح به الطفيل وقد عرفه وقال لله أنت يا ابن أنيس لا شلت
يداك ولا أفلح عداك دونك فاطلق وثاقى لئلا يدهمنا أعداء الله (قال) فأسرع اليه عبد الله
فاطلقه من وثاقه فلما حله أتت صرخات من جهة الصنم مهولات مفزعات كالصواعق فالتفت
عبد الله الى ورائه فرأى نارا ممتدة من عند الصنم حتى وصلتهما فيها شهب تلمع وصواعق تسطع
ترمى كالصفر يمينا وشمالا وكان المارد قد غضب لقتل مقارع عند خلاص الطفيل من أسره
فتصارخت عفاريته وحضر اللعين ابليس بجنوده ومردته فأحاطوا بالطفيل وصاحبه عبد الله بن
أنيس وذلك انه لم يخلص الطفيل من وثاقه حتى أحدقت به النار وأخذتهما العفاريت والشياطين
والملاعين بأفظع اللغات وصاروا حولهما كالسرادق والرتاج فغشيهما وحجبهما عن النظر فلما رأى
الطفيل ذلك أيقن بالهلاك وقال هلكنا ورب الكعبة لا محالة ونظر عبد الله الى الطفيل فرآه
وهو يرعد كالورقة فى يوم ريح فقال له يا طفيل ما هذا الجزع والهلع فقال له ألا ترى ما حل بنا من
هذه النيران فكانت بها وقد أحرقتنا (قال) عبد الله مهلا يرحمك الله فانها نار شيطان مارد يخمدها
اسم الله الواحد القهار ثم ان عبد الله بن أنيس تلا شيأ من القرآن وتعوذ فسكن عنهما بعض
ما يجدانه ولم يصل اليهما أذى وسمع المشركون الصياح فنظروا الى تلك النيران قد امتدت
من عند الصنم اليهم ثم انعقد سرادقها وصارت رتاجا فسر وا بذلك وقال عمر بن حمامة كيف بقاء
هؤلاء القوم وقد غضب عليهم ذو الكفين وأظهر سخطه ونقمانه وانهم يظنون أمره يسيرا ولم
يعلموا أن أمره خطير وعذابه كبير وكأنهم بهذه النار قد أحرقتهم عن آخرهم ثم أقبل على قومه
وقال يا آل دوس اعتزلوا هذه النار وعن مقصدها لئلا يصل اليكم شواظها وشررها فاعتزل القوم

عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيقنوا بضعف عقولهم ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هالكون ونظر الأمام الى ذلك فخفى عليه أمر النار ولم يعلم ماهى الا انه قال لاصحابه يوشك أن تكون نار شيطان وابراق المردة الملاعين على الطفيل عسى يرتد عن الايمان ويحول عن الاسلام ويرجع الى عبادة الاصنام وهيهات أن يدخل الايمان فى قلب مؤمن ثم يخرج منه أبدا وقلق الامام على الطفيل أشد القلق ولم يعلم بخروج عبد الله بن أنيس ولا ما كان منه وأرسل عدو الله عمر بن حمامة برجل من قومه يقال له بكار فقال له انطلق مسرعا واعوج عن مقصد النار حتى تصل الى الصنم فاسأله عن الطفيل بن عامر وعن مقارع فسار فلم يجد من خبرهما شيئا فانكر ذلك أشد الانكار وسأل فى جنبات الحاضر فقال له نسوان من خارج الحاضر وكن مشرفات عن المعركة انار أينا فارسا قصد البنايقود وراءه رجلا فقصده رجل من وراء الكثبان كانه السافية العقيم لا تستقر قدماه على الثرى وقد عارضهما وفى يده قوس ونبل فرماهما فلم ندر ما أصاب منهما فاذا هو قد قتل الفارس فتعاظم عند ذلك صراخ ذى الكفين فتأملناهم ومددنا نحوهم أبصارنا فظهرت هذه النار فاحدقت به وبصاحبه فلما سمع بكار ذلك من النسوان رجع الى عمر باكيا فقال له عمر مم بكاؤك يا بكار أظنك بكيت على الطفيل رحمة له لما نزل به من ذى الكفين فقال لا وأبيك انما بكيت على مقارع قال يا ويلك ماشانه قال لن تراه أبدا وقد هلك قال عمر يا ويلك أخبرنى بخبره حقيقة فحدثه بالحديث الذى حدثه به النسوان قال عمر قد بلينا بقوم لا يطاقون وشياطين لا يقامون وان كان مقارع قد هلك لا محالة وقتل وأفلت الطفيل فانى هالك غير ان الهنا قد غضب فاتركوهما فى مكانهما فقد حصلا فى قبضته حتى نفصل أمرنا مع هؤلاء القوم الذين قد عزموا على حربنا قال فخرج الامام من بين الصفين وقد أغمد سيفه وعارض رمحه وتوشح متقلدا بالسيفين حتى اذا قارب القوم وبصروا به قال عمر بن حمامة هذا عميد الجيش وفارس قريش ومفنى العرب يوم الهيش هذا على بن أبى طالب لا شك فى انه جزع وهلع مما رآه وعاينه من نيران ذى الكفين وهوله فشخصت دوس نحوه وتطاولوا اليه حتى اذا قاربهم ودنا منهم ناداهم بصوت يسمعه النائى والبعيد كما يسمعه الدانى والقريب وقال يا معشر دوس انا قد حللنا فى داركم وصرنا فى جواركم وعلى الجار ان يرضى لجاره ما يرضى لنفسه وقد رضينا لأنفسنا بالله ربا (وبمحمد) صلى الله عليه وسلم نبيا وقد أنذرتكم مرة بعد مرة وقد انكشف الغطا ولم يبق الا صدق اللقا فلا تظنوا انا نجزع من هذه الاصوات أو نرعب من النار البادية هيهات كذب وهمكم نحن قوم نخمد النار باسم العزيز الجبار وندفع المردة الاشرار ونفنى جميع الكفار ما فى الجن قبيلة الا وانا عارف بها ولا ظهرت مردة فى دياجى الظلام والآكام وغوامض البحار والبرارى ما بين عمران وخراب ومن يسترق السمع من السماء ومن يسكن الهوى من الطيارين الا وأنا بهم خبير وعليهم باسم الله قدير فاتركوا عنكم تهويل الشيطان ومن معه من الاعوان وقد آن دماركم وهلاككم فى آخر آيات القرآن فاقبلوا مشورة الداعى ومقالة الناصح وارجعوا اليه ترشدوا وآمنوا بالله ورسوله تسعدوا ودعونى وهذا الصنم الذميم واعتبروا بما ينزل به وبشيطانه الرجيم (قال) فلما سمع عمر بن حمامة ذلك من مقالة الامام غضب غضبا شديدا واقبل على غلائله وقال ألا تخرج الى هذا الغلام الكثير الكلام فتوقظه من نومه وتخبره بأن الطفيل قد حصل تحت ذمة ذى الكفين وقد أمر بقتله واخبره ان الذى بعثه من أصحابه لينقذه بزعمه قد حصل معه تحت سرادق نيران ذى الكفين فلينظر لنفسه ويستأسر هو ومن معه فما هو الا أن تميل هذه النار فتحرقهم عن آخرهم فقال له غلائله انى كاره لعلى ومخاطبته وأنت أفصح منى لسانا وأبرع أجنانا وانتما فى الرياسة سواء وفى الامر اكفاء (قال) عمر بن حمامة جزعت وذى الكفين من على فكيف لو بليت بقتاله وحربه

فاغتاظ غلائة من مقالته وخرج مبادرا نحو الامام وهو واقف ينتظر منهم جوابا فبينما هو كذلك اذ بادر اليه غلائة متكفنا فى سلاحه فلما رآه الامام شهد له بالشجاعة فقال عدو الله ان كنت زعيم القوم وفارسهم فامدد علىّ فقد وقعت فى أمر لا طاقة لك به ولا لأهل الأرض جميعا هذه نيران ذى الكفين قد أحدقت بىّ وباصحابى وان تطلب منا اسيرنا الطفيل بن عامر لنطلقه لك وأنت أولى من استأسر ومن معك فكيف تقدر على خلاص الطفيل وقد حازه ذو الكفين ولا شك انه قد هلك ولن تراه أبدا وأما صاحبى الذى بعثته لخلاصه فالله عنه وعن ذكره فقد أهلكه ذو الكفين فقال الامام ان أحدا من أصحابى خرج قال غلائة لعله خرج بغير اذنك وقد أحرقته النيران ولم تنفعه سرعته شيئا قال فلما سمع الامام ذلك من مقالته وقع اليه ان أحد الرجلين اما عمرو بن أمية الضمرى أو عبد الله بن أنيس قال وغاب عنه ذلك وساءه قال ما أنت طالب بعد قال غلائة جئت أطلب قتلك وأريد صرعتك وأنا الذى أسرت الطفيل وأنا ملحقك ومقربك اليه فغضب الامام من قوله وقال تقدم يا عدو الله لحتفك ثم حمل عليه الامام فلما عاين غلائة وجه الامام وفيه آثار الغضب ودلائل السخط ولى هاربا فوقف الامام عنه وكان لا يتبع منهزما وسار غلائة هاربا حتى وصل الى عمر بن جماعة قال له أراك هاربا من على بن أبى طالب قال ما هربت وما انهزمت ولكنه عميد قومه وقد أبى أن يقاتلنى وقال ما أناضل الا من هو كفؤ لى فقال لى عد اليه وانذب لى عمر بن جماعة صاحبك فما أطلب غيره ولا أريد سواه قال فلما سمع عمر ذلك من مقالته تشاغل عنه بمشورة أصحابه ورجع الامام وقد اشتغل قلبه بما ذكره اللعين فرأى الناس التغير ظاهرا عليه فتقدم اليه الزبير والفضل وخالد وأمثالهم فسألوه عما ظهر لهم منه فنادى الامام أين عمرو بن أمية فاجابه بالتلبية من بين الناس لبيك وسعديك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه نادى أين عبد الله بن أنيس فتصايح الناس من جانب الجيش فلم يسمع له خبر فقال الامام صدق صاحبهم ورب الكعبة فقال أبو دجانة يا أبا الحسن انا رأيناه قد انعزل عن الناس ولم ندر ما صنع ولا الى أين أخذ وان له أمرا منكرا فما الذى وقع اليك من أمره فقال ان أحد فرسان القوم خرج الى فاخبرنى ان بعض أصحابنا خرج ليخلص الطفيل من وثاقه وانه قطعته هذه النار فاحرقته مع الطفيل فانا لله وانا اليه راجعون ثم قال لأصحابه يا معشر الناس ان الانجاز فى أمرنا أصلح لنا وبذلك أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى ان جئت القوم ليلا فلا تنتظر بهم الصباح وان جئتهم صباحا فلا تنتظر بهم المساء فاحملوا باجمعكم عليهم فعسى الله أن يظفرنا عليهم ويمكننا منهم فنصل الى صاحبينا فنخلصهما مما وقعا فيه فقالوا افعل ما تراه فنحن تبع لك فجعلهم ميمنة وميسرة وقلبا وساقة فجعل فى الميمنة الزبير وعلى الميسرة خالد بن الوليد وعلى المقدمة قيس بن سعد وعلى الساقة عمار بن ياسر وعدل الصفوف ورتب الرجال وقال اذا حملتم فلتكن حملتكم واحدة ولا تختلط ميمنتكم بميسرتكم واصبر واصبروا كرام وافلقوا الهام واهشموا العظام احملوا بارك الله فيكم (ثم) تقدم الامام فى أوائل الناس وزحفوا على تعبية سائرين الى عدوهم فلما نظر المشركون الى ذلك علموا انها قد حقت الحقائق وزالت العوائق فقال غلائة لعمر بن جماعة ما انتظارك والرجل قد زحف اليك وهجم عليك وهل بقى الا أن يصل الينا عدونا فيحتوى علينا وعلى نسائنا وأموالنا وحريمنا وما تحويه أيدينا ونرى هذه النار مكانها لا تزول عن مركزها فلعلها تنتظر حملتنا فتحمل فتكون حملتنا وحملة الهنا ونهلك عدونا فى أسرع وقت فحمل عمر بن جماعة فالتقى الجمعان وتصادم الفرسان والتقت الاقران بالاقران وتقدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقى أصحاب الرايات المختلفة الالوان وأشهر السلاح وعملت الصفاح وصار القوم فى العجاج كلجة بحر عجاج تلاطمت به الأمواج والامام يخترق عرصة الحرب

يمينا وشمالا ويتصفح الوجوه يطلب عمر بن حمامة ليبلغ منه مراده ويشفي فؤاده بقتله فلم يره خبرا
ولا وقف له على أثر وكان اللعين لما حمل الناس واشتبك القوم قصر عن التقدم وأمسك الى أن اختلط
بالناس ثم جعل يتراوغ عن الامام يمينا وشمالا وتخضب سنان رمح الامام بالدماء وقاتل الزبير في ذلك
اليوم قتالا عظيما وكذلك خالد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والامام المرتضى ينادي في
عرصة الحرب أين المغرور بشيطانه المفتون ببهتانه عمر بن حمامة فلم يسمع له صوتا وانه رضي الله
عنه كذلك اذ بصر بغلائه فقصده الامام فأراد عدو الله الفرار منه فقصده الامام وصرخ به الى أين
يا ابن اللئام وقد أحاط بك الحمام فقال له يا ابن أبي طالب اني قد جعلت عمي الطفيل هدية مني اليك
وانصرف عني فاني أكره قتالك فقال الامام يا عدو الله خل عنك في مثل هذا المقام واستأسر صاغرا
ذليلا والا صرت قتيلا فقال غلائه يا ابن أبي طالب أواستأسرت اليك أوالى غيرك مادمت عليه
ثم حمل عليه وعلم انه لا ينجيه الا صدق القتال فدافع عن نفسه ومانع عن مهجته وصبر لما نزل به
فلما تزائد به الأمر ورأى الهلاك ولى هاربا فقال له الامام ياويلك ان الفرار مرة بعد مرة لعار
لفارس وخاض الامام معمعة الحرب والهاج يطلبه ويطلب عمر بن حمامة فلم يرهما فلقي غلائه
عمر بن حمامة يتراوغ يمينا وشمالا فقال له اني أراك هاربا من علي بن أبي طالب فقال له غلائه
لا يطلب غيرك ولا يريد سواك كانما هو موكل بك فاضطرب عمر في سرجه وجاشت نفسه وأمسك
عنه ولم يرد عليه جوابا واقترقا ولم يزل الناس في القتال والنزال وخرج النسوان من الحاضر يصرخن
ويحرضن رجالهن ويلوحن اليهم بالمعاصب والذوائب وكل فتاة تصرخ لقرينها وبعلها وولدها
وأبيها وأخيها ولم يزل القوم كذلك بقية يومهم والنار واقفة مكانها تدور كانها الرحا وهي كالسرادق
المضروب والرتاج المنصوب على صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما صابران فلم يفرق بين
القوم الا الظلام وقد قتل من القوم خلق كثير واستشهد من المسلمين خلق كثير ختم الله لهم بالشهادة
(قال ثم) رجع المشركون الى حاضرهم والامام قد علا على ربوة عالية يلاحظهم وقد رجعوا خائبين
حتى وصلوا النار وعمر بن حمامة في أوائلهم يتعجب فيها مفكرا فيها اذا انقطعت وتطايرت ولم يبق
منها شيء وانكشفت عن الطفيل وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنهما ونظر الى مقارع مقتولا
مطروحا وفرسه الى جانبه فاغتم اللعين عمر بن حمامة لقتل صاحبه وفرح بما ظهر له من الطفيل
ابن عامر وصاحبه وأقبل اليهما وقال للطفيل أنالك أيها الشيخ الجاهل معتبرا فيما ظهر لك من
امهال ذي الكفين وحبسه لك ولصاحبك ونيرانه المحدقة بكما حتى وصلنا اليكما ثم تخلت عنكما قال
الطفيل لعمري ان في ذلك لمعتبرا واني لأعلم وأيقن انها مارد شيطان وقد حبسها عنا الرحمن ألم تر
أنها ترمي بالشرر حتى اذا وصلت الينا تلاشت وخمدت ورجعت عني وعن صاحبي ونحن نتلوا كلام الجبار
وهي لا تدنو منا وسوف يحل بشياطينه الهلاك كما حل بشياطين أصنام العرب وأوثانها هذا علي بن
أبي طالب مظهر العجائب ماحل بساحة قوم الا ساء صباحهم فلما سمع عمر بن حمامة ذلك من
مقالة الطفيل صاح برفيع صوته يا آل دوس اقبضوا عليهما والى ذي الكفين فردوهما يتولى قتلهما
فقبضوا على الطفيل وعلى عبد الله بن أنيس وافرد لكل واحد منهم رجلين رجلا عن يمينه ورجلا
عن شماله والقوم من ورائهم ينظرون ما يحكم به الصنم فيهما ونظر الامام الى خمود النيران وقبض
القوم على صاحبيه وكان رضي الله عنه قد أعطاه الله قوة البصر وحدة النظر فكان ينظر بالليل كما
ينظر بالنهار فنزل عن الربوة وأقبل الى أصحابه باكيا حزينا فكان أول من لقيه الفضل بن العباس
فقال فداك أبي وأمي ما هذا الغم والانكسار فقال له الامام يا ابن العم اني أصبت اليوم برجلين
فاضلين لا عوض لهما فلحقنا في سفرتنا من المسرة مثل ما لحقنا لأجلهم من المضرة ثم رجع الى قومه

وقد هجم الظلام فصلى بالناس صلاة المغرب ثم قرب اليه الافطار فقال أقسم بالله مجتهدا بارا صادقا لاطعمت طعاما ولاشربت شرابا ولانمت ولااضطجعت حتى انظر ما يكون منهما فعظم ذلك على الناس فقال له الزبير يا أبا الحسن أتأمرني أن أمضي فأجول حول القوم عسى أن أجد اليهم طريقا أو مسلكا أو أظفر من القوم بأسيرين فيكونا فداء لصاحبينا قال الامام ما أحب ذلك قال عمرو بن أمية الضمري يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عبد الله بن أنيس لو رآني أصبت طائرا لم ينزل نباله حتى يصيب مثله ولاشك انه ماحمله على ماحمل الا لمارآني أسرعت اليه بخبر القوم فأذن لي ان أحوم حول القوم لعلي أصل اليهما فاطلق سراحهما قال الامام أريد من هو أشد منك جرما وأطول يدا لايكون طائشا ولاعجولا بل يكون التأني سبيله والتدبير شيعته فغضب ابن أمية وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الرجل الذي يكون بهذه الصفة فقال له الامام اما مك علي بن أبي طالب أفتنكر فضله يا عمرو فاطرق عمرو الى الأرض حياء منه وأمسك عن الجواب وصمت عن الخطاب فعرف الامام ماعنده فقال له قل ما بدا لك يا عمرو فقال بأبي أنت وأمي لو نطق لساني بغير ذلك لقطعته لأنك المعروف بالفخر الموصوف بالفضل وقد أبيت الاكرما وحلما فشكره الامام وأقبل على أصحابه وقال معاشر الناس والله ما أستطيع صبرا عن صاحبي وقد رجوت أن أكون سببا لخلاصهما وان وجدت سبيلا الى عدو الله عمرو بن حماعة والى غلائه أسرتهما أو قتلتهما فكونوا على أهبة و يقظة ولا يهولنكم نيران المارد ان فأنا دامغه ومهلكه فاني ممن لا ترو عه الأهوال فكونوا آمنين ان شاء الله تعالى ولا تزولوا عن أماكنكم الى أن أهتف بكم فقال له الزبير لو صبرت الى الصباح لرجونا الله أن يظفرنا بهم و يوصلنا الى الصنم الذميم قال نفسي تحدثني أن القوم طعمة لكم ولأسيافكم ان شاء الله تعالى لكن أخاف ان يعجلوا على أصحابنا بالقتل فتبقى حسرة في قلوبنا فكن خليفتي على الناس وكن متيقظا لسمع كل صوت فاذا سمعت التكبير فاسرع باخواننا المسلمين وأنت أمامهم بعدي (ثم) ودعهم ورجع الناس وسار الامام نحو المشركين غير مكترث بهم ولا جزع منهم فهرول حتى دخل الحاضر فلقي القوم خارج البيوت والحاضر خال من الناس وقد اجتمع الناس والعبيد والاماء ينظرون ما يكون من أمر الطفيل وصاحبه فقصد الامام الى هنالك فوجد المصابيح توقد والنيران تضرم والناس مجتمعون وقد ارتفعت الضجة وقدموا الطفيل وصاحبه وأوقفوهما أمام الصنم وعمر بن حمامة قابض على الطفيل وغلائه قابض على عبد الله بن أنيس وكل واحد منهما قد أشهر سيفه وهما قائمان وأكثر الناس جلوس فاختلط بهم الامام وجلس متنكرا فأشار اليهم عمر بن حمامة بيده فأمسكوا وتطاولوا اليه فأقبل على الصنم وقال له ماترى في أمر الطفيل وابن أنيس وجعل يقول

ما الذي تأمرنا ياذا الذرى • وما الذي يظهر لك فيما جرى
هذا الطفيل لأمرنا قد امترى • بعد الدنو والجوار والقرى
وابن أنيس جيشنا قد اعترى • قد ترك القوم جميعا بالثرى
قد حضرت دوس وأبطال الورى • ينظرون أمرك فيما ترى

(قال) وانصت الى الصنم ينتظر الجواب فلم يرد عليه جوابا فأعاد مثل ما خاطبه أولا فلم يرده الا هما وخرسا فأطال الناس القيام فقال عمر بن حمامة ليت شعري ما الذي دهمه ثم أعاد عليه القول فلم ينطق فقال عمر يا آل دوس اني أحسب الهنا غائبا ولاشك انه جمع الآلهة يشاورهم في أمر علي بن أبي طالب وهلاكه ثم التفت الى صاحبه غلائه وقال له ما انتظارك اقتل صاحبك وأنا أقتل صاحبي فلاشك ان ذي الكفين اسخى من عمك أن يأمر بقتله (قال) فلما

رآهما الامام قد هموا بقتلهما لم يطق صبرا دون أن وثب قائما في وسط الناس فاخترقهم غير مكترث بهم ولا هايب لهم فقال له القوم الى أين بدا يا غلام ومن أنت فلم يلو الى كلامهم وقال لعمر بن حمامة أنا من بعض أخلائك وأصفيائك مشتاق اليك فانكر عدو الله النغمة وقال من أنت اكشف لنا عن مكانك فقال الامام وقد قرب منه أكثرت الكلام وزدت المرام أنا قاتل الفرسان وسيد الشجعان وخائض الأهوال ومنزل بقوم الوبال أنا غريم ابن على بن أبي طالب ثم أسفر عن لثامه وبرد حسامه وخطا أمامه فلما نظر عدو الله عمر بن حمامة الى الامام دهش وارتعدت فرائصه وطاش عقله فكبر الامام وأجابه الطفيل وصاحبه عبد الله بالتكبير وسمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فأسرعوا من أماكنهم مبادرين وكان الزبير قد أمرهم باليقظة فكانوا على ظهور خيولهم متأهبين فلما سمعوا التكبير بادروا وأسرعوا وان عدو الله عمر بن حمامة لما نظر الى الامام قال للطفيل أما وذي الكفين انك لسيدنا وان لك حقا علينا لا ننكره وانك جاهنا وعزنا ولو أردنا قتلك لقتلناك وانما طولت بك الأمور وسألت ذي الكفين في أمرك فامض الى صاحبك مرشدا فقال له الطفيل والله ما قلت هذا بالعين الا حين رأيت الموت قد أحاط بك وغشيك والحمام الأغبر قد طرقك والليوث محدقة بك فرجوت الخلاص بمكرك وخديعتك وهيهات أن يكون ذلك أبدا قال وأما غلالة فانه لما أبصر الامام وعاينه في ضوء النار وعيناه تلمع كالبرق الخاطف ورآه قد جرد سيفه ارتجف فؤاده وارتعدت فرائصه وسقط السيف من يده وخلى عن عبد الله بن أنيس فلما رأى عبد الله غلالة أطلق السيف من يده لم يمهله ولم يدع الامام يصل اليه دون أن اخترط السيف من يده ثم ضربه على هامته فلقه نصفين وانجدل صريعا وقال الامام أفلحت غرتك يا ابن عم (محمد) صلى الله عليه وسلم فبئس أخذت ثارى فتبسم الامام وخطى الى عمر بن حمامة يريد قتله أو أسره فعلت الأصوات ووثب كل جالس وصرخ كل قائم وارتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب وأشرف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سائر الجنبات لهم ضجيج بالتكبير وكان الزبير لما قرب من القوم قطع من الجيش قطعة للفضل بن العباس وقال ائت القوم عن أيمانهم وقطع أخرى وضمها لخالد بن الوليد وقال ائت القوم عن شمائلهم وانفرد هو ببقية الجيش وقال معاشر الناس انصتوا واستمعوا تكبيرا مامكم ولا تضعوا السيف دون أن يأمركم بذلك فلانا من أن يكون القوم قد رغبوا الى الاسلام فامتثل القوم ما أمرهم قال وبينما عمر بن حمامة في الحيرة والدهشة اذ حمل الزبير بأصحابه وغشيتهم الكتائب وأحدقت بهم المواكب من كل جانب من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فأيقن القوم بالهلاك وصاح عمر بن حمامة وقد وثب الامام طالبا له وقد هم بالهروب فلما سمع التكبير من سائر الجنبات أيقن بالموت فاستجار بالطفيل وصاح به يا ابن العم ارحم عشيرتك وأهلك فالفرة اذا قطعت من الشجرة لم تعد الى مكانها ولا تأخذ المسيء باساءته ولا الجاهل بجهالته فكم مرة ومرارا وصلت فعفوت ووصلنا فابقينا ولعمري انا نستحق العقوبة والقتل وأنت أهل السماحة والفضل فان منننت فلطال ما منننت وان أهلكت فلقوم أهلكت وادفع عنا سطوة هذا الغلام المنتقم وارحم ذوائبك وبناتك فما أظنك اذا رأيت النسوان مهتكات والبنات لاطمات على خدودهن الا يؤلمك ويغمك ذلك وأشار الى النسوان أن يتصارخن في وجه الطفيل وأقبلن العجائز فتعلقن بأطماره وقلن له أجرنا يا سيدنا وبكى الأطفال في وجهه فبكى الطفيل مما أبصر وسمع من قومه وعشيرته وأقبل الى الامام وقال يا سيدي يا أبا الحسن ان رأيت أن تبقي ما قدرت وتحسن ما استطعت وتعفو اذا وصلت فافعل فقد أحزنني ما أسمعه من بكاء الصبيان ونياح الولدان فارفق بهم رفق

السيد وأعمد عنهم السيف فعسى الله أن يهديهم فقال الامام يا طفيل ان أمر الله أوجب من أمرك وحق الله أوجب من حقك وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أدعوهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأن (محمدا) رسول الله فان أجابوك كانوا في أمان الله وأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أبا ذلك لم يكن لهم غدا الا السيف وقد دعوتهم مرة ومرارا فلم يجيبوا قال وبينما الامام يخاطب الطفيل اذ أقبل قيس في جيشه فقال بأبي أنت وأمي ما بوقفنا فقد أمكنتنا الفرصة فقال الامام مهلا يا قيس عد الى مكانك وأمر الناس أن لا يبذلوا السيف الا أن آمرهم فرجع الى مكانه فلما بعد أقبل الزبير بالمواكب والكتائب يسئلون الامام الحملة وهو يأمرهم بالتوقف وهو مغضب على عمر بن حمامة وهو واقف خلف الطفيل برتعد كالورقة والقوم بأجمعهم قد ألجمهم العرق وكثر منهم الجزع فلما رأى الطفيل ذلك أدركه الحنان والامام ينظر الى الطفيل مرة والى عمر بن حمامة مرة والسيف بيده مصلت وقد حجز الطفيل بينهما فقال الامام ياويلك يا عمر قد سمعت مقالة الطفيل وشفقته عليك وعلى قومك فعلى م يبقى عليك حتى انك تجيب الى ملتنا وتدخل في ديننا أم أنت مقيم على كفرك وغدرك (قال) عمر بن حمامة يا ابن أبي طالب بل يجئ الأمر على ما تحبه ونكون لك عونا على كل معاند وسيفا قاطعا على كل مكايد ولن يأتينا الصباح الا وقد سرنا اليك بعدما كنا لك أعداء ولا سيما اذا أنزلت نقمتك بذي الكفين وأزلت أثره وقطعت خبره فهنالك تطيب النفس ويزول العناد والفساد فقال رضي الله عنه اني معطيكم ما سألتم ومجيبكم الى ما طلبتم وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرني بالسرعة ولكن غدا ان شاء الله ثم قال للطفيل اني قد وهبت لك الليلة قتل قومك وسفك دمائهم وأخذ أموالهم وان لنا من حولهم سرادقا منصوبا وسدا مضروبا فان أمل صاحبكم أن يهرب منا تحت الدجا ويفلت من أيدينا ويخرج من بيننا فبئس ما أمله ثم أقبل على الطفيل وقال ادع من قومك من هو مجاب الدعوة وادعهم الى الله فان أجابوا فكنت أنت وهو مع قومك وادعهم في ليلتكم هذه الى الله وها نحن من بينكم لا نزول فدعا الطفيل بوكيع بن سالم وصفوان وأبي هريرة والخضخاض فحضروا ثم قال لهم الامام كونوا من حول الطفيل رعاة لهؤلاء القوم والموعد بيننا وبينكم الجنة وقال يا معشر دوس برئت الذمة من رجل طلعت عليه الشمس صبيحة هذه الليلة ولم يأتنا مؤمنا الا أنزلنا به البلاء ولا جعلته مثلا بين الورى فليبلغ شاهدكم غائبكم (ثم) عطف الامام مع عبد الله بن أنيس وقال يا طفيل ان طرقك من القوم طارق وهموا بك وظهر لك منهم غدر فناد في فاني معك قريب قال نعم يا سيدي ثم رجع الامام الى أصحابه وقال معاشر الناس كل امام منكم بلزم جنبته ولا يزل عن مكانه ثم فرق من حول الناس خيلا ودون الخيل رجالا وقام وصلى صلاة العشاء الآخرة ثم قرب اليه افطاره فافطر وشد وسطه وتقلد سيفه وجعل يحوم حول أصحابه بنفسه وأمرهم بالحذر من سائر الجنبات وقال لهم اياكم أن يفلت من القوم فالت فلم يبق لهم غير هذه الليلة وغدا ان شاء الله يكون الانفصال بيننا (قال أبو الحسن البكري) رحمه الله انه لما وصل الامام علي رضي الله عنه الى عمر بن حمامة وهم بقتله وقتل من معه فشفع فيهم الطفيل ودخله الحنان على قومه لما سمع من بكاء الصبيان وعويل النسوان ونظر الى بنات عمه وخالاته وأقاربه يبكون وينتحبون فداخله عليهم ما يداخل ذوي القربى على قرابتهم ثم دعا بصفوان ووكيع وأبي هريرة وقال لهم كونوا مع الطفيل وادعوا قومكم الى الاسلام وقد أمهلتكم الليلة فمتى طلعت الشمس من صبيحة غد وواحد باق على شركه فقد أوجب على نفسه القتل ولست بزائل من حولكم ولا متزحزح من حولكم ولا منفس لاحد منهم فواق ناقة فقال له الطفيل لعل الله أن يهديهم بنا فتركه وأقبل الى أصحابه فرتبهم

حول القوم وأحدق بهم من كل جانب وأضرم نيران الرصد ورتب الحرس وقال لأصحابه احرصوا لا يجاوزكم أحد ومن أبصرتموه يريد الهروب فخذوه ومن تعاصى عليكم فاقتلوه فانا سمحنا بالامهال الى الصباح على انهم يدبرون أمرهم ويتشاورون فيما بينهم فمن أجاب فله مالنا وعليه ماعلينا ومن أبى فالسيف لاغيره فتحارس القوم ليلتهم وأشهروا السيوف وأوتروا القسى وجعلوا شعارهم القرآن وقام الامام فاستوى على جواده وتولى حرس القوم بنفسه وجعل يحوم حولهم كحومة الاسد على اشباله لا يمر بجنبة من الجنبات الا وعظهم ونهاهم عن الرقاد فكانت ليلة حرس وتهليل وتكبير لرب العالمين (قال) ثم ان الطفيل لما انصرف عنه الامام بكى فى وجهه قرابته كما ذكر وأكثروا عليه الخطاب وهو لا يرد عليهم جوابا ثم قال لهم ادعوا الى سليط بن زيد وذو غفل بن سنان والغافق بن المشمز وطالب بن عياش والهليل بن كثير فهؤلاء سادات دوس وأبطالها وحماتها ومن يشار اليهم فى المهمات والملمات فاخبرهم بما انفصل عليه الفريقان ثم دعا بعمر بن حمامة فأتاه فجلس فى فلاة من الارض ثم أبعدوا النسوان والصبيان وأحضر من له عقل وتدبير ثم قال لهم يا معشر دوس انكم لتعلمون انكم فعلتم بى ما استوجبتم به القتل مرة ومرارا ولم يكن لى اليكم ذنب أذنبته ولا جرم أجرمته سوى ان مضيت من عندكم فوردت على (محمد) بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهو اذ ذاك بمكة فسمعت منه كلاما ما سمعت مثله من حيكم ولا من عالم ولا من كاهن ولا من راهب فملك بحلاوته قلبى وتمكن منى فعلمت انه لا يأتى بمثله بشر فوحدت الله وصدقت (محمدا) وعلمت ان ما جاء به حق وصدق ولم يكن كذابا فى قوله ولا مفتريا على ربه وما كنت أنا بجاهل فيستليق على قلبى فلما ظهر من الحق أعلامه اتبعته وآمنت بالله وصدقت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئتكم أطلب لكم ما طلبته لنفسى ولم يكن ذلك بغضا لكم ولا عداوة ومن رضى لكم ما رضى لنفسه فقد صافاكم المودة وأظهر لكم النصيحة فدعوتكم الى ما يقيكم اليه فكرهتم ذلك فخرجت الى أرض الله الواسعة وقلت أترك قومى الى أن يفعل الله بهم ما يشاء فخرجتم فى أثرى وأخذتم أهلى ومالى وأردتم قتلى وأظهرتم لى العناد والكيد فكان الله لى عنكم ناصرا ومعينا والآن قد وصلت اليكم وهذه مرة أخرى وقد سألت الرجل أن يهب لى دماءكم وقد فعل وقد خرج الأمر من يدى الى من هو أحق به منى وهذا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم والطريق الموصل اليه والداعية التى تدل عليه وقد سألته الامهال عليكم وأنا أعلم انه لا يترك أمر الله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجلى ولا يصفح عنكم ولا يرحل الا باسلامكم والاسلام دين الله يقتل الاخ فيه أخاه والابن أباه فانظروا لأنفسكم فان الرجل لا يتقلع عنكم الا باحد الأمرين اما باسلامكم واما بقتلكم وسفك دمائكم واما هذا الصنم الذميم فلا بد ان تروا ما يقع به وبشيطانه الرجيم فانظروا واما أنتم صانعون فان قبلتم مشورتى فقد علمتم أنى مشفق بكم وان كان قد نالنى منكم كل أذى فأنا راع لكم مالم ترعوه لى يا قوم اتركوا ما أنتم عليه من عبادة هذا الصنم فوالله ما يغنى عنكم ولا عن نفسه شيأ وقد رأيتموه يتخرص عن الخطاب حين يظهر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبروا أمركم الليلة واخلصوا نياتكم وأزيلوا الشرك من قلوبكم واعترفوا بربكم الذى خلقكم ورزقكم وأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم واعلموا أنكم ان جاءكم الصباح وأنتم على كفركم لم يكن لكم أمان عندى ولا عند صاحبى فابرموا أمركم وانظروا واما أنتم صانعون (قال) فنظر القوم بعضهم الى بعض وتطاولوا الى عمر بن حمامة وهو واضع ذقنه على ركبتيه لا يجيب قولا فلما ان طال بهم ذلك قال له سليط بن زيد مالك مطرق كاطراق الحصان لصلصلة اللجام لا تجيب الطفيل قال وما عسى أن أجيبه وقد وقعت بين حجرين دامغين

مهلكين ان ملت الى أحدهما أهلكنى الآخر فأنا بينهما حائر واليهما ناظر وأخشى من ذى الكفين أن أتركه وأخشى من على أن أخالفه فالسيوف محدقة من حولى وعلى جاثم يؤمل هلاكى وذى الكين من ورائى وأنا أخشى جرأته ونهرانه وما تطيب نفسى ان أخلى دين آبائى العظام وأسلافى الكرام الذين انقرضوا على الرشاد ومضوا على السداد فلا مفرج يفرج عنى كربتى ولا كاشف يكشف عنى ملمتى ولا ناصر ينصرنى على من أرادنى ولا اله يمنع عنى من يكايدنى وقد ترون ما أحاط بى فكيف الخلاص فقال له الطفيل فاذا كرهت ما قلت لك فلن يبقى الا أن تجعل نفسك وقومك طعمة للمنايا (قال) ولم قال اذا لم تكن فيكم منعة تمنعون بها عن أنفسكم وحريمكم فلا أنتم تقاتلون ولا الى الاسلام تجيبون فما بقى لكم غير السيف وأما قولك ذو الكفين يمنع عنى فتبا لاله لا يمنع عن نفسه فكيف عن غيره (ثم قال) لهم الطفيل اما صاحبكم فقد زال عقله وانحل فضله فما أنتم قائلون فقال له ذو غفل بن سنان وما عسى أن نقول لو أن هذا الغلام يصالحنا على مال يدفعه له فى كل عام وقاية على أنفسنا ودفعا عن حريمنا وحماية عن الهنا قال لهم الطفيل ان الهاء فع عنه الجزية والجعل لذميم ياويلكم فقد نقصت عقولكم وذهبت أحلامكم ما تصنعون بصنم لا يضر ولا ينفع ولا يغنى عنكم شيأ ولا يشفى لكم مريضا ولا يرد عليكم ضالة ولا يرزقكم فأين أنتم عن اله قبضته السموات والارض يخلق ويرزق ويشفى ويعافى ويمنع ويعطى ويميت ويحيى يعلم ما فى السموات العلا وما بينهما وما تحت الثرى فاقبلوا مشورة الناصح اذ طلب لكم الطريق الواضح (قال فلما) سمع القوم ذلك من مقالته تكلم سليط بن زيد وذو غفل وجراح والعائق وقالوا بلسان واحد ان هذا اله عظيم ورب كريم لمثل هذا فليعبد العابدون نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن (محمدا) رسول الله لاشك ولا ريب فسر باسلامهم سرورا شديدا وأقبل على عمر وبقية القوم وقال لهم ما أنتم قائلون فقام طالب بن المثنى وطالب بن جندل وعتاب بن سهل والهلال بن كثير وقالوا نحن تبع لسيدنا عمر ابن حمامة وقد رضينا ما رضى لنفسه فقال عمر أما أنا فلست بزائل عن دينى ولا أحول عن عبادة ذى الكفين وأقتل بازائه وينظر صبرى على عبادته وهلاكى فى طاعته ولا أعبد غيره ثم لا آمن ان ينزل به عقوبته فقال له الطفيل فانى برىء منك ومن دمك وقد تركتك مع صاحبك يصنع بك ما أراد ثم أقبل على الذين أسلموا من قومه وقال لهم انطلقوا الى اخوانكم وادعوا عشائركم وأهاليكم الى ما رضيتموه لأنفسكم فأسرع القوم لامره فدعوا قومهم الى الله تعالى وذكروا ما قال لهم الطفيل فأسلم منهم ثلاثمائة رجل (ثم) جاؤا الى الطفيل فأخذ عليهم العهود والمواثيق على الاسلام وجلسوا من حوله فلما نظر عمر بن حمامة الى ذلك قال ان هؤلاء القوم غضب عليهم ذو الكفين وطردهم وسيعلم ما نزل بهم فتوقعوا نقمته فقال له الطفيل بل انت تتوقع العذاب أن ينزل بك عند الصباح وألقى الله فى قلوبهم البغضاء فى تلك الليلة وبعث الطفيل الى الامام يخبره بمن أسلم فقال اللعين عمر بن حمامة ان هؤلاء القوم مضوا الى قومهم ولاشك ان ذى الكفين مهلكهم لامحالة وان هؤلاء القوم لما مضوا الى أهاليهم أرجو أن تجمع كلمتنا وتكمل دعوتنا على اننا يا طفيل تضمن لنا أنت وصاحبك انه لا يلحقنا من جنبة ذى الكفين سوء (قال) الطفيل أنا الضامن لكم ذلك ولمن أجابكم من دوس كلها فتركه عمر بن حمامة ومضى وهو يملئ بالغيظ يفور حتى أتى مجلس القوم وبعث الى من لم يحضر فتكاملوا من حوله فقال لهم معاشر الناس أرأيتم شؤم هذا الرجل وما أنزله بنا من الهم اذ اختار لنفسه هذا الدين الذى فرق شملنا وصدع بيضتنا واتلف أموالنا واني أعلم انه يفتننا لقد حلت عين السوء على دوس فأخلت ديارهم وأفنت عشائرهم وأزالت عمائرهم وأرملت نساءهم وأيتمت أولادهم فانظروا ديارهم قبل أن تخرب ويزول ذكركم من

قبائل العرب ثم بكى فى وجوههم وهو يقول

على دوس لقد حل البلاء • فقد ارتدت وحل بها الفناء
وعين السوء قد دخلت عليهم • فعن قريب ديارهم خلاء
وجنود مصيبة عظمت وجلت • فدمع العين تتبعه الدماء
وقد جاء الطفيل بكل حقد • وأمر جرايس له خفاء
وقد مت الرجال الينا قصدا • ففى قرب سينكشف الغطاء
فهل من سعد يبكى لدوس • فقد هلكت وقد قل العطاء

(قال ثم) بكى بكاء طويلا وأن أتينا عاليا فأجابه القوم بالبكا والنحيب فقالوا يا سيدهم الا تكشف لنا الأمر على حقيقته فقال يا قوم لم يكفنا ما حل بنا من الطفيل حتى أجابه سليط بن زيد وذو غفل بن سنان والعائق ابن دويح وجراح بن المثنى أربعة من سادتنا وكبرائنا وقد دعوا قومهم وعشائرهم فاجابوهم الى دين (محمد) وصاروا عونا لهذا الغلام علينا فكيف الحيلة والعدو قد صار معنا فى حاضرنا محدق بنا والسيف مصلت علينا وها هنا قد تخلى عنا فكيف الحيلة قبل الصباح فان أجبتم قبل الصباح الى هذا الدين والا السيف يفنيكم ويفنى أهاليكم وأولادكم فقالوا له نرى القتل أيسر علينا مما ذكرت فابعث الى من بقى نشاورهم فى هذا الأمر قبل الصباح فبعث عمر من وقته الى طالب بن جاهمة وعتاب بن سهيل والهلال بن كثير فاتوا اليه فشاورهم فقالوا نرى ان القتل أسهل لنا مما ذكرت من هذا الدين فقال لهم الهلال بن كثير ما ترون انكم تبخلون بانفسكم على الموت فان كان ولا بد من القتل فثوروا من وقتكم تحت الدجا فاول من تبدؤن به قبل أن يرتفع الصوت فاعطفوا على على بن أبى طالب فان وصلتم اليه فهو الذى تريدون فان تكن الاخرى فالموت عز وفخر

(قال) عمر بن حمامة هذا هو الرأى عندى وفرح لما رأى القوم قد أجمعوا على ذلك وبعث من يثق به الى الطفيل ومن معه فقال له أبشر يا ابن العم فقد أجابنى القوم الى الاسلام وها أنا سائر بهم اليك لنجتمع ونسير الى على بن أبى طالب نجدد اسلامنا بين يديه وما يأتيك الصباح وفى الحاضر مخالف ففرح بذلك وبشر من كان معه من المسلمين وبقى قلقا منتظرا لهم وهو يظن ان ذلك حقيقة ثم بعث عمر الى من بقى فى الحاضر وعزلهم ممن كان على دينه ومن دخل فى الاسلام حول الطفيل فلما تكامل القوم اقبل عليهم عمر بن حمامة فقال لهم ان السلال بن كثير قد نصحنا بقوله وصدقنا نصيحته وعند الصباح يدهمنا هذا الغلام على بن أبى طالب باصحابه فاذا خرجتم عن دين آبائكم واجدادكم ودخلتم فى دينه وأنتم أذلة صاغرون صرتم للقوم خولا وعبيدا وملزمتم دينكم عن آخركم لم تملك عليكم أموالكم ونساؤكم فهل ترضون بهذه وأنتم أفضل العرب فقال القوم نهلك عن آخرنا ولا نحول عن ديننا ولا نرى يا هلنا ما ذكرت لنا من عدونا (قال) فوطنوا أنفسكم على الموت واغضبوا لعزكم أن يحمل ولنسائكم وبناتكم أن يتكن بين الملا وأبدؤا بمن قرب منكم بحسبه ونسبه فقد انكرنا القرابة وهم منكم أبعد فاقتلوا الطفيل ومن حوله ثم ميلوا على هؤلاء القوم قالوا سمعنا وأطعنا ثم جردوا السيوف وأخذوا الجلف وتلثموا بالعمائم وداخلتهم حمية الجاهلية وتقدم عمر بن حمامة وبيده الحسام واقترن به السلال بن كثير عار يا من اطماره وبيده صحيفة هندية ودرقة كسروية وطالب بن جندلة وغياث بن سهل والقوم من ورائهم يهرعون وأمر عمر النسوان الا يتصارخن فى وقت الحملة ليلا يقع الصوت فيدركهم على قبل أن يصلوا الى ما أملوه من قومهم وتقدم امامهم وهو يحرضهم ويوصيهم الا يفروا واللعين بين أيديهم وهو يترجز ويقول

هبوا بنا تحت الدجا الى العدا • نبدا الرؤوس بالاكف وانصتا

وعفروا الخدود من فوق الثرى * الى متى هذا الاذى الى متى

(قال) ثم هرول واتبعه السلال بن كثير كانه بعير هائج والقوم من ورائهم سراعا وقد أضمر واللقوم شرا وغدرا والطفيل منتظر لقومه وقرابته بما وعده اللعين من اجابتهم وطاعتهم لاصحابه وهو فرح بذلك وقد أنفذ رسولا بذلك الى الامام يبشره بذلك والامام يقول لهم بغير هذا اخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كذب وما ينطق عن الهوى وما ذلك الا وحي يوحى اليه عن ربه وقد أخبرني أن تراق دماء وتقتل رجال وتكون أمور عظام وأحوال جسام فلا تغفلوا فان الحذر درع منيع ما حاب من تدرع به ولا تطمئنوا الى هذا الكلام فاني أخشى أن يكون القوم يخادعون الطفيل ويؤملون مالا يكون (ثم) انه أيقظ أصحابه وأمرهم بالحذر وانه لعلى مثل ذلك اذ وقع الصوت وصاح الصائح السلاح السلاح (فقال) الامام ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ظهرت البراهين وبان الحق المبين قال وكان من خبر القوم ان الطفيل كان مستبشرا بما وعده القوم وهو منتظر لهم والنار تضرم حوله ومن بين يديه ومعه من أجابه من قومه الى الاسلام وهو يحدثهم بشرائع الاسلام ويخبرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ لاح لهم القوم في ضوء النار فقال لهم الطفيل قد جاءكم القوم وقد انشرحت صدورهم للاسلام ونظر الى عمر بن حمامة والسلال بن كثير في أوائل الناس متحزمين والناس قد شدوا عليهم الدروع والسيوف تلمع في أيديهم فقال الطفيل غدر قومي ورب الكعبة (ثم) وثب قائما واخترط سيفه ووثب صفوان وأبو هريرة ووكيع والقوم باجمعهم قياما فلم يصلوا الى سلاحهم ولا تأهبوا لهم ولا تحزموا ولا شدوا عليهم سلاحهم حتى دهمهم عدوهم وأكثرهم بغير سلاح وقد اطمأنوا الى قومهم انهم لا يطرقون منهم بسوء فلما رأوا ذلك قال قائلهم ما شأنكم وما قصتكم وهذا على من حولكم يدور كانه الاسد الهصور وأصحابه معه قد أحدقوا به كالبياض بسواد العين (ثم) صاح الطفيل يا ويلكم أبيتم الا أن تقتلوا أنفسكم بايديكم وهذا البغي راجع اليكم فقال له عمر بن حمامة قد رضينا بعد قتلك وصرعك ان نقتل عن آخرنا فاجلب لنا عدونا غيرك ولا افنانا سواك وقد زاد الأمر علينا من قومنا الذين صبوا اليك في هذه الليلة ولا بد من قتلك ثم حمل هو ومن معه ورجع من ليس معه سلاح قال ونفض أبو هريرة نبلة وقصدهم بها وقال يا بني اللئام قد آن لنا أن نشفي منكم الغليل من قلوبنا ثم رمى فأصاب بنبله رجالا واشتبك القوم في القتال واختلطوا وعمل السيف في الظلام ورفع الطفيل ومن معه صوته بالتكبير فقال الامام رضي الله عنه أنا أبصر بالأمر ثم صاح بصوت أسمع به كل من بحاضرهم وهو يقول اليك لا بأس عليك (ثم) قال لأصحابه معاشر الناس لا تزولوا عن أماكنكم واثبتوا واحدقوا بعدوكم لئلا يفلت منهم فالت فصاح بالزبير وبخالد وبقيس وأمرهم بالثبات في أماكنهم ثم أخذ من كل فرقة خمسين رجلا فتكامل معه مائتا رجل فحمل بهم حتى اخترق الحاضر ووصل الى أصحابه وهم في فلاة من الأرض واسعة معتزلة عن البيوت فلما أشرف عليهم ناداهم برفيع صوته يا أيتها العصبة الغادرة والامة الفاجرة بئس ما سولت لكم أنفسكم لا جعلن أجسادكم حصيدا خامدين ولقد علمت ما يكون منكم اخبرني ابن عمي (محمد) رسول الله صلى الله عليه وسلم والآن حق عليكم العذاب ووجب فيكم الضرب فلما سمع القوم صوت الامام هاجوا وماجوا وكبر الطفيل ومن معه وأجابهم الامام وحمل بعصابة المؤمنين وكتيبة الموحدين وبذلوا فيهم السيف ونظر الى عمر بن حمامة والسلال يقاتلون الطفيل ومن معه والقوم من ورائهم وحمل الامام فلما نظر عمر بن حمامة الى الامام ذهب نشاطه وقل انبساطه وأما السلال فكان مدلا بنفسه وهو يصيح كالجمل الهائج فقال له الامام ليكفن صياحك ثم ضربه على هامته أخرج السيف من بين فخذيه كالناشر بالمنشار فسقط اللعين نصفين فلما رأى عمر بن حمامة ذلك من فعل الامام تقهقر على

عقبه وولى هاربا فقال الطفيل زادك الله بهجة يا ابن أبي طالب فلقد شفيت الغليل وأرضيت الخليل وابذل في القوم الحسام فقد أبوا الاكرام وابد أبصاحبهم عمر بن حمامة فلم يجده فضرب في اعراض القوم وحمل حملة منكرة وحرض أصحابه على القتال وعمل السيف في اللئام وأخذهم عن ايمانهم وعن شمائلهم ومن أمامهم ومن خلفهم وتعلق الرجال بالرجال والابطال بالابطال والاقران بالاقران وقاتلوا في تلك الليلة قتالا عظيما ولم يبقوا على أحد وقاتل أصحاب الطفيل الذين أسلموا قتالا عظيما وكان سليط بن زيدان ينادي قومه الذين أسلموا معه هذه الليلة أول ليلة عرفتم فيها ربكم فارضوا فيها نبيكم وأميركم فجاهدوا في سبيل الله ولا تبقوا على من أشرك بالله وصاح ذو غفل بن سنان افلقوا الهامات يغفر لكم رب السموات وارتفع العجاج وانعقد في ظلام الليل وكان الرجل يضرب الرجل ولا يدري من أي الفريقين هو أمن عدوه أو من وليه والتكبير والزعقات حول الحاضر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعضون الأنامل أسفا ولا يجدون سبيلا الى أن قاتل الكفار قتال ومنهم رجال يصرخون بالامام ويسئلونه أن يأمرهم بالحملة وقد اختلط القوم بعضهم ببعض فما هو الا ضارب ومضروب أو طاعن أو مطعون وكانت ليلة عظيمة لم ير الناس مثلها فيما تقدم من الليالي ولم يزل القوم كذلك في التلاحم والتهاجم والظلمة راكدة عليهم الى أن مضى الليل بظلامه وانفجر الصبح بضيائه وكان الناس في تلك الليلة يسمعون صوت الامام وتكبيره (ثم) انقطع عنهم صوته قبل طلوع الفجر فلما طلع النهار ووقعت العين على العين وقد قتل من المشركين في تلك الليلة مقتلة عظيمة أزيد من أربعة آلاف وافترق الناس بعضهم من بعض وفقد المشركون صاحبهم عمر بن حمامة وفقد المسلمون صاحبهم وسيدهم الامام رضي الله عنه فعظم ذلك عليهم ولم يدروا ما كان منه وأقبلوا على أصحابهم وقالوا لهم لا شد ان الامام عندهم فسأل الزبير عنه فقال لم أره فقلقوا لذلك قلقا شديدا وقالوا العله طلب عمر بن حمامة حين هرب وما جاوز أحدا ثم سألوا خالد بن الوليد وقيس بن سعد والفضل بن العباس عنه فكل لم يدروا له خبرا فاغتموا غما شديدا فقال قائلهم ما تأخركم عن الحملة وقد مضى امامكم وما جاوزنا مجاوز ونحن حول المشركين وقد أحطنا بهم كالسرادق المضروب فاما أن يكون امامنا قد أصيب واما أن يكون في الحاضر أو يكون قد مضى نحو الصنم فافترق القوم واختر قوا عرصة الحرب وفتشوا القتلى فلم يجدوا له خبرا فسأل الفضل الذين خرجوا معه فاخبروه انهم فقدوا صوته قبل بريق الفجر فقال الفضل بن العباس امضوا بنا الى ناحية الصنم فحملوا بأجمعهم حتى أتوا مكان الصنم فلم يروا له أثرا فعظم ذلك عليهم فتقدم الفضل بن العباس الى رجل من المشركين ليحمل عليه فقال مهلا يا فتى فانا فقدنا الليلة صاحبنا عمر بن حمامة فنحن نطلبه في القتلى لعلنا نجده قتيلا أو عندكم أسيرا فانكر المسلمون ذلك فقال الفضل ان هذا أمر أشكل علينا لا نعرف أهو في القتلى أصيب أو مع القوم أسير وقلق المسلمون على امامهم قلقا شديدا وكذلك المشركون وبقوا في غم زائد وهم راكد (قال) المخبر بالحديث بينما المسلمون على مثل ذلك قلقين على امامهم يبكون ويتضرعون اذ سمعوا صوت الامام من مكان هاوى غير متقارب منهم ولا داني فدهشوا لذلك لانهم يسمعون الصوت ولا يرون الشخص ولا يرون من أي ناحية يأتي الصوت ولم يعلموا من حيث يأتي فقال قائلهم ان عليا يهتف بأصحابه وقد اخترق الأرض وغاص في الثرى ولا شك ان ذا الكفين أمر الأرض أن تغيب صاحبهم عمر بن حمامة فاخترق الأرض في أثره وكثر الكلام والفريقان متطاولان الى رؤية الامام وعمر بن حمامة (قال) وكان من خبرهما أن عمر بن حمامة لما رأى الامام وقد اخترق القوم وضرب السلال تلك الضربة الهائلة أيقن بالهلاك وتقهقر الى ورائه فظن انه يجد ملجأ للهروب فلما تلاحم الجمعان واختلط الفريقان واشتغل

الناس بأنفسهم عن غيرهم فأجمع اللعين نفسه على الهروب وترك القوم فى المعمعة وأقبل الى الناحية التى فيها قيس بن سعد يروم النجاة بنفسه فنظر الى قيس وأصحابه جثما قياما على خيلهم والرجال قد ألصقوا المناكب يتوقعون الصرخة فيثورون والفرسان قد أقرنوا الأعنة بعضها الى بعض وقدموا الرماح وأشهروا الصفاح ووقفوا كأنهم سد من حديد وعاينه وهو كأنه شعلة نار وهو يحرض الناس على القتال والحذر واليقظة وهم متأهبون (فلما) نظر عدو الله الى ذلك قال هذا باب قد انغلق عنا نجاحه وغاب فلاحه (ثم) انه رجع الى الناحية التى فيها خالد فوجده قائما يحرض الناس على القتال ويقول لهم احذروا أن يؤتى الناس من قبلكم أو يفلت من اللئام أحد فان صاحبهم عمر بن حمامة خادع صاحبنا الطفيل يؤمل النجاة فى الليل فاياكم أن يجاوزكم أحد فتذهب ريحكم وتقع عليكم اللائمة من امامكم فليوقظ بعضكم بعضا فلما سمع عدو الله ذلك رجع على أثره وأيس مما أمله وقال مابال القوم يطلبون بالاخفار (ثم) رجع الى ناحية الزبير فوجده متيقظا يجول بفرسه يمينا وشمالا وهو يزأر كالأسد والسيف فى يده كأنه شعلة نار فلما رأى عدو الله ذلك أيقن بالوفاة وأيس من الحياة وضاقت عليه الأرض بما رحبت وقال لم يبق لى غير هذه الجنبة الأخرى فان وجدت فيها منفذا والا رجعت الى الحرب فاقبل الى الناحية التى فيها الفضل بن العباس فلما أن قارب رأى الحرس والفضل ينادى اللهم أتنا بالفرج من عندك اما بقوم من دوس فنسقيهم كأس الردى ونضرب فى أعراضهم بالسيف الماضى والرماح المتطاولة (فلما) سمع عمر بن حمامة ذلك طاش عقله وقال كيف الخلاص من بين هؤلاء القوم ووقف متحيرا لا يدرى أين يتوجه وسمع أصوات السيوف وهى تعمل فى ظلام الليل فى قومه ولها صوت كوقع البرد على الصفا وسمع زعقات الامام على فى معمعة الحرب وهو ينادى أصحابه احملوا بارك الله فيكم يا أهل الاسلام على الكفرة اللئام وعباد الأصنام فهذه ليلة من أعظم الليالى عند الملك العلام ومن وقع منكم بعمر بن حمامة فليأتنى به حتى أعجل ارغامه وأسوق اليه حمامه (فلما) سمع عمر ذلك قال هلكت وذى الكفين وفنيت أيامى وذهب سوددى وهلكت عشيرتى وتخلى عنى الهى وأقبل الى سند الجبل الذى ينزل منه الماء الى الصنم وكان جبلا شاهقا عاليا ليس عليه طريق ولا اليه سبيل وقد أحدق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوانبه وتركوا أعلاه لعلمهم أن لا سبيل لأحد يرقى عليه (قال) فلما وصل عمر بن حمامة الى الجبل وقف هنالك ونزل عن جواده وتعلق بالصخور يأمل الخلاص بنفسه فسقط وكاد أن يهلك ولم يجد له مسلكا ولا طريقا فترك جواده هنالك وتنكر وأخفى نفسه وقال لامضين الى ذى الكفين فعسى أجد عنده فرجا ولا شك انه مشغول بنفسه عنى ثم عدل عن المعركة الى ناحية الصنم الى أن وصل اليه فوجده خاليا ليس معه أحد ولا رقيب ولا نار تضرم ولا مصباح يوقد وقد اشتغل بنفسه عنه فلما سار بازائه وحل بفضائه أسبل عبرته وبكى وقال ياذا الكفين اغاثة لهف شديد الأمور وعظائم الأهوال وقد علمت ما أوليتك على طول الأيام وما قربت اليك من الجزر والأغنام وما رأيتك تدفع عنى ملمة ولا رزية وقد ترى ما أحدق بى من أعدائى وأنا مشرف على الهلاك وهتك البنات وقد رأيت وعاينت أسياف المحمديين تحصد عبادك حصدا وهذا الغلام المسلط قد قتل كبارنا وأذل صغارنا ولا تعصمنا من عدونا فلم يرد عليه الصنم جوابا فقال هيهات أنت مشغول بنفسك عن نصرة غيرك فكانى أراك رميما ووجهك هشيما ولئن فرغ على من حربه ليصرفن وجهه اليك فيضمحك ويقطع أثرك ويزيل رسمك فعليك وعلى طال البكاء ثم جعل يقول

طال البكا على ثم عليك ٭ والموت نحوى دانيا ثم اليك

هل تنظر النار بين يديك • نرجو الجواب وقولك لبيك

(قال) فهو كذلك وقد هم أن يرجع على أثره اذ زعق الصنم زعقة عظيمة وتزحزح عن موضعه وزجره شيطانه وهو يقول

أدن لما قلت فقد بلغت • وتحت حصن الرب قد حصلت

ستجز منى بالذى عملت • لم يعط أحد مثل ما قد نلت

دونك والسرب فقد أمنت • وفى جوارى آمنا قد وصلت

(قال) فلما سمع عمر مقالة الصنم استبشر وزال عنه بعض ما يجده من الجزع والهلع ودنا منه مسرعا وكان الصنم كانه قطعة من جبل لعظم هيكله منقور مجوف مركب على الماء من الجبل ركبه عمر بن يحيى الذى نصب الأصنام للعرب وكان عظيما مصورا لا يقتلعه مائة رجل فلما دنا منه تزحزح الصنم عن مكانه رفعه الشيطان وعفاريته وجنوده عن موضعه وأمر عمرو بن حمامة بالدخول وقد انكشف له تحته عن سرب ممهد واسع ينزل فيه الفارس فدخل تحته ثم رجع الصنم الى موضعه كما كان أولا فأمن عدو الله حين حصل تحت الصنم ونذر نذرا وسكن ما به من الهلع والجزع وكان شيخ من دوس يقال له حنظلة وكان كبير السن لا طاقة له بالحرب وانما تخلف فى الحاضر لأجل ذلك وقد كان له فى قومه رفعة وموضع مخصوص بالشجاعة والبراعة فلما كبر وهرم تلاشى أمره فلما كان فى تلك الليلة ونظر الى عمرو بن حمامة وقد دخل تحت الصنم وسمع خطابه ومارد عليه الصنم من جوابه وعاينه حين ارتفع ودخل عمرو تحته فلما رأى ذلك طمع أن يصنع به مثل ما صنع بعمرو بن حمامة فاقبل يخطو الى الصنم وهو يرعش حتى وصل اليه فخر ساجدا له ورفع رأسه ضارعا يسئله ويتضرع اليه ويبكى ويقول له ياسيداه ارفق بى ثم جعل يقول

انى لشيخ قد رميت بالكبر • وذهب المجد وقد غاب الصبر

لما رأيت فى القوم عمرا شهر • وقد أتاك اذ تلقاه لك الحذر

أجرته فغاب من تحت الحجر • رجوت أن تنصرنى كما انتصر

فجئت سعيا طالبا منك الحضر • فاسمع نداء قارع بالباب حضر

(قال ثم) وقف ينتظر الجواب وقد أمل أن يفعل به الصنم مثل ما فعل بعمر فلم يحل من مكانه ولا تزحزح عن موضعه فلما رأى ذلك قال للصنم انه ليس من شأنك العناية بقوم دون قوم انا فى عبادتك سواء وفى اللياذة اكفاء وأنا أعبدك منذ مائتى سنة وعمرو ما قل من ذلك فامنن على كما منت على عمرو واحسن الى كما أحسنت اليه فلم يجبه ولا خاطبه بشئ (فلما) طال ذلك قال للصنم انك لإله ذميم غير كريم فلا حجى مزارك ولا قربت من أنارك تقرب الورى الساعد وتخذل الضعيف القاعد وانى لاعلم ان هذا الغلام الذى حل بديارنا مزيل أثرك وقاطع خبرك ومفنى عمرك فما استتم كلامه حتى ثارت عليه من أعلا الصنم نار تزف اليه وأخذته أصوات مرجفات وزعقات هائلات فلما رأى ذلك ولى هاربا يلتفت الى ورائه فلما أمن قال له قبحت من معبود لأحضرن عليك الأسد الشديد والليث المبيد (ثم) أقبل يسرع فى مشيه حتى أتى الامام رضى الله عنه فى وسط الحجاج يكر يمينا وشمالا يقتل الرجال ويبيد الأبطال وقد افترق القوم بين يديه ونفروا من حوله كما تنفر الغنم من الأسد وهو ينادى أين المدل بنفسه أين عمرو بن حمامة يدنو منى كى أعجل ارغامه وأقرب اليه حمامه فهو كذلك اذ صاح به الشيخ حنظلة من ورائه ياسيدى يا أبا الحسن فالتفت الامام وقال من الصائح بى فى وقت كلت له الفرسان (قال) الشيخ أنا رجل قاصد اليك بنصيحتى أرجو بها كاشفا

لترحتى فقال له ماتشاء قال خبرا يسرك ولا يضرك وهو لمن أنت طالبه قال الامام ياشيخ انى لا أطلب الا حامية القوم عمرو بن حمامة قال عندى خبره ومنتهى أمره ولذلك قصدتك فابتهج الامام بما سمعه وقال ادن منى فاعتزل به من المعركة فقال هات الآن ياشيخ بخبره وأوقفنى على أمره أهرب من العسكر قال لا قال أفى هذا الجبل منفذ لأحد يتسلق منه قال لا فتعجب الامام من ذلك وقال يامولاى لا تعجل اعلم انى أعبد هذا الصنم منذ مائتى سنة لم أسأله قضاء حاجة فقضاها لى ولا شفى لى مريضا ولا نصرنى على عدوى فلما رأيت هذا اللعين عمرو بن حمامة فى هذه الليلة وقد قصده اتبعته وقلت عسى ان أكون فى حماه فاتبعته وهو مستجير به منذ يرجوه ناصرا ومعينا فأنا كذلك أراعيه اذ رأيت هذا الصنم الذميم وقد تزحزح من موضعه وارتفع من الأرض شبرا (ثم) دخل عمر تحته وعاد الصنم الى مكانه وغاب عمرو لم نره بعد فلما رأيت ذلك رغبت أن يجعلنى معه لا آمن من سطوته فخطوت نحوه وسألته مسئلة الخائف الهلع فلم أجد عنده فرجا فسلطت عليه لسانى بالذم والتوبيخ وشتمته فخرجت على منه نار ترمى بشرر فوليت هاربا اليك وها أنا بين يديك وقد كرهت بعد طول الأيام وتتابع الأعوام مكانه ورفضت شانه ورغبت فى هذا الدين فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن ابن عمك (محمد) رسول الله فسر الامام باسلام الشيخ وماذكره من حديث عمرو بن حمامة وقال ياشيخ أفلحت ونجحت فسر معى الى مكان الصنم الذميم ترمنه عجبا فقال الشيخ بأبى أنت لا يخامرك وهم من عدو الله قال الامام وكيف قال حنظلة يامولاى وذلك ان عمرا دخل تحت الصنم وهو جبل عظيم لا تقدر الايدى أن تحركه ولا الرجال أن تقتلعه فقال الامام ياشيخ سر معى ترمن الله عجبا فسار الشيخ أمام الامام وقد ابتهج بالاسلام فلم يزل حتى قرب من الصنم فوقف فقال الامام سر ولا قوة الا بالله فسار الشيخ وقد وثق بقول الامام (فلما) وصل الى الصنم وهو على هيئته والماء يخرج من أنامله قال الامام جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (ثم) صلى ركعتين أو جزفيهما ثم قام وادخل كتفه تحت مناكب الصنم وحنظلة شاخص اليه لا يدرى ما الذى عزم عليه فسمع حنظلة الامام عند ما مكن يده من ركبتيه وقد قال لا قوة الا بالله توكلت عليك الهى ومن لجأ اليك فأنت سنده ومن اتكل عليك فى المهمات وجدك عضدا وناصرا ومعينا ومن استعان بك فى الأمور لم يخب أبدا يامسك السماء أن تقع على الأرض ومثبت الاملاك الثمانية على ماحملتهم من ثقل العرش عندما كلوا وعجزوا أن قالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فاستقل بمشيئتك وأنت أرحم الراحمين (ثم) هزه واقتلعه من مكانه فاحس به عدو الله وهو يحاول قلعه وسمع كلامه فلم يخامره ذلك ولم يرعه ولم يزل من مكانه فلما نظر اليه وقد اقتلعه أيقن بالهلاك وقام مسرعا فدخل فى السرب ثم نادى بالويل والثبور وعظائم الأمور وقال ياذا الكفين أهلكتنى وأهلكت نفسك ما أغنيت عنى فى هذا الأمر شيأ لما جئت حبستنى لابن أبى طالب حتى وصل الى (قال صاحب الحديث) فلما ان أزاله الامام من موضعه نظر الى السرب تحت الأرض فعلم ان عدو الله هناك فدخل فى أثره وقد تجرد من أطماره والسيف بيده واتبع أثره فلما غاب عن موضعه ودخل فى السرب صرخ اللعين ابليس ثلاث صرخات فاجتمع اليه شياطينه وعفاريته ومردته من الأفق والاقطار فأمرهم بردالصنم الى مكانه وأمرهم أن يلقوا الامام بين يديه ومن خلفه وسمع الامام الصرخة فالتفت الى ورائه واذا قد ردالصنم الى موضعه وقد سد عليه المكان الذى دخل منه فلم يكبر عليه ذلك وأخذ فى طلب اللعين عمرو بن حمامة حتى اذا قاربه وعدو الله يكابد الطلوع والامام يتسلق من ورائه كتسلق الطائر لا يكبر عليه الارتقاء والصعود فأحس به

عدو الله وصرخ صرخة منكرة فتصارخت الشياطين من ورائه وأرهجوا وأبرقوا وجلبوا ورموه بقطع من النيران وسحائب الدخان وصاحوا بفظيع أصواتهم وهرولوا عليه بابراقهم وارعادهم فلم يعظم عليه ذلك ولا راب بل قصدهم وصرخ بهم صرخة أعظم من صراخهم وقال لمثلي ترهبون وتهولون وأنا المخمد أصوات الجن ومنكس أبطال الانس أنا ابن عم (محمد) صلى الله عليه وسلم ثم اخترق وسط الجن الذين بين يديه طالبا لعمرو بن حمامة فوقفوا سدا بين يديه وفي وجهه وملكوا السرب وسدوه بهياكلهم وشخصوا وعظم ابراقهم وارعادهم فوقف الامام وأشار بيده اليمنى أمامهم وبيده اليسرى الى ورائهم وقال بسم الله الرحمن الرحيم وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون استعنت على جمعكم ببسط يد الله واقتدرت على مردتكم بأسماء الله العظام ودحضت باطلكم وارعادكم وابراقكم بكلمة الله العلي وباسم الله الذي يكون قبل التكوين في غامض بيان التبيين بالكلمات التي خلق بها السموات والأرض بغير مشورة ولا مشير ولا معارض ولا ضير أدحض جموعكم يا معشر الشياطين والجن بهذه الأسماء بالف البها ونقطة الاستواء بباء البقاء بتاء التنزيل بثاء الثبات بجيم الجمال بحاء الحق بخاء الخير بدال الدوام بذال المذل براء الرحيم بزاي الزهي بطاء الباطن بضاد القضاء بكاف الكافي بميم المنتقم بنون الناظر بصاد الصادق بضاء الضار بعين العالم بغين الغالب بفاء الفاتح بقاف القادر بسير السموات بشين الشكور بهاء الهادي بواو الواحد بلام لا اله الا الله بياء اليقين فلا غالب الا الله ولا قوة الا بالله أسئلك يا رب أن تصرف عني كيد الظالمين وجميع مردة الشياطين وجميع الانس أجمعين والباغين والطاغين والمتكبرين والمتجبرين برحمتك يا أرحم الراحمين فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم (قال الراوي) رحمه الله فما استتم الامام كلامه حتى تصارخت الشياطين صرخة منكرة وهم يقولون اشعل علينا وعلى السرب نارا لا طاقة بنار الله ولا صبر لنا على عذاب الله وأسلمن اللعين الى غاية التنكيل وولوا فرارا وهم يصرخون حتى غابوا عن أعراض الكفار وخمدت نيرانهم وبقي عمرو بن حمامة وحده فلما رآه الامام صاح به أين المفر يا عدو الله من أمر الله فقال أين المفر منذ يا على فلم يخاطبه دون أن ضرب بيده الى رجله وسحبه من ورائه سحبا عنيفا حتى أتى به الى الصنم فهناك صاح بأصحابه ليظهر لهم قدرة الله سبحانه وتعالى وسمع الناس الصوت كما تقدم قبل هذا ولم يعلموا من أين أتاهم فقوم تطاولوا الى عرصة الحرب وهم منتظرون مقدمه وكل مرتقب الى صاحبه وقد حارت الأوهام وطارت العقول وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقلقهم ذلك وهم يسمعون ولا يعلمون من أين يأتي صوته وتكبيره (فلما) طال عليهم ذلك وقد علم أن الناس متطاولون اليه وهم لا يعلمون مكانه كبر ثلاثا وقال معاشر الناس أقبلوا الى هذا الصنم الذميم تنظروا الى قدرة ربكم العظيم فأقبل الناس الى الصنم فلم يروا هناك أحدا فصاحوا بالامام وقالوا سمعنا صوتك يا أبا الحسن فأين شخصك فاجابهم من تحت الصنم هذا امامكم وابن عم نبيكم نادوا حماة دوس ليروا عجبا فنادوا يا آل دوس فانحفل الناس والنساء والولدان (فقال) لهم الامام اعطوهم الأمان على أنفسهم الى أن أفصل أمري معهم اما أن يسلموا أو يقتلوا فلما اتصل بالقوم ذلك لم يتخلف منهم أحد لا مؤمنهم ولا كافرهم وقد حارت عقولهم كيف صار على تحت الصنم ولا كيف خرج من تحته (فلما) تكامل الناس قال لهم الامام ابعدوا من جانب الصنم لئلا يلحقكم اذاية فابعدوا الناس من حوله ومكن يده من أسفله تحت الأرض وقال لبسم الله الرحمن الرحيم فدفعه بيده وصيده فسقط الصنم على وجهه وتكسر وصار قطعا كبارا وصغارا

وخرج الامام من تحته وهو قابض على رجل عدو الله عمرو بن حمامة وهو يجره ويستغيث ويستجير فدهشت دوس لما ظهر لهم منه وحارت فقالوا للامام امهلنا هذا اليوم فان لم يلحقنا اذاية من ذى الكفين آمنا معك فتعجب الامام من قلة عقولهم وجعل يضرب بعض الصنم ببعض حتى جعله هشيما رميما كأنه لم يكن هناك وأمهلهم يومهم وأصبحوا فلم يروا شيأ نزل به ولا بأصحابه (فقال) لهم الامام ياويلكم أتظنون انكم ترون شيطانه فى دياركم أبدا قالوا له اصنع مع سيدنا عمر بن حمامة ما أنت صانع حتى ننظر ما يكون منه فدعا به الامام وقال يا ابن حمامة أمالك معتبر فيما ظهر لك (قال) عمرو ما من طامة الا وفوقها طامة وقد كنت أقول ان ذا الكفين لا يغلبه أحد فغلبته وأبدته ومن فعل فعلك يجب أن يستعاذ منه فيالبتنى قتلت بازاء ذى الكفين قبل أن تفعل به ما فعلت ليرانى بين يديه قتيلا وقد جعلت روحى له فداء (قال) فغضب الامام لكلام اللعين وقال له ياويلك قل لا اله الا الله (محمد) رسول الله تحقن بها دمك وتنجو بها من عذاب الله قال البذ عنى بهذا الكلام الذى لا أشتهيه ولا أريد أن أسمعه قال فعند ذلك ضربه الامام ضربة أطار رأسه عن جسده وعجل الله بروحه الى النار فلما قتل اللعين تبادرت دوس كلها الى الاسلام وقالوا ما كان يمنعنا الا هذا الشيطان الرجيم والآن فنحن نشهد أن لا اله الا الله وأن (محمدا) رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسر الامام بذلك وعمد الى مال عمرو بن حمامة الذى يخصه لنفسه فقسمه بين المسلمين وجمع المسلمين اليه وقال للدوسيين ماتريدون أتريدون المقام فى حاضركم مؤمنين أم تسيرون معنا الى المدينة فقالوا ياسيدنا نريد أن نقيم فى ديارنا غير انا نخاف من العرب أن تطرقنا فقال لهم الامام مهما وصل اليكم أحد بسوء فنحن معكم لكم مالنا وعليكم ما علينا (ثم) أمر الامام أصحابه بالاستعداد للرحيل وسار الطفيل والمؤمنون الذين آمنوا معه الى المدينة بأهاليهم ومالهم وقام الآخرون فى حاضرهم ثم انصرف الامام رضى الله عنه فى غداة غدهم وودع المسلمون بعضهم بعضا وسلموا على الامام على رضى الله عنه وشكروا له وأوصاهم بأنفسهم وبالاسلام وتركهم وانصرف وساروا يؤمون المدينة حتى وصلوا وسلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام الطفيل رحمه الله بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معه غزوة تبوك وغزوة ثقيف وحرب كنده والروم وأقام حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ارتدت العرب خرج الطفيل فى البعث الذى بعثه أبو بكر الصديق مع خالد بن الوليد فجاهد أهل الردة حتى فرغوا من طليحة وأرض نجد وردوا العرب الى ملة الاسلام (ثم) سار مع المسلمين الى بنى حنيفة بأرض اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب فرأى الطفيل فى منامه وهو متوجه الى أرض اليمامة رؤيا فانتبه فزعا وقال لولده يابنى انى رأيت رؤيا أسأل الله العظيم خيرها (قال) ياأبت وما الذى رأيت قال رأيت فيما يرى النائم كأنى قد حلقت رأسى وكأنى قد خرج من فمى طائر الى السماء ولم يعد وكان امرأة لقيتنى فادخلتنى فى فرجها ورأيت كأن ثم ظلمانى طلبا شديدا يريد أن يلحق بى ثم حبست عنى وحيل بينى وبينه (قال) عامر خيرا رأيت وخيرا يكون ان شاء الله وما تأويل رؤياك ياأبت قال يابنى أما حلق رأسى فزواله عن جسدى وأما الطائر الذى خرج من فمى الى السماء فروحى وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فهى الأرض تغيب فيها وأما طلبك لى فانك تجهد أن يصيبك مثل ما أصابنى فلا تصل الى ذلك (قال الراوى) رحمه الله ولما كان يوم القتال الأعظم والجهاد الأكبر مع مسيلمة الكذاب قاتل الطفيل قتالا عظيما وقتل من أصحاب مسيلمة رجالا (ثم) استشهد رحمة الله علينا وعليه وأما ولده عامر رحمه فانه لما نظر الى أبيه وقد قتل

انهملت عيناه بالدموع وقاتل قتالا عظيما لم يرالراؤون مثله وكان الذى قتل الطفيل رجل من أصحاب مسيلمة يقال له عاتق فلم يزل عامر يخترق الحجاج ويطلبه يمينا وشمالا حتى ظفر به وقتله وأخذ بثار أبيه فتكاثر واعليه فأصابته جراحات وقيل قطعت يده فى سبيل الله ثم كواها فبرئت وعاش الى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان عمر يقربه ويدنيه ويقول له يا ابن ذى النورين الى أن استشهد باليرموك رحمه الله خرج علج من الروم فى بعض أيام اليرموك وعليه سابغ السلاح وطلب البراز فخرج اليه غلام من الأزد فما جال الأجولة حتى قتله العلج (ثم) خرج اليه عبد الرحمن ابن معاذ فضربه العلج على رأسه فشجه شجة موضحة فانثنى راجعا نحو المسلمين فحمل ثلاث حملات فخرج اليه عامر بن الطفيل فضرب العلج على عاتقه خلط أمعاءه فانجدل صريعا وأخذ سلبه فرماه نحو المسلمين وانثنى راجعا نحو الروم وقاتل قتالا شديدا (قال) أبو عمر الصلماتكى مصنف فتوح الشام فلم يزل عامر يقتل علجا ويخرج اليه آخر حتى قتل منهم تسعة من عظمائهم فهابه الروم فخرج اليه اللعين جبلة بن الأيهم الغسانى ملك المتنصرة فحمل على عامر وحمل عليه عامر وتلاقيا بضربتين خرجت ضربة عامر غير صائبة وأما ضربة جبلة فانها وقعت على رأس عامر فقطعت من قرنه الى قرنه فسقط الى الأرض رحمه الله وعجل الله بروحه الى الجنة (ثم) خرج اليه جندب بن عامر ابن الطفيل وقال أتيت يا قاتل أبى فانى قاتلك به ان شاء الله (قال) جابر بن عبد الله الأنصارى شهدت قتال اليرموك فما رأيت غلاما انجب من الدوسى فى قتل جبلة حتى أتاه القضا المحتوم فالحقه جبلة بأبيه وختم الله لهم بالشهادة والسعادة وأفاض علينا من بركاتهم وبركة الصحابة والشهداء وقصتهم فى وقعة اليرموك والله أعلم ولمثل هذا يعتبر العاقل ولو طال ما طال لابد من ملاقاة الموت والأهوال والقدوم على ذى الجلال اما الى جنة عالية ذات ظلال أو الى نار حامية ذات سلاسل واغلال ولابد للمرء من الانتقال ويبكى عليه الأطفال والعيال فرحم الله عبدا سمع بأذنيه ووعى بقلبه واستغفر ربه من ذنبه وتاب الى مولاه قبل أن يحال بينه وبين التوبة فان الله يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيآت ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون نسأل الله العظيم المولى الكريم أن يمن علينا بأفعال الصالحين وأن يتدارك نا برحمته وأن يميتنا مسلمين انه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين والحمد لله رب العالمين صلاة مضاعفة عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك وعلى آله وأصحابه وصل وسلم عليه كما سلمت وصليت على سيدنا ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد اللهم اجعلنا ممن صدق نبيك بتوفيقك واتبعه بارشادك وتسديدك وأمتنا على ملته واحشرنا فى زمرته برحمتك يارب العالمين اللهم بنورك اهتدينا وبفضلك استغنينا وفى كنفك أصبحنا وأمسينا أنت الأول فلا شئ قبلك وأنت الآخر فلا شئ بعدك نعوذ بك من البخل ومن الكسل ومن عذاب القبر ومن فتنة الغنى والفقر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ومن عذاب النار والاغلال يارب العالمين اللهم اجعلنا ممن آمن بك فهديته وتوكل عليك فكفيته وسألك فاعطيته يارب العالمين اللهم ياعالم الخفيات ياباعث الأموات ياسامع الأصوات يامجيب الدعوات ياقاضى الحاجات يامنزل البركات ياخالق الأرض والسموات أنت الله الذى لا اله الا أنت الجواد الذى لا يبخل لا راد لأمرك ولا معقب لحكمك رب كل شئ وخالق كل شئ ومالك كل شئ ومقدر كل شئ ان ترزقنا علما نافعا وقلبا خاشعا ورزقا طيبا واسعا وقلبا خاشعا ولسانا صادقا وعملا زكيا وايمانا خالصا وان تهب لنا انابة المخلصين وخشوع المخبتين وأعمال الصالحين ويقين الصديقين وسعادة المتقين ودرجة الفائزين

العابدين يارب العالمين اللهم اجعل شغل قلوبنا بذكر عظمتك وفراغ أبداننا فى شكر نعمتك وأنطق السنتنا بوصف منتك وقنا نوائب الزمان وصولة السلطان ووسوسة الشيطان واكفنا مؤنة الاكتساب وارزقنا يارب بنا بغير حساب بجاه الطفيل وأصحاب نبيك جميعا اللهم اغفر لمؤلف هذا الكتاب وسامحه فى عدم الصواب واجعله فى كنفك وجوارك وعياذك وسترك وأمانتك واغفر لوالديه ولكاتبه ولمن نسخ له ولجميع المسلمين يارب العالمين اللهم انا نسألك العون فى القضاء ومنزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء يارب العالمين اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء وسوء القضاء يارب العالمين اللهم اغفر لعبدك الكاتب ولمن كتب له ولعبيدك الفقراء آبائنا وأمهاتنا وأزواجنا وذرياتنا وأسبل سترك الدائم علينا وعليهم ولا تفضحنا واغفر لمن سبقنا ولمن حضرنا ولوالديهم ولجميع المؤمنين والمؤمنات اللهم اختم بالخيرات آجالنا وحقق بالرجاء آمالنا وسهل فى رضاك سبلنا وحسن فى جميع الأحوال أعمالنا وأعمارنا يارب العالمين اللهم انى أسألك بنور وجهك وعظيم عرشك وبسيدنا (محمد) وأنبيائك أن تميتنا على الاسلام بالله بالله بالله رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين اللهم آمين اللهم آمين اللهم آمين اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا (محمد) وعلى آل سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين والحمد لله رب العالمين

حمد المن جعل أخبار الاولين عظة للآخرين وهدى وذكرى للمتبصرين وصلاة وسلاما على سيدنا ومولانا محمد الذى ختم الله به الرسالة وأنقذ به من قضى له بالسعادة والخلاص من ربقة الجهالة وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا فى نصرة الدين حق الجهاد ورفعوا منار الدين القويم حتى اهتدى به الحاضر والباد وعلى التابعين لهم باحسان ماتعاقب الملوان وأضاء النيران آمين

﴿ أما بعد ﴾ فقد تم طبع هذه القصة الغريبة والسيرة الحسنة العجيبة المشتملة من عجائب الاخبار على ماهو عبرة للمعتبرين ومن بدائع الآثار على ماهو تبصرة للمتذكرين للفارس الهمام والبطل المقدام الصحابى الشهير بالثبات والصبر سيد بنى دوس الطفيل

ابن عمرو المنسوبة للشيخ أبى الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد

البكرى رحمه الله على ذمة حضرة ملتزمها (السيد احمد بن

مراد التركى وأخيه بالجزائر) فى شهر القعدة

سنة ١٣٢٢ هجريه على صاحبها

أفضل الصلاة وأزكى

التحية آمين

(تم)

803.783 K6432
Q

Kiṣṣat islām al-Ṭofeil ibn ʿĀmir al-Dausī

893.783
K6432

KISSAT

ISLĀM

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58926640
893.783 K6432 Kissat islam al-Tofe

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARY